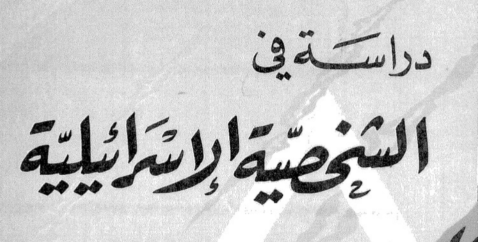


دراسة في

الشخصية الإسرائيلية

الاشكنازيم

د. قدري حفني

رئيس وحدة الدراسات الإسرائيلية

مركز بحوث الشرق الأوسط



مكتبة مدبولي

القاهرة

دراسة في الشخصية الإسرائيلية

« الأشكنازيم »

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ~ ١٩٩٣م

الناشـــر

مكتبة مدبولى

ميـدان طلعت حـرب بالقاهـرة - ج م ع

تليفون ٧٥٦٤٢١

دراسة في الشخصية الإسرائيلية

«الأشكنازيم»

د. قدري حفني

رئيس وحدة الدراسات الإسرائيلية

مركز بحوث الشرق الأوسط

مكتبة مدبولي

القاهرة

إهداء

إلى أخي الدكتور محجوب عمر ...

مصريًا في صفوف الثورة الفلسطينية

إقرار بالفضل واعتراف بالتقصير

بدأ اهتمامي بموضوع هذه الدراسة إثر هزيمة يونيو سنة ألف وتسعماية وسبع وستين ، أي بعد أن مضى على قيام الكيان الإسرائيلي ما يقرب من ربع القرن . وتلك نقيصة لا يخفف إقراري بها من إحساسي بوطأتها . ولا يجدي أي تبرير قد أصطنعه لها في التقليل من مسئوليتي عنها . وكل ما آمله هو أن يسهم اعترافي بها في الحيلولة بيني وبين التقاعس من جديد ، وفي دفع غيري من أبناء جيلي نحو المحاولة في هذا المجال ، وفي تعويذ جيل الباحثين والدارسين الجدد من وصمة التقاعس عن دراسة العدو .

وللحقيقة ، فإن سعيي المتأخر لتدارك تقصيري لم يكن سعياً ذاتياً خالصاً ، لقد تكاتفت جهود شتى لدفع الاهتمام الذاتي نحو الإنجاز الموضوعي .

وأبدأ بتوجيه الشكر للسيد رئيس الجمهورية الذي تفضّل فمنحني وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى تقديراً لأولى محاولاتي في مجال دراسة الشخصية الإسرائيلية التي نشرت عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين ، والتي نلت عنها جائزة الدولة التشجيعية في علم النفس عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين .

ولقد أتاح لي الأستاذ الدكتور السيد محمد خيري الفرصة لدراسة موضوع هذا البحث دراسة أكاديمية ، ثم لم يبخل على تلك الدراسة بكل ما استطاعه من وقت أو جهد أو توجيه أو تشجيع .

كذلك فقد لقيت ما لا حد له من تشجيع واهتمام وتقدير أساتذتي الأجلّاء الذين سعدت بالتتلمذ عليهم ، ثم شرّفوني بصداقتهم ، ولم يألوا جهداً في الاهتمام بمحاولاتي في هذا المجال ومتابعتها وتشجيعي على المضي بها . وأذكر في مقدمة

هؤلاء بكل العرفان والتقدير الأستاذ الدكتور مصطفى زيور أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور لويس كامل مليكة الأستاذ بالمعهد القومي للإدارة العليا ، والأستاذ الدكتور مصطفى صفوان المحلل النفسي بفرنسا .

ولا يفوتني أن أشيد بتعاون مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام الذي أتاح لي نشر أولى محاولاتي في هذا المجال . كذلك أتوجه بشكري وتقديري إلى مركز بحوث الشرق الأوسط الذي أتاح لي فرصة التفرغ للانتهاء من هذه الدراسة فضلاً عما أتاحه لي من استخدام لمكتبته ، ثم لما أتاحه لهذه الدراسة من فرصة النشر .

كما أذكر بالإجلال والتقدير فضل لفيف من أساتذة علم النفس المصريين الذين لم يبخلوا على محاولاتي في هذا المجال برأي أو بفكرة أو بتقدير أو بتشجيع ، فكان عطاؤهم بلا حدود . وأشير في مقدمة هؤلاء إلى المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد زكي صالح أستاذ علم النفس بكلية التربية جامعة عين شمس سابقاً ، والأستاذة الدكتورة سمية فهمي أستاذة علم النفس بكلية البنات جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور فؤاد البهي أستاذ علم النفس ومدير مركز البحوث التربوية ، والأستاذ الدكتور صمويل مغاريوس أستاذ علم النفس بكلية التربية جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور صلاح مخيمر أستاذ علم النفس بكلية التربية جامعة عين شمس .

كما أود أن أعبّر عن تقديري وإجلالي للأستاذ الدكتور نجيب اسكندر أستاذ علم النفس بمعهد العلوم الإدارية ، والأستاذ الدكتور رشدي فام أستاذ علم النفس بكلية البنات جامعة عين شمس لما أحاطاني به من حب وتقدير ، اتضح جانب منه خلال مناقشتهما لهذه الدراسة حين تقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراه في علم النفس من كلية الآداب جامعة عين شمس في مطلع هذا العام .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشيد أيضاً بما قدمه لفيف من الأساتذة الأجانب من عون إلى هذه الدراسة تمثل فيما بعثوه إلي من مؤلفاتهم المنشور منها وغير المنشور ، بل وحتى بما بعثوا به إلي من أفكار قبل أن تعرف طريقها إلى النشر المنظّم . وأخص من هؤلاء بالذكر الأستاذة الدكتورة تيودورا آبل عضو فريق جامعة كولومبيا لبحوث الحضارات المعاصرة وأستاذة علم النفس بجامعة لونج آيسلاند ، والأستاذة الدكتورة مارجريت ميد المشرفة حالياً على دراسات الحضارات المعاصرة التي يقوم بها المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي ، والأستاذة الدكتورة آن أنستازي

أستاذة علم النفس بجامعة فوردهام ، والأستاذ الدكتور رايموند كاتل أستاذ علم النفس بجامعة إيلينويس ؛ والأستاذ الدكتور برونوبتلهايم أستاذ علم النفس بجامعة شيكاغو ، والأستاذ الدكتور ملفورد سبيرو أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة كونكتيكت ، والأستاذ الدكتور ألبرت رابين أستاذ علم النفس بجامعة ميتشيجان ستيت ، والأستاذ الدكتور ريتشارد لين أستاذ علم النفس بجامعة آلستر بإيرلندا ، والأستاذ الدكتور بيرترام رافين أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، والأستاذ الدكتور سالومون رتنج أستاذ علم النفس بجامعة نيويورك ، والأستاذ الدكتور جوزيف إيتون أستاذ الخدمة الاجتماعية بجامعة بيتسبرج ، والأستاذ الدكتور ليو ألكسندر أستاذ الطب العقلي بجامعة تافت ، والأستاذة الدكتورة مالا بيتنسكي أستاذة علم النفس بجامعة جورج واشنجطون ، والأستاذ الدكتور رونالد ماركمان أستاذ علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، والأستاذة الدكتورة زيلا لوريا أستاذة علم النفس بجامعة تافت ، والدكتور باري بليخمان مدرس العلوم السياسية بجامعة جورج تاون ، والأستاذ الدكتور ج. هورويتز أستاذ أساليب الحكم بجامعة كولومبيا ، والأستاذ الدكتور موريس جانوفيتز أستاذ علم الاجتماع بجامعة شيكاغو ، والأستاذ الدكتور إميتاي أيتزيوني أستاذ علم الاجتماع بجامعة كولومبيا ، والأستاذ الدكتور جاكوب جيفيرتز أستاذ علم النفس بمعهد البحوث السلوكية في سيلفر سبرنج ، والأستاذ الدكتور ليون يارو أستاذ علم نفس الطفل بجامعة كورنل ، والأستاذ الدكتور أنريكو كانتور أستاذ الفلسفة بجامعة فوردهام .

وإذا كان لزاماً عليّ أن أشير إلى ما لهؤلاء العلماء جميعاً من فضل لا أنكره ، فإنه لزام عليّ كذلك أن أشير إلى حقائق لا تنكرها غالبيتهم العظمى . إن جانباً لا يستهان به من هؤلاء العلماء أقرب إلى التعاطف مع التجربة الإسرائيلية . ومن ناحية أخرى فإن جانباً منهم لا يخفي علاقته المباشرة بأجهزة السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية . وإذا كانت تلك الحقائق قد فرضت علينا حذراً مشروعاً في تناول نتائجهم ومنطلقاتهم النظرية ، فإن التسليم بها ما كان له بحال أن يدفعنا إلى نكران فضل تعاونهم .

ولا يفوتني كذلك أن أشيد بفضل الأستاذ الدكتور أحمد محمد خليفة رئيس المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، والأستاذ الدكتور فؤاد زكريا رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور فوزي منصور رئيس مركز

دراسات الشرق الأوسط ، والأستاذ حاتم صادق مدير مركز الدراسات السياسية والأستراتيجية بالأهرام سابقاً ، فقد كان لاهتمامهم بموضوع البحث أثر لا ينكر في تشجيعي على المضي فيه .

ولا يفوتني أيضاً أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الأصدقاء والزملاء الذين أحاطوا محاولاتي في هذا المجال بقدر وافر من الاهتمام والحماس لم يكن في مقدوري بدونه أن أمضي في هذا الطريق ، وأخص من هؤلاء بالذكر الزملاء الأعزّاء أعضاء هيئة التدريس بقسمي علم النفس والاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس . أما صديقي الأستاذ لطفي فطيم فإن حماسه لما أنجزه واهتمامه به يفوق قدرتي على التعبير عن امتناني له .

وأتقدم بشكري أيضاً للآنستين كاميليا ودولت فريد ، لما قدمتاه من عون في نسخ مخطوطة هذا البحث ، وللصديق الأستاذ إبراهيم زيادة مدرّس اللغة العربية بمعهد المعلمين بالدقي لمراجعته المخطوطة من الناحية اللغوية .

وفي النهاية أجد لزاماً علي أن أشكر لزوجتي ما قدمته لي من عون ، ولعائلتي ما تحملته من عناء .

المؤلف

القاهرة في إبريل ١٩٧٤

الباب الأول

مقدمات نظرية ومنهجية

الفصل الأول
موقع الدراسة من تراث المعرفة الإنسانية

للمعرفة الإنسانية تراث هائل تراكم تاريخياً وما يزال ، وليس كل ما تضمنه ذلك التراث علماً ، فالخرافات والأساطير والمعتقدات الخاطئة تمثل جانباً لا يستهان به من ذلك التراث . ومن هنا وجب علينا أن نلتمس موقعاً لدراستنا في خضم المعرفة الإنسانية الذي يجمع بين العلم والخرافة ، خاصة وأن موضوع سيكلوجية الشعوب أو الجماعات عرضة أكثر من غيره للوقوع في منزلقات التفكير الخرافي :

(أولاً) العلم :

لعل الباحث في مجال العلوم الطبيعية لا يجد ضرورة ولا نفعاً على الإطلاق في أن يدلل في مستهل بحث يقوم به على أن موضوعه يدخل في نطاق العلم ، ولكن موقف الباحث في مجال العلوم الإنسانية يفرض عليه مثل ذلك التحديد لأسباب عديدة أهمها :

(أ) أن العملية التاريخية التي تم من خلالها وعي الإنسان بتمايز المعرفة العلمية عن المعرفة غير العلمية قد اقتضت أن يبدأ ذلك التمايز بمجال العلوم الطبيعية ، وبالتالي فقد اكتسبت تلك العلوم شرعيتها العلمية في مرحلة أسبق تاريخياً ، وقد أدى ذلك إلى نوع من المطابقة بين «العلم» و«العلوم الطبيعية» بحيث لم تعد علمية تلك العلوم موضعاً للمناقشة ، في حين أن العلوم الإنسانية وهي العلوم الأحدث تاريخياً لم تطرح قضية شرعيتها العلمية إلا مؤخراً . بل لعلنا لا نبالغ كثيراً إذا ما قلنا أن الكثير من فروع تلك العلوم ما زال يقاتل من أجل إثبات انتمائه إلى العلم .

(ب) أن ذلك الصراع من أجل اكتساب العلوم الإنسانية لطابعها العلمي قد انعكس داخل مجال تلك العلوم نفسها ، بمعنى أنه قد أصبح ثمة جدال شديد داخل

الكثير من فروع تلك العلوم حول علمية أو عدم علمية موضوعات أو نظريات أو حتى مناهج بحث بعينها ، يراها أصحابها مستوفية لشروط العلم تماماً ، وينظر إليها غيرهم من أبناء نفس التخصص كما لو لم تكن من العلم في شيء على الإطلاق .

لذلك يبدو مقبولاً ـ بل لازماً ـ أن يؤكد الباحث في مجال العلوم الإنسانية انتماء تخصصه ، وموضوع بحثه ، بل والمنهج الذي ينوي اتباعه إلى ذلك الجانب من المعرفة الإنسانية الذي يحمل اسم العلم .

لقد تعددت التعريفات التي قدمها العلماء المتخصصون وفلاسفة العلوم ومؤرخوها للعلم . ولعل هذا التعدد يكشف في حد ذاته عن صعوبة تلك المهمة، وهو ما عبر عنه برنال بقوله : «إن منهج العلم ليس بالشيء الثابت ، بل إنه عملية تنمو باستمرار ، ولا يمكن الإحاطة بمنهج العلم دون استكشاف علاقات ذلك المنهج بالطابع الاجتماعي للعلم ذاته ، وبالتالي فإن المنهج العلمي شأنه شأن العلم نفسه يستعصي على التعريف» (٢٤٥ : ١٠)[١] .

ويؤكد كانتور وجود خلاف حول تعريف العلم بقوله : « . . . إن العلماء يعتبرون العلم في جوهره صراع من أجل فهم الرسالة الإنطولوجية للحقيقة ، بينما يؤكد الفلاسفة أن العلم لا يعدو أن يكون سعياً نحو بلوغ اقتصاد عقلي» (٢٩٩) . ولا يقتصر الخلاف بين العلماء وفلاسفة العلوم على تعريف العلم فحسب . إن نظرة إلى تصور الفيلسوف رايخنباخ لمهمة المتخصص في فلسفة العلوم (٨٤٠) ثم مقارنته بتصور ناش العالم الكيميائي وصاحب الكتابات المتخصصة في تاريخ العلم لتلك المهمة نفسها (٧٥٥ : ٢٩٥) يكشف بوضوح أن جذور ذلك الخلاف تضرب إلى أبعد من مجرد حدود التعريف .

وعلى أي حال فإن نظرة سريعة إلى نماذج من تلك التعريفات المتعددة للعلم قد تيسر الإحاطة بالطابع العام أو الجوانب المشتركة في تلك التعريفات .

يعرّف روزنتال ويودين العلم في قاموسهما الفلسفي بأنه «شكل من أشكال الوعي الاجتماعي الذي يمثل نسقاً متطوراً تاريخياً للمعرفة التي يتحقق صدقها ،

---

(١) يشير الرقم الأول إلى رقم المرجع في قائمة المراجع الملحقة بالرسالة ، ويشير الرقم الذي يلي النقطتان إلى أرقام الصفحات في هذا المرجع . أما (،) فتفصل بين مرجعين .

ويزداد إحكامها باستمرار من خلال خبرة المجتمع العملية ، وتكمن قوة المعرفة العلمية في طابعها العام ، وشموليتها وضروريتها وصدقها الموضوعي» (٨٩٥) .

ونستطيع أن نجد صدىً قوياً لخصائص المعرفة العلمية التي يبرزها هذا التعريف لدى عديد من المفكرين أمثال كانتور (٢٩٨ ، ٢٩٩) ، وبرنال (٢٤٥) ، وكراوذر (١١٩ : ٧) ، وسارتون (٧٤: ٢٨ - ٢٩) غير أن ربط هذا التعريف بين العلم والمجتمع يثير خلافاً شديداً بين مؤيديه ومعارضيه . فبينما يقرر هيلاري وستيفن روز صراحة أنه «لا يجوز أن نتصور للعلم كياناً منفصلاً عن المجتمع يؤثر فيه من خارجه» حتى أنهما يأخذان على برتراند راسل تسميته لأحد كتبه «أثر العلم على المجتمع» (٨٦٢ ، ٢٤٠) نجد أن ثمة من يعارض بدرجة أو بأخرى هذا الربط بين العلم والمجتمع (٣٤٤: ٢٠٨ ، ٣٧٤: ١٥٣) .

ولسنا على أي حال بصدد التعرض بالمناقشة التفصيلية لتلك الاختلافات والاتفاقات حول تعريف العلم وما يتصل بذلك التعريف من قضايا . يكفي أن نشير إلى وجود مثل ذلك الموقف ثم أن نقرر أننا أقرب إلى الالتزام بتعريف روزنتال ويودين الذي أشرنا إليه فيما سبق ، مستندين إلى ذلك في إدراج موضوع دراستنا ضمن ذلك الجانب من المعرفة الإنسانية الذي يحمل اسم العلم .

ولكن فروع العلم عديدة متشعبة ، وقد سبقت الإشارة إلى أن موضوع دراستنا يندرج بالتحديد ضمن جانب محدد من جوانب العلم ، هو جانب العلوم الإنسانية المقابل لجانب العلوم الطبيعية .

(ثانياً) العلوم الإنسانية :

لم تظهر العلوم جميعاً دفعة واحدة ، بل اتخذ ظهورها تسلسلاً تاريخياً قد يختلف العلماء على تفسير دلالته . بل وقد يختلفون ولو بدرجة أقل على تفصيلات ذلك التسلسل . ولكنهم يتفقون غالباً على أن ثمة منطقاً وراءه (١٠٩ ، ٢٤٥ : ٧٠٤) . وما يعنينا في هذا المقام هو أن هناك مجموعة من العلوم قد اتخذت موقعاً حديثاً في مسار ذلك التسلسل التاريخي قد أثارت وما زالت تثير جدلاً كثيراً حول علميتها (٢٤٥ : ٦٢٣) بل حتى حول تسميتها . فالبعض يفضل أن يسميها علوماً سلوكية (٢٤٢ : ٢) والبعض يفضل أن يطلق عليها تسمية العلوم الاجتماعية (٢٤٥ : ٦٩٥ ، ٤٩٩ ، ١٠٣٦) .

ويتفق درايفر مع تلك التسمية الأخيرة معرفاً مصطلح العلوم الاجتماعية بأنه «مصطلح عام يغطي كل العلوم التي تتناول الإنسان» (٩٣٧) دون أدنى إشارة إلى مصطلح العلوم السلوكية . أما إنجلش وإنجلش فإنهما يتخذان من هذه المشكلة في قاموسهما موقف التسجيل دون المفاضلة مما يوحي بأن ثمة تفرقة ما بين المصطلحين . فالعلوم السلوكية لديهم تعني «أي علم يدرس سلوك الإنسان والحيوانات الأدنى في البيئة الفيزيقية والاجتماعية بواسطة مناهج الملاحظة والتجريب الشبيهة بتلك المستخدمة في العلوم الطبيعية الأخرى» (٢١٩) . أما العلوم الاجتماعية فهي «تلك العلوم المتعلقة بالإنسان الحي في علاقته مع الآخرين في البيئة الاجتماعية» (٩٣٨) . والأقرب إلى تصورنا فيما يتعلق بتسمية تلك العلوم هو أنها علوم إنسانية بؤرة اهتمامها الإنسان ، سواء من حيث سلوكه أو تاريخه أو مؤسساته وتنظيماته الاجتماعية والسياسية والتشريعية إلى آخره . ولعل تسمية كهذه تسهم في تغطية التخصصات المختلفة التي تندرج تحت عنوان العلوم الاجتماعية أو العلوم السلوكية ، فضلاً عن أنها يمكن أن تسهم كذلك في الاستجابة لدعوة كثيراً ما تتكرر إلى تكامل تلك المجموعة من العلوم (٣٠٤ ، ٩٣٣) .

ولعل الاختلاف حول تسمية وتحديد تلك المجموعة من العلوم يرتبط بصورة أو بأخرى بنوع من الاتفاق حول تخلفها إذا ما قيست بالعلوم الطبيعية (١٠٦ : ١٤٦ ، ٩٢٨ ، ٢٤٥ : ٦٩٦ ، ٥٤٥ ، ٦٨٣) ، وإن كان هذا لا يعني بحال اتفاقاً حول أسباب ذلك التخلف ولا حتى إجماعاً على التسليم بوجوده .

يقول برنال : «إن محاولة العلوم الاجتماعية أن تطبق مباشرة مناهج علوم أخرى ، وعلى الأخص البيولوجيا ، قد أسفرت عن التوصل إلى نتائج مبسطة تبسيطاً مخلاً فضلاً عن زيفها وخطورتها . . . إن ما تحتاجه العلوم الاجتماعية هو القليل من استخدام الأساليب المحكمة ، والكثير من الشجاعة في مواجهة - لا تفادي - القضايا الاجتماعية الرئيسية» (٢٤٥ : ٧٠٦ - ٧٠٧) . ولعل وجهة نظر برنال هذه تتفق إلى حد ما مع ما يقول به جيلين (٤٥٥) من ضرورة التركيز على أهمية النظرية في مجال العلوم الإنسانية . ويتفق كولمان مع ذلك الاتجاه مؤكداً أن التجاهل الحالي للتغير الاجتماعي «. . . يدفع المرء إلى التشكك في أن التخصص ككل إنما يتجه نحو دراسة الثوابت الاجتماعية ويصبح عاجزاً في وجه ما هو متغير . إن التغير الاجتماعي ، والحركات الاجتماعية والصراع ، والسلوك الجمعي ، هي بمثابة

المنـاطق المتخلفة في مجـال البحث الاجتماعي . إنهـا ليست متخلفـة حـاليـاً ، فحسب ، بل إنها لـم تمس حتى الآن» (٣٢٤) .

تلك هي ملامح ما يمكن أن نطلق عليه «أزمة العلوم الإنسانية» . صراع بين الأخذ بمناهج العلوم الطبيعيـة أو العلوم المضبوطـة باعتبـار أنها المنـاهج العلميـة الوحيدة ، واصطناع مناهج ـ علمية أيضاً ـ ولكنها خاصة بالعلوم الإنسانية وحدها . صراع بين تأكيد الحاجة إلى إثراء النظرية والتفسير ، وتأكيد الحاجة إلى إحكام وسائل الوصف والتسجيل . صراع بين الإقدام على التصدي لمشاكـل المجتمع والعـالم المعاصرة وما يقتضيه هـذا من مجازفـة ، والإحجام عن مثـل ذلك التصـدي إيثاراً للإحكام والسلامة .

ولعل محاولتنا أن نلم بأبعاد هذه الأزمة يسهم في تجنيبنا الانزلاق ـ دون وعي ـ إلى ما يعمق من مظاهرها ، فضلاً عن تيسيرها لعملية التحديد الواعي لموقع الدراسة بالنسبة لتلك الصراعات .

وليست العلوم الإنسانية كلاً واحداً ، بل إنها فروع عديدة قد تشترك جميعها في كثير من الخصائص ولكنها تظل فيما بينها محتفظة بما يميز كل منها عن الآخر . ومن بين تخصصات العلوم الإنسانية يقع موضوعنا في مجال علم النفس . وتحديد ذلك الموقع يكتسب أهمية خاصة فيما يتعلق بموضوع الدراسة ، فهو موضوع يمكن أن يتسع ـ بل إنه قد اتسع بالفعل ـ لدراسات عدة تنطلق من مختلف فروع وتخصصات مجموعة العلوم الإنسانية .

(ثالثاً) علم النفس :

يقرر أندروز في مقاله عن مناهج البحث في علم النفس أن المرء لا يتساءل عادة عن المادة الأساسية لعلوم الطبيعة أو الكيميـاء «أما علم النفس فقـد لقي من الوجهة التاريخية بعض الصعاب في تقرير حدود المادة الخاصة بموضوعاته . تلك المادة التي تراوحت من الشعور إلى ذلك التطور الحديث الذي يطلق عليه من قبيل التعريف الإجرائي الاستجابة التمييزية» (٤٦ : ١٢) . ويؤكد أحمد عزت راجح نفس تلك القضية مقرراً أن «لكل علم من العلوم موضوع خاص يتخذه محور دراسته. . . أما علم النفس فمن الغريب أنه لا يوجد لدينا حتى اليوم تعريف واحد له يجمع عليه كل الباحثين في هذا العلم أو أكثرهم» (١٥ : ٣) . ويسلم يوسف مراد أيضاً بذلك

قائلاً : «. . . قد استقر رأي العلماء فيما يختص بموضوع العلوم الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية ومنهج البحث فيها ، في حين لا يزال السيكلوجيون يثيرون من وقت لآخر مشكلة موضوع علم النفس ومنهجه» (١٥٨ : هـ) ويمضي مشيراً إلى أن كتب علم النفس «تتباين تبايناً عظيماً لا في موضوع علم النفس ومناهجه وتأويل حقائقه وتصنيف المظاهر النفسية وتقرير خصائصها فحسب ، بل في المصطلحات نفسها ومدلولاتها» (١٥٨ : هـ) .

وإذا كان تعريف أي علم من العلوم يقوم على أساس من تحديد لموضوعه فإنه لمن الطبيعي أن ينعكس الجدال حول موضوع علم النفس على تعدد تعريفاته وتنوعها وتباينها (١٥ : ٣، ١٥٨ : ١٠، ٤٣٢ : ١٣، ٧٥٠ : ٦٤١، ٨١٢، ٨١٣) .

وليس يعنينا في هذا المقام التعرض تفصيلاً بالمقارنة أو بالنقد لتلك التعريفات المتعددة . يكفي أن نشير إلى آثار انعكاس عدم تحديد موضوع علم النفس على تعميق الفجوة بين دارسي علم النفس الشبان وأساتذتهم ، تلك الفجوة التي كانت محور الخطاب الذي ألقاه هدسون في الاجتماع السنوي للجمعية النفسية البريطانية عام ألف وتسعمائة وسبعين ، والذي قال فيه : «إن دارسو علم النفس الشبان يجدون سعادتهم وتثقيفهم لدى ليفي شتراوس وشومسكي وشوتز ولينج ، ولا يجدون سعادة ولا ثقافة فيما أضعه تحت أنظارهم من كتابات ذات اتجاهات عقلية أكثر أمبيريقية. . . إنهم لا يرون في التراث الأمبيريقي في العلوم الإنسانية سوى واحد فحسب من منافذ عديدة مفتوحة حيالهم : البنائية ، والفينومنولوجية ، والأنثروبولوجية وما إلى ذلك. . . إنهم يسلمون تسليماً قاطعاً بأن اعتقادي الذي نشأت عليه ، وهو النظر إلى علم النفس باعتباره علماً للسلوك ، هو إما مجرد خطأ على المستوى الوصفي فحسب أو أنه تعبير لفظي عن أيديولوجية خفية . وهم يرون أن العقيدة السلوكية عقيدة أيديولوجية طالما أنها تؤكد شرعية أنواع معينة من المعرفة المتعلقة بالطبيعة البشرية ، وتسقط تلك الشرعية عن أنواع أخرى . وهم في هذا الصدد على حق دون جدال إذا ما نظرنا إلى علم النفس كما درسته في أكسفورد عام ألف وتسعمائة وخمسين» (٥٤١) .

ومن الطبيعي والأمر كذلك أن تنعكس أزمة العلوم الإنسانية في مجال علم النفس كأوضح ما يكون (١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥) . فإذا كان جيلين على سبيل المثال (٤٥٥) يؤكد ضرورة استعادة الاهتمام بالنظرية في العلوم الإنسانية

بعامة ، فإن بوليتزير يؤكد نفس الضرورة في مجال علم النفس بقوله : «والغلطة الكبرى لهذه السيكولوجية المسماة بالعلمية أنها تذهب أبعد مما ينبغي وأقل مما ينبغي معاً . فهي تذهب بعيداً جداً في الإعداد لتجاربها ، ولكنها لا تذهب بما فيه الكفاية فيما يتعلق بالأسلوب الذي تتصور به هذه التجارب» (٥٨ : ٦٢) .

وإذا كان برنال يرى أن ثمة خطورة في «محالة العلوم الاجتماعية أن تطبق مباشرة مناهج علوم أخرى» (٢٤٥ : ٦٠٦ - ٦٠٧) ، فإن زيور في مقدمته للترجمة العربية لكتاب بوليتزير **أزمة علم النفس المعاصر** يشير إلى نفس القضية بقوله : « . . . أراد علماء النفس لعلمهم أن يدخل حظيرة العلوم المضبوطة ، ويحظى بما تحظى به هذه العلوم من الدقة والاحترام ، فاصطنعوا أدوات القياس الفسيولوجي في معامل علم النفس ، وانتهوا إلى نتائج ما كان يمكن أن تكون إلا من قبيل ما يحصل عليه علماء وظائف الأعضاء ، نتائج لا تلقي أي ضوء على الإنسان بما هو إنسان» (٨ : ١٤٣) .

وإذا كان كولمان (٢٣٤) قد أبرز تحاشي العلوم الإنسانية التصدي للمشكلات الاجتماعية الملحة في العالم المعاصر ، فإن هدسون يطرح نفس القضية في خطابه المشار إليه آنفاً وهو يفصل طبيعة الأزمة بين دراسي علم النفس وأساتذته قائلاً : «أنهم يتوقعون أن يتعلموا شيئاً عن أسباب عدم إنسانية الإنسان حيال الإنسان. . . ونحن نعلمهم أموراً تتعلق ببناء الاستبيانات وشهية فئران أو خنازير التجارب. . . إنهم يودون لو تعلموا شيئاً عن الروح الإنسانية وعن المشكلات الدائمة الخاصة بالعلاقة بين الخبرة الإنسانية والعقل الإنساني ، ونحن نقدم لهم أسس المنهج العلمي . إنهم يطالبون بحيوية الموضوع ، ونحن نحاول أن نعلمهم الدقة والصرامة» (٥٤١) . أما عالم النفس الأمريكي فيورشتاين فإنه لا يقف بالقضية عند حدود إحجام علم النفس عن التصدي للمشكلات الاجتماعية المعاصرة بل إنه يصل إلى حد الاتهام الصريح بقوله : «يكفي أن يتحدث المرء إلى مناضل زنجي من أبناء الجيتو ، أو إلى طالب ثائر ، أو إلى أحد المترددين على هيئات المعونات الخيرية ، أو إلى أحد الرافضين لأداء الخدمة العسكرية ، لكي تتضح له ضآلة ما قدمه علم النفس لتلك القطاعات الكبيرة من أبناء أمتنا . ترى أين كانت جهود علم النفس والعنصرية تتفشى لعشرات من السنين قبل صدور قرارات المحكمة العليا بشأن التفرقة العنصرية ؟ ترى ما طبيعة الدور الذي لعبه علم النفس من أجل محاربة الفقر والعنصرية والعسكرية ، ومن أجل

إعادة ما اختل من تدريج للمصالح القومية حسب أهميتها ؟ ترى ماذا في مقررات علم النفس التي نضعها ونقوم بتدريسها قد أدى إلى مثل هذا العجز عن التمكن من التأثير الفعّال على المشكلات الاجتماعية المعاصرة الكبرى؟. . . إن علماء النفس لا يحتلون مكانة بارزة بين قادة التحرك من أجل تقوية ودعم النضال ضد تفشي الظلم الاجتماعي . بل إنهم أكثر ميلاً إلى العمل والتعاون مع المؤسسات التعليمية غير الديموقراطية ، والنظم الاجتماعية المتعصبة عنصرياً ، والسلطة النامية للتحالف الصناعي العسكري المعادي لتحالف الجماهير الشعبية» (٤١٥) إلى هذا الحد يصل موقف فيورشتاين ومجموعة من الأسماء البارزة في علم النفس الأمريكي ، وهو موقف مليء بالدلالة غني عن التعليق (١١٦) .

وعلى أي حال فإن تصور علماء النفس لمستقبله يوحي بالاتجاه نحو مزيد من الارتباط بينه وبين قضايا المجتمع المعاصر ، لقد نشر جاردنر ميرفي عام ألف وتسعمائة وستين مقالاً بعنوان «علم النفس عام ألفين» (٧٥٢) حاول فيه أن يضع خريطة لتصوره لما سوف يكون عليه علم النفس آنذاك ، متنبئاً بأن تقدم علم النفس سوف يتحقق بتمدد أطرافه وانكماش البؤرة التقليدية لموضوعه . بعبارة أخرى فإن مستقبل علم النفس وفقاً لما يراه ميرفي يحمل مزيداً من الازدهار لفروعه التطبيقية على حساب موضوعاته التقليدية المجردة . وهو ما يرى فيه ميرفي ـ وبحق ـ مزيداً من الاتجاه نحو البنيانية . ويعلق فوا وتيرنر (٤٢٢) على وجهة نظر ميرفي مؤكدين أولاً أن التنبؤ بمستقبل أي علم أمر محفوف بالمخاطر وإن كان ذلك لا يحول دون الإقدام على تلك المحاولة . وبعد عرض مفصل لتصورهما لمستقبل علم النفس عام ألفين ينتهيا إلى أن ذلك النمو المتوقع «سوف لا يمكن علم النفس من زيادة الاستفادة من تقدم العلوم الأخرى فحسب ، بل إنه ـ وهذا هو الأهم ـ سوف يمكنه من تقديم نصيبه الكامل الفريد في فهم الإنسان ومجتمعه ومشكلاته» .

(رابعاً) علم النفس الاجتماعي :

دراستنا إذن تنطلق من ذلك الفرع من مجموعة العلوم الإنسانية الذي يحمل اسم علم النفس وتصنيفات التخصصات في علم النفس متعددة متشابكة . وما يعنينا في هذا المقام هو تبين ما إذا كان ثمة حدود تفصل وتميز بين علم النفس الاجتماعي ـ مجال دراستنا ـ وبقية التخصصات في علم النفس وبخاصة علم النفس العام باعتباره المنبع الرئيسي الذي انبثقت منه تخصصات علم النفس المختلفة . وليست تلك

بالمهمة الميسورة حيث يواجهنا في هذا الصدد تياران لكل منهما منطلقه المميز :

ينطلق التيار الأول ، وهو الأكثر شيوعاً في نظرته إلى موقع علم النفس الاجتماعي باعتبار أنه لا يعدو أن يكون تخصصاً ضمن تخصصات عديدة يضمها علم النفس ، وبالتالي فإن ثمة ما يميز هذا التخصص عن غيره عن التخصصات النفسية الأخرى .

يقول أوتوكلاينبرج : «إن المختص بعلم النفس الاجتماعي يهتم بالحوادث الأكثر ما يكون صفته اجتماعية ، وأن المختص بعلم النفس العام يهتم بالحوادث الأقل ما يكون صفته اجتماعية» (١٢١ : ٥) . ويتفق ذلك التحديد مع ما يقول به كاتز من أن «علم النفس الاجتماعي هو ذلك المجال من مجالات علم النفس الذي يتناول الكائنات الحية من حيث تأثيراتها على أقرانها وتأثراتها بهم» (٥٩٣ : ١٧٠) . ويتفق مع ذلك أيضاً ما يقول به فراير وزملاؤه من أن «علم النفس الاجتماعي يتناول بشكل خاص دراسة الأفراد داخل الجماعات ، والعلاقة بين الجماعات وبعضها» (٤٣٢ : ١٢) . ولا يخرج نيوكومب كثيراً عن هذا الإطار باعتباره علم النفس الاجتماعي بمثابة همزة الوصل بين علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا الحضارية من جهة ، وعلم النفس الفردي من جهة أخرى (٧٦٤ : ٢٧) . ويبلور درايفر هذا الاتجاه في تعريفه لعلم النفس الاجتماعي باعتباره «ذلك الفرع من علم النفس الذي يدرس الشروط النفسية التي تحدد تطور الجماعات الاجتماعية ، والحياة العقلية في حدود تعبيرها عن نفسها في تنظيماتها ومؤسساتها الاجتماعية ، وحضارتها ، وتطور سلوك الفرد في علاقته ببيئته الاجتماعية . أو على وجه العموم ذلك الفرع الذي يدرس كافة المشكلات التي تتضمن فرداً وموقفاً اجتماعياً» (٩٣٥) . كذلك فإن إنجلش وإنجلش يدعمان هذا الاتجاه في تعريفهما لعلم النفس الاجتماعي باعتباره «ذلك الفرع من علم النفس الذي يدرس ظواهر السلوك الاجتماعي ، وسلوك الأفراد والجماعات في البيئة الاجتماعية خاصة ذلك السلوك المتأثر بحضور أو بتأثير أفراد آخرين» (٩٣٦) . ثم يؤكد التعريف أن المشكلة ليست في مجرد تمييز علم النفس الاجتماعي عن بقية فروع علم النفس ، بل إنها تكمن أساساً في التمييز بينه وبين علم الاجتماع . وبذلك يقترب هذا التعريف من تعريف نيوكومب الذي أشرنا إليه . ومثل هذه التعريفات بما تحدده من موقع هامشي أو بيني لعلم النفس الاجتماعي إنما تثير بالفعل في كثير من

الأحيان إشكالاً يتعلق بانتمائية الموضوعات التي يدرسها المتخصصون في علم النفس الاجتماعي .

في عام ١٩٣٤ صدر لعالم النفس الاجتماعي لورانس براون كتاب له عنوان واضح الدلالة هو : **علم النفس الاجتماعي : التاريخ الطبيعي للطبيعة البشرية** . ويقول براون في هذا الكتاب : «إن محور الاهتمام في علم الاجتماع هو الجماعة ، وفي علم النفس الفرد ، وفي علم النفس الاجتماعي الشخص» (٢٨٨ : ١) ثم يضفي مزيداً من التأكيد على وجهة نظره بقوله : «إن علم النفس يهتم بالأبنية الفسيولوجية وإمكانياتها ، وبطبيعة ووظيفة العمليات العضوية والاجتماعية التي تحدث في الطبيعة البشرية» (٢٨٨ : ١) ، ثم يمضي نحو مزيد من التحديد بقوله : إن دراسة الفرد إنما هي دراسة للعمليات العضوية والبنيانات التشريحية ، بينما دراسة الشخص هي تبين التوافقات الاجتماعية التي يقدم عليها الفرد وتؤدي إلى تطور الطبيعة البشرية (٢٨٨ : ٥ ـ ٦) .

يتضح من ذلك أن ما أطلق عليه براون اسم «علم النفس» ليس سوى ما نسميه اليوم «علم النفس الفسيولوجي» . وأن ما أطلق عليه اسم «علم النفس الاجتماعي» هو أقرب ما يكون إلى ما نعنيه اليوم بمصطلح «علم النفس» على وجه العموم . أي أننا لو أعدنا صياغة وجهة نظر براون وفقاً لمصطلحات علم النفس المعاصرة لاعتبرنا أن مصطلح «علم النفس» ليس سوى اختصار لمصطلح «علم النفس الاجتماعي» بمعنى أن علم النفس الاجتماعي هو الأصل أو المنبع الذي انبثقت ـ أو كان ينبغي أن تنبثق ـ عنه فروع علم النفس الأخرى . ويكفي لإيضاح ما يعنيه براون أن ننظر إلى الموضوعات التي طرقها في كتابه المشار إليه . إن الكتاب يضم فصولاً عن الحواس والتعلم والصور العقلية والدوافع وسمات الشخصية والانفعال واللغة والتخيل وما إلى ذلك من موضوعات لا يمكن في نطاق ما هو شائع الآن إلا أن تدخل ضمن موضوعات علم النفس العام .

ولعل هذا الاتجاه إلى المطابقة بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العام هو الأقرب إلى ما يقول به صلاح مخيمر من أنه «فيما يتصل بالتمييز بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العام فإن الاتجاه الراهن يميل بشكل واضح إلى المطابقة بينهما» (٨٨: ٧٥) كما أنه التصور الأقرب أيضاً إلى ما يقول به بروشانسكي وسيدنبرج (٨٠٨: ٧) . ولعل هذا الاتجاه رغم عدم شيوعه هو الأقرب أيضاً إلى

الاتفاق مع ما تشير إليه وقائع التطور التاريخي لعلم النفس (١٠٨ ، ١١٠) .

إن الوضع الراهن لعلم النفس الاجتماعي يعكس كافة المشكلات التي تعاني منها العلوم الإنسانية بعامة وخاصة ذلك الاتهام بالتقاعس عن التصدي للمشكلات الاجتماعية الملحة . يقول مظفر شريف : «إن إهمال المشكلات الملحة ليس قاصراً على علم النفس الاجتماعي وحده ، بل يشمل العلوم الإنسانية جميعاً» (٩١٢) . ويعكس الوضع الراهن لعلم النفس الاجتماعي أيضاً ذلك الصراع الذي يميز أزمة العلوم الإنسانية بين تأكيد الحاجة إلى إثراء النظرية والتفسير وتأكيد الحاجة إلى إحكام وسائل الوصف والتسجيل (١٦١) . ويؤثر انعكاس مظاهر تلك الأزمة على علم النفس الاجتماعي فيما يشير إليه البعض من تناقض النتائج التي يتوصل إليها الباحثون في هذا المجال (٥٣٥ ، ٥٩٨) .

ولقد حاول ماكجراث وآلتمان التصدي بالتفسير لما يعاني منه علم النفس الاجتماعي الراهن . وآثرا أن يقوم تشخيصهما لمظاهر الأزمة وتفسيرهما لهما على أساس واقعي ، فقاما بمسح منظم لألف ومائتين وتسعة وسبعون تقريراً من تقارير البحوث المتخصصة وتحليل مائتين وخمسين دراسة من دراسات علم النفس الاجتماعي في مجال الجماعات الصغيرة . وقد لاحظا «تفاهة وعقم» الموضوعات التي تناولتها تلك الدراسات والبحوث ، واستبعدا أن يكون مرجع ذلك هو عدم كفاءة الوسائل أو الإمكانيات المتاحة على أي حال ، بل أرجعاه إلى نمط القيم السائدة بين الباحثين ، والذي أطلقا عليه تعبيراً يجمع بين الطرافة والدلالة هو «قيم المقاولين» التي «تؤكد في مجال البحوث على الكم على حساب الكيف ، وعلى صرامة المنهج على حساب مجالات التنظير العلمي الخلّاق» (٧٠٧) .

الفصل الثاني
شخصية الجماعة : تاريخ البحث

مقدمة :

لقد ارتبط مصطلح الشخصية بالفرد (١٥٥ ، ٤٠٣ : ١ ـ ٢) ، وبذلك فإن الحديث عن شخصية الجماعة يبدو كما لو كان جمعاً متعسفاً بين أضداد ، ولا يعني ذلك أن الحديث عن شخصية الجماعة يعد محاولة جديدة ، بل على العكس ، فإن لمثل هذه المحاولة جذوراً تضرب إلى بعيد في تاريخ البشرية وفي تاريخ العلم ، ولقد اتخذت تلك المحاولات تسميات متعددة متباينة لعل أكثرها شيوعاً مصطلح الطابع القومي .

ورغم شيوع هذا المصطلح ، فقد آثرنا أن يكون حديثنا في هذا المجال تحت عنوان شخصية الجماعة لاعتبارات عدة أهمها :

(أولاً) تحاشي ما يمكن أن يثيره مصطلح الطابع القومي من ربط بين مجال البحث ومفهوم القومية . ولقد تنبه دويجكر وفريجدا رغم اختيارهما للطابع القومي عنواناً لدراستهما إلى خطورة مثل هذا الخلط فأشارا إلى أن «الطابع القومي لا يمثل إلا نمطاً واحداً من التصنيف للخصائص الإنسانية» (٢:٣٦٥) ، مؤكدين أن ثمة طوابع أخرى كالطابع الجنسي (الرجولي مقابل النسائي) والطابع المهني ، والطابع الطبقي إلى آخره .

ومفهوم مثل شخصية الجماعة يتخطى ذلك الخلط المحتمل باتساع مدلوله ليشمل تلك المعاني جميعاً وغيرها أيضاً .

(ثانياً) قد لا يكون لمثل هذا الاعتبار السابق ما يبرره إذا ما كنا بصدد الحديث

عن الطابع القومي المصري أو الصيني أو الإنجليزي أو ما إلى ذلك من قوميات . أما إذا كان موضوع دراستنا هو التجمع الإسرائيلي ، فإن ربط هذا التجمع بالحديث عن القومية يثير من المشكلات قدراً كبيراً . فبالإضافة إلى أن باب الاجتهاد ما زال مفتوحاً على مصراعيه فيما يتعلق بمفهوم القومية تنظيراً وتطبيقاً (٢٧١ : ٢٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٨ ، ٤١٩ ، ٥٠٤ ، ٥١٥ ، ٥٩٧ ، ٦٠٨ ، ٧٤١ ، ٧٤٥ ، ٧٨٠ ، ٩٩٥) فإن التسليم بوجود قومية إسرائيلية فضلاً عن مخاطره الأيديولوجية والسياسية ما زال محل جدال واختلاف شديدين (١٧ ، ١٨ ، ١١٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٠٣ ، ٣٤٩ ، ٧٢٤ ، ٧٩٠) .

(ثالثاً) يسمح لنا الحديث عن «شخصية الجماعة» بالتعرض للعديد من التصورات التي صاغها المتخصصون وغير المتخصصين أيضاً لموضوع شخصية الجماعة دون استخدام مصطلح الطابع القومي أو أي من المصطلحات الأخرى الشائعة (٤٥٤ ، ٦٢٥ ، ٦٦٠ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٨٠٩ ، ٨١٠) . وفي مثل تلك الأحوال يكون إدراج هذه التصورات تحت عناوين كالطابع القومي أو الشخصية المنوالية أو ما إلى ذلك ضرباً من التعسف لا داعي له .

(رابعاً) إن الأدوات التي استخدمها كافة الذين تصدوا لدراسة هذا الموضوع على اختلاف التسميات التي أطلقوها عليه ، لم تكن في جوهرها سوى الأدوات نفسها التي يستخدمها علماء النفس في قياساتهم ودراساتهم في مجال الشخصية .

(خامساً) إن النتائج التي يتوصل إليها هؤلاء الباحثون على اختلاف اتجاهاتهم إنما تعتمد في صياغاتها النهائية على استخدام مصطلحات تقع في صميم مجال دراسة الشخصية وسماتها كالعدوانية ، أو الانطوائية أو الشعور بالإثم ، أو ما إلى ذلك .

لكل هذه العوامل آثرنا الإبقاء على مصطلح الشخصية في مجال الجماعة كما هو في مجال الفرد دون لجوء إلى أي مصطلحات بديلة . ولعل هذا الاختيار يسهم في تيسير إنجازنا لما نحن بصدده من محاولة تتبع تاريخ الفكر في هذا المجال .

أولاً : التاريخ القديم والصورة العامة

منذ كان للإنسان تاريخ ومشكلة شخصية الجماعة تلح على عقول البشر ، لقد

سعى الإنسان دوماً إلى تصنيف سلوك أصدقائه وأعدائه على حد سواء ، أو بعبارة أخرى إلى التعامل معهم كتجمعات بشرية كبيرة لها خصائصها السلوكية المميزة . وتفيض الكتب والأدبيات القديمة بما لا حصر له من الصفات والنعوت السلوكية المنسوبة إلى الجماعات البشرية بمختلف تصنيفاتها . ولا يقتصر الأمر على المادة المكتوبة وحدها ، بل إن سلوك البشر جميعاً في حياتهم اليومية يزخر بالعديد من هذه الأحكام والتصنيفات . إننا لا نستطيع أن نتصور إنساناً لا يمارس مثل هذا النشاط التصنيفي بدرجة أو بأخرى في حياته اليومية أياً كانت صفاته العقلية أو العلمية أو الأخلاقية أو الثقافية إلى آخره . وإذا كان البشر جميعاً يشتركون ـ بدرجات متفاوتة ـ في إصدار مثل هذه الأحكام ، فإنهم من ناحية أخرى لا يختصون بها جماعة دون غيرها ولا تصنيفاً معيناً للجماعات دون بقية التصنيفات . كل الجماعات سواء ، لكل صفاتها السلوكية المميزة لدى أفراد غيرها من الجماعات ، بل وصفاتها التي تميزها في عيون أعضائها أنفسهم أيضاً .

وتراثنا المصري مليء بما لا حصر له من هذه التصنيفات ، فأبناء كل منطقة جغرافية لهم خصائصهم السلوكية المميزة لدى غيرهم : أبناء دمياط ليسوا كأبناء المنوفية ، وليس هؤلاء كأبناء الشرقية . وليس الحلاقون كالجزارين ، ولا النساء كالرجال ، ولا الفقراء كالأغنياء ، ولا الصغار كالكبار ، ولا الفلاحون كالمثقفين ، بل ولا حتى القصار كالطوال . فكل جماعة ، عمرية كانت أو طبقية أو دينية أو حضارية ، لها خصائصها السلوكية المميزة لأفرادها في عيون غيرهم ، وتلك المميزة لأفرادها من وجهة نظرهم أنفسهم .

ولا يعنينا في هذا المقام التصدي لتبين مدى صدق أو زيف هذه الأوصاف والتصورات ، أو مدى مطابقتها لما هو قائم بالفعل ، أو مدى تأثيرها فيه وتأثرها به . يكفي أن نؤكد لتلك التصنيفات صفتين : القدم والشمولية . أي أنها قديمة قدم الوعي البشري نفسه . وأنها شاملة للبشر جميعاً يمارسونها وتمارس حيالهم دون استثناء .

وتعني خاصيتي القدم والشمول هاتين أن لعملية التصنيف هذه وظيفة توافقية معينة ، وأن هذه الوظيفة لا ترتبط بزمان معين ولا تقتصر على أفراد بعينهم ، بل إنها وظيفة بشرية عامة أو جزء من «الطابع البشري» إذا ما استخدمنا تعبير دويجكر وفريجدا (٥:٣٦٥) ترى ما هي طبيعة تلك الوظيفة التوافقية ؟ أو بعبارة أخرى ما الذي يخدمه .

سعي البشر الدائب إلى تصنيف سلوك بعضهم البعض ؟

إن طبيعة تلك الوظيفة التوافقية إنما تتمثل ـ فيما نرى ـ في تحقيقها لأمور ثلاثة :

١ ـ إن تلك التصنيفات بصرف النظر عن مدى صحتها تحقق للفرد قدراً كبيراً من اقتصاد الجهد ، بما تقدمه له من أطر عامة جاهزة تكفل له التعامل مع الآخر ، بل والتنبؤ بسلوكه دون إمعان النظر في خصائصه الفردية .

٢ ـ إن تلك التصنيفات تضيق ـ ولو بشكل زائف ـ من نطاق المجهلة في تعامل الفرد مع الآخر . وذلك بما توفره من معرفة مسبقة بما يمكن أن تكون عليه صورة ذلك الآخر ـ الذي لا يعرفه بالفعل ـ خلال تعامله معه . وغني عن البيان ما يمكن أن تثيره صورة الآخر المجهول من قلق ، وما يمكن أن يسهم به فض تلك المجهلة من تخفيض لذلك القلق .

٣ ـ إن عملية التصنيف بعامة ، بما تتضمنه من تعميم وتجريد واختزال إنما تحقق هدفاً أساسياً من الأهداف التوافقية للعلم أو للمعرفة الإنسانية بعامة . ومن هنا فإن ما نحن بصدده من ميل غلاب إلى تصنيف البشر إنما هو نوع من السعي نحو بلوغ ما يحققه التعميم والتجريد والاختزال من وظيفة توافقية للعلم . أي أن تلك التصنيفات في النهاية إنما تحقق علماً بالغاً ما بلغ من زيف أو صدق .

ورغم ذلك الولع القديم بتصنيف البشر ، فإن تسلل موضوع شخصية الجماعة إلى زمرة الموضوعات التي يمكن إخضاعها للدراسة العلمية لم يتم إلا مؤخراً . لقد مارس البشر عملية التصنيف وإصدار الأحكام هذه قبل أن يخضعها العلماء منهم لبحوثهم ودراساتهم بزمن طويل . وليس ذلك بمدعاة للتعجب ، فالأمر يكاد يكون كذلك بالنسبة لفروع المعرفة العلمية جميعاً : أن تكون الممارسة العملية سابقة على الصياغة النظرية (٧٤ : ٢٥) .

ثانياً ـ الإرهاصات الأولى
من منتصف القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين

غالباً ما يحاول الباحث في نشأة وتطور مبحث علمي معين أن يختار تاريخاً

زمنياً يعتبره بمثابة البداية للبحث العلمي في هذا الموضوع . وبقدر صرامة ودقة مثل ذلك التحديد يكون مقدار تعسف الباحث . فالحدود بين البداية العلمية والتاريخ قبل العلمي لمجال معين من مجالات المعرفة غالباً ما تكون متداخلة بحيث يصعب تبين الخطوط الفاصلة بينها ، وبالتالي فإن تحديد مثل ذلك الخط يكون مشبعاً بذاتية الباحث إلى حد كبير .

إن البحث العلمي يتسلل رويداً رويداً إلى المجالات الجديدة ، أو بعبارة أخرى فإن المعرفة قبل العلمية لا تقترب من حدود العلم طفرة بل بالتدريج . وإذا ما وضعنا في اعتبارنا ـ بالإضافة إلى ذلك ـ أن مصطلحات «العلم» و«العلمية» قابلة للمناقشة ابتداء من حيث شروطها وخصائصها كما أشرنا فيما سبق ، فإن اختيار تاريخ زمني معين ينتمي ما قبله مباشرة إلى مرحلة قبل علمية ، وما بعده إلى العلم أمر يمكن فضلاً عن ذاتيته أن يتسبب في قدر كبير من الخلط في تاريخ العلم حذفاً أو إضافة . ولعل اختيار وتحديد عام ألف وثمانمائة وتسعة وسبعين بداية حاسمة لعلم النفس العلمي خير مثال يعبر عن ذلك الذي نقول (١٠٩) .

يقسم انكلز وليفنسون تاريخ البحث في هذا المجال إلى مرحلتين فحسب تشمل الأولى الفترة من عام ١٩٣٥ إلى منتصف الخمسينيات ، كما تمتد الفترة الثانية من منتصف الخمسينيات إلى منتصف الستينيات (٥٥٤: ٤٤١) ، وبذلك فإنهما يشيرا إلى منتصف ثلاثينيات هذا القرن وبالتحديد إلى عام ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين ، بل وبتحديد أكثر إلى تاريخ صدور الطبعة الأولى من كتاب روث بندكت **أنماط من الحضارة** باعتبار ذلك بداية لفترة «الإرهاصات الأولى للنمو» في هذا المجال . بل إنهما يحددان نهاية فترة الإرهاصات هذه تحديداً زمنياً حاسماً كذلك بصدور الطبعة الأولى من كتاب كاردنر **التخوم السيكلوجية للمجتمع** عام ١٩٤٥ (٥٥٤ : ٤١٩) . ونعتقد أنه إذا كانت ثمة فترة يمكن أن تسمى بفترة الإرهاصات الأولى للنمو في مجال دراسة شخصية الجماعة فإنها سوف تكون أبعد من ذلك بكثير .

إن بداية الاهتمام المتخصص بموضوع شخصية الجماعة بل وبالتحديد بموضوع سيكلوجية الشعوب يمكن أن يرجع إلى عام ألف وثمانمائة وستين حين أصدر لازاروس وستاينتال مجلة دورية بعنوان **سيكلوجية وفلسفة الشعوب** ، باعتبار أن دراسة سيكلوجية الشعوب إنما تستهدف «اكتشاف القوانين التي تمارس فعاليتها حيثما

تعيش الكثرة وتتصرف كفرد» (٤٥٦ : المقدمة ٢٧) .

ويشير جينزبرج إلى أن هدف دراسة سيكلوجية الشعوب وفقاً لتصور لازاروس وستاينتال هو «الاهتمام بتقديم تفسير علمي شامل لحياة الشعوب كما تتضح في لغاتهم ، وفنونهم ، ودياناتهم ، وتصرفاتهم ، مع ضرورة توجيه الانتباه في المقام الأول إلى تناول التغيرات التي تطرأ على عقول البشر في تطورها وذبولها . ولقد كان أسلوبهما في البحث أمبيريقياً تماماً ، أي أنه كان يعتمد على فحص وقائع الملاحظة المباشرة إلى جانب تلك الوقائع التي تقدمها الأثنولوجيا وغيرها من علوم الحياة الإنسانية» (٤٥٦ : المقدمة ٢٧) .

ورغم ما يشير إليه جينزبرج من صعوبة تقييم جهود لازاروس وستاينتال ومن صعوبة اكتشاف أي تأثير يمكن تتبعه لتلك الجهود ، ورغم إشارته إلى أن إسهاماتهما الفعلية إنما تنتمي في النهاية إلى مجال علم اللغة أكثر من انتمائها إلى النفس الاجتماعي الخالص (٤٥٦ : المقدمة ٢٨) . رغم ذلك كله فإننا لا نستطيع أن نغفل ما لتلك الجهود من دلالة تضعها بحق ضمن الإرهاصات الأولى في هذا المجال .

لقد شهد منتصف القرن التاسع عشر محاولة لازاروس وستاينتال . ولم يكد ذلك القرن يؤذن بالانتهاء حتى برزت محاولة فونت «أبرز ممثلي علم النفس الاجتماعي في ألمانيا آنذاك» (٤٥٦ : المقدمة ٢٧) . ويرجع اهتمام فونت بقضية سيكلوجية الجماعات إلى سنوات العقد الأخير من القرن التاسع عشر حيث أصدر عام ألف وثمانمائة واثنين وتسعين كتابه المعنون **علم الأخلاق : دراسة في حقائق وقوانين الحياة الروحية** (١٠٣٧) . ثم بدأ في نهاية ذلك العقد أي مع بداية القرن العشرين إصدار مجلدات كتابه **سيكلوجية الشعوب** . فصدر المجلد الأول عام ١٩٠٠ وتوالت المجلدات حتى صدور المجلد العاشر والأخير عام ١٩٢٠ (٧٧٥ : ٦٣ ، ٩٧٧ : ٦٩) . وقد اهتم فونت بدراسة اللغة والأساطير والعادات والقوانين والتنظيمات الاجتماعية التي كان يعتبرها نتاجاً للمجتمع ، فضلاً عن أنها كانت لديه بمثابة موضوع علم النفس الاجتماعي (٤٥٦ : المقدمة ٢٨) . ويطرح فونت تصوره لشخصية الجماعة تحت مصطلح «الإرادة العامة» معرفاً إياها بأنها ذلك «التركيب الخلّاق الذي يؤدي إلى تطوير العقل الاجتماعي والإرادة الاجتماعية بما يتجاوز عقل وإرادة الأفراد» (٤٥٦ : ٤٣) .

ومع صدور المجلد الأخير من مؤلف فونت سيكلوجية الشعوب ، أصدر

ماكدوجل عام ١٩٢٠ كتابه **عقل الجماعة** الذي يقرر فيه «أن تفكير وسلوك كل إنسان إذا ما كان يفكر ويسلك كعضو في مجتمع يختلف تماماً عن تفكيره وسلوكه كفرد منعزل» (٧٠٤: ٩ ـ ١٠) . بل إن ماكدوجل يمضي إلى حد أنه يقرر أن المجتمع المتطور تنظيمياً يحقق مستوى من الذكاء والخصائص الخلقية يفوق مستوى أعضائه المتوسطين ، بل ويفوق حتى مستوى أكثر أعضائه تفوقاً (٧٠٤: ٥٣) .

وفي العام التالي مباشرة لإصدار ماكدوجل لكتابه ، أي في عام ١٩٢١ أصدر جينزبرج الطبعة الأولى من كتابه **سيكلوجية المجتمع** الذي تعرّض فيه لمكونات فكرة العقل المشترك مقسماً إياها إلى عناصر ثلاث (٤٥٦ : ٥٨) :

١ ـ العناصر العقلية المشتركة بين أعضاء مجتمع معين كأنماط الاستجابة الراجعة إلى البنيان الوراثي ، والخصائص العرقية وما إلى ذلك .

٢ ـ التقاليد والخصائص الخلقية والفكرية المشتركة كما تتمثل من ناحية في الكتب والمؤسسات والقوانين والعادات إلى آخره ، وكما تتمثل من ناحية أخرى في صورتها الطليقة التي تجد تعبيراً عنها في اتجاهات الرأي العام ، واتجاهات الفن والأدب ، والتحركات الشعبية .

٣ ـ المشاعر الاجتماعية المرتبطة بالجماعة كمشاعر الولاء .

ولم تمض أعوام قلائل حتى أصدر باركر عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين كتابه المعنون **الطابع القومي والعوامل المسهمة في تكوينه** (٢٠٠) والذي جمع فيه إسهامات واهتمامات المتخصصين في العلوم السياسية في مجال الطابع القومي .

لقد تميزت كتابات هذه المرحلة بمستوى ملحوظ من الثراء النظري ، ولا نعني بالثراء في هذا المقام مجرد الإشارة إلى ذلك الكم الهائل من الكتابات الذي لم نشر إلا إلى طرف يسير منه . بل إن ما نعنيه أيضاً هو عمق تلك الأفكار وتفردها وقدرة أصحابها على التوصل بمجرد تحليلاتهم المنطقية ، واستخلاصاتهم الانطباعية إلى حقائق وتعريفات تقترب في جوهرها كثيراً مما توصل إليه من تلاهم من متخصصين .

ومن ناحية أخرى ، فقد يبدو للوهلة الأولى أن كتابات هذه المرحلة رغم ثرائها النظري كانت تفتقد الإحكام التجريبي بمعناه المعاصر ، وهذا أمر في حاجة إلى إعادة النظر . لقد سعى لازاروس وستاينتال ـ كما أشرنا ـ نحو تحقيق معرفة أمبيريقية

في مجال دراسة شخصية الجماعة . وسعى فونت إلى الاستفادة بما كان يقدمه الفكر الاجتماعي والأنثروپولوجي من وقائع آنذاك . ولا يعني ذلك بحال أن هذه الجهود قد استطاعت أن تصل إلى المستوى المأمول من الدقة والضبط العلميين . فمثل ذلك المستوى سوف يظل أبداً مستوى «مأمولاً» للعلوم كافة . ولكن ما نعنيه هو أن تلك الدراسات لم تكن مجرد شطحات فكرية لا ضابط لها ولا رابط ، بل إنها كانت دراسات علمية بقدر علمية العلوم الإنسانية القائمة في ستينيات القرن التاسع عشر . لقد كان أكثر فروع العلوم الإنسانية تأثيراً على البحث في مجال شخصية الجماعة آنذاك هو الأنثروپولوجيا . أنثروپولوجيا تايلور ومورجان وفريزر . تلك الأنثروپولوجيا التي كان مفهوم الدراسة الميدانية يعد لديها شيئاً جديداً تماماً حتى أواخر القرن التاسع عشر (٧ : ٦ ، ١٠ : ٣٩ ، ٥٣ : ٦٠) . إن تجاهل الإحاطة بطبيعة هذا المناخ الفكري يحول تماماً دون التقييم الحقيقي لجهود رواد هذه المرحلة وإسهاماتهم . ولعل ذلك هو ما دفع بأنكلز وليفنسون (٥٥٤) إلى إسقاطها تماماً من تناولهما كأن لم تكن ، رغم أنها فيما نرى تمثل الأساس الذي لا يمكن بدونه فهم المسار الفكري للبحث في هذا المجال .

ثالثاً ـ مرحلة الدراسات الميدانية
من مطلع العشرينيات حتى مطلع الأربعينيات في القرن العشرين

لقد اختار أنكلز وليفنسون (٥٥٤ : ٤١٩) روث بندكت دون غيرها من معاصريها من الأنثروپولوجيين لتكون علامة البداية على طريق تطور البحث في مجال شخصية الجماعة . واختارا من بين دراسات روث بندكت كتابها المعنون **أنماط من الحضارة** ليكون دون غيره من دراساتها مؤشراً محدداً على بداية تلك المرحلة . ويبدو لنا أن أنكلز وليفنسون قد جانبهما التوفيق في اختياريهما .

ليس من شك في قيمة ما أسهمت به روث بندكت في هذا المجال . ولعل وفاتها غير المتوقعة عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعون قد حالت دون بلوغ إسهاماتها تلك حداً أكبر بكثير مما بلغته . ولكن ذلك لا يبرر بحال أن تكون بندكت هي البداية في هذا المجال .

لعل أنكلز وليفنسون قد اختارا بندكت لاعتمادها في تفسيراتها لسلوك أفراد

الجماعات البدائية على المفاهيم والنظريات السيكلوجية وبخاصة مفاهيم ونظريات التحليل النفسي (٢٢٩) . لو كان ذلك هو المبرر فيكفي أن ننظر مثلاً إلى كتابات مالينوفسكي (٦٩٢ ، ٦٩٣) ومارجريت ميد[1] (٨١٠ ، ٨١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣) وجيزا روهايم (٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩) . إنها جميعاً كتابات سابقة وتالية على بحوث بندكت ، وجميعها تقوم على التفسيرات السيكلوجية ، وجميعها تعتمد على العمل الميداني .

خلاصة القول أننا إذا كنا لا نرى في عام ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين بداية لتاريخ البحث في هذا المجال ، فإننا لا نرى فيه أيضاً بداية لمرحلة من مراحل هذا البحث . وإذا لم يكن بد من اختيار زمن ولو تقريبي للتحول نحو هذه المرحلة الثالثة ، فإننا نرى أن مطلع عشرينيات هذا القرن هو البداية المنطقية لهذا التحول . ولو لم يكن بد كذلك من اختيار شخصية محددة يمكن أن تتمثل في كتاباتها تلك البداية فلتكن بدايتنا إذن من كتابات جيزا روهايم المبكرة التي بدأت منذ عام ١٩١٥ (٨٥٨: ٣٨١) .

لقد شهد مجال الأنثروبولوجيا في هذه المرحلة اتجاهاً جديداً تمثل على المستوى النظري في انتشار الوظيفية ، وعلى المستوى العملي في الإقبال على الدراسات الميدانية (١٠: ٣٩) . وكان روهايم بمثابة التجسيد لهذا الاتجاه الجديد بمستوييه . ولقد ترك هذا الاتجاه الجديد بصماته واضحة على مسار البحث في شخصية الجماعة وبالتحديد على العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس في هذا المجال .

لقد فرضت الوظيفية ضمن ما فرضته على الأنثروبولوجيين حتمية البحث عن تفسير أو معنى لما يلحظونه من تنوع في عادات وتقاليد ، بل وتنظيمات اجتماعية لدى القبائل البدائية التي يدرسونها . ولم يكن أمامهم إلا علم النفس يولون وجوههم صوبه بحثاً عن تلك التفسيرات ، وبالفعل فقد وجدوا بغيتهم في نظريات الشخصية بعامة ، وأفكار التحليل النفسي على وجه الخصوص .

---

(١) لم يشر أنكلز وليفنسون في مقالهما الموسوعي إلى بحوث ميد إلا ابتداء من بحوث عام ١٩٣٩ (٥٥٤: ٥٠٢) .

فنظريات الشخصية ذات اتجاه وظيفي أصيل «فهي تهتم بالمشاكل ذات الدلالة في توافق الكائن العضوي» (١٥٥ : ١٧) . وصاحب نظرية الشخصية «يهتم بمعرفة السبب في أن أفراداً بعينهم تنمو لديهم أعراض عصابية معوقة رغم غياب المرض العضوي ، وما هو دور الصدمات الطفلية في توافق الراشد ، وما هي الدوافع الأساسية التي تحرك سلوك الإنسان» (١٥٥ : ١٧) . ومن ناحية أخرى فإن «أصحاب نظريات الشخصية ينسبون عادة دوراً حاسماً للعمليات الدافعية» (١٥٥ : ١٨) ، فضلاً عن أن «واحدة من أكثر السمات المميزة لنظرية الشخصية هي وظيفتها بوصفها نظرية تكاملية» (١٥٥ : ١٩) .

هذا فيما يتعلق بنظريات الشخصية بعامة ، أما بالنسبة لما حظي به التحليل النفسي بالذات من اهتمام أنثروبولوجي ، فالمبادأة فيه كانت في الحقيقة من جانب التحليل النفسي . بمعنى أن التحليل النفسي هو الذي بدأ الاهتمام بقضايا الأنثروبولوجيين . فقد نشر فرويد كتابه **الطوطم والطابو** عام ١٩١٢ (٤٢٨) معتمداً فيه اعتماداً واضحاً على نتائج الدراسات الأنثروبولوجية التي أجريت على بعض القبائل الأسترالية البدائية ، والتي أجراها بالتحديد العالم الأنثروبولوجي فريزر . وتلا فرويد على نفس الطريق - بشكل أو بآخر - وفي فترة لاحقة مباشرة عدد من المحللين النفسيين أمثال أبراهام وريخلين وغيرهما (٨٥٨: ٣٨١) . وفي تلك الفترة اللاحقة على نشر فرويد لكتابه بدأت إسهامات روهايم .

ومهما كان ما يمكن أخذه على دراسات روهايم من سطحية أو ضعف (٥٥٤ : ٤٣١ - ٤٣٢) فإن ريادته في هذا المجال إنما تتمثل في أنه أول أنثروبولوجي يقبل تماماً منهج التحليل النفسي ، واضعاً إياه في التطبيق مشيراً صراحة إلى تصوره للطابع القومي من منظور التحليل النفسي بقوله : «ينبغي أن يكون للطابع القومي كينونة ثابتة عبر الأجيال ، ترتكز على تكرار نفس الموقف الطفلي» (٨٥٨: ٣٨١) . وعلى طريق روهايم تتابع العديد من الأنثروبولوجيين ينهلون وبدرجات متفاوتة من أفكار التحليل النفسي .

في ضوء هذا التحليل للعلاقة المتبادلة بين الأنثروبولوجيا والتحليل النفسي في هذا المجال من الدراسات يمكن أن يتضح معنى إشارة أنكلز وليفنسون إلى أن ممثلي تلك المرحلة كانوا «من المحللين النفسيين ذوي الاتجاه الاجتماعي ومن الأنثروبولوجيين المتأثرين بنظريات الشخصية» (٥٥٤: ٤٤١) .

لقد تركزت بحوث هذه المرحلة على الاستكشاف المتعمق لمجتمعات منفردة بوسائل أثنوجرافية وإكلينيكية وذلك منطقي تماماً ، فدراسة المجتمعات المنفردة بوسائل إثنوجرافية هو موضوع وأسلوب الأنثروپولوجيا السائد والمفضل . أما الوسائل «الإكلينيكية» فهي التعبير الأكثر شمولاً وعمومية للإشارة إلى وسائل التحليل النفسي . ولعل ملاحظة اهتمام الأنثروپولوجيين منذ تلك المرحلة باستخدام تكنيك محدد من تكنيكات التحليل النفسي الفريدة وهو تفسير الأحلام تكفي لتأكيد ما نعنيه (٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٦٩٣ ، ٨٥٧ ، ٨٥٩) كذلك فلعل الاهتمام بالبحث عن تفسير لسلوك الراشدين في تواريخ حياتهم وخاصة في فترة الطفولة يؤكد نفس المعنى (٢٠٨ ، ٣٣٩ ، ٣٦٦ ، ٥٠٧ ، ٥٥٨ ، ٥٩٩ ، ٧٢٢) بل إن غلبة الطابع الإسقاطي على الأدوات المستخدمة في بحوث هذه المرحلة (٥٥٤ : ٤٤٤) يمكن أن تتسق أيضاً مع غلبة تأثير مدرسة التحليل النفسي .

يتناول إنكلز وليفنسون بحوث هذه المرحلة بالنقد ، فيقولا : «لقد أدى افتقاد التحليلات للتقنيين إلى عدم اتساق ملحوظ في القضايا السيكلوجية التي تغطيها الدراسات المختلفة» (٥٥٤ : ٤٤٣) . وقد ساقا مثالاً للتدليل على مقصدهما ما ذهب إليه جورر (٤٧٥) من سيادة خصائص الطابع الشرجي لدى اليابانيين ، وما ذهب إليه أيضاً (٤٧٦) من سيادة خصائص الطابع الفمي لدى الروس[1] ، آخذين عليه عدم الإشارة إلى مصير الخصائص الفمية في الحالة الأولى ، ومصير الخصائص الشرجية في الحالة الثانية (٥٥٤ : ٤٤٣) . مرجعين ذلك إلى أنه «لم يكن ثمة اختبار صارم لما يتضمنه التحليل من استبعادات أو تحويرات» (٥٥٤ : ٤٤٣) بمعنى أنه إذا لم يشر التحليل إلى وجود خصائص معينة «لم يعد واضحاً ما إذا كانت تلك الخصائص لا وجود لها في الشخصية المنوالية ، أو أنها موجودة ولكن الباحث لم ير أنها ذات أهمية ، أو أنها موجودة لكن الباحث لم يلحظها» (٥٥٤ : ٤٤٣) ومثل تلك الاعتراضات يمكن أن تساق إلى كافة الدراسات التي تأخذ بالمنهج التقليدي للتحليل النفسي[2] ، سواء كانت في مجال دراسات شخصية الجماعة أو خارج ذلك

(١) لم ترد إشارة إلى بحث جورر عن الشخصية الروسية في قائمة مراجع أنكلز وليفنسون (٥٥٤ : ٤٩٧) رغم ورود الإشارة إليه في المتن (٥٥٤ : ٤٤٣) .

(٢) نعني بذلك استبعاد محاولات إخضاع مفاهيم التحليل النفسي للاختبار التجريبي ، وهي على =

المجال . ولسنا على أي حال بصدد تقييم التحليل النفسي . غير أنه ينبغي أن نشير إلى أنه لم يكن بين مدارس واتجاهات وتيارات علم النفس آنذاك ما يمكن أن يقوم بذلك الدور التفسيري في مجال دراسات شخصية الجماعة سوى التحليل النفسي .

رابعاً ـ مرحلة البحوث ذات الأهداف السياسية المباشرة من أواخر الثلاثينيات حتى منتصف الخمسينيات في القرن العشرين

إن الحرب بما تثيره من قضايا ، وما تفرضه من متطلبات ، وما تخلقه وتخلفه من مشكلات ، وبما لكل ذلك من طبيعة ملحّة ، إنما تترك آثاراً عميقة ليس على نفوس البشر فحسب بل على مسار المعرفة الإنسانية بعامة ، وفي مجال الاكتشاف والاختراع على وجه الخصوص . وليس ذلك غريباً ، فالحاجة كما يقال هي أم الاختراع . وليس من حاجة ولا احتياج بأكثر ولا أقسى مما تفرضه الحروب .

وإذا صدقت تلك المقولة على كافة فروع المعرفة الإنسانية ، فإنها تصدق كأوضح ما يكون الصدق على تاريخ البحث في مجال شخصية الجماعة (٤٠٨) وما المرحلة التي نحن بصدد الحديث عنها إلاّ نتاج مباشر للحرب العالمية الثانية . وتؤكد مارجريت ميد هذه الحقيقة بوضوح . فتقول وهي بصدد الحديث عن البحوث التي اتبعت طريقة الدراسة عن بعد ، والتي تعد من أهم معالم هذه المرحلة :

«لقد أنجز العمل الرائد الذي استخدم هذه الطريقة خلال تلك الحقبة الأخيرة من الأحداث السياسية التي خلّفتها الحرب العالمية الثانية ، وأيضاً خلال ما خلّفته تلك الحرب من عالم منقسم . ولقد تركزت تلك الدراسات على جماعات قومية في محاولة لاكتشاف ما في سلوك أعضاء تلك الدول القومية من انتظامات حضارية تعزى إلى أنهم قد تربوا في أمة معينة أو أنهم قد نزحوا إلى موطن جديد وعاشوا فيه فترة تبلغ من الطول ما يكفي لكي يصطبغوا بأشكالها الحضارية . ومن هنا فقد أطلق على تلك الدراسات دراسات الطابع القومي . إن هذا التركيز على الحضارات القومية قد أملاه الاهتمام بالدور الذي يلعبه السلوك ذو المنشأ القومي في الحرب ، وفي صنع وتحديد السياسات والمسائل التربوية الداخلية ، وحملات البناء المعنوي وما إلى ذلك . . . لقد كان التأكيد القومي بمثابة السمة الغالبة في دراساتنا لأنها ـ أي تلك الدراسات ـ خططت لمساعدة الحكومات

= أي حال ـ رغم ما ووجهت به من انتقادات المحللين والتجريبيين على حد سواء ـ تخرج عن نطاق التأثير في مجال دراسات شخصية الجماعة .

القومية في التعامل مع أعضاء أمم أخرى يسلكون بدورهم على مستوى قومي سواء كأعضاء في الجيوش أو في وفود المفاوضات أو ما إلى ذلك» (٧٢٠: ٤) .

ويؤكد جورر تلك الحقيقة بقوله «لقد أنجزت الدراسات التي اتخذت اسم دراسات في الطابع القومي تحت ضغط الحرب العالمية الثانية حيث كانت الأهداف العملية ـ أي وضع إطار عمل للحرب النفسية ـ أكثر إلحاحاً من الحاجة إلى الإحكام النظري» (٤٧٩ : ٥٧) .

كذلك يقول أنكلز وليفنسون «لقد أعطت الحرب العالمية الثانية دفعة قوية لتلك البحوث ، سواء خلالها أو بعدها مباشرة حين قدم العديد من الأنثروپولوجيون والمحللون النفسيون وغيرهم إسهاماتهم في استكشاف سيكلوجية أمم متعددة وخاصة الأعداء العسكريين للولايات المتحدة الأمريكية» (٥٥٤: ٤١٩) .

وقبل أن نشرع في استعراض الخصائص التي ميزت هذه المرحلة من مراحل التطور التاريخي لدراسات شخصية الجماعة ، يجدر بنا أن نطرح تساؤلاً لم يلق ما يستحقه من اهتمام لدى الباحثين في هذا المجال .

لقد اكتسبت الحرب الأخيرة عالميتها من حقيقة تعدد الأطراف المشتركة فيها إلى حد لا نجاوز معه الحقيقة إذا قلنا إنه ليس من بقعة في العالم المعروف آنذاك لم تشارك في تلك الحرب مهاجمة أو مدافعة أو موقعاً لاقتتال المتحاربين ، أو مصدراً لمساعدة فريق منهم ، أو حتى حكماً بينهم . ورغم تلك العالمية ، وما تفترضه من حد أدنى من تشابه الاحتياجات العملية ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت وحدها محل نشأة وازدهار بحوث تلك المرحلة ، في حدود المتاح منشوراً على الأقل . وهنا ينبغي أن نتساءل : لماذا ؟ ألا يدعو ذلك إلى التشكك في حقيقة أن بحوث تلك المرحلة كانت استجابة لمتطلبات الحرب العالمية الثانية بعامة ؟ أليس محتملاً مع تلك الصبغة الأمريكية للنشأة ألا تعدو تلك البحوث أن تكون استجابة لحاجات أو احتياجات خاصة بالمجتمع الأمريكي بالتحديد ؟ وإذا ما صح ذلك ألا يدعونا إلى إعادة النظر في اعتبار تلك المجموعة من البحوث ممثلة لمرحلة عامة متميزة من تاريخ البحث في شخصية الجماعة؟ .

إن ما أشارت إليه مارجريت ميد من أحداث سياسية خلقتها وخلفتها الحرب الثانية وتركت بصماتها على نشأة تلك المجموعة من البحوث ، هذه الأحداث قد

تميزت فيما نرى بعدة حقائق يعنينا منها :

(أ) أن الولايات المتحدة باعتبارها «العالم الجديد المليء بالثروات» كانت ـ بل وما زالت ـ مركزاً لجذب المهاجرين من كافة أنحاء العالم وبخاصة من صفوف العلماء والمتخصصين . وكان طبيعياً أن تزداد حركة الهجرة إلى الولايات المتحدة خلال تلك الفترة القلقة السابقة مباشرة للحرب والمصاحبة والتالية لها أيضاً . وكان طبيعياً أيضاً أن يكون من بين هؤلاء عدداً من أبرز المتخصصين في العلوم بما فيها العلوم الإنسانية من الأوروبيين بعامة ومن الألمان بشكل خاص .

(ب) لقد كانت الولايات المتحدة خلال الحرب أكثر الدول الكبرى أمناً ، بل إنها قد ظلت بعيدة بالفعل عن الاشتراك المباشر في الأعمال الحربية منذ إعلان الحرب في أول سبتمبر عام ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين إلى هجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربور في السابع من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين (١٠٣٨) وهي الفترة التي تميزت باشتداد حركة الهجرة بشكل مكثف وخاصة من ألمانيا إلى الولايات المتحدة .

(جـ) في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تكاد تكون الدولة الكبرى الوحيدة التي لم تتعرض للتدمير . في حين تعرض المنتصرون والمهزومون على حد سواء لدمار شديد . ومن ناحية أخرى فقد تصدت الولايات المتحدة بحكم نظامها الاجتماعي واحتفاظها بقوتها الاقتصادية لقيادة أحد المعسكرين اللذين انقسم إليهما عالم ما بعد الحرب . وقد فرض ذلك التصدي على الولايات المتحدة مهمتين :

الأولى تحمّل مسئولية إعادة بناء أوروبا المدمرة وذلك من خلال مشروع مارشال .

والثانية الحلول محل الدول الاستعمارية التقليدية في الأسواق العالمية . وقد أدت هاتان المهمتان إلى رواج لا حدود له للصناعة الأمريكية كفل فائضاً يسمح بتمويل العديد من البحوث المتخصصة .

خلاصة القول إن ظروف الحرب العالمية الثانية قد فرضت من ناحية تجمع عدد كبير من الكفاءات البارزة في العلوم الإنسانية في الولايات المتحدة وفرضت من ناحية أخرى احتياجاً ملحاً لدى السلطة الأمريكية لفهم شعوب ذات حضارات عريقة

تمثلت أساساً في اليابان والصين وألمانيا والاتحاد السوفيتي . نضيف إلى ذلك كله توافر الإمكانيات المالية لإجراء مثل تلك البحوث . ونضيف أيضاً تخلف الاهتمام بالعلوم الإنسانية في المعسكر المقابل للولايات المتحدة الأمريكية آنذاك لأسباب لسنا في مجال التعرض لها تفصيلاً (١١١) من كل ذلك نستطيع أن نتبين أن نشأة وازدهار ذلك النوع الجديد من الدراسات كان بحق استجابة موضوعية لظروف الحرب العالمية الثانية ، واختيار الولايات المتحدة بالذات موقعاً لهذه النشأة وذلك الازدهار قد فرضته أساساً تلك الظروف ولم يكن مجرد تلبية لحاجات أمريكية خاصة . ويتفق ذلك مع تركز الدراسات التي أجريت في هذه المرحلة على شعوب بعينها كاليابانيين (٢٣٠ ، ٢٩٣ ، ٣٨٨ ، ٤٧٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٣٨ ، ٦٠٠ ، ٦١٨ ، ٦٢٣ ، ٦٣٩ ، ٩٢٥ ، ٩٤٧ ، ٩٥٤) والألمان (٢٠٦ ، ٢٨٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٧ ، ٤٣٠ ، ٥٩٦ ، ٦١٢ ، ٦٤٥ ، ٦٧٥ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٤٦ ، ٧٥٦ ، ٨٣٩ ، ٨٥٤ ، ٨٨٥) والصينيين (١٥٩ ، ٣١٣ ، ٥٢٠ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٦٢٤ ، ٦٥٠ ، ٧٤٩ ، ٨٤٦ ، ٩٧١ ، ١٠٠٠) والروس (٢٠٧ ، ٣٥٤ ، ٤٧٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٧١٥ ، ٩١٥) . وهو أيضاً ما يؤكده مظفر شريف (٩١١) .

ولقد حاولنا ـ فضلاً عن ذلك ـ التوثق من صدق تلك المؤشرات بفحص البحوث التي ذكرها دويجكر وفريجدا (٣٦٥) والتي كانت تنصب على محاولة تبين الخصائص السيكلوجية المشتركة لدى تجمعات بشرية معينة فاتضح أن عدد تلك البحوث بعد أن قمنا بحصرها يبلغ أربعمائة واثنين وخمسين بحثاً تناولت ثلاثة وخمسين تجمعاً بشرياً . وبتفريغ نصيب كل تجمع بشري من تلك البحوث اتضح أن التجمعات الخمس التي حظيت بالقدر الأكبر من تلك البحوث كانت على الوجه التالي :

١ ـ اليابان :	أربعة وخمسون بحثاً
٢ ـ الولايات المتحدة :	اثنان وخمسون بحثاً
٣ ـ ألمانيا :	اثنان وأربعون بحثاً
٤ ـ الصين :	سبعة وثلاثون بحثاً
٥ ـ روسيا :	ثمانية وعشرون بحثاً

وتتمثل أهم الخصائص التي تميز دراسات هذه المرحلة فيما يلي :

أولاً ـ تبلور الأهداف العملية لدراسات شخصية الجماعة :

يحدد دويجكر وفريجدا الأهداف العملية لمثل هذه الدراسات على الوجه التالي :

١ ـ إمكانية استخدام هذه الدراسات في الحرب النفسية باعتبارها يمكن أن تسهم في «فهم عدو فعلي أو محتمل . وبالتالي فإن تلك الدراسات في جوهرها سلاح فعلي : إن كشف ضعف ذلك العدو ، وأوهامه ، ومعاييره ، وقيمه ، ورموزه ، يمكن أن يسهم في هزيمته النهائية» (٣٦٥ : ١٥٨) .

٢ ـ إمكانية استخدام تلك الدراسات في مجال الدعاية الداخلية . أي «في تبرير اتجاهاتنا العدوانية ، بإبرازها مقدار ما يتميز به العدو من إثارة للنفور وبعد عن الديموقراطية والحضارة . وهي بذلك (أي تلك الدراسات) إنما تقوي من تصميمنا على هزيمته ، وتخفف من تأثمنا حيال استخدام شتى الوسائل لتحقيق ذلك» (٣٦٥ : ١٥٨) .

٣ ـ «وفضلاً عن ذلك فإن تلك الدراسات لا تقدم لنا المعلومات عن أعدائنا فحسب بل عن حلفائنا أيضاً . إنها قد تمكننا من المضي معهم بشكل أفضل ، ومن التعامل معهم بكفاءة أكبر . وقد نصل إلى فهم أفضل لما يعانونه من مشاكل وبالتالي يصبح في وسعنا مساعدتهم بكفاءة أكبر» (٣٦٥ : ١٥٨) .

وتؤكد مارجريت ميد نفس تلك الأهداف بقولها وهي بصدد الحديث عن اتجاه البحث الذي اتبعته في دراساتها عن بعد «لقد استخدم هذا الاتجاه . . . لتحقيق العديد من الأهداف السياسية : إنجاز مهام حكومية داخلية معينة ، وتيسير العلاقة مع الحلفاء ، وترشيد العلاقات مع جماعات الأنصار في البلدان الخاضعة لسيطرة العدو ، والمساهمة في تقييم قوى الأعداء ونواحي ضعفهم ، وتقديم المشورة في إعداد الوثائق على المستوى الدولي» (٧١٨ : ٣٧٩) .

لقد كان ثمة أهداف سياسية عملية محددة تسعى بحوث هذه المرحلة إلى بلوغها ، وهو ما لم يكن متوافراً بنفس ذلك القدر من الوضوح في بحوث المرحلة السابقة . ولا يعني ذلك أن البحوث السابقة كانت تفتقد الهدف العملي أو السياسي

تماماً ، فذلك أمر لا يمكن القول به ـ فيما نرى ـ بالنسبة لأي بحث علمي . لقد كان لتلك البحوث السابقة ولا شك أهدافها العلمية التي لا تخرج كثيراً عن أهداف علم النفس الفارق ، وكان لها أيضاً ولا شك إسهاماتها النظرية في اختبار العديد من الفروض المثارة في مجال العلاقة بين الحضارة والشخصية . وكان لكل من تلك الأهداف العلمية النظرية تطبيقاتها العملية الممكنة في شتى مناحي الحياة . إلا أن الجديد بالنسبة لبحوث المرحلة التي نحن بصددها هو أن الأهداف السياسية العملية لتلك البحوث قد تحددت سلفاً وبوضوح منذ البداية . وهو ما لم يكن مألوفاً في بحوث المرحلة السابقة التي تركزت على المجتمعات البدائية المنعزلة ، وما تتضمنه من أبنية اجتماعية وإن كانت تلك البحوث تعبر ضمناً ـ وليس صراحة ـ عن «الرغبة في المحافظة على الأوضاع التقليدية السائدة في تلك المجتمعات كوسيلة لتوطيد الحكم الاستعماري فيها» (٩) .

ثانياً ـ الالتزام السياسي المحدد للقائمين بالبحوث :

يشير أحمد أبو زيد في مقاله المعنون «أزمة العلوم الإنسانية» والمنشور عام ١٩٦٩ (٨) إلى أن الأزمة التي تمر بها العلوم الإنسانية في الوقت الراهن تبدو في ظاهرها أزمة خاصة بالمناهج ، ولكن لها في حقيقة الأمر أبعاداً أيديولوجية .

كذلك فقد نشر لاسويل عام ألف وتسعمائة وسبعين مقالاً اختار له عنواناً بالغ الدلالة : «هل يجب على العلم أن يخدم السلطة السياسية ؟» أشار فيه بوضوح إلى أن «القول بتأثر السلطة السياسية بالمعرفة العلمية وتأثيرها فيها ليس من قبيل الاكتشاف الجديد» (٦٣٣) .

ولكن ثبات حقيقة ذلك التأثير المتبادل بين العلوم ـ وخاصة الإنسانية منها ـ والسياسية لم يحل دون قيام اتجاهات ترفض التسليم بحتمية مثل ذلك التأثير . ولم تخل بحوث شخصية الجماعة حتى في هذه المرحلة بما لها من طابع مميز من صدى لمثل تلك الاتجاهات .

لقد دار حوار شيق حول تلك القضية بين دافيد ماندلبوم ومارجريت ميد (٦٩٥ ، ٧١٧ ، ٩٧٣: ١٣٤ ـ ١٣٥) ، قرر فيه ماندلبوم بوضوح «أن أي مجال للبحث يرتبط كلية وبشدة بمجموعة معينة من المؤثرات السياسية لا يمكن إلا أن يعاني كمجال للبحث العلمي أو الأكاديمي» (٦٩٥) .

وأكدت مارجريت ميد فيما يشبه الاعتذار طبيعة الظروف الملحة التي حتّمت القيام بمثل تلك البحوث مشيرة إلى أنه إذا ما ساد العالم قدر من الهدوء يجعل القيام بدراسات كتلك التي اضطرت للقيام بها في السنوات العشر الأخيرة ليس أمراً ملحاً «فإنني لن أمس موضوع الطابع القومي في الخمس والعشرين سنة القادمة لأنني أظن أن الأكثر أهمية هو أن أعود إلى غينيا الجديدة» (٧١٧) .

ومن ناحية أخرى يؤكد هيوبيل «أن ارتباط دراسة الطابع القومي بالتوترات السياسية لا يعني تهديداً لعلمية أو أكاديمية تلك الدراسة» (٥٢٤) . كذلك فإن هسيو في عرضه لما دفعه إلى كتابة كتابه **الأمريكيون والصينيون : أسلوبين في الحياة** يؤكد أن الدافع الأساسي وراء كتابته لهذا الكتاب ليس دافعاً علمياً ولا تصنيفياً بل هو «السعي نحو المحافظة على الذات. . . ليس من وقت طويل للتفكير ، فالموقف ملح . . . وكل قادر على التفكير ينبغي أن يقدم وبدون إبطاء كل ما يستطيعه للكشف عن تلك القوى الرئيسية التي تدفعنا إلى موقفنا الحالي» (٥٤٠ : المقدمة من ٦ إلى ١٢) .

وعلى أي حال فقد أبرزت مارجريت ميد مراراً طبيعة الأهداف السياسية للدراسات التي شهدتها تلك المرحلة مؤكدة أن تلك الدراسات «قد نبعت صيغة ومناهجاً من الضرورات الملحة التي فرضها الموقف السياسي العالمي بعد عام ألف وتسعمائة وثلاثين» (٧١٦ : ٦٤٢) و «أن دراسة الطابع القومي الآن في تناولها للوحدات السياسية المعاصرة إنما تعد أساساً علماً تطبيقياً . إننا لم ندرس الطابع القومي باعتباره أفضل المجالات التي يمكن فيها تتبع العلاقة بين الأشكال السياسية وتكوين الطابع الفردي. . . ولكن لما للدول الأمم في عالم اليوم من دلالة سياسية خطيرة» (٧١٦: ٦٦٠ ـ ٦٦١) .

ولنترك جانباً آراء الباحثين على اختلافها محاولين استقراء الوقائع التاريخية الثابتة لنتبين كيف بدأ اهتمام الباحثين بذلك النوع من البحوث . إن مارجريت ميد تؤكد أن «كافة البحوث تقريباً في هذا المجال قد تمت من خلال الارتباط بمشروعات قومية تتعلق إما بمشكلات الروح المعنوية في الداخل وإما بحالة الحرب والسلام» (٧١٦: ٦٦٠ ـ ٦٦١) .

وفي الحقيقة فإن تلك المشروعات القومية قد بدأت بمنحة مالية قدمها خلال الحرب مكتب البحوث التابع للبحرية الأمريكية لبحث الحضارات المعاصرة في

بعض البلدان الآسيوية والأوروبية . وتولت روث بندكت الإشراف على فريق البحث الذي تشكل بناء على تلك المنحة في جامعة كولومبيا . وكانت روث بندكت خلال إشرافها على هذا الفريق وقيامها بدراستها عن الطابع القومي الياباني (٢٣٠) تشغل منصب رئيسة قسم التحليلات الأساسية التابع لمكتب مخابرات ما وراء البحار فضلاً عن عملها كمحللة متخصصة في العلوم الاجتماعية في قسم الروح المعنوية بالخارج . وكلا المنصبين يتبعان مكتب المخابرات الحربية الأمريكية (٥٢٥) .

ولم يكن الارتباط بأهداف سياسة محددة معلنة قاصراً في هذه المرحلة على بحوث شخصية الجماعة فحسب ، بل لعله يكاد أن يكون سمة مميزة للكثير من بحوث العلوم الإنسانية التي أجريت آنذاك . ويكفي أن نشير إلى أن الجمعية الأمريكية اليهودية قد قامت في مايو عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين بدعوة مجموعة من الأساتذة الأمريكيين المتخصصين في العلوم الإنسانية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها للقاء استمر يومين حول موضوع التعصب الديني والعنصري . وانبثق عن هذا اللقاء فريق للبحوث على رأسه أربعة من أشهر المتخصصين في الموضوع آنذاك هم سانفورد وأدورنو وبرونشفيك وليفنسون (١٦٤ : المقدمة من ٥ إلى ١١) . وقد صدرت عن هذا الفريق مجموعة من البحوث المنشورة التي حملت عنوان **دراسات في التعصب** والتي كانت رغم عمومية عنوانها تكاد تقصر بحوثها على معاداة السامية ، بل بالتحديد على المشاعر المعادية لليهود فحسب (١٦٢ ، ١٦٤ ، ٢٥٠ ، ٦٧٣ ، ٧٠١) .

ثالثاً ـ تأكيد فكرة فريق البحث :

إن طبيعة البحث في موضوع شخصية الجماعة تفرض تضافر العديد من العلوم الإنسانية ، ونظرة سريعة إلى نماذج من الكتابات الحديثة في هذا الموضوع كفيلة بتأكيد أنه لم يكن موضع اهتمام علماء النفس والأنثروبولوجيا فحسب ، بل وأيضاً علماء الاجتماع (٣٠٠ ، ٣٨٤ ، ٤٢٣ ، ٦٣٨ ، ٦٩٧ ، ٧٥٤ ، ٨٠٢ ، ٨٤٨ ، ٩٤٠) والعلوم السياسية (٣٠٧ ، ٩٧٥) والتاريخ (٥١٥ : ٣٦) والجغرافيا (٢٨٦) والقانون (٦٣٥) .

وتشير مارجريت ميد بوضوح إلى «أن دراسة الطابع القومي لأفراد مجتمع معاصر متعلم معقد ينبغي أن يقوم بها فريق يضم خبرات وتخصصات متنوعة»

(٧٢٠ : ٤) . ويشير دويجكر وفريجدا كذلك إلى مثل تلك الضرورة (٣٦٥ : ١٦٤) .

أما أنكلز وليفنسون فإنهما يمضيان خطوة أبعد من مجرد تأكيد هذه الحاجة مشيرين إلى «أن ما تفرضه طبيعة المفهوم من تعاون فروع علمية عديدة كان له تأثيره المزدوج المتناقض . فمن ناحية قد أتاح الفرصة لتكامل العديد من الفروع المعنية ، مما كان حافزاً لتحقيق العديد من المنجزات النظرية الأساسية . ومن ناحية أخرى فقد كان ذلك التعاون يتطلب عبوراً أو تخطياً للحدود الفاصلة بين الفروع العلمية المختلفة ، ومن ثم يمثل تهديداً لما هو مستقر من وجهات نظر وكيانات علمية متخصصة» (٥٥٤ : ٤١٨) .

ولقد حاول المشتغلون ببحوث شخصية الجماعة آنذاك وضع هذه التأكيدات موضع التطبيق الفعلي بتكوين فرق من الباحثين (٧١٤ ، ٧١٩ ، ٧٣٦) . ولقد اقتصر فريق كولومبيا ـ وهو أهم فرق البحث في هذا المجال ـ على تخصصين اثنين هما الأنثروبولوجيا والتحليل النفسي . ولعل العديد من أوجه التضارب والقصور التي أسفرت عنها نتائج بحوث هذا الفريق والتي اتضحت فيما بعد (٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٦٠١ ، ٦٢٧ ، ٧٦٩ ، ٩٢٤) راجعة إلى حد ما إلى اقتصار تكون الفريق على هذين التخصصين فحسب .

والسؤال الذي يطرح نفسه على الفور هو : ترى أي التخصصات ينبغي أن يتشكل منها فريق البحث في هذا المجال ؟ إن تلك التخصصات ينبغي فيما نرى أن تشمل العلوم الإنسانية القائمة جميعاً ودون استثناء . وإذا ما استحال هذا عملياً لظرف أو لآخر فليس أمام الباحث الفرد أو مجموعة الباحثين التي تفتقد عدداً من التخصصات الإنسانية إلا اصطناع أسلوب البحث الذي يمكن من خلاله الربط بين نتائج البحث المعين ومعطيات بقية العلوم الإنسانية في هذا المجال .

إن ما يؤخذ على بحوث تلك المرحلة أنها رغم تأكيدها لفكرة الفريق قد أهملت تخصصات إنسانية بالغة الأهمية في مجالها كالتاريخ والاقتصاد . ويتصدى جورر لمثل ذلك المأخذ مقرراً أنه «كثيراً ما يؤخذ على هذا النوع من الدراسات أنها تتجاهل ظواهر التاريخ والاقتصاد والجغرافيا وما شابه ذلك من ظواهر غير شخصية . وليس لمثل تلك المآخذ ما يبررها فيما أرى إلا إذا كان المقصود ـ صراحة أو ضمناً ـ من

دراسات الطابع القومي هذه وصف كافة ظواهر حياة الأمة . ولكن طالما أن كل ما استهدفته الدراسات التي قمت بها هو عزل ووصف الدوافع الأساسية لغالبية السكان فلا محل إذن لمثل تلك المآخذ» (٤٧٩ : ٧٨) .

وما نراه هو أن عزل ووصف تلك الدوافع الأساسية التي يتحدث عنها جورر لا يمكن أن يتم على الوجه الأكمل دون أن يوضع في الاعتبار الكامل الظروف التاريخية والاقتصادية بل والجغرافية التي تحيط بالجماعة موضع الدراسة وتسهم في تشكيل تلك الدوافع الأساسية لأفرادها تشكيلاً فارقاً .

رابعاً ـ دراسة المجتمعات الكبرى :

لقد استمرت بحوث هذه المرحلة في التركيز على الدراسة المتعمقة لمجتمع واحد شأنها في ذلك شأن بحوث المرحلة السابقة . وقد سبق أن أشرنا إلى ما يمكن أن يؤخذ على ذلك الاتجاه من مثالب ، وما يمكن أن يحظى به من مبررات .

إلا أن الجديد بالنسبة لهذه المرحلة هو اتجاه بحوثها نحو مجتمعات كبرى معاصرة تمثلت أساساً في اليابان والصين وألمانيا والاتحاد السوفيتي . وذلك أمر منطقي تماماً حتمته طبيعة نشأة بحوث هذه المرحلة . وتطرح تلك النوعية الجديدة من موضوعات البحث العديد من المشكلات . هل يجوز الحديث عن شخصية واحدة للجماعة على نطاق الأمم ـ الدول ؟ ما هو تأثير وسائل الاتصال الحديثة في هذا الصدد ؟ أتسهم في تذويب الفوارق القومية ؟ أم أن تأثيرها أميل إلى تدعيم التماسك القومي ومن ثم إلى تدعيم وإبراز تلك الفوارق ؟ هل ينطبق مفهوم شخصية الجماعة بالنسبة للدول الأمم على الجمهور شأن انطباقه على الصفوة ؟ .

ولم تكن طبيعة البحوث الجارية بما صاحب نشأتها من ظروف عملية ، وبحكم ارتباطها بتحقيق أهداف سياسية بالغة الإلحاح . لم يكن كل ذلك ليسمح بالحسم النظري المتأني لمثل تلك التساؤلات . بل إن الإجابات كانت تفرض نفسها خلال البحث كمسلمات ضمنية ينطلق منها الباحثون في تفسيراتهم دون الإشارة إليها صراحة .

خامساً ـ الدراسة عن بعد :

لقد فرضت طبيعة المجتمعات التي انصبت عليها غالبية دراسات هذه المرحلة أن يحال دون الباحث والذهاب بشخصه إلى حيث تقوم تلك المجتمعات . ويعرض

جورر عرضاً شائقاً لطبيعة مثل هذا النوع من الدراسات بقوله[1] «إن تحليل مفهوم الطابع القومي يحمل الكثير من أوجه الشبه مع تحليل صناعة الفخار المزخرف مثلاً . حيث يضم القالب (الطابع القومي) من الخواص أقل مما تضمه أي وحدة من السلاسل المنتجة (طوابع الأفراد المكونين للمجتمع محل الدراسة) ، ويتحدد هذا القالب بالتركيب بين الخواص وليس بمجرد جمعها بعضها إلى بعض ، ذلك التركيب هو الذي يحدد تفرد الطابع لأن كل خاصية على حدة قد توجد في مجتمعات أخرى» (٤٧٩ : ٦١) .

ويعرض جورر كذلك تشبيهاً آخر أكثر دقة بين عمل الباحث في هذا النوع من الدراسات وعمل عالم الحفريات فيقول «في ظل مثل هذه الظروف يكون لأي تقرير عن مثل ذلك المجتمع صفة إعادة التركيب . ويصبح الشبه بين هذا التقرير والمجتمع الحي كالشبه بين تقرير عالم الحفريات الذي يعيد تركيب صورة حيوان منقرض ، والملاحظات المباشرة لعالم الحيوان» (٤٧٩ : ٧٣) . ويمضي جورر في تشبيهه قائلاً «وكما هو الحال بالنسبة لإعادة التركيب الذي يقوم به عالم الحفريات ، فإن الاختبار الرئيسي لدقة ما يتوصل إليه إنما يتمثل في إمكانية استيعابه لحقائق جديدة» (٤٧٩ : ٧٦) .

وفيما يتعلق بطبيعة الحيلولة دون الباحث والمجتمع المستهدف تشير مارجريت ميد إلى أن الباحث «قد يحال بينه والمجتمع المستهدف مكانياً نظراً لنشوب حرب مثلاً كما هو الحال بالنسبة لليابان وألمانيا في أوائل الأربعينيات أو لفرض قيود على السفر والبحث كما هو الحال حالياً بالنسبة للاتحاد السوفيتي والصين الشعبية . وقد تكون الحيلولة زمانية حيث يكون الهدف هو دراسة مجتمع لم يعد موجوداً . ويصبح الموقف آنذاك في حاجة إلى أسلوب جديد وطريقة جديدة» (٧٢٠ : ٣) . ويتفق جورر مع مارجريت ميد في ذلك تماماً (٤٧٩ : ٧٣) .

وينظر دويجكر وفريجدا (٣٦٥ : ١٦٣ ـ ١٦٤) نظرة أخرى إلى طبيعة الظروف التي يمكن أن تحول بين الباحث والاتصال المباشر الكفء بأفراد المجتمع موضع الدراسة والتي يمكن اللجوء في ظلها إلى أسلوب الدراسة عن بعد رغم صعوبته .

---

(١) الأقواس الموجودة بالفقرة واردة بالأصل .

فهما يريان أن مثل ذلك الاتصال الذي ينبغي أن يكفل له تعاون المفحوصين تعاوناً كاملاً ، وثقتهم ثقة تامة ، لا يمكن أن يتحقق على الوجه الأكمل بالنسبة لبعض المجتمعات البدائية التي يسودها التشكك في الغرباء ، وكذلك بالنسبة للمجتمعات التي لا تكفل لمواطنيها من الحرية القدر الذي يسمح لهم بالتعبير عن آراء معارضة للسلطة .

لقد أدى ظهور ذلك النوع من «الدراسة عن بعد» بما طرحه من مشكلات نظرية ومنهجية جديدة إلى تطوير أسلوب جديد للبحث وصفته مارجريت ميد بأنه يجمع «بين المناهج التي يتبعها عالم التاريخ ، وتلك التي يتبعها عالم الأنثروپولوجيا» (٣ : ٧٢٠) .

خامساً ـ مرحلة الدراسات المقارنة
من أوائل الخمسينيات حتى منتصف الستينيات في القرن العشرين

يقرر دويجكر وفريجيدا بجسم قاطع «أن البحث في الطابع القومي ينبغي أن يكون بحثاً مقارناً . . . والبحث المقارن في الطابع القومي ينبغي ـ فيما نرى ـ أن يقوم على التعاون المتبادل بين العلوم المشاركة ، حيث ينبغي أن يوضع في الاعتبار الإطار الاجتماعي ، والحضارة ، وأيضاً تاريخ البشر المعنيين إذا ما كان الهدف هو التوصل إلى صورة متماسكة وشاملة للطابع القومي . وعلى ذلك فإن التعاون المتبادل بين العلوم المشاركة سوف يفرض نفسه حالما تتضح الطبيعة الحقيقية للمشكلة» (٣٦٥: ١٦١) . بل إنهما يمضيان إلى القول بأن «علماً بالإنسان يبدو مستحيلاً دون أساس صلب من البحوث الحضارية المقارنة» (٣٦٥: ١٦٣) .

ورغم ما تميزت به بحوث المرحلة السابقة من الانتباه إلى أهمية فكرة الفريق إلا أنها تميزت كذلك بتركيز الباحث أو فريق البحث على مجتمع واحد يدرسه بعمق وشمول وقدر المستطاع هادفاً الوصول إلى صورة عامة لتكوينه السيكلوجي أو لشخصيته . أما هذه المرحلة فقد تميزت وفقاً لما يراه أنكلز وليفنسون بأن الباحثين «بدلاً من محاولة التوصل إلى صورة عامة ، أصبحوا يركزون عادة على مركب واحد . . . حلت الدراسات القائمة على استبيانات الرأي العام محل الاختبارات الاسقاطية . . . لم يعد التركيز على أمة أو مجموعة منفردة ، بل على تناول مجموعة

من الأمم في نفس الوقت وفقاً لخطة مقارنة. . . حلت العينات الكبيرة الممثلة المستقاة من مجموع السكان القومي محل العينات الصغيرة الخاصة غير الممثلة التي كانت تسود في الماضي وبدلاً من أن يربط الباحثون نتائجهم بالحضارة أو بالمجتمع ككل فإنهم أصبحوا يلتزمون حدود شريحة محدودة من البنيان الاجتماعي ، أو مجموعة معينة من الأدوار ، أو حتى مكانة اجتماعية مفردة» (٥٥٤: ٤٤٥) .

والحقيقة ـ فيما يبدو ـ أن ما ميز تلك المرحلة من بحوث مقارنة لم يكن قاصراً على مجال شخصية الجماعة وحده . بل لعله كان سمة عامة شملت الكثير من دراسات العلوم الإنسانية آنذاك . حتى أن آن أنستازي تقول «تميزت حقبة الستينيات بتزايد عدد الدراسات عبر الحضارية لتنظيم السمات» (١٨١) .

لقد قامت بحوث هذه المرحلة على أرضية خصبة من نقد مكثف انصب على افتقاد بحوث المرحلة السابقة لشروط تمثيلية العينات للمجتمعات الأصلية وبالتالي افتقادها لإمكانية المقارنة الدقيقة (٤٠٤: ٢٥٣ ـ ٢٦٦ ، ٥٢٤) .

ورغم أن لهذا النقد ما يبرره إلا أن قصور بحوث المرحلة السابقة يتطلب تفسيراً . ففضلاً عن الاستحالة العملية للحصول على عينة ممثلة من مجتمع تتم دراسته «عن بُعد» فإن سيادة منهجي التحليل النفسي والأنثروبولوجيا قد جعلا من هذه الاستحالة العملية المحتومة أمراً مبرراً مقبولاً بل ومختاراً نظرياً من قبل الباحث . يقول جورر «نظراً لأن مثل هذه الدراسات تكون حتماً من النوع الكيفي لا الكمي . وطالما أنه يستحيل الحصول على أية نتائج ثابتة كمياً وإحصائياً ، فإنني لم أعر انتباهاً كثيراً لمدى التمثيل السيولوجي للإخباريين الذين استعنت بهم رغم أنني قد حاولت أن يكونوا من أوساط اجتماعية متعددة قدر الإمكان ، ومن كل الأعمار ، ومن الجنسين» (٤٧٩ : ٨٠) ثم يمضي جورر قائلاً «لقد قمت ببحوثي على اعتقاد مؤداه أن أي فرد أمضى طفولته ومراهقته مشاركاً مشاركة كاملة في حضارته إنما هو ممثل نمطي لتلك الحضارة . وإنه يعبر عن طابعه القومي مهما كانت خصائصه الفردية. . . وقد يبدو هذا متناقضاً نظراً لأننا نكرس جل اهتمامنا وأعمقه للفروق بين الأفراد ، ولكن البشر إنما يكتسبون طابعهم القومي بنفس الطريقة ، وفي نفس الوقت ، الذي يكتسبون فيه لغتهم الأم» (٤٧٩ : ٨٠) .

سادساً ـ الموقف الراهن

إن الحديث عن المكانة الراهنة لبحوث فرع علمي معين تكتنفه ـ رغم ضرورته ـ صعاب عديدة . ولعل ذلك هو ما يدفع بالكثيرين من مؤرخي العلوم إلى الوقوف بتتبعهم التاريخي عند مرحلة معينة تتفاوت قرباً أو بعداً . ولعل الأمر نفسه يصدق أيضاً وبصورة أوضح في كتابات المؤرخين بعامة . إن فهم الدلالة التاريخية للحاضر لا يمكن أن يكتمل إلا إذا أصبح ذلك الحاضر تاريخاً . وبقدر ابتعاد هذا التاريخ تصبح قسماته أكثر وضوحاً ، ويصبح تبينها وتحديدها أكثر يسراً ، وأقرب إلى الموضوعية . غير أن دراسة الحاضر الراهن دراسة تاريخية ـ إذا ما صح التعبير ـ ورغم ما قد يعتري موضوعيتها من شوائب ، فإنها تكفل إطلالة على المستقبل لا غنى عنها لاستمرار التقدم . وبعبارة أخرى فإنه إذا كانت دراسة الماضي تتيح فهماً لما يجري في الحاضر ، فإن محاولة تبين قسمات ذلك الحاضر تتيح تنبؤاً ـ بقدر يزيد أو يقل ـ لمسار ذلك المستقبل . ولقد شغلت قضية التنبؤ بمسار التقدم العلمي عامة (١٩١ ، ٢٢٣ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٨٢ ، ٧٠٩ ، ٩٨٢) والتقدم في مجال علم النفس كذلك (٤٢٢ ، ٧٥٢) كثيراً من المتخصصين . بل إن التنبؤ بمسار علم النفس الاجتماعي بالتحديد قد حظي باهتمام ملحوظ (٣١٥ ، ٧٠٨ ، ٨٠٨ ، ٨٩٦) . وليست مثل هذه التنبؤات رجماً خالصاً بالغيب ، بل إنها تقوم على أساس من الرصد للمؤشرات الراهنة في المجال المحدد . ولسنا بصدد التنبؤ بمسار المستقبل لبحوث شخصية الجماعة إلا أننا سوف نحاول قدر ما نستطيع تبين القسمات المميزة لحاضر هذه البحوث .

إن أهم القسمات المميزة للمكانة الراهنة التي تحتلها بحوث شخصية الجماعة تتمثل فيما نرى في عدة قسمات مترابطة إلى الحد الذي يصعب فيه تفسير كل منها على حدة ولذلك فسوف نبدأ في عرضها دفعة واحدة ثم التصدي لتفسيرها معاً . وتتمثل أهم تلك القسمات في :

١ ـ انكماش حجم البحوث التي تحمل عنواناً دالاً على استهدافها دراسة شخصية الجماعة .

٢ ـ استمرار وتزايد الاهتمام بالبحوث الحضارية المقارنة .

٣ ـ استخدام تكنيكات البحث العلمي الأكثر رقياً وتطوراً .

تشهد المرحلة الراهنة انكماشاً ملحوظاً يكاد يصل إلى حد الاختفاء الكامل

للبحوث التي تحمل عنواناً كالطابع القومي أو شخصية الجماعة أو ما إلى ذلك . لم يعد ثمة وجود لبحوث تحت ذلك العنوان في مجلة **الملخصات السيكلوجية** مثلاً ، حيث يحال القارىء إلى عنوان آخر هو «بحوث حضارية مقارنة» .

ويشير هيوبيل (٥٢٤) إلى ذلك الانكماش إشارة واضحة . ويؤكد مصطفى سويف شيئاً من هذا القبيل عندما يشير إلى قلّة الدراسات التي تتناول «نمط الشخصية داخل الحضارات المختلفة» (١٤٢: ٣) معقباً بقوله «ولا جدال في أن هذا النقص الواضح في هذا النوع من البحوث يمثل ثغرة مؤذية في الميدان» (١٤٢: ٣) .

ويقابل ذلك الانكماش أو النقص ازدهار واهتمام واضحين في مجال البحوث الحضارية المقارنة (١٤٢: ٣) . لقد انكمشت بحوث شخصية الجماعة وازدهرت في نفس الوقت البحوث الحضارية المقارنة . ترى هل ثمة علاقة بين الظاهرتين؟ .

يقول لوفاين في مقال نشر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين «إن دراسات شخصية الجماعة تعد الآن في حقيقة الأمر من مخلفات الماضي ، وسوف تكون بؤرة التحليل في الدراسات الأحدث هي العلاقة بين الشخصية وبعض المتغيرات الأخرى بدلاً من التركيز على خصائص شخصية الجماعة في حد ذاتها» (٦٤٩) .

ولو سلمنا بأن نبوءة لوفاين قد تحققت ، فإن السؤال الذي يواجهنا على الفور هو لماذا إذن لا تتم هذه الدراسات الحضارية المقارنة في إطار من محاولة التوصل إلى فهم لشخصية الجماعة ؟ خاصة وأن ثمة اتجاهاً له ما يبرره يرى أن البحث في مجال شخصية الجماعة لا بد وأن يكون بحثاً مقارناً (٣٦٥: ١٦١) . بعبارة أخرى لماذا انتقل الاهتمام والتركيز ، ولم يصحب ذلك انتقال للإطار أو للهدف ؟ .

وقبل محاولة الإجابة على هذه التساؤلات ، هناك سؤال سبقهما منطقياً : ترى أما زالت هناك حاجة لبحوث شخصية الجماعة ؟ فليس غريباً في تاريخ العلم أن تظهر موجة من البحوث تنصب على موضوع معين ثم لا تلبث هذه الموجة أن تنحسر وتتلاشى . إما لأنها قد قدمت كل ما لديها ، ولم يعد موضوعها في حاجة إلى مزيد من البحوث . وإما لأن ظهورها كان تلبية لحاجات إنسانية طارئة لم تعد بالحاجات الملحة بعد ذلك . وفيما نرى فإن أياً من السببين لا يصلح لتفسير انكماش بحوث شخصية الجماعة .

من الناحية الأولى ما زال لدى بحوث شخصية الجماعة ما تقدمه على المستوى

النظري (٣٦٥ : ١٥٩) فضلاً عن أن التساؤلات التي طرحتها تلك البحوث ما زالت مطروحة ملحة حتى اليوم (٣٦٥ : ١٦٧) .

ومن ناحية أخرى فإن الظروف السياسية التي شهدها عالم الحرب العالمية الثانية والتي أدت إلى ازدهار تلك البحوث ما زالت قائمة وبشكل أكثر حدة في عالمنا المعاصر . صحيح أن نظرية التفوق الآري قد خفتت ، ولكن الصراعات العنصرية ما زالت قائمة على أشدها (٧٣ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ٣٣٠ ، ٤١٢ ، ٨١٥ ، ٨٩٠ ، ٩٧٤ ، ٩٨٣) صحيح كذلك أن الصراع الساخن بين دول الحلفاء قد انتهى ، ولكن الصراع البارد ـ أو السلمي إذا صح التعبير ـ ما زال محتدماً بين مختلف التكتلات السياسية الكبرى ، بل ما زال ساخناً في بعض المناطق . وإذا كانت دراسات شخصية الجماعة قد لعبت دورها ـ بدرجة أو بأخرى كأحد الأسلحة في الصراعات الساخنة آنذاك فإن أهمية هذا الدور تتزايد ولا شك في مناخ الصراعات الباردة . وبالإضافة إلى ذلك كله فإن عالم اليوم يشهد تعاظماً لمشاكل القومية سواء بنضج قوميات جديدة أو بمحاولة استنبات قوميات مصطنعة أو باستفحال الصراعات ذات الطابع القومي . كل ذلك يجعلنا أقرب إلى ترجيح أن الاحتياجات العملية لعالم اليوم ما زالت تتطلب وبإلحاح مزيداً من بحوث شخصية الجماعة .

لماذا إذن انتقل الاهتمام والتركيز إلى مجال البحوث الحضارية المقارنة دون أن يصحب هذا انتقال للإطار أو للهدف ؟ لو نظرنا إلى هذه الحصيلة الهائلة من البحوث الحضارية المقارنة (٣٥٠) لتبينا أنها إذا ما قورنت ببحوث شخصية الجماعة تتسم بخاصية ملفتة للنظر هي أنها لا تكاد تفصح مطلقاً عن أن ثمة ما يربطها بأية أهداف سياسية . وليس حتماً بطبيعة الحال أن يكون لأي بحث علمي هدف سياسي واضح ومعلن . ولكن طبيعة البحوث السابقة في هذا المجال وما كان يميزها من أهداف سياسية واضحة ومعلنة هو ما قد يبرر طرح مثل هذه القضية .

ترى أهو عزوف انتاب علماء الإنسانيات ـ لسبب أو لآخر ـ عن الخوض في القضايا السياسية الملحة المعاصرة ؟ أم إنه عزوف دفع بأصحاب السلطات المتصارعة في عالم اليوم بعيداً عن الاهتمام بتلك البحوث رغم ما نعتقده من أهميتها لهم ؟ .

إن نظرة إلى البحوث المعاصرة في مجال الإنسانيات بعامة ، وفي الولايات

المتحدة على وجه الخصوص كفيلة بتوضيح أن هذه المرحلة بالتحديد تشهد تزايداً ملحوظاً ومعلناً في اتجاه مزيد من اهتمام علماء الإنسانيات بالقضايا المعاصرة (٤٠٢ ، ٤١٥ ، ٤٢٤ ، ٥٤٢ ، ٧٥١ ، ٧٩٦ ، ٨٩٤ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٤ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣) .

على أي حال فإن أنكلز وليفنسون يشيران في جملة عابرة أقرب إلى التلميح إلى ما قد يكون بمثابة المفتاح لتبين ذلك الغموض . يعلق أنكلز وليفنسون على تزايد انتشار ذلك النوع من البحوث الحضارية المقارنة بقولهما «رغم أن ذلك النمط الجديد من الدراسات لا يهدف في أغلب الأحيان إلى وصف أنماط شخصية الجماعة ، فإنه يمثل مصدراً رئيسياً لتحقيق ذلك بشكل دقيق» (٥٥٤ : ٤٤٥) .

ونحن نتفق مع هذا الذي يذهب إليه أنكلز وليفنسون من أن الدراسات الحضارية المقارنة تمثل المصدر الرئيسي حالياً لتحقيق المعرفة الدقيقة عن شخصية الجماعة ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار تقدم التكنيكات التي تسمح بإمكانيات هائلة سواء من حيث تجميع النتائج أو إجراء المقارنات (٦٨١) .

ما دامت الحاجة إلى تلك البحوث قائمة ، والاهتمام بمثل تلك المشكلات متوافر ، وأساليب البحث أكثر دقة وإحكاماً عما كانت ، فإن هذا الانكماش الظاهر يصبح في حاجة ملحة إلى التفسير .

هذا الانكماش ـ فيما يبدو لنا ـ ليس إلا مظهراً سطحياً زائفاً . بمعنى أنه رغم عدم إجراء بحوث ميدانية تهدف صراحة ومباشرة إلى دراسة شخصية جماعة معينة ، فإن الهدف من مثل هذه البحوث إنما يتحقق بالفعل وبشكل أدق بكثير من خلال استغلال التكنيكات المتطورة في تجميع وتصنيف وتحليل وتركيب البيانات . خاصة حيال ذلك الكم الهائل من النتائج المتفرقة التي توصلت ـ وتتوصل ـ إليها بحوث عديدة تجري بالفعل على كافة المجتمعات المعروفة تقريباً . ويتضح هذا على سبيل المثال من مجرد الاستعراض العابر لأسماء البلدان التي شملتها تلك الدراسات الحضارية المقارنة كما توردها مجلة **الملخصات السيكلوجية** في السنوات الأخيرة .

ولو صح هذا لواجهنا تساؤلاً جديداً مؤداه : لقد كانت بحوث شخصية الجماعة فيما سبق تنشر وبكثرة معلنة عن أهدافها السياسية محددة إياها . فإذا ما كانت هذه

البحوث ما زالت تجري ولو بأسلوب آخر فما الذي يبرر عدم نشرها معلنة عن أهدافها السياسية ؟ .

ينبغي أن نشير أولاً إلى أن حديثنا في هذا الصدد لا بد وأن ينصب على الولايات المتحدة الأمريكية أساساً . ليس فحسب لأنها كانت منبع ذلك النوع من البحوث ذات الأهداف السياسية المعلنة . بل لأنها ـ فيما نرى ـ ولنفس الأسباب تعد بمثابة المستقر لذلك النوع الجديد من البحوث أيضاً ومن هنا فإن الإجابة على التساؤل المطروح تقضي محاولة تبين الظروف الفعلية المحيطة بإجراء البحوث السيكلوجية في الولايات المتحدة الأمريكية .

في نهاية عام ألف وتسعمائة وسبعين نشرت عالمة النفس الأمريكية ليزلي هيكس وزملاؤها (٥٢٢) مقالاً يهدف إلى تقديم المعلومات التي تيسر للباحثين السيكلوجيين الاستفادة من مصادر تمويل البحوث النفسية في الولايات المتحدة . ويؤكد المقال بوضوح أن الهيئات الحكومية تمول هذه البحوث بأكثر من تمويل المنح الفردية أو الأهلية . لقد بلغت تلك المنح الحكومية مائة وثلاثة عشر مليوناً من الدولارات عام ألف وتسعمائة وسبعين مقابل مائة وتسعة ملايين عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين . ويتضح من المقال أيضاً أن أهم الجهات الحكومية التي تقدم تلك المنح إنما هي جهات عسكرية تتمثل في إدارة البحوث بوزارة الدفاع ، ووكالة المشروعات المتطورة بالبنتاجون ، وإدارة بحوث سلاح البحرية ، وإدارة بحوث القوات الجوية ، وإدارة بحوث القوات البرية .

ويتفق ذلك مع ما يشير إليه باورز في مقال له نشر عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين بقوله «إن مستوى دعم المصادر العسكرية للعلوم السلوكية الآن يفوق بكثير نظيره في الأربعينيات. . . فعلى مستوى المبالغ المعتمدة تزايد ما كان يقدر إجمالاً بحوالي مليوني دولار إلى ما يقرب من العشرين مليوناً من الدولارات . وعلى مستوى التنظيمات تشهد هذه الأعوام أقساماً للعلوم السلوكية تقام في مكتب سكرتارية وزارة الدفاع . وفي مراكز قيادات القوات المسلحة الثلاث يشكل العلماء السلوكيون مكاتباً علمية استشارية . وقد أقيمت أيضاً أقسام منظمة للعلوم السلوكية في وكالات البحوث الأساسية مثل مكتب بحوث البحرية ، ومكتب البحوث العلمية للقوات الجوية. . . ورغم أن الكتلة الأساسية لهذا النشاط الذي تقوم به العلوم السلوكية تقع الآن على

عاتق علم النفس وعلمائه ، فإن ثمة نسبة متزايدة من علم الاجتماع وعلمائه أيضاً» (٢٧٢ : ٢٦٦) .

وبالفعل فقد أسفر هذا النشاط المكثف عن العديد من برامج البحوث التي شهدتها فترة الحرب الكورية على الخصوص (٢٧٢ : ٢٤٣ ـ ٢٤٥) ومرحلة الحرب الباردة والحروب المحدودة بشكل عام (٢٧٢ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

لقد دفعت ظروف ما بعد عام ألف وتسعمائة وخمسين بالجيش الأمريكي إلى إعداد نفسه لاحتمال خوض حروب «مع عدد كبير من المجتمعات الأجنبية» (٢٧٢ : ٢٤٠) مما يتطلب «دراسات دقيقة لأساليب حياة هذه الشعوب التي قد تحدث معها التصادمات» (٢٧٢ : ٢٤٠) . وقد بلغ من اهتمام المؤسسة العسكرية الأمريكية بهذه الدراسات الحد الذي أدى عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين إلى إنشاء قسم خاص بالجامعة الأمريكية في واشنطون يتفرغ أعضاؤه تماماً لمثل تلك البحوث وسمي مكتب بحوث العمليات الخاصة SORO وقد قام هذا المكتب بدراسات شملت خمسين بلداً أجنبياً متنوعاً تضم فيما بينها الاتحاد السوفيتي ، والصين ، والهند ، ولاوس ، وغينيا ، ولبنان ، وكوبا ، وفرموزا (٢٧٢ : ٢٤٠) .

ويشرح باورز طبيعة الظروف التي أحاطت بهذا النشاط المكثف قائلاً «لقد أصبح واضحاً بعد الحرب العالمية الثانية أن التخطيط العسكري يحتاج إلى تقديرات يمكن الركون إليها تماماً بشأن قدرة المناطق الاقتصادية والاجتماعية وشبكات المراكز الحضارية على الصمود في وجه هجوم ذري» (٢٧٢ : ٢٤١) .

ولقد تمت بالفعل الخطوة الأولى لتحقيق ذلك متمثلة في اتفاق هيئة بحوث المصادر البشرية التابعة للقوات الجوية HRRI مع مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية التابع لجامعة كولومبيا على مشروع بحث يشرف عليه العالم الاجتماعي كنجزلي دافيس وذلك بهدف إنجاز «كشاف شامل للمصادر الحضرية في العالم يتضمن ملفات بالمعلومات الأساسية عن كل مدينة كبرى في العالم بحيث تمكن تلك البيانات المحللين من إجراء دراسات مقارنة. . . وتطوير أساليب أكثر قابلية للاعتماد عليها من أجل اختيار أهداف القصف الجوي» (٢٧٢ : ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

ويشير باورز إلى عديد من نماذج هذه البحوث العسكرية الأكاديمية المشتركة مشيراً إلى ذلك التعاقد الذي أبرم أيضاً بين هيئة بحوث المصادر البشرية التابعة

للقوات الجوية ، ومركز البحوث الروسية التابعة لجامعة هارفارد . وقد أجريت بمقتضى هذا التعاقد ، وتحت إشراف كلايد كلاكهون دراسة استمرت أربع سنوات بهدف معرفة طبيعة الحياة «كما تبدو داخل الاتحاد السوفيتي» (٢٧٢ : ٢٣٩) وثمة مؤشرات أخرى تؤكد نوعية مثل تلك البحوث (٢٠٩ : ٥٥٣) .

البحوث التي أجريت وتجري إذن لا يمكن بحال أن تكون قد انكمشت . ونستطيع أن نلتمس جانباً من أسباب ضآلة حجم المنشور منها في قول باورز «إن جانباً ضئيلاً فحسب من قصة الاستخدامات العسكرية لعلم الاجتماع هو الذي تضمه الوثائق العامة المنشورة . أما الجزء الأكبر فيوجد في تقارير ما زالت موضع التطبيق العلمي ، وفي توجيهات القادة العسكريين وفي تلك الوثائق والنشرات المحدودة التي لا تضم عادة إلى الملفات الرسمية فيما بعد تاريخ معين ، وبالتالي لا يمكن الرجوع إليها إلا في الملفات الشخصية . ورغم كثرة الأمثلة التي أوردناها ، فما زال الجانب الأكبر ، وربما الجانب الرئيسي من القصة باق في ذكريات المشاركين فيها فحسب» (٢٧٢ : ٢٦٧) .

إن تناقص المنشور من هذه البحوث لا يرجع إذن إلى تضاؤل في حجمها الفعلي أو في حجم الاهتمام بها ، بل على العكس فلعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا ما قلنا أنه يرجع إلى أن تزايد ذلك الاهتمام قد بلغ الحد الذي جعل لنتائج تلك البحوث من القيمة العملية التطبيقية المباشرة ما يحول دون نشرها .

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك العامل الذي أورده باورز عاملاً آخر لا يقل عنه أهمية فيما نرى . لقد اكتسبت مثل تلك البحوث الأمريكية سمعة مؤداها أنها إنما تجري بهدف الإضرار بالشعوب . ولعل الدليل الواضح على جذور وتأثيرات ذلك يتضح فيما عرف باسم مشروع كاميلوت وهو واحد من المشروعات التي كان يقوم بها مكتب بحوث العمليات الخاصة التابع للجامعة الأمريكية بواشنطون SORO بمنحة تبلغ ستة ملايين دولار ولفترة كان مقدراً أن تستمر أربع سنوات . وقد كان الهدف من مشروع كاميلوت هو دراسة الظروف التي يمكن أن تؤدي إلى التدخل العسكري في مختلف البلدان النامية وقد انكشف الهدف الحقيقي الذي كان متكتماً للمشروع نتيجة «خطأ» أحد المشرفين عليه بتورطه في الحديث عن ذلك الهدف مع أحد المسئولين في حكومة شيلي مما أدى إلى إحداث فضيحة مدوية فضلاً عن توقف المشروع نفسه (٢٤٦ ، ٤٣٢ : ٣٩٧ - ٣٩٩ ، ٥٣٣ ، ٧٦٨ ، ٩٢٦ ، ٩٩٦) .

وعلى أي حال فإنه يمكننا الاستدلال على ما نذهب إليه من أن دراسات شخصية الجماعة ما زالت قائمة ونشطة من أمثلة قريبة الصلة بموضوع دراستنا . إن العديد من الدراسات تنشر حالياً بأقلام إسرائيلية وغير إسرائيلية عن مقومات الشخصية العربية وعن الصراع العربي الإسرائيلي (١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٣٠ ، ٩٦٩) . وتكشف هذه الدراسات بوضوح رغم تباين المسميات والمستوى العلمي والدعائي أن موضوع شخصية الجماعة يحظى بقدر كبير من الاهتمام التطبيقي لدى الاسرائيليين في مواجهتهم الراهنة للعرب . بل إن فهماً معيناً للشخصية المصرية بالتحديد قد أسهم - فيما نرى - في التخطيط العسكري الإسرائيلي لعمليات يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين (١١٢ : ٢٨ - ٣٠) .

الفصل الثالث
شخصية الجماعة : تعريف مقترح

مشكلة التعريفات في مجال شخصية الجماعة :

ليس التعريف في النهاية سوى موافقة واتفاق . موافقة لفظ معين لمعنى معين تندرج تحته مجموعة محددة متمايزة من الوقائع . واتفاق المعنيين بالأمر على صواب هذه الموافقة . أو بعبارة أخرى اصطلاحهم على أن هذا اللفظ يحمل ذلك المعنى الذي تندرج تحته تلك المجموعة المحددة من الوقائع .

وبهذا فإن التعريف يسهم في تحديد طبيعة وخصائص الوقائع التي يمكن دراستها في سياق معين ويسهم بالتالي في تحديد طبيعة مناهج الدراسة وأدواتها (٣٦٥ : ١٢) . وتعد دراسات شخصية الجماعة مجالاً نموذجياً تتجلى فيه مشكلة التعريفات والمصطلحات في مجال العلوم الإنسانية كأوضح ما يكون (٤٧٩ ، ٥٥٤ : ٤١٨ ، ٣٦٥ : ١٢) .

يشير دويجكر وفريجدا إلى أن التعريفات في هذا المجال ـ مجال دراسات شخصية الجماعة ـ تكاد أن تتعدد بتعدد الكتابات في الموضوع أي أنها تعد بالمئات . فعدد التعريفات يفوق عدد الذين كتبوا في الموضوع نظراً لما اعتاده غالبية المؤلفين من إدخال تغييرات وتطويرات مستمرة على تعريفاتهم (٣٦٥ : ١٢) .

ويشير انكلز وليفنسون في حديثهما عن مشكلات التعريف إلى أنه «بالرغم من كثرة وتنوع الاتجاهات النظرية كما هو واضح في التراث ، فإنه لا يوجد سوى عدد قليل نسبياً من التعريفات الدقيقة للطابع القومي ، ومن المناقشات المتعلقة بآفاق وحدود هذا المجال من الدراسة» (٥٥٤ : ٤٢٣) .

ورغم ما بذله دويجكر وفريجدا من جهد في حصر وعرض ما اعتبراه «مجرد عينة من التعريفات الجارية آملين على الأقل أن تكون هذه العينة ممثلة لمدارس الفكر الرئيسية» (٣٦٥: ١٢) ، ورغم ما استغرقه عرض هـذه العينة من صفحـات ، وما تضمنـه من تحـديـد لستـة تعـريفـات أو معـان مختلفـة لشخصيـة الجمـاعـة (٣٦٥ : ١٢ ـ ٣٦) ، رغم كل ذلك فإننا نستطيع على أي حال أن نضيف إلى تلك التعريفات والمعاني المتعددة معان وتعريفـات أخرى لا تمت بصلة إلى تلك التي أوردهـا دويجكر وفـريجدا أو انكلز وليفنسـون (٣٠٤، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١).

ويشير سوروكين (٩٤٠) كذلك إلى أن من أبرز العيوب التي تعاني منها غالبية دراسات الطابع القومي أنها لا تتضمن تعريفاً لما تعنيه بالقومية أو الطابع القومي ، وأنها إذا ما تضمنت مثل ذلك التعريف فإنه غالباً ما يكون تعريفاً غامضاً . ويشير جورر أيضاً (٤٧٩ : ٥٧) إلى ما يعـانيه مصـطلح الطابـع القومي من «غمـوض وبعد عن الدقة» .

ولا يرجع ذلك التعدد والتضارب والغموض إلى مجرد اعتياد المؤلفين إدخال تغييرات وتطويرات على تعريفاتهم كما يرى دويجكر وفـريجدا (٣٦٥: ١٢) . ولا أيضـاً إلى مجرد اعتبـارات عمليـة أحـاطت بـالمـلابسـات الأولى لاستخـدام تلك المصطلحات كما يرى جورر (٤٧٩ : ٥٧) . إن ذلك إنما يرجع ـ فيما نرى ـ إلى أسباب أكثر عمقاً وتنوعاً أهمها أن البحث في موضوع شخصية الجماعة يفرض في حد ذاته اشتراك كافة العلوم الإنسانية في الإدلاء بدلوها فيه . ومن هنا ، ونظراً لتباين المناهج والمدارس ووجهات النظر بين كل من تلك العلوم وبعضها ، كان حتماً أن تتباين التعريفات والتفسيرات والمصطلحات . ومن ناحية أخرى فإن تعدد المناهج والمدارس ووجهات النظر داخل كل من تلك العلوم على حدة قد أدى بدوره إلى تباين التعريفات والتفسيرات والمصطلحات التي يقدمها أصحاب التخصص الواحد في هذا المجال .

وليس من فائدة ـ فيما نرى ـ في الوقوف عند حد العرض ولو بالنقد والتحليل لكـل من تلك التفسيرات المعقـدة المتشابكـة . إننا نتفق مـع ما يشيـر إليه انكلز وليفنسون (٥٥٤ : ٤٢٣) من أن عدم وجود تعريف محـدد ودقيق لمصطلح الـطابع القومي أمر لم يكن يخلو من فائدة ، فقد شجع التعبير عن الأفكار الجديدة وسمح بتصارعها تصارعاً لازماً لمثل هذا المجال الجديد . ورغم ذلك الاتفاق فإنه يبدو لنا

الآن وبعد تراكم قدر كبير من البحوث والاجتهادات في هذا المجال أنه من المناسب بل والضروري طرح تعريف محدد لمفهوم شخصية الجماعة تتوافر فيه عدة شروط تمليها من ناحية وظيفة التعريف بعامة ، وتمليها من ناحية أخرى طبيعة الموضوع . وأهم هذه الشروط هي :

١ ـ أن يكفل التعريف تغطية لأكبر قدر ممكن من التراث القائم بالفعل في هذا المجال .

٢ ـ أن يكون تعريفاً إنسانياً شاملاً بمعنى أن يكون نابعاً من العلوم الإنسانية ككل ، صالحاً في نفس الوقت لتغطية اجتهادات وإسهامات كل من تلك العلوم المشاركة في المجال .

٣ ـ أن يتسم بقدر من المرونة يسمح بتغطية إسهامات المدارس المختلفة داخل كل تخصص علمي من تخصصات العلوم الإنسانية .

٤ ـ أن يكفل استمرارية البحث في هذا المجال بوضعه في الاعتبار عامل تغير الظاهرة موضع الدراسة .

٥ ـ أن يكفل اختبارية لصحة نتائج البحوث في هذا المجال .

وانطلاقاً من هذه الشروط ، يمكننا أن نطرح تعريفاً نتصوره أقرب إلى استيفائها محاولين من خلال مناقشتنا له جزءاً فجزءاً التعرض بالمقارنة لأهم التعريفات الأخرى .

التعريف المقترح وتحديداته :

«شخصية الجماعة : هي مجمل تلك الخصائص المستمرة نسبياً الذي يكفل فهماً تفسيرياً وتنبؤياً للنشاطات الظاهرة لأعضاء جماعة معينة ، في فترة تاريخية محددة ، يتسم بالاتساق داخلياً وخارجياً» .

(أ) مجمل :

ونعني بهذا التعبير حصيلة تفاعل الخصائص المختلفة . فنفس الخصائص قد توجد لدى العديد من الجماعات ، ولكن ما يميز جماعة عن أخرى هو الصورة المتكاملة التركيبية لتفاعل تلك الخصائص معاً في ظل ظروف محددة .

(ب) **الخصائص** :

يشير دويجكر وفريجدا ـ في معرض حديثهما عن قضية التعريف في دراسات الطابع القومي إلى «أن هناك العديد من المعاني المختلفة التي يمكن أن يتناول بها التعبير ، وأنه لسهل ـ رغم خطورته ـ تجاهل أن العديد من النظريات والأساليب لا تناسب إلا تعريفاً واحداً للطابع القومي فحسب» (٣٦٥: ١٦٤) .

ولتلافي ذلك القصور آثرنا اختيار تعبير «الخصائص» الذي يحقق أكبر قدر من الشمول والعمومية . متلافين العديد من التعبيرات الأخرى المستخدمة في هذا المجال مثل «السمات النفسية» (٣٦٥: ١٢) ، أو «الخصائص والأنماط الشخصية» (١٤ ، ٥٥٤ ، ٤٢٨) ، أو «تكوين الشخصية» (٣٦٥ ، ١٧ ، ٥٥٤: ٤٢٤) ، أو «انساق الاتجاهات والقيم والمعتقدات» (٣٦٥: ٢٠) ، أو «المعطيات السلوكية المميزة» (٣٦٥: ٢٣) أو «نواة بناء الطابع» (٥٥٤: ٤٢٥) .

إن مثل هذه التعبيرات التي تبدو أكثر تحديداً ـ بل وبسبب ذلك التحديد ـ تضيق من نطاق تطبيق المصطلح بحصره ابتداء في مجال علم النفس دون غيره من العلوم الإنسانية ، فضلاً عن أن كلاً منها يوصد الطريق في وجه أي من المدارس النفسية التي قد لا تتفق مع منطلقه النظري .

وليس من بأس بطبيعة الحال من اختلاف وتباين الآراء ووجهات النظر سواء داخل كل علم أو بين العلوم الإنسانية المختلفة . ولكن التزام التعريف بنطاق علم محدد دون بقية العلوم ، والتزامه بمدرسة معينة دون بقية المدارس إنما يؤدي كما أدى بالفعل إلى اتجاه كل علم ، بل كل مدرسة ، بل حتى كل باحث إلى صياغة تعريف خاص لا ينطبق إلا على بحث محدد بالذات أو على مجموعة محدودة من البحوث . وذلك ـ فيما نرى ـ إخلال بما ينبغي أن يتوافر للتعريف من عمومية تسمح باختلاف وجهات النظر دون أن تستبعدها .

ولذلك فإن اختيار كلمة «الخصائص» على إطلاقها دون اردافها بصفة النفسية يفتح الطريق أمام اجتهادات العلوم المشاركة جميعاً لتناول تلك الخصائص كل من منطلقه المتخصص ، ودون أن يخل ذلك ببناء التعريف . فلا بأس من أن ينصب التعريف على الخصائص الجغرافية أو التاريخية أو النفسية أو الأنثروبولوجية إلى آخره . ومن ناحية أخرى فإن إطلاق ذلك التعبير دون تحديد يتيح أيضاً في نطاق علم

النفس تغطية ما هو شعوري أو لا شعوري ، وما هو موروث أو مكتسب مما تختلف فيه الآراء والتقييمات .

(جـ) المستمرة :

والمقصود بالاستمرار هو التواتر على المدى الزمني . وهو يعني في حدود التعريف المقترح تحاشي الانزلاق إلى التعميم من معطيات واقعية مؤقتة ، أو من مظاهر أو ردود أفعال لمواقف عابرة . كفزع يعم أعضاء الجماعة عند حدوث كارثة طبيعية ، أو زهو يبدو عليهم وقد حققوا انتصاراً على عدو ، أو تماسك يبدون عليه حيال خطر داهم ، أو وجوم يعتريهم عند فقد عزيز .

صحيح أن مثل هذه المعطيات المؤقتة أو المواقف العابرة قد تمارس تأثيراً مستقبلياً على شخصية الجماعة . بل وقد يكون صحيحاً كذلك أن شخصية الجماعة قد مارست بقدر أو بآخر تأثيرها في تشكيل مثل تلك المواقف أو المعطيات ولكن التسليم بكل ذلك لا ينبغي أن يقلل من ضرورة الحذر من التعميم المبالغ فيه . ومثل ذلك الحذر لا يعني بدوره إغفالاً لمحاولة رصد وتفسير مثل تلك المواقف أو المعطيات المؤقتة في حدود دلالتها كنتائج أو كمؤثرات مستقبلية لتشكيل شخصية الجماعة .

(د) نسبياً :

ليس ثمة استمرار مطلق في العلم بعامة ، ومن هنا كان لزاماً في هذا التعريف أن يقترن الاستمرار بالنسبية . وإذا كانت الاستمرارية هي التواتر على المدى الزمني ، فإن تقدير ذلك المدى في مجال بحوث شخصية الجماعة أمر تحدده ظروف عديدة تتعلق باستراتيجية كل بحث على حدة . وهي تختلف تبعاً لتخصص الباحث ، ولطبيعة الجماعة موضوع الدراسة ، بل وأيضاً تبعاً للهدف من البحث . وفي كل هذه الأحوال يبقى صحيحاً أنه كلما اتسع ذلك المدى الزمني ـ أي كلما ازدادت استمرارية الخصائص التي يستند إليها الباحث ـ ازداد اقتراب النتائج من الصحة .

وقد أغفلت بعض التعريفات الأخرى الإشارة إلى ضرورة توافر ذلك الاستمرار النسبي للخصائص (٣٦٥: ١٢ ، ٢٢) وإن كانت بعض التعريفات قد أشارت إلى ذلك صراحة (٣٦٥: ١٤ ، ٥٥٤: ٤٢٨) أو ضمناً (٣٦٥: ١٧ ، ٥٥٤: ٤٢٤) .

(هـ) الذي يكفل فهماً تفسيرياً وتنبؤياً :

والمقصود أنه ينبغي أن يتوافر فيما يتوصل إليه الباحث من مجمل للخصائص أمرين : أن يقدم تفسيراً لما هو قائم ثم أن يسهم في التنبؤ بما هو قادم . وكلا الأمرين شرط أساسي لأية معرفة علمية . فبدون التفسير يفقد العلم قيمته المعرفية ، وبدون التنبؤ يفقد قيمته العملية أيضاً .

وفضلاً عن ذلك فإن الاهتمام بشرط الفهم في مجال هذا التعريف يعد على المستوى التفسيري محكاً لمدى صدق النتائج الجزئية التي يتوصل إليها الباحث المعين أو مجموعة الباحثين المشكلين لفريق البحث . ومن ناحية أخرى فإنه يعد على المستوى التنبؤي محكاً مستمراً لصدق نتائج البحث في المجال بعامة . ومن ناحية ثالثة فإنه يعد على المستوى التنبؤي أيضاً ضماناً لاستمرارية البحث في هذا المجال طالما ارتبط التنبؤ بالمستقبل وطالما كان الزمن في صيرورة مستمرة .

ومثل ذلك التأكيد على الفهم التفسيري التنبؤي قد افتقدته كافة التعريفات المتاحة في هذا المجال ، وهو فيما نتصور أهم ما ينبغي توافره في التعريف .

(و) للنشاطات الظاهرة :

تشمل النشاطات في هذا التعريف كافة ما يمارسه أفراد الجماعة من نشاطات إنسانية تتمثل على سبيل المثال لا الحصر في : أنماط سلوكية ، وعادات ، وقيم ، واتجاهات ، وتشريعات ، وتنظيمات اجتماعية ، وإنتاج أدبي وعلمي وفني . . . الخ .

وهذه النشاطات إنما هي بمثابة الوقائع القائمة بالفعل والتي تسعى الدراسات والبحوث إلى أن تستخلص منها ذلك المفهوم النظري الافتراضي الذي ينصب عليه هذا التعريف أي «شخصية الجماعة» . ومن هنا وجب أن يكون واضحاً أن المقصود بتلك النشاطات هو ما ظهر منها وأمكن ملاحظته فحسب . والهدف من ذلك التحديد هو تجنب الانزلاق إلى استخلاص المفهوم النظري الافتراضي المطلوب (أي شخصية الجماعة) من مفاهيم افتراضية أخرى بدلاً من استخلاصه من وقائع قائمة بالفعل . بعبارة أخرى فإن القصد من إضافة صفة الظاهر كان محاولة لإحكام الفصل بين الفروض والوقائع أو بين التفسير والتسجيل .

(ز) لأعضـاء :

فضلنا استخدام هذا التعبير مهملين عن قصد غيره من التعبيرات المتاحـة . فالبعض يستخدم تعبير «المواطنون» (٣٦٥ : ١٢) . وغني عن البيان ما يثيره مفهوم المواطنة من إشكالات عملية وتطبيقية (٨٠٤) . ويستخدم البعض تعبير «الأعضـاء الراشدين» مستبعدين بذلك من نطاق التعريف من تقل أعمـارهم عن سن معين . ويتبنى انكلز وليفنسون هذا الاتجاه ويفسرانه بقولهمـا : «إن التركيـز على شخصية الراشد إنما يتحدد بسؤالين أساسيين في هذا المجال :

١ ـ ما هو دور سمـات الشخصية المنـوالية في إرسـاء وإقامـة وتغيير الأبنيـة السلوكية الأيديولوجية الجماعية ؟

٢ ـ ما هو دور القوى الاجتماعية الحضارية في خلق وتغيير سمات الشخصية المنوالية ؟ ويتعلق السؤال الأول كلية تقريباً بالراشدين ، أي بأولئك الذين يسهمون في تحمل مسئوليات المؤسسات المجتمعية ، والذين يحددون السياسة الجماعية . أما بالنسبة للسؤال الثاني فإن الشخصية المنوالية للراشدين تعد بمثابة المتغير المعتمد أو تلك الظاهرة التي ينبغي فهمها . **وعلى أي حال فإن الإجابة على السؤال الثاني تقتضي البدء من الطفولة ودراسة التطور من خلال كافة مستويات العمر السابقة على الرشد»** (٥٥٤ : ٤٢٦)[1] .

ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا على هذا الاتجاه فيما يلي : ـ

١ ـ إن تحديد المقصود بمعنى «الرشد» يثير العديد من الخلافات سواء على المستوى النظري العام أو من حيث التحديد العمري الذي يتفاوت من مجتمع إلى آخر (٥٠٥) .

إن قصر الحديث على الراشدين دون غيرهم يؤدي حتماً إلى توقف البحث عند المستوى الوصفي التسجيلي المبسّط لا يتجاوزه إلى مستوى التفسير . وفي الحقيقة فإن نتائج العديد من البحوث في هذا المجال على اختلاف اتجاهات أصحابها لم تستطع تلافي الحديث عن طرق تربية الأطفال باعتبار أن شخصية الراشد إنما تتشكل بدرجة أو بأخرى ـ وفقاً لنظرية الباحث ـ تبعاً للأسلوب الذي اتبع في تنشئته طفلاً

(١) التخطيط من لدينا .

والخبرات التي تعرض لها (١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٨ ، ٨٠٦ ، ٨١١ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٩٧٦ ، ٩٩٨ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٨ ، ١٠٢٥) .

٣ ـ إذا كانت الإشارات السابقة تتركز حول ضرورة تناول أساليب تنشئة الأطفال باعتبارها بمثابة المصادر لصياغة شخصيات راشدي المستقبل ، فإننا نستطيع أن نرى في تلك الأساليب أيضاً مظاهراً لصياغة شخصيات راشدي الحاضر . بمعنى أن الذين يقومون على تنشئة الأطفال هم الراشدون في جماعة معينة . وهم في تنشئتهم لأطفالهم إنما يعكسون أفكارهم واتجاهاتهم وعاداتهم وقيمهم إلى آخره . وبالتالي فإن أساليب تنشئة الأطفال المتبعة في جماعة معينة إنما هي تعبير عن شخصية الجماعة الراهنة وإرهاص بشخصية الجماعة المستقبلية .

ومن ناحية أخرى فإن بعض الباحثين يفضلون أن تتضمن تعريفاتهم ما يضمن اقتصار موضوع بحوث شخصية الجماعة على «غالبية» أعضاء المجتمع (٣٦٥: ١٧ ، ٥٥٤: ٤٢٤) أو غالبية المنتمين إلى حضارة ما (٣٦٥: ٢٢) أو الأنماط الشخصية «المنوالية» (٣٦٥: ١٤ ، ٥٥٤: ٤٢٨) .

ولقد بلغ من تكرار مثل هذه التحديدات الكمية في هذا المجال أن معجماً متخصصاً في علم النفس يعرف «الطابع القومي» بأنه «خصائص الشخصية الدائمة نسبياً ، والأكثر تكراراً في أمة معينة» (٧٥٩) على اعتبار أن انصراف الحديث عن شخصية الجماعة إلى «أغلبية أفراد تلك الجماعة» لم يعد في حاجة إلى مناقشة .

إن مفاهيم الأغلبية والأقلية تقوم على التسليم ابتداء بتساوي الوحدات محل القياس . وبالتالي فإذا كان الاستناد إلى مثل تلك المفاهيم مقبولاً ومبرراً بل وحتمياً في مجال الانتخابات السياسية أو التعدادات السكانية أو ما إلى ذلك ، بل وفي العديد من مجالات الدراسات النفسية الأخرى ، فإن الأمر في مجال بحوث شخصية الجماعة يبدو مختلفاً :

١ ـ إن أفراد أي جماعة إنسانية أياً كان المحك في تصنيفها لا يمكن تصورهم متساوين في تأثيراتهم على الجماعة التي ينتمون إليها . ولعل ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه مجموعة متميزة من الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي تحمل

عناويناً مثل بناء القوة (٥٤٦) أو سيكلوجية القيادة (٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٤١٦ ، ٥٦٧ ، ٩٧٠) أو ما إلى ذلك .

٢ ـ ومن ناحية أخرى فإن الجماعات الفرعية بدورها لا تمارس تأثيرات متساوية على الجماعة الأكبر التي تنتمي إليها . بل إن تلك التأثيرات تتفاوت تبعاً لخصائص كل من تلك الجماعات الفرعية . ومن هنا فإذا ما صح تجاوزاً الحديث عن أغلبية وأقلية في نطاق جماعة فرعية واحدة متجانسة ، فإن مثل ذلك الحديث يصبح مجازفة متعسفة إذا ما انصرف إلى جماعات أكبر تشمل داخلها جماعات فرعية لكل منها حجم محدد مختلف في التأثير . إن الجماعة الفرعية السائدة في مجتمع معين هي صاحبة التأثير الغلّاب في صياغة شخصية الجماعة الكبرى (أي المجتمع) ، ولا يقلل من صحة ذلك اختلاف وتباين التسميات التي تطلق على مثل تلك الجماعة الفرعية السائدة : طبقة ، أو فئة ، أو صفوة ، أو نخبة ، أو جماعة عنصرية معينة أو ما إلى ذلك . ومثل هذه الجماعات الفرعية السائدة لا تستمد سيادتها بحال من حجمها العددي بل من موقعها الاقتصادي التاريخي في المرحلة المعينة (١٩٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣١١ ، ٣٣٤: ٩٠ ، ٣٧١ ، ٥٧٧ ، ٧٨١ ، ٨١٤ ، ١٠٢٣) .

٣ ـ تتصدى بحوث شخصية الجماعة للإجابة على تساؤل عملي مؤداه : ما الذي يحتمل أن تتخذه جماعة معينة من تصرفات في موقف معين ؟ ومثل تلك التصرفات أياً كانت لا يشارك فيها أفراد الجماعة المعينة جميعاً وعلى حد سواء . بل إن الجماعة الفرعية السائدة تاريخياً يكون لها التأثير الأكبر في صياغة تلك التصرفات . ومن هنا فإن الاعتماد على «الأغلبية» اعتماداً مطلقاً يخل إخلالاً شديداً بقضية التنبؤ هذه .

٤ ـ يؤكد أصحاب مفهوم الشخصية المنوالية أن نمط الشخصية ليس مهماً في حد ذاته بل المهم هو تكراره (٣٦٥: ١٤) . إلا أنهم يحاولون وضع حدود لهذا التعميم المطلق بتأكيدهم من ناحية أخرى أن المجتمع يمكن ـ بل لا بد ـ أن يتضمن العديد من الشخصيات المنوالية (٣٦٥: ١٥) . والحقيقة أنه طالما أن التوزيع التكراري الواحد لا يمكن أن يكون له سوى منوال واحد (٣٢: ٩٩ ، ١٠٥ : ١١٤) ، فإن تعدد الشخصيات المنوالية بما يعنيه من تعدد التوزيعات التكرارية إنما يعني مباشرة تعدد الجماعات الفرعية داخل الجماعة الأصلية . وإذا ما سلمنا بذلك لم يعد

مجال للحديث عن الأغلبية والأقلية إلا داخل نطاق كل جماعة فرعية على حدة وهو ما تجاهله أصحاب ذلك المفهوم .

وعلى أي حال فإن أنكلز وليفنسون وهما من أنصار مفهوم الشخصية المنوالية يعرضان لهذا الموقف بوضوح قائلين : فيما يتعلق بالأمة الصناعية المعقدة يبدو مفهوم الطابع القومي ذو الأنماط المنوالية المتعددة هو الأكثر معقولية نظرياً ، فضلاً عن أنه الأكثر واقعية أمبيريقياً فمن غير المعقول ـ فيما يبدو ـ أن تتوفر أية خاصية معينة من خواص الشخصية. . . لدى ستين أو سبعين في المائة من أفراد أي تجمع سكاني قومي حديث . ومع ذلك فإنه يبدو معقولاً افتراض أن الأمة قد تتميز من خلال عدد محدود من المنوالات ، تبلغ خمسة أو ستة مثلاً ، ربما يضم بعضها عشرة أو خمسة عشر في المائة من السكان ، وربما يضم بعضها الآخر ما يصل إلى ثلاثين في المائة من السكان . إن مثل ذلك المفهوم للطابع القومي يمكن أن يتلاءم مع تنوعات الثقافات الفرعية الخاصة بالطبقة الاجتماعية الاقتصادية ، أو المنطقة الجغرافية الاجتماعية ، أو الجماعة السلالية ، أو ما إلى ذلك» (٥٥٢ : ٤٢٧) .

ومن هنا يبدو واضحاً ـ فيما نرى ـ أن أصحاب الشخصية المنوالية لا يقدمون حلاً حقيقياً للمشكلة . فليس من جديد في القول بتعدد الجماعات الفرعية وبالتالي تعدد خصائصها داخل المجتمع . القضية هي : هل ثمة شخصية منوالية عامة بين أفراد المجتمع معاصراً كان أم بدائياً ؟ أو بعبارة أخرى أي الشخصيات المنوالية هذه له التأثير الغلاب ؟ ترى هل الشخصية المنوالية العامة هي تلك الحاصلة على أعلى النسب ؟ إن أحداً من أصحاب مفهوم الشخصية المنوالية لم يشر إلى مثل ذلك الاستخلاص ، وهو على أي حال استخلاص غير صحيح كما سبق أن أشرنا .

٥ ـ إن محاولة وضع مثل هذا المفهوم النظري للشخصية المنوالية في التطبيق العملي لإجراء البحوث ـ **وهو ما لم يحدث قط على الوجه الأكمل** ـ يواجه مباشرة بالعديد من المشكلات المنهجية المتعلقة باختيار العينات القومية ، وهي مشكلات ليست بالهينة على أي حال (٦٠٣ ، ٩٣٢) .

(ح) جماعة معينة :

المقصود بأعضاء الجماعة كافة من تنطبق عليهم شروط عضويتها ، وقد تتعدد هذه الشروط بما قد يفوق تعدد التصنيفات المختلفة لأنواع الجماعات . وباختيار ذلك

المصطلح يختلف تعريفنا عن بقية التعريفات المطروحة وجميعاً التي استخدمت تعبيرات الأمة (٣٦٥: ١٢) والمجتمع (٣٦٥: ١٤ ، ٥٥٤: ٤٢٤) والحضارة (٣٦٥: ١٢) . وفضلاً عما تثيره مثل تلك التعبيرات من جدال في التفسير وتعدد في المعاني (٣١٧ ، ٧٥٨) فإن استخدامها يحصر الحديث في نطاق الشخصية القومية أو الشخصية المجتمعية أو الشخصية الحضارية ، دون أن يدع مجالاً للحديث عن الشخصية المهنية أو الطبقية أو العمرية إلى آخره . في حين أن هذه الفئات جميعاً إنما تضم جماعات من البشر وبالتالي فإن تعبير «جماعة معينة» يمكن أن يشملها جميعاً دون تعسف .

(ط) في فترة تاريخية محدودة :

المقصود بهذه الإشارة ، بالإضافة إلى ما أشرنا إليه في البندين «جـ» و «د» (المستمرة نسبياً) تأكيد أن شخصية الجماعة شأنها شأن كافة ما يتعرض له العلم بالدراسة خاضعة للتغيير والتغير ، وكلاهما بالنسبة لشخصية الجماعة إنما يتم في إطار تاريخي وكمحصلة للعديد من الظروف المتشابكة الاقتصادية والجغرافية والسياسية والحضارية إلى آخره . ولقد تنبه دويجكر وفريجدا لافتقاد التعريفات السائدة للبعد التاريخي فأكدا «إن المنظور التاريخي لا يعوز غالبية دراسات الطابع القومي باعتبار أن لها طبيعة أمبيريقية فحسب ، بل إنه يعوز أيضاً الأنساق التصورية الجارية التي يستخدمها أغلب المنظرين» (٥٥٤: ٤٢٨) .

إن شخصية الجماعة لا تتكون فجأة أو طفرة بل نتيجة تراكم تاريخي طويل ، يفرض على الباحث في هذا المجال تساؤلاً مؤداه : وماذا قبل ذلك ؟ ولا تحمل الوقائع الراهنة التي يتصدى لها بالتفسير إجابة مباشرة على تساؤله ، في حين أن المنظور التاريخي وحده هو الذي يمكن للباحث من خلاله أن يفسر الكثير مما يعتري تلك الوقائع الراهنة من غموض .

ومن ناحية أخرى فإن إبراز البعد التاريخي لشخصية الجماعة يفرض على الباحث أيضاً ضرورة التصدي لتساؤل مؤداه : وماذا بعد ذلك ؟ انطلاقاً من أن عملية التراكم التاريخي عملية مستمرة وأنه لا نهاية للتاريخ . ولمثل ذلك التساؤل التنبؤي أهميته ، وقد سبق أن أشرنا لأهمية التنبؤ في هذا المجال خلال حديثنا تحت البند «هـ» .

وأخيراً فإن وضع البعد التاريخي في الاعتبار عند تناول شخصية الجماعة يحتم على الباحث ، وقد سلّم بتغير الظاهرة التي يدرسها ، الاهتمام برصد إرهاصات ذلك التغير من خلال تسجيله للنشاطات الظاهرة لأعضاء الجماعة موضع البحث . وفضلاً عما لذلك من قيمة عملية فإنه في حد ذاته اختبار تنبؤي موضوعي لاستخلاصات الباحث .

(ي) يتسم بالاتساق داخلياً وخارجياً :

الاتساق الذي نعنيه اتساق على المستوى التفسيري لا التسجيلي . فليس حتماً ـ بل وحتى ليس متوقعاً ـ أن يكون ذلك الخليط الصاخب من الوقائع أو النشاطات الظاهرة متسقاً في حد ذاته . بل إن الأقرب إلى التوقع أن يسود تلك الوقائع على المستوى التسجيلي قدر ما من التفكك الظاهر وعدم الاتساق الذي لا يمكن أن يتلاشى إلا بجهد يبذله الباحث بغية الفهم . ولعل ذلك هو الحال بالنسبة للعلوم جميعاً .

ونعني بالاتساق الداخلي مدى اتفاق النتائج التي يتوصل إليها بحث معين مع القوانين العامة التي توصل إليها التخصص العلمي المحدد الذي ينتمي إليه الباحث في المرحلة الراهنة . بمعنى أن تكون تلك النتائج قابلة للفهم في إطار الحقائق العامة المتاحة في ذلك التخصص في المرحلة الراهنة .

أما الاتساق الخارجي فأمر تفرضه طبيعة البحث في موضوع شخصية الجماعة ، حيث تقتضي الإحاطة به تضافر مجموعة العلوم الإنسانية جميعاً . ويتخذ ذلك التضافر أحياناً صورة فريق البحث . إلا أن صورة الفريق هذه لا تتحقق دائماً ، فغالبية البحوث في هذا المجال قد أجراها بالفعل أفراد ، حتى ولو كانوا منتمين إلى فريق أو آخر من فرق البحث (٣٦٥: ١٧١ ـ ٢٠٨) . وحتى إذا ما توافر مثل ذلك الفريق فليس حتماً أن يضم كافة فروع العلوم الإنسانية لسبب أو لآخر . ويكفي أن نشير إلى أشهر فرق البحث في هذا المجال وهو ذلك الذي تشكّل تحت إشراف روث بندكت ، وهو الفريق الذي عرف باسم فريق جامعة كولومبيا للبحث في الحضارات المعاصرة والذي تشكل بتمويل من مكتب بحوث البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية . لقد ضم ذلك الفريق ما يزيد عن المائة عالم متخصص (٧٢١ : ٤٥٤) ليس بينهم متخصص واحد في علم التاريخ أو الاجتماع أو العلوم

السياسية . بل إن التخصصات المشاركة كانت تنحصر بالفعل في نطاق الأنثروپولوجيا وعلم النفس فحسب . إن الاتساق الخارجي يعني مدى اتفاق النتائج التي يتوصل إليها بحث معين في هذا المجال مع تلك النتائج التي تتوصل إليها بحوث أخرى تعرضت لنفس الموضوع من منطلقات إنسانية متخصصة أخرى . والإلحاح على ضرورة توافر ذلك الاتساق الخارجي ضمان لاستجابة البحث لمقتضيات الموضوع . فضلاً عن أنه يعد بمثابة المحك الرئيسي والمباشر لمدى صدق النتائج التي يتوصل إليها الباحث .

هذا هو تعريف شخصية الجماعة الذي نراه الأنسب للمستوى الراهن الذي بلغه التقدم في بحوث هذا المجال ، وفي العلوم الإنسانية بعامة .

الفصل الرابع
شخصية الجماعة : أسلوب مقترح للدراسة

الأساليب المستخدمة وتصنيفاتها السابقة :

لقد تعددت الأدوات والأساليب التي استخدمها الباحثون الذين تصدوا للبحث في شخصية الجماعة . وما دمنا بصدد تحديد الأسلوب الأمثل لتناول موضوعنا ، فإن لزاماً علينا أن نبدأ باستعراض الأساليب التي سبق اتباعها في هذا المجال .

يصنف دويجكر وفريجدا الأساليب التي اتبعت في دراسة الطابع القومي مقررين منذ البداية أنهما «سوف يميزان بين الأساليب الفردية والأساليب الجماعية . وتضم الفئة الأولى تلك الأساليب التي استهدفت تقييم الخصائص السيكلوجية للأفراد بدراسة هؤلاء الأفراد أنفسهم . وتضم الفئة الأخيرة تلك المناهج الموجهة نحو اكتشاف صفات الأفراد والتجمعات باستخدام بيانات جمعها أفراد آخرون أو تم جمعها خلال مصادر غير محددة» (٣٦٥: ٥٠) .

ثم يمضي التصنيف وفقاً لهذا التحديد على الوجه التالي (٣٦٥: ٥٠ ـ ٨٩) :

أولاً ـ الأساليب الفردية :

١ ـ الملاحظة ، وتشمل إلى جانب الملاحظة المنظمة ، تجميع الملاحظات التي أوردها ملاحظون مختلفون .

٢ ـ المقابلة التي تستهدف الحصول على بيانات واقعية مباشرة .

٣ ـ أساليب الاستبيان . وتشمل الاستبيانات المكتوبة والمقابلات المقننة ، وقوائم الشخصية وما شابه ذلك .

٤ ـ المقابلة الحرة .

٥ ـ اختبارات معينة لسمات الشخصية . وتشمل إلى جانب فئتي المقاييس الفسيولوجية والمقاييس الحسية ، الإشارة إلى ثمانية اختبارات محددة من اختبارات الشخصية كاختبار ستيوارت للاستجابة الانفعالية واختبار بافيلاس للأيديولوجية الأخلاقية ، واختبارات إكمال القصص ، والرسم الحر .

٦ ـ إحصاءات السكان ، وتشمل تلك الإحصاءات المتعلقة بانتشار الأمراض العقلية في مجتمع معين ، إلى جانب الإحصاءات الديموجرافية العامة .

٧ ـ الأساليب الإسقاطية وتضم ثلاث عشرة فئة يقتصر بعضها على اختبار إسقاطي محدد كالرورشاخ أو اختبار تفهم الموضوع أو اختبار بندر جشطلت وما إلى ذلك . وتتسع فئات أخرى لتضم الفئة مجموعة من الأدوات الإسقاطية تتبع أسلوباً واحداً كاختبارات إكمال الجمل ، والأساليب النصف إسقاطية ، وتحليل الأحلام ، والرسم الحر ، وما إلى ذلك .

ثانياً ـ بيانات ذات طبيعة جمعية :

١ ـ تحليل الطقوس .
٢ ـ تحليل التراث .
٣ ـ تحليل الأفلام .
٤ ـ تحليل اللغة .
٥ ـ تحليل أنساق التفكير الحضارية .

لقد بذل دويجكر وفريجدا جهداً واضحاً في التوصل إلى تصنيفهما المشار إليه لأساليب البحث في شخصية الجماعة . كما بذلا جهداً لا يقل وضوحاً في تبويب ما رصداه من تلك البحوث وفقاً لفئات ذلك التقسيم . إلا أن لنا اعتراضاً مبدئياً على الأساس الذي اختار دويجكر وفريجدا أن يقيما عليه تصنيفهما ، أي التقسيم إلى أساليب فردية تستهدف تقييم الخصائص السيكلوجية للأفراد بدراسة هؤلاء الأفراد أنفسهم ، وأساليب جمعية تستهدف أيضاً اكتشاف صفات الأفراد والتجمعات باستخدام بيانات جمعها أفراد آخرون أو تم جمعها خلال مصادر غير محددة . ولو نظرنا إلى ذلك التقسيم حرفياً لاتضح أنه خلو من المعنى فكلا القسمين يسعى

للحصول على بيانات تتيح له معرفة بالأفراد ، والاختلاف بين القسمين ـ وفقاً لحرفية التقسيم ـ ليس اختلافاً في طبيعة البيانات المستهدفة أو المتاحة بل إنه قاصر على كيفية حصول الباحث على تلك البيانات وما إذا كان يحصل عليها بنفسه أو يحصل عليها بعد أن يجمعها غيره . ومثل هذه التفرقة لا تكفل بحال تمايزاً بين المنطلقات النظرية ولا حتى بين أدوات البحث الفعلية .

ولعل افتقاد ذلك التصنيف للأساس التمييزي الواضح هو ما أدى بـدويجكر وفريجدا إلى قدر من التخبط يتضح فيما يلي : ـ

١ ـ تم عرض الفئة الأولى من فئتي التصنيف تحت عنوان الأساليب الفردية أما الفئة الثانية فقد تم عرضها تحت عنـوان بيانـات ذات طبيعة جمعيـة . وفضلاً عن تعارض هذه التسميات مع أسس التقسيم التي حددها المؤلفان في صدر تصنيفهما ، فإن الحديث عن **الأساليب والبيانات** إنما يعني مباشرة الحديث عن تصنيفين لا تصنيفاً واحداً . فليس ثمة ما يحول دون اتباع أسلوب فردي للحصول على بيانات جمعية أو اتباع أسلوب جمعي للحصول على بيانات فردية .

٢ ـ وضع المؤلفان أسلوب تجميع الملاحظات التي جمعها ملاحظون مختلفون ضمن أولى فئات الأساليب الفردية وكان منطقياً وفقاً لتحديدهما لأسس التقسيم المتبع أن ينضم هذا الأسلوب إلى القسم الثاني .

٣ ـ اعتبر المؤلفان معالجة احصاءات السكان ضمن الأساليب الفردية رغم أنها بيانات جمعها آخرون فضلاً عن طبيعتها الجمعية الواضحة .

أما أنكلز وليفنسون فإنهما يقسمان بدورهما الأساليب التي اتبعت في دراسة الطابع القومي إلى أقسام ثلاثة :

١ ـ تقييم شخصية أعداد مختلفـة من الأفراد الـذين يدرسـون بصفتهم أفراداً وليس من خلال سلوك الجماعة ككل .

٢ ـ التحليل السيكلوجي للظواهر الجمعية للراشدين (الممارسات المؤسسية ، والفـولكلور ، ووسائـل الاتصال الجمـاعي ، وما إلى ذلـك) باعتبـار أن خصائص الشخصية المفترضة تكون متوالية بين السكان .

٣ ـ التحليل السيكلوجي لنسق تربية الأطفال بهدف استنباط أو تحديد ما يغرسه

هـذا النسق في شخصيـة الـطفـل ، ومن ثم في الجيــل الثـاني من الــراشـدين» (٥٥٤ : ٤٥٢) .

وليس هناك ما يمكن أن نأخذه على أساس هذا التصنيف سوى أن تمسك أنكلز وليفنسون بمفهوم الشخصية المنوالية وما يفرضه من قصـر لشخصية الجمـاعة على شخصيات راشديها قد أدى فيما يبدو إلى إضافة التحليـل السيكلوجي لنسق تربيـة الأطفال باعتباره أسلوباً مستقلاً من أساليب البحث في مجـال شخصية الجمـاعة . والأوفق ـ فيما نرى ـ أن يندرج ذلك التحليل السيكلوجي لنسق تربيـة الأطفال إمـا ضمن الفئة الأولى من فئات التصنيف إذا ما انصبت الدراسة على مجموعـات من الأفراد أطفالاً أو راشدين بهدف تبين ذلك النسق . وإما ضمن الفئة الثانية من فئات التصنيف إذا ما انصبت الدراسـة على نظام تعليم الأطفـال وأغانيهم وألعـابهم وما إلى ذلك .

لقــد انصبت تلك التصنيفــات على الأســاليب أو الأدوات التي اتبـعت أو استخدمت في دراسات شخصية الجماعة على وجه العموم . أما مارجريت ميـد ، فإنها تتناول بالتحديد مجال دراسة شخصية الجماعة عن بعد فتقول «إذا ما قسمنـا المجال وفقاً للأدوات بدلاً من تقسيمه تبعاً للنظريات فإننا نسـتطيع أن نميـز أدواتاً مختلفة : استخدام تواريخ الحياة . . . ملاحـظة الأطفال وعـلاقاتهم المتبـادلة مـع الآباء . . . الاختبارات الإسقاطية . . . تحليـل مواد تـاريخية أو حضـارية في ضـوء مفاهيم التحليل النفسي . . . أساليب اللعب . . . المقابلة المتعمقة المتأثرة باتجـاه التحليل النفسي . . . الاستبيانات الكاشفة . . . تحليل الأساطير والمواد المكتوبة . . . تحليل الدراما والطقوس والأفلام» (٧٢٠: ٣٥ ـ ٣٦) .

لقد اعتمدت مارجريت ميد أساساً في حصرها لهذه الأدوات على ما استخدمه أعضاء فريق كولومبيا للبحوث في الحضارات المعاصرة . ولعل ذلك هو ما أدى إلى إغفـالها الإشـارة إلى العديـد من الأساليب التي استخـدمتها ـ في نفس المجـال ـ مجموعات أخرى معاصرة لفريق كولومبيا كتحليل الإذاعات وقياسـات الرأي العـام وتحليل اللغة (٢٨٩) .

ومن ناحية أخرى ، فقد اقتصرت إشارات مـارجريت ميـد في تصنيفها على الأدوات المستخدمة دون التعرض لطبيعة الأفراد الذين تعامل معهم فريق كولومبيـا

مستخدماً تلك الأدوات . ولم يكن ذلك الإغفال تقصيراً بحال ، فإن فريق كولومبيا لم يتعامل إلا مع نوعية واحدة من الأفراد هم الإخباريون . وبالتالي لم يكن ثمة ما يدعو مارجريت ميد إلى الحديث عن نوعيات من الأفراد ، ومن ثم فقد استغنت تماماً عن الإشارة إلى طبيعة الأفراد الذين تعامل معهم فريق كولومبيا .

تصنيف مقترح للأساليب المستخدمة :

إن تبين أوجه النقد والقصور في التصنيفات السابقة ، يضعنا حيال تصور لتصنيف مقترح للأساليب التي اتبعت في مجال دراسة شخصية الجماعة يتلافى قدر المستطاع أوجه القصور هذه فضلاً عن أنه فيما نرى التصنيف الأكثر جدوى في مساعدتنا على اختيار الأسلوب الأنسب لدراسة شخصية الجماعة في التجمع الإسرائيلي .

ويمكننا وفقاً لذلك التصور أن نصنف تلك الأساليب على الوجه التالي :

أولاً ـ أسلوب تحليل الأفراد :

(أ) المادة :

يقوم هذا الأسلوب على اللقاء المباشر بمجموعة أو بمجموعات من الأفراد بهدف دراسة شخصية الجماعة . ووفقاً لذلك التصور يمكننا أن نميز بين نوعيات ثلاث لأولئك الأفراد الذين يمثلون مادة ذلك الأسلوب :

١ ـ أفراد الجماعة الأصلية المستهدفة :

أي أن تتم دراسة شخصية الجماعة من خلال الدراسة المباشرة لأفراد ينتمون لهذه الجماعة انتماءاً قائماً أثناء الدراسة . وتوفر تلك النوعية المناخ الأمثل لدراسات شخصية الجماعة من حيث إمكانيات ضبط المتغيرات واختيار العينات وإجراء المقارنات الداخلية وما إلى ذلك .

٢ ـ أفراد جماعة مقتربة :

وذلك عند استحالة توافر النوعية الأولى أي عند الحيلولة بين الباحث والجماعة المعاصرة المستهدفة . ويقوم تناول مثل تلك الجماعات المقتربة على حقيقة أنه لا توجد جماعة معاصرة منفصلة تماماً عما يجري خارجها ، منغلقة على نفسها انغلاقاً تاماً . فمهما بلغ حرص الجماعة ـ لسبب أو لآخر ـ على إحاطة ما يجري داخلها بسياج من السرية ، فإن ذلك السياج يتعرض في كثير من الأحيان لشيء من الخلخلة

نتيجة لعديد من الظروف . وفي هذه الحالة يمكن أن يتوافر لدى الباحث مجموعة من الأفراد أتيح لهم نتيجة لظرف أو لآخر الاقتراب من الجماعة المستهدفة لفترة تطول أو تقصر . ويصبح على الباحث حينئذ أن يسارع إلى هؤلاء المقتربين محاولاً أن يستخلص من مشاهداتهم وأحاديثهم ولقاءاتهم داخل الجماعة المستهدفة ما يتيح له معرفة بشخصية تلك الجماعة . وهناك بالفعل العديد من الدراسات التي أجريت على مثل تلك الجماعات (٥٥٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٧٢٥ ، ٧٣٥ ، ٨٤٩ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٩٠٠ ، ٩٢٧) التي كانت تتكون أساساً من أسرى أمضوا فترة أسرهم في المجتمع المستهدف ، ثم عادوا إلى مجتمعاتهم الأصلية التي ينتمي إليها الباحث عادة . وثمة اعتراضات يمكن أن توجه إلى نتائج مثل تلك الدراسات أهمها :

١ ـ إن الاعتماد على أفراد الجماعات المقتربة يعتمد في النهاية على قدرة هؤلاء الأفراد على التعبير عن أفكارهم ، فضلاً عن قدرتهم على التقاط ما له دلالة من مظاهر السلوك التي أتيح لهم رؤيتها والتجاوز عن سواها . ذلك بالإضافة إلى قدرتهم على التذكر والاسترجاع . وتلك القدرات جميعها تتفاوت من فرد لآخر ، فضلاً عن تأثرها بالعديد من العوامل الشخصية والبيئية ، بالإضافة إلى أن طبيعة خبرات أفراد الجماعات المقتربة داخل الجماعات المستهدفة تكون غالباً خبرات مؤلمة أشد الألم وهو الأدعى للتأثير على تلك القدرات .

٢ ـ إن طبيعة اقتراب هؤلاء من الجماعة المستهدفة تفرض عادة أن تكون الاتصالات التي يتاح لهم إقامتها مع أفراد تلك الجماعة ، اتصالات محدودة ومصطنعة . ففي حالة الأسرى ـ وهي الحالة الغالبة في هذا المجال ـ لا يتاح لهم إلا الاتصال بشريحة اجتماعية محددة ومحدودة فضلاً عن أن هذه الاتصالات لا يمكن أن تتصف بقدر مقبول من التلقائية بل إنها غالباً ما تكون مخططة سلفاً من الجانب الآخر .

٣ ـ إن مدة إقامة هؤلاء المقتربين لا تبلغ من الطول عادة ـ إلا في أحوال استثنائية ـ ما يتيح قدراً معقولاً من الاطمئنان إلى ما يمكنهم استخلاصه خلالها .

٣ ـ أفراد جماعة منعزلة :

يستقي الباحث في تعامله مع أفراد الفئة السابقة ـ أي مع أفراد الجماعة المقتربة ـ معلوماته من أفراد ينتمون إلى جماعته هو ، أو على الأقل لا ينتمون إلى

الجماعة المستهدفة . أما في حالة الجماعة المنعزلة فإن الباحث يستقي معلوماته من أفراد ينتمون إلى تلك الجماعة المستهـدفة ، أو على الأصح كانـوا ينتمون إليهـا وانقطعت صلتهم بها لسبب أو لآخر ، ومضت على تلك القطيعة فترة زمنية تزيد أو تقل . وقد كان أخباريو فريق كولومبيا ينتمون أساساً إلى تلك الفئة (٧٢١) .

ويؤخذ على النتائج المستقاة من هؤلاء الأفراد أنها تقوم على افتراض مسبق مؤداه أنهم يمثلون أفراد الجماعة الأصلية المستهدفة بدرجة تسمح بتعميم النتائـج المستخلصـة من دراستهم على أفراد تلك الجمـاعة . وليس هـذا من الصحة في شيء . فمجموعة الأفراد الذين كانوا ينتمون لجماعة معينة ثم نزحوا عنها لسبب أو لآخر ، وأقاموا داخل جماعة جديدة استقر بهم المقام فيها ، لا يمكن بحال أن يمثلوا أفراد جماعتهم الأصلية لسبب أساسي يتمثل في مجرد إقدامهم على النزوح عنها . إن ذلك النزوح أو تلك الهجرة إنما يعني غالباً أن سمات وخصائص هؤلاء الأفراد لا تتفق مع السمات أو الخصائص المكونة لشخصية الجماعة الأصلية وفي كثير من الأحيان يكون ذلك الاختلاف ضمن الأسباب الرئيسية التي أدت بهم إلى الإقدام على النزوح أو الهجرة . بعبارة أخرى فإنه إذا كانت الجماعة المنعزلة تتكـون أساسـاً من أفراد نازحين ، فإن نزوح هؤلاء عن الجماعة الأصيلة المستهدفة قد يعني في حد ذاته إنهم لا يمثلون تلك الجماعة .

ويكفي لتدعيم ما نقول أن نشير ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ إلى بحوث آنجيل عن الهجرة الأمريكية إلى إسرائيل (٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤) . وبحوث جرينجلاس عن المهاجرين الإيطاليين وغيرهم في أمريكا (٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥) . وبحـوث هيس التي تعـرضت لمصـادر الإشبـاع والتمثـل لـدى المهاجر ، وارتباط ذلك بالظروف السـابقة على الهجـرة ، والتاليـة عليها (٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١) . وبحـوث هلس التي تفصح بشكـل قـاطـع عن اختـلاف المهاجرين عن مجتمعاتهم الأصلية اجتماعياً وعمـرياً وسكـانياً إلى آخـره (٥٤٢ ، ٥٤٣) . وكذلك بحوث كانز (٦٢١) ، وسترودتبك (٩٥٥ ، ٩٥٦) وغيرهم (٢٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٩٣٠ ، ٩٣١) .

وحتى لو سلمنا بأن نزوح هؤلاء لا يعني حتماً تبايناً بينهم وبين أفراد الجماعة الأصلية ، فإن مثل هذا التسليم إنما ينصب فحسب على ما كان قائماً عند نزوحهم .

وبقدر امتداد إقامتهم في الجماعة الجديدة يصبحون أقل تمثيلاً للجماعة الأصلية نظراً لابتعادهم عن مجريات الحياة في تلك الجماعة منذ نزوحهم وابتعادهم بالتالي عن العوامل والمؤثرات المشكلة لشخصية تلك الجماعة .

أما إذا تكونت الجماعة المنعزلة من أسرى ينتمون إلى الجماعة المستهدفة فإن الاعتراضات السابقة تظل قائمة أيضاً ، صحيح أن الشقة الزمنية قد تكون قريبة نسبياً بين هؤلاء وجماعتهم الأصلية ، وصحيح كذلك أنهم لم ينزحوا من هذه الجماعة مختارين . ولكنهم في النهاية لا يمثلون سوى قطاع واحد محدد من أبناء هذه الجماعة الأصلية له خصائصه المحددة من حيث السن والجنس ومستوى اللياقة البدنية وما إلى ذلك . فضلاً عن أن خبر الأسر وما تفرضه من تعقيدات وعقبات تشكك كثيراً في صدق البيانات التي يمكن استخلاصها من هؤلاء .

(ب) الأدوات :

إذا ما أتيح للباحث اتباع هذا الأسلوب أي أسلوب تحليل الأفراد فإنه يصبح في النهاية حيال عدد من الأفراد بصرف النظر عن طبيعة تكويناتهم . وبالتالي فإن المجال يصبح مفتوحاً أمامه لاختيار الأدوات السيكلوجية التي يراها مناسبة للتعامل مع هؤلاء الأفراد . وبالفعل فإن استعراض البحوث التي أجريت في مجال شخصية الجماعة وأتيح فيها للباحث أن يتبع هذا الأسلوب يكشف عن أنه لا تكاد توجد وسيلة لقياس الشخصية أو القدرات لم تستخدم .

ثانياً ـ أسلوب تحليل الإنتاج :

(أ) المادة :

تشمل المادة التي يمكن أن يغطيها هذا الأسلوب حصيلة كافة أوجه النشاط التي يمارسها أفراد الجماعة المستهدفة في حياتهم اليومية دون أن يسعى الباحث إلى دفعهم إليها ، ودون أن يقصدوا هم تقديمها للباحث . وأهم الفئات يمكن أن تندرج تحتها المواد هي : ـ

١ ـ الصحف والمجلات والإذاعات :

وتتميز هذه المادة بأنها تتضمن قدراً كبيراً من الوقائع الصغيرة التفصيلية التي تجري يوماً بعد يوم في الجماعة المستهدفة . ومن خير النماذج التي تمثل مدى الاستفادة من مثل هذه الوقائع دراسة وولفنشتاين عن الصورة السوفيتية للفساد التي

اعتمد فيها على تحليل الجرائم التي وقعت في الاتحاد السوفيتي ونشرتها جريدتي البرافدا والأزفستيا خلال عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين (١٠٢٨) .

ومن ناحية أخرى فإن البعض يرون في هذه المادة ميزة أخرى تتمثل في أنها تعد تعبيراً مكثفاً عن الاتجاهات الفكرية السائدة في الجماعة المستهدفة ، وبالتالي فإنه يمكن من خلال تناول تلك المواد بالتحليل التوصل إلى مكونات شخصية تلك الجماعة (٥٠١) .

وأهم اعتراض يمكن أن يوجه إلى الاعتماد على تناول تلك المواد هو أنها قد لا تعكس في النهاية إلا شخصية ذلك القطاع من الجماعة الذي قام بإنتاجها . وليس من ضمان لصدق تعبيرها في نفس الوقت عن بقية القطاعات التي أنتج من أجلها .

٢ ـ الإحصاءات السكانية :

تمثل الإحصاءات المنشورة عن الجماعة المستهدفة مصدراً خصباً للبيانات القابلة للتحليل بهدف إلقاء الضوء على شخصية تلك الجماعة . ولم يتوان أهل الاختصاص عن الاستفادة من تلك البيانات سواء كانت احصاءات سكانية ديموجرافية عامة ، أو كانت احصاءات لمدى انتشار أنواع معينة من الأمراض العقلية والنفسية بين أفراد الجماعة المستهدفة . وتمثل دراسة بيجلهول (٢١٥) واحدة من المحاولات المبكرة في هذا المجال توالت بعدها ـ وما زالت تتوالى ـ دراسات عديدة مشابهة (٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٥٥٩ ، ٦٦٩ ، ٦٨١) .

ويبدي أنكلز وليفنسون (٥٥٤ : ٤٥٩) عدة اعتراضات لها وجاهتها بشأن الاعتماد على مثل تلك البيانات السكانية والسيكياترية خاصة . منبهين أولاً إلى عدم دقتها على النطاق القومي . مشيرين كذلك إلى أن طبيعة تلك البيانات تجعلها قاصرة على قطاع ضيق من السكان . ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن اعتماد بعض الدراسات على تلك الإحصاءات المتعلقة بتكرار الحروب التي شنتها الجماعة المستهدفة أو تكرار نقضها لاتفاقيات السلام ، أو ما إلى ذلك (٣٠٤) يعني التسليم ابتداء بأن القرارات التي نجمت عنها مثل تلك التصرفات قد لقيت بالفعل تأييداً من جانب أفراد الجماعة . وما لم يتم التحقق من ذلك فإن النتائج التي يمكن الوصول إليها لا يمكن أن تعمم إلا في نطاق النخبة الحاكمة صاحبة القرار السياسي فحسب .

٣ ـ الفولكلور :

كثيراً ما يتجه المتخصصون إلى الفولكلور يستنبطون من تحليلهم إياه ملامح شخصية الجماعة التي يستهدفون دراستها (٥٢٠ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٧٠٦ ، ٩١٥) .

والمشكلة الرئيسية في نتائج مثل تلك الدراسات تتمثل أساساً في أن تعريف مصطلح الفولكلور ، والتفرقة بينه وبين بقية أنواع الإنتاج الأدبي ، يثير في حد ذاته قدراً كبيراً من المجادلة والاختلاف (١٦) .

٤ ـ الأفلام السينمائية :

يشير دويجكر وفريجدا إلى أن تحليل الأفلام السينمائية «قد أصبح مقبولاً على نطاق واسع كمنهج لدراسة الحضارة عن بعد ، وعن قرب أيضاً» (٣٦٥: ٨٦) . وبالفعل فإن تراث دراسات شخصية الجماعة يفيض بالعديد من البحوث التي اعتمدت أساساً على تحليل الأفلام السينمائية (٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٤٨٠ ، ٥٧٠ ، ٦١٢ ، ٨٠٣ ، ٨٩٣ ، ١٠٠٠ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠) .

ويواجه الاعتماد على تحليل الأفلام السينمائية بنفس الاعتراضات التي تواجه الاعتماد على تحليل بيانات الصحف والمجلات والإذاعات والتي أشرنا إليها آنفاً .

٥ ـ تحليل اللغة :

ليس من شك في أن للكلمة المنطوقة دورها الهام في المجتمع (٦٣١ ، ٨٠١ : ١٢٠ ـ ١٢٩) . فاللغة في النهاية نتاج متراكم تاريخياً لعمليات التفاعل الاجتماعي (٢٣٥: ٢٣ ـ ٤١ ، ٣٩٥: ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ، ٣٩٦: ٢٢٠ ، ٦١١: ١٩٣ ـ ١٩٩ ، ٦٤٢: ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، ٦٥٩ ، ٦٩٩: ١٠٠ ـ ١٠١ ، ٧٠٠: ٤٨٠) . ولذلك لم يكن غريباً أن ترتبط اللغة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم القومية رغم تباين الأشكال التي يمكن أن تتخذها هذه الرابطة (٧٥ ، ١٤١ ، ١٦٩ ، ٢٦٣ ، ٣٣٨ ، ٩٩٠ ، ١٠٠٣) .

ولقد انعكس ذلك كله مع ما شهده علم النفس من تطوير لنظرية المعلومات وسيكلوجية التعلم في بزوغ فرع جديد من فروع المعرفة يكاد يكون مستقلاً متميزاً هو ما يعرف بسيكلوجية اللغويات Psycholinguistics الذي يجمع بين تطور المعرفة السيكلوجية ، ونضج البحوث في اللغويات المعاصرة (٣٣٥ ، ٥٦٠ ، ٧٧٩) .

ولم يقف الأمر عند حد ظهور ذلك الفرع الجديد من فروع المعرفة الإنسانية . إن هورف (١٠١٦) يشير بوضوح إلى أن البناء اللغوي هو الذي يحدد بدرجة كبيرة المفاهيم التي نستخدمها في تنظيم خبراتنا الراهنة بالعالم المحيط ، وبالتالي فإنها تعكس فلسفتنا في الحياة كاملة . ومن هذا المنطلق بالتحديد توالت مجموعة من البحوث تستهدف التوصل إلى شخصية الجماعة من خلال تحليل خصائص اللغة التي يستخدمها أفراد هذه الجماعة في تخاطبهم . وعلى سبيل المثال فقد أقدم لي (٦٣٦) على تفسير حضارة قبائل التروبرياند ـ وهي القبائل التي سبق أن درسها مالينوسكي ـ من خلال تحليله للغة التي يستخدمونها . كذلك فقد عقد ثورنر (٩٧٨) مقارنة بين الإنجليز والألمان من حيث طرق النداء المستخدمة في التخاطب معتبراً أنها تعد انعكاساً لشخصية الجماعة . وبالمثل فقد حاول كسكيميتي وليتس (٥٩٦) الاستعانة بتحليل اللغة الألمانية للتوصل إلى خصائص الشعب الألماني . أما شوبي (٩١٨) فقد قام بدراسة تحليلية للغة العربية باعتبارها ذات تأثير على السيكلوجية العربية وليست مجرد نتاج لتلك السيكلوجية .

إن المنطلق الرئيسي لتلك البحوث ، وهو حقيقة أن اللغة ليست سوى نتاج اجتماعي منطلق صحيح فيما نرى . إلا أن تلك البحوث قد أهملت حقيقة أخرى وهي أن اللغة أقل النتاجات الاجتماعية تأثراً بما يطرأ على الجماعة من تغييرات ، أو بعبارة أخرى فإن اللغة باعتبارها أداة الاستمرار الاجتماعي تظل محتفظة بقواعدها ومفرداتها عبر مراحل تاريخية طويلة وحافلة بالتغيرات الاجتماعية (٧٥) . وبالتالي فإن الاعتماد على تحليل اللغة للتوصل إلى شخصية الجماعة يغفل ما يطرأ على تلك الشخصية من تغيرات قد تكون أساسية عبر عصور طويلة تظل فيها اللغة كما هي .

٦ ـ تحليل الإنتاج الفكري المكتوب :

لقد تناول الباحثون في مجال شخصية الجماعة كافة أنواع الإنتاج الفكري المكتوب لأفراد الجماعة المستهدفة . لجأ اريكسون (٣٩٧) إلى تحليل كتاب كفاحي لهتلر باعتباره معبراً عن الشخصية الألمانية بحكم انتشار توزيع الكتاب في ألمانيا . ولجأ ليرنر (٦٤٦) سعياً وراء الهدف نفسه ـ أي فهم الشخصية الألمانية ـ إلى تحليل الدوريات العلمية المتخصصة التي تصدر في ألمانيا . ولجأ ليفين (٦٥١) في مقارنته بين الشخصية الألمانية والشخصية الأمريكية إلى تحليل الكتيبات الخاصة بفرق الكشافة في البلدين . أما سيبالد (٨٩٩) فقد حاول فهم الشخصية الألمانية من خلال

تحليل الأغاني المنشورة في كتب الأطفال الألمانية . كذلك سعى هيمسون (٤٨٩) إلى فهم بعض جوانب الشخصية الروسية من خلال تحليله لنماذج منشورة من الشعر . وحاول ليتس (٦٤١) فهم بعض جوانب الشخصية الفرنسية من خلال تحليله لرواية الغريب لكامي .

ويواجه ذلك الاتجاه بنفس الاعتراضات التي تواجه الاعتماد على تحليل الصحف والمجلات والإذاعات والأفلام . وقد سبق أن أشرنا إلى تلك الاعتراضات .

(ب) الأدوات :

يغطي تعبير تحليل الإنتاج الذي اخترناه عنواناً لهذا الأسلوب كافة الأدوات والأساليب والطرق التي يستخدمها الباحثون في تناولهم للإنتاج موضع التحليل بهدف الوصول إلى ما يبغونه من تعرف على شخصية الجماعة المستهدفة . ولقد تعددت تلك الطرق وتشعبت وتباينت أسماؤها كذلك . ولعل أكثر التسميات شيوعاً واستخداماً في هذا المجال هو تعبير «تحليل المحتوى» وقد آثرنا تحاشي إطلاق تلك التسمية رغم شيوعها عنواناً لذلك القسم من تصنيفنا نظراً لما يحيط بذلك التعبير من مجادلات قد يتضح طرف منها فيما بعد .

إن تاريخ تطور أسلوب تحليل المحتوى يحمل العديد من أوجه الشبه مع تاريخ تطور البحث في مجال شخصية الجماعة . لقد كانت الحرب العالمية الثانية علامة مميزة في تاريخ تطور أسلوب تحليل المحتوى (٢٤١ : ٢٣ ، ٧٧١ : ٣٧) كما كانت بالنسبة لبحوث شخصية الجماعة . وكانت الولايات المتحدة بل وجامعة كولومبيا بالتحديد هي مركز الاهتمام الرئيسي لتطوير أسلوب تحليل المحتوى (٢٤١ : ٢٢ - ٢٣) كما كان الحال بالدقة بالنسبة للبحث في مجال شخصية الجماعة أيضاً . ولقد استخدم تحليل المحتوى لخدمة المخابرات الأمريكية خلال الحرب (٢٤١ : ٨٣ - ٩٠) شأن بحوث شخصية الجماعة أيضاً .

وكما تعددت العلوم الإنسانية التي أسهمت في تطوير البحث في مجال شخصية الجماعة ، فقد تعددت أيضاً تلك العلوم الإنسانية التي أسهمت في تطوير أسلوب تحليل المحتوى . يقرر هولستي (٥٣٢ : ٢١) أن ثلاثة فروع علمية قد أسهمت بحوالي ٧٥ ٪ من كافة الدراسات الأمبيريقية التي استخدمت أسلوب تحليل المحتوى ، حيث أسهم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بنسبة ٢٧,٧ ٪ وعلم

الاتصالات العامة بنسبة ٢٥,٩ ٪ والعلوم السياسية بنسبة ٢١,٥ ٪ . ولقد وجد باركوز Barcuse (٥٣٢ : ٢١) باستخدامه لفئات أكثر تحديداً أن ٦٠ ٪ من تلك الدراسات قد تركزت في خمس مجالات يتضمن كل منها ما لا يقل عن ١٠ ٪ من مجموع الدراسات . وكانت تلك المجالات الخمس هي : دراسة القيم الاجتماعية ، وتحليل الدعاية ، والدراسات الصحفية ، ودراسات الاتصال ، والبحوث السيكلوجية ، وبحوث سيكلوجية اللغويات .

ورغم تعدد أوجه التشابه بين تطور أسلوب تحليل المحتوى ، وتطور البحوث في مجال شخصية الجماعة من حيث المسار التاريخي ، فإن استخدام ذلك الأسلوب في مجال البحث في شخصية الجماعة قد أثار جدالاً بين أصحاب أسلوب تحليل المحتوى أنفسهم نظراً لتباين وجهات نظر هؤلاء في حدود أسلوبهم .

يرى بيرلسون أن أسلوب تحليل المحتوى «أسلوب من أساليب البحث عن وصف موضوعي ونسقي وكمي للمحتوى الظاهر للاتصال» (٢٤١ : ١٨) . ويحدد بيرلسون المسلمات النظرية التي يقوم عليها ذلك الأسلوب في نقاط ثلاثة كما يلي :

١ - «يفترض تحليل المحتوى أن العلاقة بين القصد والمحتوى أو بين المحتوى والأثر قائمة بالفعل ، وأنه يمكن استنباطها بصدق» (٢٤١ : ١٨) .

٢ - «يفترض تحليل المحتوى أن ثمة معنى لدراسة المحتوى الظاهر . ويقتضي ذلك الافتراض التسليم باعتبار المحتوى أرضاً مشتركة تجمع بين القائم بالاتصال ، والجمهور ، والقائم بالتحليل . بمعنى أن القائم بتحليل المحتوى يفترض أن المعاني التي يعزوها إلى المحتوى خلال وضعه في فئات معينة إنما تتفق مع المعاني التي قصدها القائم بالاتصال ، ومع تلك التي يفهمها الجمهور» (٢٤١ : ١٩) .

٣ - يفترض تحليل المحتوى أن ثمة معنى «للوصف الكمي لمحتوى الاتصال . ويتضمن ذلك الافتراض تسليماً بأن تكرار حدوث خصائص معينة في المحتوى إنما هو في حد ذاته عامل هام في عملية الاتصال تحت ظروف معينة . بحيث أنه إذا ما كانت أهمية كلمة واحدة أو عبارة واحدة تعادل أهمية بقية المحتوى ككل فإنه لا ينبغي أنذاك استخدام التحليل الكمي الذي يستخدم فحسب حين تكون لوحدات المحتوى أوزاناً متساوية بقدر يزيد أو يقل» (٢٤١ : ٢٠) .

ويؤكد لاسويل ذلك المفهوم الكمي لتحليل المحتوى بقوله «ليس من مبرر

واضح لتحليل المحتوى إذا لم تكن المسألة موضع البحث مسألة كمية» (٦٣٢ : ٤٥) . ويتفق مع لاسويل في مثل هذا التأكيد وابلز (٩٩٧ : ٢) وكابلان (٥٨٦ ، ٥٨٧) ، وجانيس (٥٦٢) ، وكارترايت (٣٠٢) .

ويختلف جورج مع ذلك الاتجاه مؤكداً «أن التحليل الكيفي لعدد محدود من الاتصالات الحاسمة قد يعبر عن مقاصد معينة لمتحدث معين في لحظة زمنية محددة أفضل بكثير مما تتيحه الأساليب الأكثر تقنيناً» (٤٣٧ : ٧) . كذلك يؤكد هولستي «أن قصر تحليل المحتوى على هذا النسق الوحيد من العد يمثل على أي حال مشكلة نظرية وعملية . فهذا التعريف يفترض أن التكرار هو المؤشر الصادق الوحيد على الاهتمام ، والانشغال ، والشدة ، وما إلى ذلك. . . ولكن ثمة دلائل كثيرة تشير إلى أن هناك مقاييساً أخرى غير التكرار قد تكون أكثر فائدة في بعض الظروف. . . ومن الناحية العملية ، فإن وجهة النظر هذه تعتبر بعض أساليب تحليل المحتوى المقننة بمثابة الحدود الفاصلة للقبول أو الرفض . مستبعدة تماماً عدداً من أثرى دراسات تحليل المحتوى خصوبة من حيث تصوراتها» (٥٣٢ : ٦ - ٧) وانطلاقاً من تلك المجادلة حول الكمية والكيفية تباينت المواقف بشأن استخدام تحليل المحتوى في مجال دراسات شخصية الجماعة .

يقول بيرلسون محذراً من استخدام أسلوب تحليل المحتوى في ذلك المجال «لقد استخدم تحليل المحتوى للتوصل إلى روح العصر. . . وثمة اعتبارين يجب توضيحهما بشأن هذا الاستخدام . الأول أن الاستنباطات المتعلقة بالمجموعات السكانية قد تمت على أساس تحليل محتوى قد أنتج لهم (ولم ينتج بواسطتهم. . .) . والثاني أن تلك المشكلات لم يتم تناولها بهذه الطريقة غير المباشرة إلا لعدم إمكان تناولها مباشرة بوسائل أكفأ» (٢٤١ : ٩٠ - ٩١) .

ورغم تأكيد بيرلسون أن استخدام أسلوب تحليل المحتوى في دراسات شخصية الجماعة يمكن اللجوء إليه اضطراراً ، فإنه لا يلبث أن ينقد بشكل مركز مثل تلك الدراسات الاضطرارية قائلاً «من المهم في المقام الأول - أن يكون واضحاً تماماً ما هو ذلك الذي انعكس في محتوى الاتصال ؟ هل هو المستوى السيكلوجي والحضاري المعمم لمجموع السكان الراشدين الذين يجدون التعبير عنهم بشكل أو بآخر في هذا الوسط Media ؟ أم أن الاستنباطات المستقاة من المحتوى لا تشير سوى إلى جمهور

تلك الاتصالات المعينة موضع التحليل ؟ وإذا صح ذلك الاحتمال الأخير فمن الضروري إذن مواجهة مشكلة التغيرات التي تطرأ على تكوين ذلك الجمهور . أي أن التغييرات في المحتوى قد تعكس تغييرات في عضوية الجمهور وليس في الخصائص السيكلوجية المميزة للجماعات السكانية الثابتة . وبنفس الطريقة : هل تشير النتائج حقاً إلى الفئات السيكلوجية المفترضة ، أم إلى بعض جوانب أخرى من الواقع أقل تحديداً ؟» (٢٤١ : ٩٥) .

ويضيف بيرلسون «ثم هناك المشكلة الرئيسية . مشكلة العلاقة بين السبب والنتيجة ، هل الاتجاهات العامة هي التي تحدد محتوى الاتصال ، أم أن محتوى الاتصال هو الذي يحدد الاتجاهات العامة ؟ إن كلاهما يمارس تأثيراً متبادلاً حيال الآخر ، وبالتالي فإن أي افتراض أحادي الجانب خاطىء حتماً» (٢٤١ : ٩٧) .

ويشير بيرلسون إلى أن «المحتوى إنما تنتجه وكالات معينة (كتاب ، منتجون ، مديرون ، ناشرون . . . الخ) وكثيراً ما يكون تصورهم لاتجاهات وقيم الجمهور ـ على ما هو عليه من تحيز ـ هو الذي يحدد ما يظهر . وفضلاً عن ذلك ، فإن محتوى الاتصال يكون عرضة أيضاً لضغوط الجماعات ذات المصالح والتي قد يكون لها من الفعالية ما يكفي لتحديد أو على الأقل للتأثير في طبيعة المحتوى» (٢٤١ : ٩٦) .

ويختتم بيرلسون اعتراضاته قائلاً : «وأخيراً ، فحتى حين يعكس محتوى الاتصال أنماطاً حضارية ، فمن المحتمل أن يكون قد مضى على وجود تلك الأنماط الحضارية بالفعل زمن يطول أو يقصر . إن افتراض وجود علاقة زمنية مباشرة بين تغيرات محتوى الاتصال ، وتغيرات الاتجاهات العامة قد لا يكون صحيحاً» (٢٤١ : ٩٨) .

ويخلص بيرلسون من اعتراضاته هذه إلى ما يشبه التحذير من استخدام أسلوب تحليل المحتوى في مجال دراسات شخصية الجماعة قائلاً «ولكل هذه الأسباب إذن ينبغي تحاشي التطبيق الميكانيكي لتحليل المحتوى على مشكلات من هذا النوع . فمن الصعب معرفة الشروط التي يمكن في ظل توافرها التوصل إلى استنباطات صادقة عن المجموع الكلي للسكان أو عن جمهور معين وإلى أي حد تنطبق تلك الاستنباطات على الجمهور أو على تصور المنتجين للجمهور ، أو على المنتجين أنفسهم باعتبارهم أفراداً غير نمطيين من ذلك الجمهور وما إذا كان جائزاً إرجاع تلك

الاستنباطات إلى متغيرات سيكلوجية محددة وما إذا كانت تلك الاستنباطات ترتكز بالفعل على تصور خصائص الجمهور كمصدر للمحتوى أو كنتيجة له أو كليهما معاً . وما إذا كان ممكناً تحديد القيم العامة بشكل ما ـ مهما كان تقريبياً ـ باعتبارها دالة كمية مباشرة على التأكيدات التي يتضمنها المحتوى . وباختصار فإن العلاقة بين المحتوى وخصائص الجمهور التي يفترض انعكاسها فيه أمر يبعد تماماً عن الوضوح» (٢٤١ : ٩٨) .

أما هولستي فإنه انطلاقاً من تأكيده «أن مصطلح الكمية ينبغي أن يحمل على معان عديدة ، لن يصبح أيها مناسباً لكافة أنواع البحوث» (٥٣٢ : ٨) يذهب إلى تحبيذ استخدام أسلوب تحليل المحتوى في مجال دراسات شخصية الجماعة «. . . حين يمثل الحصول على البيانات مشكلة ، وحين تكون البيانات المتوافرة لدى الباحث قاصرة على الأدلة الوثائقية. . . وحين تحول قيود الزمان أو المكان دون الاتصال المباشر بالأفراد المستهدفين ، بحيث ينبغي دراستهم عن بعد ، بما ينجم عن ذلك من استحالة تطبيق أدوات البحث الأخرى (المقابلات والاستبيانات وما إلى ذلك)» (٥٣٢: ١٥ ـ ١٦) .

الأسلوب المقترح : «أسلوب إعادة التركيب»

كانت تلك هي أهم الأساليب التي اتبعت في دراسة شخصية الجماعة . وهي الأساليب التي اختار من بينها من سبق أن تصدوا لدراسة شخصية الجماعة عن بعد أو عن قرب على حد سواء . ورغم تسليمنا بأن دراستنا تنتمي إلى تلك الدراسات التي أجريت عن بعد وعلى رأسها دراسات فريق كولومبيا (٧١٩) . فإن الموقف الذي نواجهه في محاولتنا الإقدام على دراسة في الشخصية الإسرائيلية يختلف عما واجه فريق كولومبيا ، اختلافاً يؤثر في إمكانية الاستفادة من تلك الأساليب المتاحة :

(أ) التجمع الإسرائيلي الراهن تجمع حديث . لا ترجع جذوره إلى بعيد . وقد انعكست تلك الحداثة على لغته ومؤسساته الاجتماعية ، وعلى كافة نواحي الحياة فيه . وهو بذلك يختلف تماماً عن المجتمعات التي تمت دراستها عن بعد كالمجتمع الياباني أو الألماني مثلاً . وذلك يعني أن الاعتماد على «المواد التاريخية» لدراسة التجمع الإسرائيلي الراهن يتضمن مجازفة وتعسفاً .

(ب) التجمع الإسرائيلي الراهن تجمع مصنوع . لم ينشأ خلال حركة تطور تاريخي طبيعية تمت على أرضه . بل نشأ أساساً بقرار اتخذه المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد عام ألف وثمانمائة وسبعة وتسعين استجابة لظروف سياسية واقتصادية وتاريخية معينة . أي أن ذلك التجمع قد نشأ أولاً كصياغة فكرية ثم بدأ أصحاب تلك الصياغة في اصطناعه تجسيداً لها . وهو بذلك يختلف تماماً عن غيره من المجتمعات «الطبيعية» التي تنشأ أولاً ثم تتعدد وتتغير الأبنية الفكرية التي تعكس بنيتها التحتية وفقاً لمراحل التطور التاريخي . وذلك يعني أن النتاجات الفكرية الراهنة لذلك التجمع لا تعكس بالضرورة وبشكل طبيعي بنيته التحتية ، وبالتالي فإن الاعتماد على تحليل تلك النتاجات في محاولة لفهم شخصيته يتضمن أيضاً مجازفة وتعسفاً .

(ج) التجمع الإسرائيلي الراهن تجمع مهجر . ينتمي أفراده إلى أصول شتى متباينة حضارياً (٦٣ ، ٧٦ ، ١٣٩ ، ٣٨١ ، ٤٩٨) . وهذا يعني أن اختيار عينة ممثلة لأفراد ذلك التجمع حتى في حالة دراسته عن قرب أمر يكاد يكون مستحيلاً . ومن باب أولى فإن الاعتماد على إخباريين ينتمون إلى ذلك التجمع حتى لو توافروا ، وسواء كانوا جماعة منعزلة أو جماعة مقتربة يصبح أيضاً مجازفة وتعسفاً .

ويمكننا أن نضيف إلى تلك الاختلافات أو الصعاب المنهجية ، صعوبتين عمليتين تعترضا إمكانية الاعتماد على أسلوب تحليل المحتوى فضلاً عن مثالبه التي أشرنا إليها :

(أولاً) إن المادة المتاحة للتحليل تكون عادة قد مرت عبر عدة تصفيات سواء كانت مادة مذاعة أو منشورة في الصحف أو المجلات . مرت أولاً على الرقابة الإسرائيلية ، ثم على الرقابة الذاتية الشعورية واللاشعورية للمترجم فضلاً عن التأثر بقدرته على الترجمة وحساسيته للغة العبرية . هذا بالإضافة إلى استحالة التوصل بشكل يمكن الاطمئنان إليه إلى مدى رواج أو تقبل تلك المادة لدى الجمهور .

(ثانياً) حتى لو تجاوزنا جدلاً عن الاعتراضات السابقة ، وافترضنا قدراً معقولاً من دقة الترجمة وحداً أدنى من تدخل الرقابة ، وحداً معقولاً كذلك من المعرفة بمدى رواج وتقبل المادة موضع التحليل ، فإن الصعوبة الأساسية التي تواجهنا بعد ذلك هي أنه يصعب في كثير من الأحيان معرفة الأصول الحضارية لأصحاب المحتوى . ومثل تلك الصعوبة في تجمع كإسرائيل ينتمي أفراده لأكثر من مائة أصل حضاري يجعل من

الاعتماد على تحليل المحتوى في ظل تلك الظروف أمر تحفه المخاطر العملية والنظرية .

إن تلك الصعاب جميعاً منهجية وعملية إنما تعني أن الأساليب التي سبق أن استخدمت في دراسات شخصية الجماعة سواء تلك المعتمدة على تحليل الفرد أو المعتمدة على تحليل الإنتاج لا تصلح لاستيفاء دراستنا على الوجه الأكمل .

غير أن تلك الصعاب لا تعني أن الطريق مسدود تماماً . فثمة ما يميز موقفنا إيجابياً عما كان قائماً حيال الدراسات السابقة وخاصة تلك التي أجريت خلال الحرب العالمية الثانية . **ويتمثل ذلك الجانب الإيجابي في توافر قدر من الدراسات الميدانية التي أجراها باحثون اسرائيليون أو غربيون مستعينين بمختلف أدوات القياس السيكلوجي على عينات مختلفة تضم أفراداً ينتمون انتماءً مباشراً للتجمع الاسرائيلي .**

ذلك الجانب الإيجابي لم يكن متوافراً بالنسبة للمجتمعات التي تصدى لها العلماء بالدراسة عن بعد خلال الحرب العالمية الثانية . فالمجتمع الياباني أو الألماني أو الروسي لم يكن قد حظي بقدر يمكن الاعتماد عليه من الدراسات السيكلوجية المتنوعة والمضبوطة والتي أجريت على أفراد ينتمون مباشرة إلى تلك المجتمعات . ويرجع ذلك في المقام الأول إلى درجة التطور التي كان علم النفس قد بلغها آنذاك ، والتي قد تخطاها بكثير في العصر الراهن .

ومن هنا فإن ثمة أسلوباً جديداً نقترحه لتناول موضوع دراستنا ، ونراه متفقاً مع ما أحرزه التطور الراهن لعلم النفس ، ومتفقاً أيضاً مع تعريفنا لشخصية الجماعة ، ومتفقاً كذلك مع طبيعة التجمع الإسرائيلي المستهدف . ويمكننا تسمية ذلك الأسلوب المقترح «أسلوب إعادة التركيب» ونعني به **التأليف التركيبي للمعارف المتخصصة المتناثرة عن جماعة بشرية معينة أو تجمع بشري معين .**

ونستطيع أن نلتمس لذلك الأسلوب المقترح ـ شأنه شأن غيره من الأساليب ـ جذوراً في تراث علم النفس تتفاوت قدماً وحداثة . فليس في العلم جديد مطلق منبت الجذور .

لقد حاول كوماجار (٣٢٥) في دراسته المنشورة عام ألف وتسعمائة وسبعة

وأربعين أن يتناول بالمقارنة عدداً من الدراسات التي أجريت على الولايات المتحدة في الفترة من عام ألف وسبعمائة وسبعين إلى عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين أي خلال مائة وخمسة وسبعين عاماً محاولاً بذلك التوصل إلى ما تتضمنه تلك الدراسات من نقاط متسقة ، ومشتركة فيما بينها . كذلك حاول ميرتينز (٧٢٦) في دراسته عن هولندا ، وليجراس (٦٣٧) في دراسته عن روسيا ، ومارجريت ميد (٧٢٣) في دراستها عن بورما . كل ذلك فضلاً عن دراسات تحليل المحتوى المختلفة .

ووجه التشابه الأساسي بين الأسلوب المقترح وتلك المحاولات جميعاً إنما يتمثل في تعامل الباحث مع مادة مكتوبة . أو بالتحديد في خروجه عن الالتزام بأسلوب توجيه الأسئلة إلى المفحوصين أو تطبيق الاختبارات عليهم باعتبار أن ذلك هو السبيل الوحيد للمعرفة في هذا المجال .

ومن ناحية أخرى فإن الفرق الرئيسي بين الأسلوب المقترح وتلك المحاولات إنما يتمثل أولاً في طبيعة المادة التي يتم تحليلها حيث لا تكون بحال مجرد «محتوى اتصال» بل هي أساساً بحوث متخصصة تم إجراءها على عينات مختلفة من أفراد التجمع المستهدف . وانطلاقاً من هذه التفرقة يصبح التعامل الكمي مع تلك البحوث موضع المعالجة ـ باعتبارها وحدات متساوية ـ أمراً خلواً من المنطق تماماً . قد يكون ثمة منطق إلى حد ما في افتراض أن وحدات محتوى الاتصال تحمل أوزاناً متساوية ، وهو شرط القيام بتحليل ذلك المحتوى تحليلاً كمياً كما سبق أن أشرنا . إلا أن ذلك المنطق يخفت تماماً إذا ما كنا بصدد التعرض لبحوث سيكلوجية قام بها علماء متخصصون ، مستخدمين من الأدوات ما يتفاوت دقة وإحكاماً ، ومن العينات ما يتفاوت حجماً وتمثيلاً ، متوصلين من ذلك كله إلى نتائج هي بالضرورة متفاوتة معنى ودلالة .

وثمة فرق لا بد من الإشارة إليه أيضاً بين أسلوب إعادة التركيب ، وما يتضمنه الكثير من البحوث العلمية المتخصصة من استعراض للدراسات السابقة ، أو ما تتضمنه بعض المراجع المتخصصة من استعراض للبحوث التي أجريت في مجال معين واستخلاص الاتجاهات الرئيسية للموقف الراهن في ذلك المجال ، بل واستشراف مؤشرات المستقبل أيضاً . إن أسلوب إعادة التركيب يختلف عن كل ذلك في أن البحوث التي يتناولها بإعادة التركيب لم تجر جميعها وحتماً بهدف معرفة شخصية الجماعة المستهدفة ، بعكس ما يحدث في حالة استعراض الدراسات

السابقة حيث ينصب الاستعراض أو التحليل على بحوث موحدة الهدف .

وعلى أي حال فإن البحوث والدراسات التي نشرت منذ أوائل الستينيات ، والتي استهدفت - أساساً أو ضمناً - دراسة الشخصية العربية ، وخاصة تلك التي أجراها الإسرائيليون ، قد نحت بدرجة أو بأخرى منحى قريباً من استخدام أسلوب إعادة التركيب وإن لم تطلق عليه تلك التسمية ، ولم يهتم أي من هؤلاء الباحثين بتأصيله نظرياً . (١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٤١١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨ ، ٤٩٣ ، ٥٣٤ ، ٦٠٢ ، ٦٨٦ ، ٧٦٦ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٩٨٦) .

وإذا بدا أن استخدام أسلوب إعادة التركيب في مجال دراسات شخصية الجماعة في حاجة إلى التبرير أو التأصيل النظري ، فإن ذلك الأسلوب بالتحديد يكاد يكون الأسلوب الأساسي الذي يقوم عليه علم التاريخ (٦ : ١٤) بل إنه الأسلوب الوحيد بالفعل الذي يقوم عليه علم التحليل النفسي نظرية وممارسة .

المسلمات النظرية لأسلوب إعادة التركيب :

يقوم استخدام أسلوب إعادة التركيب المقترح على مسلمتين نظريتين أساسيتين : -

(أ) إن الإنسان الفرد وحدة متكاملة متسقة تفصح عن نفسها في كافة مجالات النشاط الإنساني اجتماعية كانت أو تاريخية أو اقتصادية أو سياسية إلى آخره .

(ب) إن كافة البحوث النفسية يمكن اعتبارها بحوثاً نفسية اجتماعية ، سواء أفصح الباحث عن ذلك أو لم يفصح . وذلك طالما أنه لم يتم استبعاد عامل الفروق القومية وهو ما لا يمكن استبعاده تماماً إلا بإجراء كافة البحوث على عينات عالمية .

حدود استخدام أسلوب إعادة التركيب :

لكل أسلوب من أساليب البحث العلمي حدود أو شروط لا بد من توافرها والالتزام بها لكي يصبح استخدامه ممكناً . وأهم شروط استخدام أسلوب إعادة التركيب هي : -

١ - توافر مادة متخصصة نتيجة لتراكم عدد من البحوث النفسية الميدانية التي أجريت على عينات متنوعة من أفراد تجمع بشري معين .

٢ ـ تنوع الأساليب والأدوات التي استخدمت في تلك البحوث .
٣ ـ تعدد المنطلقات النظرية التي قامت عليها تلك البحوث .

وقضية العدد والتعدد والتنوع في هذا الصدد قضية نسبية تماماً . بمعنى أنه كلما ازداد الكم وتنوع ازدادت النتائج التي يتوصل إليها القائم بإعادة التركيب ثباتاً وصدقاً ، والعكس بالعكس . ولذلك فإنه ينبغي على القائم بإعادة التركيب أن يحدد منذ البداية تحديداً دقيقاً قدر الإمكان طبيعة ونوعية المادة التي اعتمد عليها ، والأسلوب الذي اتبعه في تجميعها .

إن أسلوب إعادة التركيب لا يمكن بحال أن يعد بديلاً عن أساليب البحث الأخرى في مجال دراسة شخصية الجماعة ، فهو يقوم أساساً على تناول ما أسفر عنه اتباع تلك الأساليب من نتائج . وبالتالي فإن زيادة وتنوع البحوث المعتمدة على أساليب أخرى يتيح لأسلوب إعادة التركيب مزيداً من ثراء المادة وصدق النتائج . ومن ناحية أخرى فإن البحوث القائمة على أسلوب إعادة التركيب تكفل للبحوث المعتمدة على غيره من الأساليب قدراً أكبر من الثراء في الفروض والمشكلات التي يمكن أن تتعرض لها .

خصائص أسلوب إعادة التركيب :

يتيح اتباع أسلوب إعادة التركيب في مجال دراسة شخصية الجماعة عدداً من المزايا أهمها : ـ

١ ـ أنه يكفل قدراً من تكامل العديد من الاتجاهات النظرية والأساليب والأدوات المستخدمة في المجال مما لا يمكن توافره عادة باتباع الباحث للأساليب الأخرى .

٢ ـ أنه بقدر تنوع وتراكم البحوث المتوافرة ، يمكن باتباع أسلوب إعادة التركيب تجاوز مشكلات العينة القومية .

٣ ـ أنه يتيح الفرصة لتجاوز انتقائية الباحث الذاتية ، بالجمع بين انتقائيات عدد من الباحثين المختلفين . وهو ما لا يمكن توفره في حالة البحث المباشر حتى ولو قام به فريق ـ كفريق كولومبيا مثلاً ـ حيث يكون الفريق ككل عرضة للوقوع في خطأ موحد قومياً .

مشكلة الصدق في أسلوب «إعادة التركيب» :

يستطيع القائم بإعادة التركيب أن يصل إلى تصور محدد لشخصية الجماعة التي يتصدى لدراستها . ولكن تبين مدى صدق وثبات ذلك التصور يقتضي وقفة متأنية ، إن الصدق في هذا الصدد ـ وهو يجب الثبات بطبيعة الحال ـ إنما يعني بالتحديد التصدي للإجابة على سؤالين هما : ـ

(أ) هل الخصائص النفسية التي يتضمنها ذلك التصور تميز حقاً شخصية التجمع البشري المستهدف ؟

(ب) هل تلك هي كافة الخصائص النفسية التي تميز شخصية ذلك التجمع ؟

ومن الواضح أن الإجابة على السؤال الأول تتصل بمشكلة احتمال تعسف التفسير ، في حين تتصل الإجابة على السؤال الثاني بمشكلة انتقائية الباحث .

وليس من سبيل فيما نرى ، إلى التيقن احصائياً من صدق ما يتوصل إليه القائم بإعادة التركيب غير أن ثمة سبيلاً إلى التيقن من ذلك الصدق عن غير الطريق الإحصائي . وذلك بتبين مدى اتساق ما يسفر عنه الأسلوب مع تلك الأطراف المختلفة التي تتيحها فروع أخرى من العلوم الإنسانية تعرضت لدراسة ذلك المجتمع المستهدف نفسه . بعبارة أخرى فإن مدى الصدق في هذا المجال يمكن أن يتضح بمقارنة نتائج إعادة التكوين سيكلوجياً مثلاً مع ما توصلت إليه دراسات أخرى لذلك التجمع البشري تاريخياً واجتماعياً وسياسياً إلى آخره .

الباب الثاني

حدود الموضوع وخطة الدراسة

الفصل الخامس
إطار للموضوع

صعـاب ومحاذير

البحث في الشخصية الإسرائيلية بعامة تكتنفه محاذير وصعاب عديـدة ينبغي التنبه لها والتنبيه إليها . التنبه لها تلافياً لما يمكن تلافيه منها ، والتنبيه إليها تحذيراً لما لم نستطع له تلافياً .

أولاً : إن الدراسة السيكلوجية للتجمع الإسرائيلي من موقع مصري قد فرضت علينـا صراعـاً بـدا في أول الأمـر وكـأنـه حتمي بين «مقتضيـات التجـرد العلمي» و «مقتضيات الالتزام الوطني» وكاد ذلك الصراع أن يتحول إلى قيد يعـوق إمكانيـة المضي في الدراسة . ثم لم يلبث أن تحول إلى تساؤل مؤداه : هل ثمة صراع حقاً بين مقتضيات التجرد العلمي ومقتضيات الالتزام الوطني ؟ وأدى طرح ذلك التساؤل إلى سلسلة متتـالية من التسـاؤلات المتـرابـطة : هـل ثمـة تعـارض بين الانحيـاز والموضوعية ، أم أن التعارض الحقيقي إنما هو بين الذاتية والموضوعية ؟ أليس من فرق بين الانحياز والذاتية ؟ أليس من فرق كذلـك بين الحياد والمـوضوعيـة ؟ هل صحيح أن ثمة طريق محايد غير منحاز يؤدي إلى معرفة حقيقة ، خاصة في مجال العلوم الإنسانية ؟ وإذا لم يكن بد من الحياد لكي تتحقق المعرفة العلمية الموضوعية فكيف للإنسان أن يعرف أعداءه ، أو أصدقاءه معرفة علمية ؟ ألا يعني هذا استحالة معرفة العدو وأيضاً استحالة معرفة الصديق ؟ هل الطريق ممهد فحسب لمعرفة أولئك الذين لا يتخذ الإنسان منهم موقفاً منحازاً مسبقاً ، أي أولئك الذين ليسوا بأصدقاء وليسوا بأعداء ؟ ترى وهل يهتم الإنسان عادة بمعرفة هؤلاء أم أن اهتمامه إنما ينصب على معرفة أولئك الذين يحبهم وأولئك الذين يكرههم ؟ وهل من إمكانية لأن يؤجل

المرء اتخاذ موقفه إلى أن ينتهي من بحثه ؟ أم أن اتخاذ مثل هذا الموقف هو بمثابة المبرر أو الدافع الذي يدفعه إلى البحث ؟ ترى هل علماء النفس الذين تصدوا ويتصدون للدراسة العديد من مشكلات الإنسان المعاصر الملحة قد أجلوا اتخاذ مواقفهم حيال تلك المشاكل إلى ما بعد قيامهم بدراستها دراسة محايدة ؟ ترى هل يمكن مثلاً لعالم أمريكي أن يتصدى لدراسة مشكلة التعصب العنصري حيال الزنوج دون أن يكون مهتماً بتلك المشكلة بمعنى أن له موقفاً ما منها دفعه بالتالي إلى دراستها ؟ هل أرجأ أدورنو وزملاؤه (١٦٤) أو روث بندكت ومارجريت ميد وفريق كولومبيا (٧١٤) أو غيرهم من العلماء الذين تصدوا لدراسة النازية مثلاً ، هل أرجأ هؤلاء إدانتهم للنازية أو للتعصب العنصري إلى ما بعد قيامهم ببحوثهم أم أن إدانتهم المسبقة هذه كانت في الحقيقة بمثابة الدافع الذي دفعهم إلى القيام بتلك البحوث ؟

إن الباحث الإسرائيلي ومدير المخابرات الإسرائيلية السابق يهوشفاط هاركابي قد طرح تلك القضية من وجهة نظره في البحث الذي تقدّم به للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من الجامعة العبرية في نهاية أبريل عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين عن الاتجاهات العربية نحو إسرائيل (٥٠١) .

يقول هاركابي :

> إن مشكلة الحكم المتوازن في البحوث الاجتماعية والسياسية والتاريخية تقتضي متطلبات صعبة . فمثل تلك الدراسات تصبح محدودة القيمة إذا ما اقتصرت على تناول الموضوعات التي يمكن أن يتخذ الباحث حيالها موقفاً متجرداً ليس منحازاً، ولا مبالياً بما تحمله من انفعالات وقيم . إن الميل إلى الاقتصار على تناول تلك التفاصيل القابلة للفحص العلمي، وإلى تقديس العلمية الزائفة الضيقة، وإلى رفض تناول تلك المشكلات الكبرى التي تواجه المجتمع والبشرية لأنها تطرح صعاباً خاصة في التوصل إلى البرهنة العلمية الكاملة على ما ينتهي إليه المرء من نتائج أو لأنها تتضمن أحكاماً تقييمية ، كل ذلك إنما يدفع إلى العقم ، حيث أن مقدار الموضوعية العلمية التي يمكن تطبيقها على موضوع معين كثيراً ما يرتبط مباشرة بمدى تفاهة ذلك الموضوع. إن جهود العلوم السياسية والاجتماعية ينبغي أن لا تكرس فحسب لتناول المشكلات التي يمكن تناولها بالمناهج العلمية ، بل أيضاً لتناول تلك المسائل الهامة التي يصعب بحثها دون التجاوز عن قدر من الشك وعدم التأكد . (٥٠١ : ٤٦٨) .

ورغم ذلك الذي يقوله هاركابي ، ورغم تسليمه بصعوبة أن يكون متجرداً في موضوع بحثه للاتجاهات العربية نحو إسرائيل ، فإنه يقترح كأسلوب يضمن له التخلص من تحيزاته أن يبرزها على السطح وأن يسجلها بوضوح على اعتبار «أن مجرد تساؤلات الباحث التي يطرحها على نفسها ، متضمنة اهتماماته الخاصة ، وحيله الدفاعية ، التي قد تؤثر على فروضه ونتائجه ، إنما تساعده في حد ذاتها على التغلب على تلك التعصبات» (٥٠١: ٤٦٩) . ثم يمضي مسجلاً احتمالات تحيزاته كما يراها (٥٠١ : ٤٦٩) ومثل ذلك الموقف فيما نرى لا يعني سوى الهروب من مواجهة المشكلة النظرية الأساسية : هل يعوق الانحياز المعرفة العلمية الإنسانية أم أن العائق هو الذاتية ؟ الانحياز يعني اتخاذ موقف مسبق يحتمل أن يكون موضوعياً ويحتمل أن يكون ذاتياً . أي يمكن أن يكون صحيحاً ويمكن أن يكون خاطئاً . أما الذاتية فتعني ألا يرى المرء إلا أفكاره هو وأن يراها على أنها وقائع خارجية . والمشكلة هي أن يحاول الباحث أن يلتزم بانحيازه جانب الموضوعية بمعنى ألا يسمح لانحيازه بأن يوقعه في منزلق الانتقائية الذاتية وذلك أمر يمكن أن يكفله له المنهج الذي يختاره لبحثه والأساليب التي يتيحها هذا المنهج لاختبار صدق نتائجه واستخلاصاته . أما أن يسعى الباحث إلى التخلص من انحيازه كما فعل هاركابي ـ على حد قوله ـ فإنه يؤدي إلى مخادعة الباحث لنفسه وللآخرين بادعائه حياداً لا وجود له وإغراقه في ذاتية كان يمكن له تحاشيها لو سلّم منذ البداية بانحيازه محاولاً أن يلتزم بذلك الانحياز جانب الموضوعية .

إن هاركابي باصطناعه الحرص على بلوغ التجرد العلمي قد بلغ هاوية من الذاتية لم يكن بد من بلوغه لها . يقول هاركابي :

> لقد عاشت أسرتي في طفولتي بجوار العرب في حيفا . واكتسبت من والدي حب الجمال العربي . وفيما بعد درست اللغة العربية والأدب العربي في الجامعة على جبل أسكوبس . وحين أستعيد فترة حرب عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين أعتقد أنني لم أكره العرب. وحتى موت أخي وغيره من أقربائي في المعركة لم يملأني حقداً . لقد اعتبرت الحرب نوعاً من الضرورة التاريخية . كذلك فقد قمت لسنوات بواجباتي في المخابرات حيث كانت مهمتي اكتشاف أسرارهم دون حقد (٥٠١: ٤٦٧).

ثانياً : إن جانباً كبيراً من الدراسات السيكلوجية التي أجريت على إسرائيليين

قد قام بها باحثين من اليهود غير الإسرائيليين . وعلاقة اليهود الإسرائيليين باليهود من غير الإسرائيليين علاقة بالغة التعقيد والتشابك (٤٦٠ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥٢٧ ، ٨٥٥ ، ٨٩١) إن مجرد إقامة هؤلاء خارج إسرائيل في بلاد الرخاء وفقاً للتعبير الشائع في المؤتمرات الصهيونية يجعل الكثير من الإسرائيليين لا ينظرون إليهم باحترام كبير . ومن ناحية أخرى فإن إحساس بعض هؤلاء بمثل تلك النظرة يعقد كثيراً من موقفهم حيال اليهود الإسرائيليين . ولعل خير مثال يدل على تأثير تلك العلاقة المعقدة على نظرة الباحث إلى موضوع بحثه ما حدث حين عقد في عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين لقاء بين عدد من علماء النفس الأمريكيين والإسرائيليين بهدف زيادة التعاون بين الفريقين ، وتم اختيار موضوع تأثير النشأة في الكيبوتزات الإسرائيلية على الشخصية موضوعاً للدراسة . وكان ضمن المشتركين في هذا اللقاء الباحثة الأمريكية اليهودية ايفا روزنفلد التي قامت في نطاق البرنامج الذي أسفر عنه هذا اللقاء بتقديم دراسة عنوانها «عالم الاجتماع الأمريكي في إسرائيل : دراسة ميدانية في صراع الأدوار» قالت فيها : «لعله ليس مصادفة أن كافة علماء الاجتماع الذين ذهبوا لإجراء دراسة ميدانية في الكيبوتزات وما شابهها كانوا جميعاً من اليهود . وربما كان ذلك مدعاة لمزيد من التناقض الوجداني في نفوس الباحثين وما يترتب عليه من **شعور بالإثم لكونهم مجرد زوار**[1] . . . ليس أمام الباحث إلا أن يتخلى عن دوره العلمي ويصبح عضواً في الجماعة أو أن يصبح متحيزاً للجماعة التي يفحصها» (٨٦٦) .

ثالثاً : لقد كتب المفكرون العرب وما زالوا يكتبون الكثير والكثير عن الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، وعن خصائص التجمع الإسرائيلي . ولكن الإسهام السيكلوجي العربي المتخصص في هذا المجال نادر ندرة تكاد تصل إلى حد التلاشي . فباستثناء محاولة مصطفى زيور (١٤٤ ، ١٤٥) لإلقاء الضوء من وجهة نظر التحليل النفسي على طبيعة التكوين السيكلوجي الاسرائيلي ، ومحاولاتنا السابقة في هذا المجال (١١٢ ، ١١٧) لا نكاد نجد محاولة عربية واحدة أخرى .

ومثل ذلك الموقف قد حرم محاولتنا من دروس ثمينة يستفيدها الباحث عادة من

---

(١) التأكيد من لدينا .

محاولات من سبقوه . كما أنه قد فرض على تلك المحاولة بذلك قدر من الجهد في تحديد لمعالم الطريق كان يمكن أن يبذل في الدراسة المباشرة للموضوع .

مجال الدراسة

يتطلب تحديدنا لمجال دراستنا في الشخصية الإسرائيلية تحديداً أفقياً لحدود التجمع الإسرائيلي الراهن وموقعه بالتحديد من تجمعين آخرين هما التجمع الصهيوني والتجمع اليهودي ثم توضيح حدود وموقع «الجماعة» الإسرائيلية التي نستهدف دراستها من بقية الجماعات المكونة للتجمع الإسرائيلي الراهن أي إنه يتطلب أيضاً تحديداً رأسياً لمدى امتداد كيان تلك الجماعة في الأجيال المختلفة الراهنة القائمة في التجمع الإسرائيلي .

أولاً ـ موقع يهود التجمع الاسرائيلي الراهن من الصهيونية :

يسعى القائمون على أمور التجمع الإسرائيلي سعياً دؤوباً إلى تمييع الحدود بين الإسرائيلي والصهيوني واليهودي حتى أن المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين الذي انعقد عام ألف وتسعمائة وثمانية وستين يعتبر أن «محاولة التفريق بين الصهيونية وبين الشعب اليهودي محاولة إجرامية لتضليل الرأي العام» (٣٨: ٩٨٥) .

ويقول ليفي أشكول: «إن الصهيونية هي أم الثورة اليهودية. فهي التي جاءت بي وبمن سبقني وبمن سيأتي بعد ذلك إلى أرض إسرائيل . نحن يهود ، إذن نحن صهيونيون . فأعداؤنا لا يربطون العداء للسامية بالصهيونية عبثاً ، وفي الوقت الذي يتعرضون لنا يقولون أنهم ليسوا ضد اليهود ولا سمح الله بل ضد الصهيونية فقط . الصهيونية تتماثل في نظرهم مع اليهودية» (٣٨: ٥٠٥) .

ولقد تعددت الكتابات التي تناولت الصهيونية كبناء فكري أو كممارسة عملية . وتباينت مواقف تلك الكتابات من التأييد والتعاطف إلى الهجوم والإدانة . ولسنا بصدد التعرض لتلك الكتابات بالحصر أو التفنيد أو التقييم . كل ما يعنينا هو إبراز أن تلك الكتابات على تباين منطلقات أصحابها تكاد أن تجمع على خاصية محددة تميز الصهيونية فكراً وممارسة وهي التسليم بأنه لا حل لما يسمى بالمشكلة اليهودية إلا بتجميع اليهود في فلسطين كوطن قومي . قد تتعدد الأردية التي تبدو بها تلك المسلمة . بل وقد تتباين منطلقاتها من «الحل الاشتراكي للمسألة اليهودية» إلى

«تحقيق الوعد الإلهي لشعب الله المختار» ولكن الجوهر رغم تلك التباينات جميعاً يظل واحداً : ثمة مشكلة يهودية لا حل لها إلا بإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين (٣١ ، ٣٦: ١٠ - ١٢ ، ٥٦: ٢٤٠ - ٢٤٥ ، ٥٧: ٢٤٦ - ٢٥٢ ، ٨٢: ٢١٦ - ٢٣٧ ، ٩٦: ٩ ، ١١٨: ١٤ - ١٧ ، ١٢٠: ٢٠٢ - ٢١٣ ، ١٢٣ ، ١٥٠: ٢٧٩ - ٢٨٤ ، ١٥٢: ٢١ - ٤٢ ، ١٥٧ ، ٣٣٣ ، ٧٧٠ ، ٩٣٩) . ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى تعريف أهداف الصهيونية كما وردت في مقدمة قرارات المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين «أهداف الصهيونية هي : وحدة الشعب اليهودي ومركزية دولة إسرائيل في حياة الشعب . تجمع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي أرض إسرائيل بالهجرة من جميع البلاد . تدعيم دولة إسرائيل القائمة على نبوءة الأنبياء في العدل والسلام . المحافظة على خاصية الشعب بتطوير التربية اليهودية والعبرية وبث القيم الروحية والتربوية اليهودية . الدفاع عن حقوق اليهود في جميع الأماكن التي يقيمون فيها» (٣٨: ٩٨١) .

وانطلاقاً من ذلك التحديد لمعنى الصهيونية نستطيع أن نستخلص النقاط التالية : -

أ - لا يضم التجمع الاسرائيلي الصهاينة جميعاً :

فرغم أن الصهيونية تقوم - فكراً وممارسة - على دعوة اليهود لاستيطان فلسطين كوطن قومي ، إلا أن التجمع الإسرائيلي حتى اليوم لا يضم الصهاينة جميعاً . ويحاول الصهاينة خارج إسرائيل طمس ذلك التناقض مبرزين بمختلف الحجج أهمية الدور الذي يلعبونه كصهاينة خارج حدود التجمع الإسرائيلي ، وحيوية ذلك الدور بالنسبة للصهيونية وللتجمع الإسرائيلي على حد سواء ، وارتباط فعالية ذلك الدور ببقائهم في الخارج . إلا أن صهاينة إسرائيل لا يجمعون على قبول مثل تلك التبريرات . حتى أن المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين الذي انعقد في القدس في الفترة من الثامن عشر إلى الثامن والعشرين من يناير عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين قد شهد تفجيراً لتلك المشكلة تمثل في اقتراح تقدم به يجيئيل ليكيط زعيم شباب حزب العمل الاسرائيلي قائلاً : «إننا نريد أن نفرض على كل صهيوني واجب الهجرة إلى اسرائيل . ليتوقفوا عن الحديث عن الهجرة وليهاجروا فعلاً ، وفي طليعتهم الزعماء ليكونوا قدوة حية للشباب اليهودي . إننا نقترح عقوبات أيضاً : الزعيم الصهيوني الذي لا يهاجر إلى اسرائيل خلال أربع سنوات من انتخابه لا ينتخب مرة

أخرى لأي منصب صهيوني . ولقد تبنى ذلك الاقتراح حزبي حيروت ومافدال الإسرائيليين وصوّت عليه المؤتمر في آخر ساعات انعقاده، وبعد جلسة خاصة استمرت من مساء اليوم الأخير حتى صباح اليوم التالي بأغلبية مائة وأربعة أصوات ضد اثنين وستين صوتاً . وقد أثار ذلك الاقتراح الذي باركته الأوساط الصهيونية الإسرائيلية ردة فعل عنيفة لدى المنظمات الصهيونية الأمريكية الممثلة في المؤتمر حتى أن رئيسة منظمة هداسا النسائية قد أعلنت أن منظمتها قد تضطر للانسحاب من المؤتمر إذا جرت محاولة لتنفيذ القرار . ولقد أثار آبيه بينكوس رئيس المنظمة تعقيباً على الشجب الدستوري لذلك القرار إلى أن قول بن جوريون في الخمسينيات أن «كل من لا يهاجر لا يعتبر صهيونياً» لم يؤد إلى زيادة عدد المهاجرين ولو مهاجراً واحداً (٣٩: ١٠٨ ، ١٥١ : ٣٨) .

ب ـ لا يضم التجمع الاسرائيلي الصهاينة فقط :

إن كافة يهود التجمع الإسرائيلي باستثناء اليهود الفلسطينيين[1] يتخذون من الناحية العملية موقفاً صهيونياً . ورغم تلك الحقيقة ، فإن الصهاينة الإسرائيليين يسعون إلى أن يصبح اليهود جميعاً صهاينة وأن يأتي هؤلاء الصهاينة اليهود جميعاً إلى إسرائيل وألا يصبح في اسرائيل إلا الصهاينة وحدهم . ورغم هذا السعي فإن صهيونياً مثل يسرائيل جولدشتاين يدرك أن ذلك أملاً وليس واقعاً فيقول في خطابه في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين «من المحتمل أن يهاجر إلى إسرائيل يهود غير صهيونيين لأسباب مختلفة ، وستحتاج إسرائيل إليهم وسترحب بهم من أجل كيانها ومستقبلها» (٣٨: ٤٦٣) وذلك هو ما يحدث بالفعل ، فالتجمع الاسرائيلي بحكم قانون العودة (٢٧ ، ٤٨) لا يوصد بابه أبداً في وجه أي يهودي قادم إليه[2] . وثمة أسباب عديدة ليست أيديولوجية بالضرورة قد تدفع المرء إلى الهجرة ، وليس اليهود باستثناء في هذا الصدد .

تقول الصهيونية الأسترالية هانا كسلر في خطابها في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين «إن كلمة صهيوني . . . أصبحت الآن كلمة مستنكرة لدى أوساط كثيرة في إسرائيل وفي المنفى . لماذا هذا الوضع ؟ لقد تحدثت قبل وقت مضى مع إسرائيل

---

(١) المقصود هم اليهود الذين ظلوا في فلسطين دون أن يغادروها إلى الشتات .

(٢) العبرة هنا بنص القانون وليس بحرفية تطبيقه .

هاجر قبل ثلاثين سنة وساهم مساهمة كبيرة في مرحلة مهمة جداً من إقامة الدولة وكان ملخص كلامه كالتالي : علينا التخلص من الصهيونية لتثبت دولتنا ويصبح أولادنا مواطنين مستقلين» (٣٨: ٥٢٤) .

والأمر لا يقف عند حدود الاستنكار بل إن ثمة يهوداً إسرائيليين يرفضون الصهيونية من منطلق ديني كما هو الحال بالنسبة لجماعة الناطورا كارتا (٣٥٧) كذلك فإن ثمة يهوداً إسرائيليين ـ رغم قلتهم ـ يرفضون الصهيونية من منطلق أيديولوجي مناقض لها تماماً بل ويتخذ رفضهم شكل الممارسات العملية المعادية للدولة (٢٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥) .

ج ـ ليس كل اليهود صهاينة بالضرورة :

قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية في يوليو عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين إجراء إحصاء للصهاينة في مختلف البلدان التي تتواجد فيها الطوائف اليهودية والتي يسمح فيها بممارسة النشاط الصهيوني العلني المنظم . وقد انتهت عملية الاحصاء هذه في يونيو عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين وشملت ثلاثة وثلاثين بلداً تضم ثمانية ملايين ومائتين وتسعة وثمانين ألفاً وأربعمائة وخمسين يهودياً قبل منهم التسجيل في عضوية المنظمة الصهيونية العالمية ثمانمائة وثمانية وتسعين ألفاً ومائة وستة وأربعين يهودياً أي بنسبة حوالي ٩٪ (١٥١: ٣١) . وذلك يعني دون تقيد بتلك النسبة الضئيلة أن من اليهود المنتشرين في شتى أنحاء العالم من لا يمارس نشاطاً صهيونياً . ولعل استمرار تأكيد المؤتمرات الصهيونية الأخيرة على الدعوة إلى صهينة اليهود إنما تعني ببساطة أن ثمة يهوداً غير صهاينة أو على الأقل ليسوا صهاينة بالمستوى المطلوب . وفضلاً عن ذلك فإن هناك يهوداً يتخطون ذلك الموقف إلى حد العداء الصريح وبدرجات متفاوتة للصهيونية فكراً وممارسة وإن تباينت منطلقاتهم الفكرية المؤدية إلى ذلك الموقف (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٩٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٤ ، ٣١٠ ، ٣٥٧ ، ٤٣١ ، ٦١٠ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٨٤ ، ٦٨٧ ، ٧٣٣ ، ٧٤٧ ، ٩٠٤ ، ١٠٠٤) .

د ـ ليس الصهاينة جميعاً يهوداً بالضرورة :

إن الصهيونية كموقف فكري تتمثل ـ كما أشرنا ـ في التسليم بأن ثمة مشكلة

يهودية وأنه لا حل لتلك المشكلة إلا بإقامة وطن قومي لليهود على الأرض الفلسطينية . واتخاذ مثل ذلك الموقف ليس بقاصر على اليهود فحسب (١ ، ٣٨ : ١٧٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٤٩٦ ، ٦٢٦ ، ٧٠٣ ، ٧٦٥ ، ٩٩١) .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك فان باسان الأديب والكاتب المسيحي الديانة الهولندي المولد ، الأمريكي الجنسية ، الذي اجتذبته الصهيونية في أعقاب زيارته لفلسطين عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين حيث منح في تلك السنة لقب المواطن الفخري لمدينة تل أبيب وأبدى نشاطاً عملياً متزايداً في تأييد الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية فضلاً عن إصداره عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين كتابه **الحليف المنسي** الذي يتبنى فيه صراحة الدعوة إلى تدعيم إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (١٠٠٤) لقد استحق باسان وبحق تقدير المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين باعتباره «صهيونياً متحمساً وصديقاً مخلصاً لدولة إسرائيل. . . كافح من أجل الصهيونية بصفته أديباً وفي النشاط العام أيضاً» (٣٨ : ١٠٧٣) كذلك فإن المؤتمر قد أبدى نفس التقدير لعدد آخر من الصهاينة من غير اليهود باعتبارهم «أنصار شعوب العالم» (٣٨ : ١٠٧٣) .

الصهيونية إذن لا تمثل الموقف اليهودي كما يبغي الصهاينة . ولا هي تمثل موقفاً يهودياً خاصاً بل إنها ـ فيما نرى ـ موقف من اليهودية قد يتبناه أو يرفضه أو يتجاهله يهود أو غير يهود . ولقد أشار سورنسن إلى شيء من ذلك القبيل بحديثه عن جذب الصهيونية لليهود ولغيرهم مفسراً ذلك بأن الصهيونية قد تجذب اليهود لأنهم من خلالها يحصلون على وطن قومي وقد تجذب غيرهم لأنها تكفل لهم تخلصاً من اليهود (٩٣٩: ١٧٨) . واتفاقنا مع ما يشير إليه سورنسن لا يعني تسليمنا تماماً بتفسيره له .

ثانياً ـ موقع يهود التجمع الاسرائيلي الراهن من اليهودية :

لا يضم التجمع الإسرائيلي سوى قلة من يهود العالم ورغم ذلك فإن موقع يهود التجمع الاسرائيلي الراهن من اليهودية لا يتحدد إلا من خلال الإجابة على تساؤلين محددين :

أ ـ هل يهود العالم صورة من أولئك اليهود الذين تحدثنا عنهم كتب التاريخ ؟

بعبارة أخرى هل صحيح أن اليهود قد حافظوا على نقائهم حضارياً واجتماعياً عبر التاريخ ورغماً عنه ؟ .

ب ـ هل يهود التجمع الإسرائيلي صورة مطابقة ليهود العالم المعاصر جميعاً ؟ أو بعبارة أخرى هل ثمة ما يمكن الحديث عنه تحت عنوان «الشخصية اليهودية» ؟ .

لقد آثر الكثير من الباحثين ممن تعرضوا لدراسة «تاريخ إسرائيل» وبغض النظر عن أهدافهم أن يبدأوا بحثهم عن نقاط تاريخية موغلة في القدم وصلت ببعضهم إلى عام ألف وتسعمائة قبل الميلاد (٨٧٠ : ١) وما يعنينا هو أن مثل تلك البدايات الموغلة في القدم ، تحمل ضمناً تسليماً بأن الظاهرة موضع البحث تربطها أواصر الصلة الوثيقة بتاريخ موغل في القدم إلى هذا الحد . وذلك يعني بالتالي التسليم بأن الأفراد الذين تضمهم هذه الظاهرة إنما يرجع تاريخهم إلى ذلك التاريخ القديم أيضاً . أو عبارة أكثر تحديداً فإن اليهود الإسرائيليين المعاصرين ليسوا إلا امتداداً لأولئك اليهود القدامى الذين تحدثنا عنهم الكتب السماوية وكتب التاريخ . ومن هنا فلا بأس في أن نرجع موقفاً يتخذه إسرائيليو اليوم إلى واقعة وردت مثلاً في أسفار العهد القديم ولا ضير في أن نرجع تصرفاً يتخذه رجل الشارع الإسرائيلي اليوم إلى رواية نقلتها إلينا التوراة عن سلوك الشعب اليهودي في موقف معين حدث آنذاك .

ولا بد لنا هنا من تفرقة بين التاريخ كواقع شخصي للأفراد ، والتاريخ كواقع مادي للأمم . فالتاريخ كواقع مادي لشعب من الشعوب هو تلك الأحداث المتتالية التي وقعت لذلك الشعب تاركة آثارها على أفراده . ومن خلال وحدة تلك التأثيرات يتحول ذلك الواقع المادي إلى واقع سيكلوجي بأن تقوم الأجيال المتعاقبة لذلك الشعب بنقل تلك التأثيرات في وحدتها من جيل إلى آخر . ومن هنا ينشأ ما يمكن أن يسمى بالإحساس بالتاريخ أو ما يمكن أن نطلق عليه التاريخ كواقع سيكلوجي . فالتاريخ يمارس تأثيره على الأفراد كأفراد من خلال نوع من التعليم تتكفل به عملية التنشئة الاجتماعية التي تجري في المجتمع . المجتمع يعلم أفراده أنهم ينتمون إلى ذلك التاريخ بعينه وليس إلى تاريخ سواه .

إن تحول التاريخ من واقع مادي إلى واقع سيكلوجي لا يمكن أن يتم إلا من خلال عملية «تعليم» أو تنشئة اجتماعية . وبذلك فإننا لا نستطيع ببساطة أن نسلم بأن هناك واقعاً تاريخياً مادياً واحداً متصلاً منذ نشأة اليهودية حتى اليوم يجمع بين اليهود

السوفيت واليهود الأمريكيين واليهود اليمنيين واليهود الألمان مثلاً . ولا يوجد حتى بين أشد الكتّاب الصهاينة تعسفاً وتعصباً من يدّعي مثل ذلك صراحة . كل ما هنالك أنهم حين يتحدثون عن تاريخ موغل في القدم للإسرائيليين المعاصرين ، فإنهم يتحدثون عن ذلك بوصفه واقعاً تاريخياً سيكلوجياً . وذلك أمر يتنافى فيما نرى مع طبيعة الواقع التاريخي السيكلوجي إذ أننا لو سلّمنا بأن التاريخ كواقع مادي لم يكن واحداً بالنسبة لليهود جميعاً ، فإن علينا أن نسلّم بالتالي بأن تنشئتهم الاجتماعية لم تكن واحدة مهما بلغ حظها من التشابه . إن عادات وتقاليد وقيم اليهود من أبناء اليمن أقرب قطعاً إلى قيم اليمنيين ـ مهما كان اختلافهم عنهم ـ من قربها إلى تقاليد وعادات وقيم اليهود من أبناء تشيكوسلوفاكيا ، مهما كان اقترابهم منهم . اليهودي الألماني أقرب ـ فيما نرى ـ إلى المسيحي الألماني منه إلى اليهودي من أبناء جنوب أفريقيا . (١١٢ : ٣٧ ـ ٧٦) .

إن اليهودية رغم أنها ديانة لا تبشيرية قد تعرضت لما تعرضت له الديانات جميعاً من موجات اعتناق وارتداد على حد سواء فثمّة جاليات يهودية كاملة كالجالية اليهودية الصينية قد ذابت تماماً باعتناق أفرادها للكونفوشيوسيه (٨٤٥) . كما أن ثمة مجموعات بشرية كاملة قد اعتنقت اليهودية في وقت متأخر نسبياً ، كالخزر الذين كانوا بمثابة دولة مستقلة في جنوبي البحر الأسود اعتنق حكامها اليهودية في القرن الثامن الميلادي ثم لم تلبث أن أصبحت اليهودية هي الديانة الرسمية للخزر (١٣٣ : ٦٨ ، ٨٧٠ : ١٥٩ و ٢٨٧) . كذلك فقد تحول حاكم اليمن في القرن الخامس الميلادي إلى اليهودية وظلت مملكته نصف يهودية حتى عام خمسمائة وخمسة وعشرين قبل سقوطها في أيدي الأحباش والبيزنطيين (٨٧٠ : ١٤٩) ويشير سيسل روث المؤرخ الصهيوني إلى يهود اليمن آنذاك بقوله[1] :«لقد كان اليهود **شأنهم شأن جيرانهم** ، مقسّمين إلى قبائل كثيراً ما تنشب الحروب بينهم وبين بعضهم البعض» (٨٧٠ : ١٤٩) ويتحدث سيسل روث عن اليهود في العصر الإسلامي فيقول: «إن الجانب الأعظم من اليهود ـ عددياً وجغرافياً وحضارياً ـ قد تعربوا ، واتخذوا لأنفسهم أسماء عربية ، وأصبحوا لا يتحدثون إلا العربية بين بعضهم البعض ، واتبعوا العادات والتقاليد الفكرية الإسلامية ، واستخدموا اللغة العامية في أدبهم بل وحتى في

(١) التأكيد من لدينا .

طقوسهم الدينية إلى حد ما» (٨٧٠: ١٥٧ - ١٥٨) . ويرجع سيسل روث ذلك الاندماج والتأثير إلى مجرد أن اليهود «لم يستطيعوا أن يتبينوا أن السيطرة العربية بل وحتى الحضارة العربية في طريقها إلى الخفوت والتلاشي» (٨٧٠: ١٨٢) مستبعداً حقيقة أن المجتمع يترك بصماته على أفراده جميعاً ، انطلاقاً من استبعاده أصلاً لفكرة أن اليهود كانوا - حتى كأقلية - جزءاً من مجتمعاتهم . ولعل ما تشير إليه بحوث عديدة أجراها إسرائيليون معاصرون إلى احتفاظ الكثير من الجماعات اليهودية داخل التجمع الإسرائيلي بعاداتها وتقاليدها الأصلية يؤكد ما نحن بصدده (٢٠٣ ، ٢٨٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٨١ ، ٥٩٤ ، ٧٧٢ ، ٨٤٣ ، ٨٦٧ ، ٩٠١ ، ٩١٩ ، ٩٧٩ ، ١٠١٧) .

وعلى أي حال فإن فكرة امتداد التاريخ الإسرائيلي إلى تلك الجذور الموغلة في القدم تعتبر بمثابة حجر الأساس لدى غالبية المؤرخين الصهاينة فهوارد مورلي ساخار (٨٧٣) ينحو نفس المنحى تقريباً في كتابه مسار **التاريخ اليهودي الحديث** . بل إن ترودفايس روز مارين (١٠٠٦) تمضي إلى حد اعتبار اليهودية دين وقومية في نفس الوقت . والأمر كذلك بالنسبة لغير هؤلاء أيضاً . (١٠١: ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٣٧ ، ٢٣١ ، ٣٤١ ، ٣٦٣ ، ٥١٦ ، ٨٧٠ ، ٩٥٢)..

وإذا كان لذلك الحرص من جانب الكتاب الصهاينة على اصطناع مثل ذلك التاريخ الموغل في القدم للاسرائيليين ما يبرره . فإن الظاهرة الجديرة بالتأمل حقاً أن تلك الفكرة تلقى صدى واسعاً لدى الكثير من مفكرينا حتى أنها قد أصبحت تكاد تشكل سمة مشتركة في نظرتنا إلى الظاهرة الإسرائيلية تشمل حتى من يتناول تاريخ اليهود كمدخل لتناوله قضية أخرى كما فعل صبري جرجس في كتابه **التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي** (٨٧) والذي بلغ تمسكه فيه بتلك الفكرة حد إقدامه على مناقشة أفكار التحليل النفسي التي شهدها مطلع القرن العشرين باعتبارها تعبيراً عن فكر صهيوني بالغ القدم يمتد إلى آلاف السنين . كذلك فقد كان التسليم بفكرة امتداد التاريخ الاسرائيلي إلى الزمن الغابر القديم هو السائد أيضاً في أفكار عدد كبير ممن تناولوا القضية الفلسطينية . فعلى سبيل المثال يقول محمد فرج في كتابه - الذي يسميه رغم ذلك - **فلسطين عربية** «ونحن لا نعني بذلك أن الصهيونية كفكرة وجدت في القرن التاسع عشر فقط ، فهي فكرة قديمة تمتد جذورها إلى الوقت الذي تشرد فيه اليهود من فلسطين فيما قبل الميلاد ؛ وكان اليهود منذ هذا الوقت قد آمنوا بفكرة العودة إلى صهيون ورددوا هذه الفكرة في صلواتهم وأناشيدهم» (١٣٥) أما عبده

الراجحي فإنه يقول في كتابه **الشخصية الاسرائيلية** : «لقد دأبنا جميعاً في الفترة الماضية على التميز بين اليهودية والصهيونية . . . والواقع أننا بهذا وقعنا في خطأ كبير ، ذلك أن الدارس الموضوعي لحياة الشعب الاسرائيلي (كذا) يعلم أن هناك حقيقة هامة لا ينكرها باحث بل لا ينكرها الإسرائيليون أنفسهم فضلاً عن أنهم يعتزون بها ويدعون لها وهي أن الإسرائيلية واليهودية والصهيونية ألفاظ مترادفة لمعنى واحد . فاليهود هم الصهيونيون ، والصهيونيون هم اليهود» (٩٨: ٩) والأمر كذلك بالنسبة لغير هؤلاء من الكتّاب والمؤلفين (١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٨) .

وعلى أي حال فإن ذلك لا ينفي أن وجهة النظر المقابلة ـ أعني فكرة أن أولئك الذين نواجههم اليوم كإسرائيليين ليسوا بحال امتداداً للجنس اليهودي القديم ـ وجهة النظر هذه لا تعدم أنصاراً . فرغم عدم اتفاقنا تماماً مع جان بول سارتر مثلاً في وجهة النظر التي ضمنها كتابه : **اليهود والمعادي للسامية** (٨٨٢) إلا أن ذلك الاختلاف لا ينفي حقيقة أنه يرى أن هناك أجناساً يهودية متعددة وأنه ليس ثمة وجود لتراث يهودي واحد ولا لتاريخ يهودي واحد أما يوري ايفانوف فإنه يحدد موقفه بوضوح في كتابه : **الصهيونية حذار** فيقول : «لقد استهلت الصهيونية والمشايعة لها تنشر على أوسع نطاق خرافة مؤداها أن الصهيونية التي تدعو لإقامة دولة يهودية هي ظاهرة قديمة قدم العالم . ذلك أن اليهود على امتداد آلاف السنين كانوا دوماً يحلمون بيوم العودة إلى فلسطين . والمثير حقاً أن هذه المزاعم لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه» (٥١: ٥) . وتتفق وجهة نظر إيفانوف هذه مع ما يقول به عدد آخر من المفكرين (٣١ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ، ٤٧٤) .

اليهودية فيما نرى ديانة ، لا يمثل اتباعها تكويناً حضارياً أو قومياً موحداً . وبالتالي فإن اليهودية ـ شأن الصهيونية ـ لا تصلح إطاراً اجامعاً مانعاً لموضوع بحثنا . ولا يعني ذلك بحال إهداراً كاملاً لتلك البحوث التي تتناول اليهود كأقلية في مجتمع معين لها خصائصها المعينة (١٨٣) .

موقع الأشكنازيم من يهود التجمع الاسرائيلي الراهن :

تمثل مشكلة تنافر الجماعات الحضارية التي يتشكل منها التجمع الإسرائيلي محور العديد من كتابات علماء الإنسانيات الإسرائيليين وغير الإسرائيليين (٢٢٧ ، ٣٢٢ ، ٣٤٥ ، ٣٧٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٧٨٤ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ،

٩٢٢) . وفضلاً عن بروز ذلك التنافر بصورة واضحة بين المهاجرين الجدد (٤٢١ ، ٨٠٧ : ٣٢ ، ٩٢١ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ : ١٣) فإن الدراسات تكشف عن امتداد جذوره إلى تاريخ قديم (٢٣٣ : ٣٣ ، ٢٣٤ : ٢٥٥ - ٢٦٠ ، ٧٢٤ ، ٨٦٣ : ٤٣ ، ٨٨٦ ، ٩١٣ : ٦٤ - ٦٨ ، ١٠٢١ : ١٣٠ ، ١٠٢٢ ، ١٠٤٠) وتكشف أيضاً عن امتداد فروعه عبر الأجيال المعاصرة في إسرائيل (١١٧) ، وفي خارجها أيضاً (٨٠٠ : ٧) .

ويحتل التباين بين السفاردين والأشكنازيم المقام الأول في هذا الصدد داخل التجمع الإسرائيلي حيث تتبدى مظاهره في كافة نواحي الحياة تقريباً فتشمل فرص العمل (٤٣ : ١٣٨ - ١٣٩) والنظرة إلى الدين اليهودي (٣٢٣ : ١٣٧ ، ٤٨٢ : ٨٧ - ٨٨ ، ٤٩٠ : ٨) والنظرة إلى الزواج المختلط (٢١٤ : ١٧٩ ، ٧٦٣) ومعدلات الإنجاب (١٩ : ٩٤ - ٩٥) ومعدلات الهجرة المضادة (٩٧٢ : ٨٩) والخصائص النفسية (٣٦٠ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦) وأنماط التفكير (٩٤٨) وأساليب التنشئة الاجتماعية (٧٣٤) والتوافق الدراسي (٣٠٩ ، ٧٧٨) ومعدلات النجاح (١٦٥ ، ٢٤٣ ، ٣٦٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨١ ، ٦٩٧ ، ٧٤٨ ، ٩١٦ ، ١٠٣١) وغير ذلك من المجالات (١٦٣ ، ١٨٨ ، ٢٦٩ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٧٩١ ، ٨٠٥ ، ٨٥٠ ، ٩١٧ ، ٩٢٩ ، ٩٣٤) .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك حقيقة أن النسبة العددية للسفارديم في ازدياد (٢٣٢ : ٧٦ ، ٣٢٦ : ١٢٦ ، ٧٨٣ ، ٧٩٨ : ٢٠٠ - ٢٠٢) ، وإنهم - أي السفارديم - يتخذون أحياناً اتجاهاً أقرب إلى العنف في مواجهتهم للأشكنازيم (٤١ : ١٥٢ ، ٦٤ ، ٨٩ ، ١٧٣ ، ٢٤٤ : ١٤ ، ٣١٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٧٨٤ : ٥٧) ، أصبح علينا أن نبرر اختيارنا لجماعة يهود الأشكنازيم دون غيرهم من جماعات التجمع الإسرائيلي لتكون موضوع دراستنا . وأهم مبرراتنا لذلك الاختيار هي : -

١ - يهود الأشكنازيم هم مؤسسو الدولة الإسرائيلية ، والقائمون على حكمها منذ إنشائها حتى الآن (١١ ، ٢١ : ٨٩ - ٩٧ ، ٤٧ : ٨ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٥٤ ، ٢٦٨ : ٢٢ - ٢٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ : ١٥٧ - ١٥٨ ، ٤١٨ ، ٤٣٤ : ٥٧ - ٦٧ ، ٨٤٢ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ١٠٤١) .

٢ - إذا ما وضعنا في الاعتبار حقيقة أن «إسرائيل» تجمع من المهاجرين

والمهجرين (٦٣ ، ٧٦ ، ١٣٩ ، ٣٨١ ، ٤٩٥) ، وإذا ما وضعنا في الاعتبار أيضاً مضمون قانون الهجرة الإسرائيلي (٢٧ ، ٤٨ ، ١٩٣: ١٥٦ ـ ١٥٧) ، فإنه يصبح واضحاً أن يهود الاشكنازيم خارج إسرائيل يمثلون مخزون الهجرة المستقبلية لها (٣٩ ، ٤٤ : ٢٢٦ ، ٥٩: ١٧٨ ـ ١٨٦ ، ١٤٦ : ٢٠٧) .

٣ ـ يهود الاشكنازيم هم منشئو الحركة الصهيونية وقادتها على المستوى العالمي حتى الآن (١٢ ، ٣٨ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .

٤ ـ يسود الطابع العسكري التجمع الإسرائيلي حيث يلعب فيه الجيش دوراً رئيسياً على المستوى الاجتماعي (٣: ٤١ ـ ٤٣ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ١٢٢: ١٤٠ ، ١٥٣ ، ٢١٨ ، ٢٦٥ ، ٣١٦ ، ٤٩١ ، ٥٠٦ ، ٥٢١ ، ٥٤٧ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٢٤ ، ٦٤٧ ، ٧٣٢ ، ٧٨٨ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٨٥٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٩٠٩ ، ٩٥١ ، ٩٩٢) ، ويحتل الاشكنازيم المناصب الرئيسية في الجيش الإسرائيلي فضلاً عن أنهم يمثلون خيرة مقاتليه (٢٥ ، ٣٩ ، ١٧٧ ، ٣٦٧) . وغني عن البيان ما يمكن أن يمارسه الجيش من تأثير في مثل تلك التجمعات ذات الطابع العسكري (٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥) .

٥ ـ تحظى الكيبوتزات الإسرائيلية بقدر هائل من اهتمام علماء الإنسانيات الإسرائيليين وغير الإسرائيليين أيضاً (٤٩٢ ، ٥٩٢ ، ٧٦١ ، ٩١٠ ، ٩٦٨) ، ويشمل ذلك الاهتمام تاريخ الكيبوتزات (١٩٨ ، ٢٩٢) ، وأيديولوجيتها (٥٥ ، ١٤٩ : ٦٨ ـ ٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ : ٧٩ ـ ٨٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٤٣٦ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٤٣ ، ٦٨٢) ، وبناءها الاجتماعي (٣٨٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥) ، واقتصادياتها (١ ، ٣٣٦ ، ٥٨٥ ، ٩٤٩ ، ٩٨٩) ، وخصائص وآثار أسلوب التنشئة الاجتماعية المتبع فيها (٩٩ ، ٥٦٦ ، ٧٦١) ، وغير ذلك من المجالات (٩٧ ، ١٤٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٣٧٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٢٦ ، ٥٥١ ، ٦٠٥ ، ٦٤٤ ، ٧٧٦ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٩٢ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦، ٩٦٧) . وليس في تلك الدراسات جميعاً ما يمكن أن يفسر ضخامة حجم ذلك الاهتمام عسكرياً أو اقتصادياً أو سكانياً . ولعل التفسير الأساسي الذي يمكن الركون إليه ـ فيما نرى ـ هو دور الكيبوتز كقدوة اجتماعية وسيكلوجية لذلك الشتات الذي يضمه التجمع الإسرائيلي (١١٢: ١٨٩ ـ ٢٠١ ، ٢٨١ : ٧١) .

والأشكنازيم هم أصحاب تلك الكيبوتزات . صنعوها على عيونهم ، وقاموا بتمويلها وتسليط الأضواء عليها ، ومن ثم فهي مؤسسات اشكنازية قلباً وقالباً . ومن هنا فإن تركيز دراستنا على الأشكنازيم إنما يعني التركيز على ما هو أهم داخل التجمع الإسرائيلي .

وعلى أي حال فإن ذلك الاختيار لا يعني تجاوزاً عن أهمية دراسة شخصية الجماعات اليهودية الأخرى داخل نطاق التجمع الإسرائيلي ، ولكنه ـ مرة أخرى ـ مجرد اختيار فرضته مقتضيات ترتيب الأسبقيات .

وليس من بين علماء الإنسانيات في إسرائيل اليوم من يحاجي في سيطرة يهود الأشكنازيم على السلطة في إسرائيل ، وإن اختلفت المبررات والمواقف . غير أن ذلك التسليم ينصب على المستوى الأفقي من التجمع الإسرائيلي فحسب . بمعنى أنه لا ضير لدى هؤلاء في التسليم بتقسيم يهود التجمع الإسرائيلي المهاجرين إلى اشكنازيم وسفارديم وشرقيين إلى آخره . ولكن الضير كله في التسليم بامتداد ذلك التقسيم إلى الأجيال الشابة التي يطلقون عليها جيل السابرا باعتباره الجيل الذي يضم كل من ولد على أرض فلسطين من اليهود بصرف النظر عن أصل آبائه . ولما كانت دراستنا تنصب على الأشكنازيم الإسرائيليين آباء وأبناء فإن مناقشة مشكلة السابرا تمثل جانباً لا غنى عنه في تحديدنا للموضوع . وهو ما سنحاوله في الفصل القادم .

الفصل السادس
مشكلة السابرا

حول تعبير «السابرا» :

لم يكن عبثاً أن تعتبر اللغة مقوماً أساسياً من مقومات القومية . فهي في النهاية نتاج بشري تمايز بتمايز المجتمعات البشرية ، وأسهم في إحداث ذلك التمايز أيضاً (٧٥: ٤ ، ٢٣٥: ٥ ، ٣٣٨ ، ٦٧٦: ١٧٠) ولعل حرص الإسرائيليين على صك لغتهم الخاصة القائمة على «إحياء» اللغة العبرية القديمة ، فضلاً عن كونه انعكاساً لضرورات تفرضها طبيعة تكوين التجمع الإسرائيلي (١١٢: ١٤٥ ـ ١٥٠) ، فإنه كان أيضاً تعبيراً عن وعي القائمين على شئون ذلك التجمع بأهمية اللغة كمقوم أساسي لاصطناعهم قوميتهم .

ولعل عالم اللغويات الإسرائيلي حاييم بلانك لم يجاوز الحقيقة كثيراً في إشارته إلى أنه ليست أكثر الأمور غرابة بالنسبة للغة العبرية أنها كانت ميتة وتم إحياؤها صناعياً ، بل الغريب حقاً هو أنها لم تكن اللغة الأم لأحد على الإطلاق ، وأنه لم يكن ثمة متكلمون بأي لهجات وثيقة الصلة بها (٢٦٣) . وعلى ذلك ، فإن اللغة العبرية الحديثة ـ أو اللغة الإسرائيلية ـ لغة قديمة الأصول حديثة الاستخدام . ولقد كان على من تصدوا لاصطناع التجمع الإسرائيلي ، أن يتصدوا أيضاً لصقل لغته المتميزة ساعين إلى أن تكون لغة يهود العالم الذين ما زال منهم من لا يعرفون سوى الإنجليزية (٩٩٣: ١١٨) .

ويتفق ذلك تماماً مع اهتمام المؤتمرات الصهيونية بنشر تعليم اللغة العبرية إلى حد اتخاذ المؤتمر السابع والعشرين قرار يقضي باعتبار السنة العشرين لقيام إسرائيل

سنة اللغة العبرية في الشتات (٣٨: ١٠١٠) وتأكيد مثل تلك القرارات في المؤتمر الثامن والعشرين (٤٠: ٣٠٥) .

تضم اللغة «الإسرائيلية» العديد من تلك المصطلحات ذات المذاق الخاص ، والتي تم صكها داخل التجمع الإسرائيلي ، ومن واقع التجربة الإسرائيلية . ولا يعني هذا بطبيعة الحال ذلك الركام الهائل من المصطلحات التي شملتها عملية العبرنة السريعة التي لجأ إليها الإسرائيليون وما زالوا ماضين فيها لاعتبارات عديدة لسنا بصدد التعرض لها . فالأمر لا يتعدى في هذه الحالة مجرد ترجمة أو تسمية بسيطة أو حتى معقدة لظواهر اجتماعية أو طبيعية تعرفها مجتمعات كثيرة . وتتعدد تسمياتها ، بتعدد لغات تلك المجتمعات . إن ما نعنيه بالتحديد هو تلك المصطلحات التي تم صكها للتعبير عن واقع إسرائيلي فريد لا نظير له في المجتمعات الأخرى . ولا تعني عملية الصك هذه بالضرورة ابتداع المصطلح ابتداعاً ، بمعنى إضافة كلمة جديدة إلى مفردات اللغة لم يكن يضمها قاموس تلك اللغة من قبل لتعبر عن ذلك المقصد الجديد، بل إن ما يحدث في كثير من الأحيان ـ وخاصة في مجال المصطلحات الاجتماعية ـ أنه من خلال ملابسات اجتماعية محددة يتم إضفاء معنى جديد على كلمة مستخدمة بالفعل ، أي على كلمة موجودة من قبل ضمن مفردات اللغة المعنية . وذلك هو ما حدث بالتحديد بالنسبة لمصطلح الكيبوتز مثلاً في إسرائيل . إن كلمة كيبوتز بالعبرية تعني جماعة . ولكن ثمة ملابسات اجتماعية تاريخية محددة أضفت على تلك الكلمة القاموسية المعتادة معنىً اجتماعياً خاصاً بحيث أصبحت تعبر عن ظاهرة اجتماعية يتميز بها التجمع الإسرائيلي ، والأمر بالمثل بالنسبة لمصطلحات أخرى عديدة تضمها اللغة المستخدمة في إسرائيل حالياً .

وإذا كان إدراج مصطلحات مثل الكيبوتز ، والفاتيك ، والحالوتس ضمن تلك المصطلحات التي تعبر عن واقع إسرائيلي محدد لا نظير له في غير إسرائيل من التجمعات لا يثير جدالاً ، فإن ضم مصطلح السابرا إليها قد يثير جدالاً كثيراً . فالقراءة العابرة للكتابات الإسرائيلية توحي بأن مصطلح السابرا ليس سوى تسمية عبرية تدل على الشباب الإسرائيلي . وتحت عنوان السابرا يدور الحديث عادة عن طلبة وجنود وأطفال ومراهقين وما إلى ذلك . أي أنه حديث يدور عن شباب (٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٨٢ ، ٣٩٩: ٩٧ ، ٤٢٩ ، ٩٤٤) . وطالما أن الشباب ظاهرة تعرفها المجتمعات البشرية جميعاً ، فإن تناول مصطلح السابرا باعتباره تعبيراً عن واقع

إسرائيلي فريد قد يعد تعسفاً لا محل له في مجال التناول العلمي الموضوعي .

هل السابرا جيل عمري ؟

قد يكون للسابرا من الخصائص الاجتماعية والسيكلوجية بل والبيولوجية أيضاً ما يميزهم عن غيرهم من الإسرائيليين . وقد يكون لهم أيضاً ما يميزهم عن شباب المجتمعات الأخرى . ولكن أليس ذلك هو الحال بالنسبة للشباب في المجتمعات الإنسانية جميعاً . ثمة ما يميزهم عن بقية فئات المجتمع ، وثمة ما يميزهم أيضاً عن أقرانهم من شباب المجتمعات الأخرى ؟ ذلك هو جوهر وجهة النظر التي قد تعترض على تناول مصطلح السابرا باعتباره تعبيراً عن واقع إسـرائيلي فريـد : ولنحاول أن نختبر صحة وجهة النظر هذه . أو بعبارة أخرى فلنحاول التصدي للإجابة على تساؤل محدد مؤداه : هل «السابرا» تعني «الشباب» في الواقع الإسرائيلي ؟

يقوم مصطلح الشباب عامة على دعامتين وبدونهما ، أو بدون أي منهما يفقد المصطلح معناه كمصطلح أي كتعبير اصطلح الناس على معنى محدد له . وتتمثل هاتان الدعامتان فيما نرى في تمايز فئة الشباب عن غيرها على أساس من السن ، ومن ناحية أخرى في أن مصطلح الشباب يعبر عن واقع دينامي متغير .

ترى هل يمكن أن ينطبق مصطلح الشباب بدعامتيه هـاتين على السابـرا في إسرائيل ؟ إن المعنى الحرفي لكلمة السابرا في اللغة العبرية هو نبات التين الشوكي . ولعل معرفتنا بالملابسات الاجتماعية التي صاحبت اضفاء ذلـك المعنى الفضفاض لجيل السابرا على كلمة التين الشوكي وتحويلها إلى مصطلح اجتماعي تسهم إسهاماً كبيراً في إلقاء الضوء على دلالة ذلك المصطلح .

لقد أصدر جورج فريدمان عالم الاجتماع الفرنسي المعروف ، والرئيس الأسبق للجمعية الدولية لعلم الاجتماع في عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين كتابه المعنون **أهي نهاية الشعب اليهودي ؟** (٤٢٩) وقد ضمّنه تقييماً مفصلاً للتجربة الإسرائيلية كما شاهدها خلال زيارتين قام بهما لإسرائيل في عامي ألف وتسعمائة وثلاثـة وستين ، وأربعة وستين على التوالي ، وقابل خلالهما العديد من قادة الفكر والعلم والدولة في اسرائيل فضلاً عن لقاءاته بالعديد من الإسرائيليين المنتمين لمختلف الفئات . وفي مستهل الفصل الرابع من ذلك الكتاب والمعنون «السابرا : أزمة القيم» يورد فريدمان قصة الملابسات الاجتماعية والتاريخية التي صاحبت إطلاق تسمية السابرا هذه مقرراً

أن هذا المصطلح قد أخذ يتردد في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة . وأنه قد انبثق للمرة الأولى في مدرسة هرزليا الثانوية في تل أبيب ، وكانت من كبرى المدارس في فلسطين آنذاك ، أي في فترة الانتداب البريطاني . وكانت تلك المدرسة تضم بين تلاميذها اليهود آنذاك شباناً من مواليد فلسطين إلى جانب آخرين من أولئك الذين نزحوا مع آبائهم من أوروبا إلى فلسطين. وغالباً ما كان أولئك الأوروبيون الذين قدموا من حضارة أكثر تقدماً ، ونشأوا في ظروف أكثر يسراً ، يتفوقون في الدراسة على زملائهم من مواليد فلسطين أبناء الحضارة الأقل تقدماً ، والذين نشأوا في ظروف أكثر خشونة وبالتالي فقد كان مواليد فلسطين هؤلاء يحسون نقصاً حيال أقرانهم الأوروبيين اللامعين دراسياً ، ومن ثم ، فقد كانوا يلجأون لتعويض شعورهم بالنقص إلى تحدي أولئك الأقران المتفوقين في نوع من النشاط الخشن يرد لهم اعتبارهم . وقد تمثل ذلك النشاط في الإمساك بثمرات التين الشوكي وتقشيرها بالأيدي العارية «وكان اليهود من أبناء فلسطين في مدرسة هرزليا يكسبون التحدي في ذلك المضمار عادة ، ويتمكنون بسهولة من نزع القشرة الشائكة وتحمل وخز أشواكها والحصول على الثمرة الحلوة» (٤٢٩ : ١١٧) .

ومن هنا التصقت كلمة «التين الشوكي» ـ «السابرا» ـ بأولئك الذين كانوا يتفوقون في تقشيره في مدرسة هرزليا . ومن هنا أيضاً انتشرت التسمية لتغطي ما يسمى بجيل «السابرا» ذلك الجيل الذي يختتم فريدمان روايته هذه بالإشارة إليه قائلاً : «وهكذا فقد شهدت إسرائيل في العشرينيات جيلاً من السابرا بلغ أفراده الآن سن التقاعد» (٤٢٩ : ١١٧) .

ولكن أي سابرا هؤلاء ، أو بعبارة أخرى ، ما هي خصائص أولئك الذين أطلق عليهم هذا المصطلح للمرة الأولى ، ترى هل يمكن أن تتوافر دعامتي مصطلح الشباب اللتين أشرنا إليهما في تعبير السابرا أو على الأصح في أولئك الذين أطلق عليهم ذلك التعبير في البداية ! لكي نتحقق من كل ذلك علينا أن نتصدى للإجابة على تساؤلين محددين .

أولاً : هل تتمايز فئة السابرا عن غيرها من الفئات السكانية في التجمع الإسرائيلي على أساس السن ؟

ثانياً : هل يعبر مصطلح السابرا عن واقع دينامي متغير في التجمع الإسرائيلي ؟

إن رواية فريدمان ـ لو أخذنا بها على علّاتها ـ تشير إلى خصائص أربع توافرت فيمن أطلق عليهم تعبير السابرا في العشرينيات من هذا القرن :

١ ـ إنهم الشبان اليهود المولودون في فلسطين ، في مقابل أقرانهم من الشبان اليهود المولودين في أوروبا .

٢ ـ إنهم المتخلفون حضارياً ، في مقابل أقرانهم المتفوقين حضارياً .

٣ ـ إنهم المتخلفون دراسياً ، في مقابل أقرانهم المتفوقين دراسياً .

٤ ـ إنهم الأكثر قدرة على تحمل المشاق البدنية المؤلمة في مقابل أقرانهم الأقل قدرة على تحمل مثل تلك المشاق .

ونظرة متأنية إلى تلك الخصائص كفيلة بالرد على ما طرحناه من تساؤلات . إن من أطلق عليهم تعبير السابرا ، ومن أطلق في مواجهتهم هذا التعبير ، كانوا جميعاً من الشباب اليهودي . بل إنهم جميعاً ينتمون إلى شريحة واحدة ومحددة من الشباب هم طلبة المدارس الثانوية . ومن هنا فإن مصطلح السابرا لم يكن منذ البداية ليميز بين الشباب وغيرهم ، ولا حتى بين شريحة شبابية وغيرها ، بل ولا حتى بين سن وآخر على الإطلاق .

واضح الآن أن فئة السابرا لم تكن لتتمايز عن غيرها من الفئات السكانية في التجمع الإسرائيلي على أساس من السن . أما فيما يتعلق بالتساؤل الثاني عن تعبير مصطلح السابرا عن واقع دينامي متغير فيكفي أن نقف قليلاً أمام أولى الخصائص الأربع التي استخلصناها من رواية فريدمان ليتضح لنا أن مصطلح السابرا إنما يشير منذ البداية إلى واقع استاتيكي جامد غير قابل للتغيير . فخاصية محل الميلاد تظل لصيقة بالفرد منذ لحظة مولده حتى وفاته . وبالتالي فإن من ينطبق عليهم تعبير السابرا ينطبق عليهم منذ لحظة ميلادهم ، ويظلون هكذا حتى نهاية حياتهم . وبالمثل فإن من لا ينطبق عليهم هذا التعبير لحظة ميلادهم لا يعد في وسعهم اكتسابه بعد ذلك على الإطلاق ، ولا أيضاً في وسع سواهم إكسابهم إياه .

ورب من يعترض على ما ذهبنا إليه من فصل بين تعبير السابرا ومصطلح الشباب مستنداً إلى أننا ـ حتى الآن ـ قد اعتمدنا في توصلنا إلى ذلك على رواية تدور حول الملابسات الاجتماعية التي صاحبت إطلاق ذلك التعبير في أوائل عشرينيات هذا القرن ، أي قبل قيام الدولة الاسرائيلية مما يقرب عن ربع قرن . والتالي فقد

مضى على إطلاق هذا التعبير ما يزيد عن النصف قرن شهدت فيه التجربة الإسرائيلية قبل وبعد قيام الدولة قدراً هائلاً من التغيرات الاجتماعية العنيفة . ويمكننا صياغة ذلك الاعتراض في صورة التساؤل التالي : أليس محتملاً ـ بل ومرجحاً ـ أن ثمة تغيرات قد طرأت على تعبير السابرا خلال تلك الفترة الزمنية العريضة المليئة بالأحداث ؟ أليس من المحتمل أن تكون تلك التغيرات ـ إذا ما سلّمنا بحدوثها ـ قد شملت من الخصائص ما يقترب بتعبير السابرا من مصطلح الشباب كما هو متعارف عليه ؟

والقضية فيما نرى جديرة حقاً بالمناقشة . إن الخصائص السيكلوجية والاجتماعية المميزة لما يسمى بجيل السابرا قد تعرضت ، وما زالت تتعرض للعديد من المناقشات ، والتقييمات ، والإضافات ، على أيدي الكتّاب الإسرائيليين وغيرهم . فقد يراهم البعض اليوم أكثر تفوقاً في الدراسة . وقد يراهم البعض أقل جلداً على تحمل المشاق البدنية ، وأقل إقبالاً على العمل اليدوي بعامة من آبائهم . وقد يبدو والأمر كذلك أن مصطلح السابرا قد تغير مدلوله بالفعل ويصبح علينا إذن رصد هذا التغير وتبين مداه . غير أن المسألة ليست كذلك على الإطلاق . إن ما يعنينا الآن ليست الخصائص السيكلوجية والاجتماعية المميزة لذلك «الجيل» بل هي أساساً قضية التعريف المحدد للمقصود بتعبير «جيل السابرا» . فاختلاف وجهات النظر حول الخصائص أو الصفات التي تنسب إلى جيل من أجيال مجتمع معين ليس بالأمر المستغرب على الإطلاق . بل إن مثل هذا الاختلاف قد يصل أحياناً إلى حد التعارض الصريح خاصة إذا ما تعلق الأمر بجيل الأطفال أو الشباب . ومع ذلك تبقى المسلمة الأساسية التي يقوم عليها الحوار دون التعرض لها بالمناقشة ، وهي أن ثمة أجيالاً بالفعل ، وأن التمييز بين تلك الأجيال يقوم أساساً على محور العمر .

ومن هنا ينبغي أن يكون تساؤلنا هو : هل أدت خمسون عاماً من استخدام تعبير «السابرا» إلى أن يصبح العمر هو المحور الأساسي لانتماء الفرد الإسرائيلي إلى جيل يحمل ذلك الاسم ؟

لا يبدو أن الأمر قد أصبح كذلك على الإطلاق . إن الكتابات الإسرائيلية الحديثة ، رغم أنها ـ كما سبق أن أشرنا ـ تتناول تحت عنوان السابرا فئات شابة من الاسرائيليين ، إلا أنها تحرص على تأكيد إن صفة السابرا تتعلق أساساً بمواليد

إسرائيل من اليهود (٦٨ : ٧٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٩٩ : ٩٧-١٠٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٦) ولنا أن نتصور إذن أن «جيل السابرا» بهذا المعنى يضم بين صفوفه فئات عمرية شتى ليست من الشباب في شيء ويخرج من بين تلك الصفوف فئات شبابية شتى كذلك .

قد ينتمي إلى ذلك «الجيل» وفقاً لحرفية التعريف ـ شيخ يهودي ولد منذ تسعين عاماً مثلاً على أرض فلسطين ، ونشأ عليها منذ ذلك الحين . وقد ينتمي إليه أيضاً شاب يهودي يبلغ العشرين ولد على أرض فلسطين لأسرة نزحت من اليمن مثلاً وأقامت في إسرائيل . وقد يضم «جيل السابرا» كذلك كهلاً يهودياً في الخمسين من عمره ولد على أرض فلسطين لأسرة نزحت من ألمانيا مثلاً وأقامت في فلسطين منذ ذلك الوقت . ومن ناحية أخرى فإن أقراناً لهؤلاء ، يماثلونهم في العمر أو حتى يصغرونهم قد لا يشملهم «جيل السابرا» لأنهم ولدوا خارج إسرائيل ثم نزحوا مع آبائهم أو بمفردهم إليها . وقد يكون من بين هؤلاء مثلاً شقيق لذلك الشاب اليهودي اليمني الذي يبلغ العشرين ولكنه كان رضيعاً حين نزحت الأسرة من اليمن ولذلك فإنه لا ينتمي لجيل السابرا في حين ينتمي إلى ذلك الجيل شقيقه الذي يصغره ولو بعام واحد . بل قد يكون بين هؤلاء أيضاً طفل يهودي هاجر مع أسرته إلى إسرائيل إثر مولده منذ خمس سنوات مثلاً . جيل السابرا إذن يضم شيوخاً وشباباً ، ويستبعد أيضاً شيوخاً وشباباً من الإسرائيليين .

لعل هذا الفهم لتعبير «جيل السابرا» هو الذي يتيح لنا إدراك سر ذلك التداخل والخلط بينه وبين مصطلح الشباب . فرغم اتساع ذلك التعبير ليضم شيوخاً وكهولاً إلى جانب الشباب والأطفال ، إلا أن الظروف التاريخية لتكوين التجمع الإسرائيلي قد أدت إلى أن تصبح النسبة الغالبة حالياً بين هؤلاء من الشباب والأطفال ، وإن كان استمرار تلك الغلبة أمراً مرهوناً بحجم الهجرات المتوقع وفودها إلى إسرائيل مستقبلاً . وفي ضوء ذلك الفهم وحده يمكن أن ندرك دلالة قول فريدمان «إن حوالي ثلث سكان إسرائيل حالياً قد ولدوا على التراب الفلسطيني» ثم قوله إثر ذلك مباشرة «إن غالبية السابرا من صغار السن» (٤٢٩ : ١١٧) . والتسليم بصحة تلك العبارة لا يعني بالضرورة أن عكسها صحيح كذلك ، أي أنه لا يعني أن غالبية صغار السن في إسرائيل هم ممن ولدوا على التراب الفلسطيني ، أو بعبارة أخرى ينتمون لما يسمى بجيل السابرا .

السابرا ومشكلة تعدد الأصول الحضارية :

فلندع الآن مؤقتاً قضية الغالبية والأقلية هذه ، فيكفينا أن نستخلص أن «جيل السابرا» يضم بين صفوفه شيوخاً وكهولاً ، كما أن أطفال وشباب إسرائيل يضمون بين صفوفهم من لا ينتمون لذلك «الجيل» وبالتالي فإن للكتاب الإسرائيليين ولغيرهم أيضاً أن يتحدثوا تحت عنوان السابرا عن شباب إسرائيلي ، ولكن ليس لهم بحال أن يتحدثوا تحت ذلك العنوان عن الشاب الإسرائيلي .

إن الإحصاءات الديموجرافية الإسرائيلية حين تتعرض لتصنيف سكان إسرائيل تهتم ـ ضمن ما تهتم به ـ بتصنيفهم وفقاً لمحال ميلادهم . وليس ثمة بأس أو غرابة في ذلك ، فالإحصاءات الديموجرافية الخاصة بالتجمعات السكانية في العالم أجمع تكاد لا تخلو من تصنيف ينحو ذلك النحو . ولكن الأمر فيما يتعلق باسرائيل يتخذ طابعاً أخطر من مجرد الوقوف عند حد التصنيف . إن إسرائيل ـ «مجتمعاً» ودولة وفكراً ـ قامت على الاستيطان . ومن هنا فإن تصنيف سكانها وفقاً لمحال ميلادهم لا يعني مجرد إحصاء ديموجرافي فحسب يقتصر الاهتمام به على المختصين أو المهتمين بعلم السكان ، ويقتصر تأثيره على حدود ذلك العلم وما يتصل به من تطبيقات تتعلق بالتخطيط السكاني أو ما إلى ذلك .

إن محل ميلاد المستوطن الإسرائيلي لا يعني مكاناً فحسب ، إنه يعني كذلك ـ بل قبل ذلك ـ «تاريخاً» بكل ما تحمله كلمة التاريخ من أبعاد نفسية واجتماعية وحضارية (١١٢ : ٧٣ ـ ٧٦) . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للمستوطن الإسرائيلي المهاجر ، فإنه ليس كذلك على الإطلاق بالنسبة للمواطن المولود في إسرائيل لأسرة مهاجرة من الشرق أو من الغرب . محل الميلاد في تلك الحالة الأخيرة لا يمثل سوى «المكان» فحسب ، وليس «التاريخ» بحال من الأحوال . ولا بد لنا من التمييز بدقة بين دلالة بيان «محل الميلاد» في الحالة الأولى ، ودلالة ذلك البيان في الحالة الثانية . إنه الفرق بين «المكان» ، و«التاريخ» .

وإذا جاز للديموجرافيين الإسرائيليين التغاضي عن ذلك التمييز بحكم تخصصهم الذي يهتم في المقام الأول بالمكان والأرقام ، فإن إقدام علماء النفس والاجتماع على مثل ذلك الموقف يخرج بالأمر عن نطاق التغاضي المبرر المفهوم ، ليصبح تجاهلاً متعسفاً ، وخلطاً يثير التساؤل ، وإن لم يكن مستعصياً على الفهم .

إن مشكلة تعدد الأصول الحضارية للسكان تعد من أبرز المشكلات التي تواجه إسرائيل . وتتمثل تلك المشكلة في حقيقة أن سكان إسرائيل يحملون تواريخاً حضارية واجتماعية ونفسية تتعدد بتعدد مجتمعاتهم الأصلية . ولقد بذلت إسرائيل ـ دولة وفكراً ـ وما زالت تبذل جهوداً عديدة وفي اتجاهات شتى لصهر سكانها جميعاً على اختلاف أصولهم في بوتقة واحدة تكفل لهم تكويناً سيكلوجياً موحداً .

وكان طبيعياً أن يتوقع علماء الإنسانيات الإسرائيليون أو المهتمون بإسرائيل أن تؤتي تلك الجهود ثمارها متمثلة في أجيال يهودية شابة ، تولد على أرض إسرائيل ، ويتجسد فيها ذلك التكوين السيكلوجي الموحد المرتقب . وليس ثمة ما يحول ـ من الناحية النظرية الخالصة ـ دون تحقق مثل ذلك التوقع إذا ما توفرت له الشروط الموضوعية اللازمة لتوحيد أو تنميط عملية التنشئة الاجتماعية كمقدمة لما يمكن أن يترتب على ذلك من تقارب في القيم والعادات والتقاليد والمشاعر مما يؤدي إلى تشكيل التكوين السيكلوجي الموحد .

والأمر بذلك التصور لا يتطلب مجرد أن يتوالد جيل أو جيلان أو حتى أجيال ثلاثة أو أربعة كما يرى البعض (٢٥٩ : ٢٩٩ ، ٩٠٥) على قطعة أرض واحدة ليتحقق ذلك الاندماج تلقائياً ، بل إن الأمر لأعقد من هذا بكثير . مرة أخرى فإن القضية ليست قضية «المكان الجغرافي الواحد» ، بل إنها أساساً قضية «التاريخ القومي الواحد» والتاريخ القومي لا يتشكل في أجيال معدودات . بل إن مضي الزمن مهما طال لا يمثل في حد ذاته إلا واحداً فحسب من العوامل المساعدة على ذلك التشكيل . وإن كان ذلك لا ينفي أن إمكانية تشكله على المدى الزمني البعيد ، ومع توافر الشروط اللازمة تظل قائمة دائماً .

ولم تكن مشكلة تعدد الأصول الحضارية في إسرائيل بالمشكلة التي تحتمل التأجيل أو مجرد الصبر لقرون ولا حتى لأجيال . إنها لم تكن مجرد مشكلة أكاديمية أو منهجية أو حتى مشكلة تطبيق عابر يواجهها علماء الإنسانيات في إسرائيل ويتخذون فيها قرارهم وفقاً لما تقتضيه أصول المنهج العلمي والمقتضيات الموضوعية للتطبيق فحسب . إنها مشكلة موقف سياسي ملح . بل إنها مشكلة ترسيخ كيان إسرائيل الاجتماعي ووجودها السياسي في المقام الأول .

لقد قام التجمع الإسرائيلي على حجة مؤداها أن ليهود العالم تاريخاً قومياً

موحداً ، ولا ينقصهم سوى المكان الواحد . ولكن ما إن انهالت موجات المهاجرين اليهود من شتى أنحاء العالم على اسرائيل حتى اهتزت تلك الحجة من الأساس ، ولم يجد القائمون على الدولة في اسرائيل من رجال العلم والسياسة على حد سواء مناصاً من التسليم بأن مشكلة تعدد الأصول الحضارية أو ما يعرف بمشكلة الاختلافات العرقية تعد من أهم المشكلات التي تواجه الكيان الاسرائيلي ، وأن صهر تلك الأصول العرقية المتباينة يعد من أولى المهام التي تواجه القائمين على ذلك الكيان .

ولم يكن الأمر في حاجة إلى تخصص دقيق في العلوم الإنسانية ليتضح للجميع أن عملية صهر المستوطنين الاسرائيليين ـ أي أولئك الذين هاجروا إلى اسرائيل من شتى بقاع الأرض ـ ليست بالعملية السهلة على الإطلاق . لم يكن مستطاعاً بحال صهر مهاجر بولندي وآخر يمني ، وثالث إيطالي في بوتقة واحدة توحد من تكويناتهم السيكلوجية الاجتماعية المتباينة . قد يكون ممكناً ـ وذلك هو ما حدث بالفعل بدرجات متفاوتة ـ خلق نوع من التعاون أو التماسك الموقفي بين هؤلاء جميعاً . ولكن ذلك أمر ـ حتى لو تحقق ـ يختلف كلية عن توحيد تكويناتهم السيكلوجية والاجتماعية .

لم يكن بد إذن أمام المفكرين الإسرائيليين من اصطناع مفهوم جديد للوحدة القومية بين سكان إسرائيل من اليهود بعد أن تحطمت فكرة وحدة التاريخ القومي لليهود ببروز الصراعات الحضارية بين يهود التجمع الإسرائيلي واستحالة تحقيق الدمج الحضاري المنشود بين أفواج المهاجرين المستوطنين . وتمثل ذلك المفهوم في شعارات مثل «ثقافة السابرا» . «الخصائص النفسية لجيل السابرا» . «الاتجاهات الاجتماعية لجيل السابرا» . «موقف السابرا من التاريخ اليهودي» . «رأي السابرا في محاكمة ايخمان» إلى آخر تلك الشعارات والعبارات التي قد تتعدد أشكالها ـ ومضامينها أيضاً ـ ويظل ما يربط بينها جميعاً ـ وهو ما يعنينا في هذا الصدد ـ أنها تقوم على التسليم بأن ثمة كتلة واحدة من الأفراد المتجانسين حضارياً واجتماعياً وسيكلوجياً قد تكونت في إسرائيل بالفعل . كتلة منسجمة لها مواقفها وآراؤها وخصائصها واتجاهاتها . كتلة موحدة من المواطنين الإسرائيليين تحل محل الفرق المتنافرة من المستوطنين الإسرائيليين التي استعصى تنافرها على التوحيد . كتلة يمكن من خلال تأكيد وجودها وتجانسها تدعيم مفهوم جديد عن الهوية الإسرائيلية الموحدة بعد أن قضت حجج العلوم الإنسانية ، وحقائق الواقع الإسرائيلي نفسه على

مفهوم وحدة التاريخ القومي اليهودي والتكوين السيكلوجي لليهود بعامة .

وقد تختلف الآراء حول خصائص أو عادات أو طباع ذلك «الجيل» ولا بأس من ذلك الخلاف على ما يستهدفه الفكر الإسرائيلي من إبراز لمفهوم «السابرا» . لا بأس في أن يرى البعض أن جيل السابرا أقرب إلى السواء (٢٥٩ ، ٨٢٣) . وأن يراه البعض الآخر أقرب إلى الاضطراب (٩٤٥) لا بأس في أن يرى البعض في ذلك الجيل حلاً لمشكلات إسرائيل وبشيراً باستقرارها (١٧٣) ، وأن يلمح البعض الآخر إلى أن بروز ذلك الجيل نذير بصدام بين «الإسرائيلية» و«اليهودية» بشكل أو بآخر (٢٥٩ ، ٥١٤ ، ٨٧٢ ، ٩٤٤) لا بأس في هذه الاختلافات جميعاً على الأهداف البعيدة لاصطناع مفهوم السابرا طالما أن الجميع يسلمون رغم اختلافاتهم بأن ثمة كيان متجانس سيكلوجياً واجتماعياً وحضارياً بدرجة تسمح بأن تطلق عليه تسمية واحدة تشمل أفراده جميعاً هي «السابرا» .

بل لعل هذه الاختلافات والمجادلات المنصبة على التفصيلات قد نجحت بشكل غير مباشر في تدعيم المفهوم وترسيخه بأن شدت المناقشات بعيداً عن التعرض لمشروعية إطلاق ذلك المصطلح ابتداء في مجال الحديث عن التكوين السيكلوجي الاجتماعي الحضاري .

خلاصة القول إن أقصى ما يمكن التسليم به في هذا الصدد هو أن العامل الموضوعي المميز الوحيد الذي يجمع بين هؤلاء السابرا جميعاً وعلى قدم المساواة ، والذي يميزهم في نفس الوقت عن غيرهم من يهود إسرائيل إنما يتمثل في محال ميلادهم ، أي في أنهم ولدوا وتربوا على أرض فلسطين .

إذن فليس ثمة ما يميز «السابرا» تمييزاً جامعاً مانعاً سوى العامل الجغرافي دون سواه . أما دون ذلك من العوامل فهي إما عوامل لا تستطيع لهم جمعاً كعامل التنشئة الاجتماعية التي تتعدد صورها بينهم بتعدد أصولهم الحضارية . وإما عوامل لا تستطيع لغيرهم منعاً كعوامل الشعور بالخطر أو بالاضطهاد أو بالتمايز التي لا يقتصر تأثيرها عليهم وحدهم بل يشمل معهم الإسرائيليين جميعاً .

ورب من يتساءل : فليكن ما يجمع بين السابرا هو العامل الجغرافي أو عامل المكان . ألا تترك الطبيعة الجغرافية بصماتها على التكوين السيكلوجي للبشر ؟ أليس صحيحاً أن «طبيعة» أهل الصحارى تختلف عن «طبيعة» أهل الوديان الزراعية ؟

واضح أن مثل تلك التساؤلات إنما تستند إلى حصيلة متراكمة من المشاهدات والملاحظات المباشرة التي تنتمي إلى تلك المرحلة من مراحل المعرفة في مجال شخصية الجماعة والتي سبق أن أشرنا إليها .

إن جان برويك أستاذ الجغرافيا بجامعة مينوسوتا والرئيس الأسبق للجمعية الجغرافية الأمريكية يتعرض لمثل هذا الموضوع في مقاله المعنون «الطابع القومي في ضوء الجغرافيا الحضارية» مفنداً فكرة أن الطبيعة الجغرافية تترك بصماتها على شخصيات البشر المحتكين بها مؤكداً أن علاقة الجغرافيا بالطابع القومي إنما تتمثل فيما يتركه البشر من بصمات على بيئتهم الجغرافية (٢٨٦) . بعبارة أخرى فإن تأثير البشر على البيئة الجغرافية كما يتضح في مدى تمكنهم من تغيير معالم تلك البيئة قد يعكس طابعهم القومي أو خصائصهم الأساسية وليس العكس ، أي أن العوامل الجغرافية ليست بحال العوامل المحددة للطابع القومي للبشر . ومن هنا فإن لنا أن نؤكد بدورنا أن وحدة العامل الجغرافي الذي قد يميز السابرا ديموجرافياً لا يمكن أن يؤدي في حد ذاته إلى أي تشابه في تكوينهم السيكلوجي .

السابرا : من هم ؟

ترى كيف لنا إذن أن نفسر وجود ذلك الركام الهائل من الكتابات والبحوث والأفكار التي تسلم ابتداء بوجود السابرا ككيان متجانس سسيولوجياً وسيكلوجياً ، ثم تمضي في الحديث عن خصائص ذلك الكيان وتقييم تلك الخصائص ؟ هل تلك الكتابات جميعاً ، بكل ما تتضمنه من احصاءات ، وجداول رياضية ، واختبارات نفسية ، ومقارنات بين «السابرا» وغيرهم داخل إسرائيل ، وبين «السابرا» وأقرانهم خارج اسرائيل ، هل كلها محض افتراء ؟ وإذا صح ذلك بالنسبة للأفكار النظرية المجردة ، فهل يصح كذلك بالنسبة لتلك الأفكار المستخلصة من بحوث ميدانية عملية ؟ هل كل هؤلاء العلماء المتخصصين في علوم النفس والأنثروبولوجيا والاجتماع والسياسة من الاسرائيليين وغير الاسرائيليين ، ومن المتعاطفين مع «السابرا» والناقدين لهم ، هل هم جميعاً بين مخدوع ومخادع ؟ ثم ألا يعتبر إقدامنا على التعامل مع تعبير «السابرا» بعد كل ذلك وقوعاً منا في أسار تلك المخادعة ؟ .

وقد يبدو منطقياً إذن أن نلقي بكل شيء في اليم فرحين ، نافضين أيدينا من كل ما كتب عن وحدة التكوين السيكلوجي للسابرا بقضه وقضيضه ، محاولين أن نبحث

لأنفسنا عن مدخل جديد يمكننا من دراسة تلك التكوينات السيكلوجية المتعددة التي ينقسم إليها الشباب الاسرائيلي . غير أن ذلك الموقف فيما نرى ليس من الصواب في شيء ، لاعتبارات عديدة أهمها :

أولاً : إنه رغم التسليم بعدم مشروعية استخدام مصطلح السابرا للتعبير عن التكوين السيكلوجي للشباب الاسرائيلي بعامة ، فإن إقدام ذلك العدد الكبير من علماء الإنسانيات من الاسرائيليين على استخدامه ، وجمع بياناتهم الميدانية على أساسه ، يفرض علينا مبدئياً التصدي لدحض مغالطاتهم أو لكشف أخطائهم ، وهو ما لا يمكن أن يتحقق بصورة مرضية دون إمعان النظر في كتاباتهم .

ثانياً : إن البحوث السيكلوجية والأنثروبولوجية والاجتماعية التي أجريت في هذا المجال قد أجريت بالفعل على شباب يعيش في اسرائيل . صحيح أن من قاموا بتلك البحوث قد أطلقوا من أجروا عليهم دراساتهم تعبير السابرا : وصحيح كذلك أن غالبية من قاموا بتلك البحوث قد اعتبروا أن السابرا هم الشباب الاسرائيلي . ولا جدال في أن ثمة مغالطة في إطلاق التعبير وثمة تعسف في تعميم النتائج . ولكن ذلك كله لا ينفي حقيقة أنه وإن كانت نتائج تلك البحوث لا تعبر عن الشباب الاسرائيلي إلا أنها تعبر على أي حال عن شباب اسرائيلي . وبالتالي لا يمكن لمن يتصدى لدراسة الكل أن يسقط من حسابه تلك الدراسات التي تمت بالفعل لجزء من أجزاء ذلك الكل مهما كان موقعه .

ثالثاً : إن نتائج تلك البحوث التي أجريت تحت عنوان السابرا على شباب اسرائيلي تشير إلى أن ثمة تركيب سيكلوجي متجانس يميز أولئك الذين أجريت عليهم البحوث . بمعنى أن تلك النتائج تشير - بدرجة أو بأخرى - إلى وجود خصائص نفسية محددة متجانسة تميز قطاعاً من قطاعات الشباب الاسرائيلي . وبصرف النظر عن التسمية التي أطلقها أصحاب البحوث على أفراد ذلك القطاع وبصرف النظر أيضاً عن تعسفهم في تعميم نتائجهم ، فإن علينا إبراز حدود ذلك القطاع من الشباب الاسرائيلي ؛ ومناقشة خصائصه النفسية كما تشير إليها نتائج البحوث ثم علينا قبل ذلك كله تفسير اختيار ذلك القطاع بالتحديد باعتباره النموذج الممثل للشباب الإسرائيلي لدى أولئك الباحثين . وتلك كلها أمور لا يمكن أن تتأتى إلا بتناول تلك البحوث تناولاً متأنياً موضوعياً .

يقول مورتون روبين في عرضه لكتاب روفائيل باتاي **اسرائيل بين الشرق والغرب** موجهاً خطابه إلى علماء الإنسانيات الاسرائيليين وذلك عام ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين «إن اسرائيل توشك أن تتمزق إلى جماعات عرقية ودينية وسياسية شتى ، والأمر موكول إلى المتخصصين في العلوم الاجتماعية ليتكاتفوا في بذل جهودهم» (٨٧١) . ويبدو لنا أن اصطناع تعبير السابرا أو بالأحرى الانطلاق بذلك التعبير من مجال الاستخدام الدارج إلى مجال العلوم الإنسانية كان نتاجاً لتكاتف أولئك الذين توجه إليهم مورتون بخطابه لتلافي تمزق المجتمع الاسرائيلي .

إن استخدام تعبير السابرا في مجال العلوم الإنسانية بعامة وعلم النفس على وجه الخصوص كان فيما نرى لتحقيق هدف سياسي . وبالتالي فإن فهم دلالة تعبير السابرا في ذلك المجال يقتضي أن نسلّم ابتداء بإنه تعبير سياسي وليس تعبيراً سيكلوجياً . ونعني بأنه تعبير سياسي أنه يكتسب دلالته من خلال الأهداف السياسية الاسرائيلية ، وتتحدد استخداماته ـ بل وتتغير ضيقاً واتساعاً ـ وفقاً لما تمليه تلك الأهداف . وعلى أي حال فإن ذلك ليس بالأمر المستغرب ، بل ولا القاصر على تعبير السابرا وحده في اسرائيل . ولنأخذ كمثل تعبيراً اسرائيلياً له علاقته الوثيقة بموضوع بحثنا وهو تعبير السفارديم ، وهم أساساً يهود البلقان والشرق الأدنى في مقابل الاشكنازيم وهم يهود غرب ووسط وشرق أوروبا .

إن روث بوندي وهي صحفية اسرائيلية الجنسية ، يهودية الديانة ، تشيكوسلوفاكية المولد تقول في كتابها **الاسرائيليون : صورة شعب** في معرض حديثها عن تعبير السفارديم أن مصطلح السفارديم «كثيراً ما يتسع أو يضيق وفقاً لما تتطلبه الظروف . فرغم أن اليهودي الايطالي الذي يعمل أستاذاً للفيزياء قد يعتبر سفاردياً من حيث المذهب الديني ، إلا أنه لا يعتبر سفاردياً على الإطلاق من الناحية الاجتماعية حتى أن الأم الاشكنازية ـ رغم تعصبها ـ قد لا تعترض على قبوله زوجاً لابنتها باعتباره (واحد منا) . ومن ناحية أخرى فقد يتسع معنى المفهوم ليشمل كل من ليس اشكنازياً ، بما في ذلك كل يهودي قادم من آسيا وشمال أفريقيا ، حيث يطلق على هؤلاء أيضاً ـ استمراراً في مجافاة المنطق ـ تعبير الفرانكيون ، رغم أن أسلافهم لم يروا مطلقاً فرانكونياً تلك المنسوب إليها ذلك الاسم الذي تحول مع الزمن إلى سبة» (٢٦٨ : ٣٩) .

وكذلك الحال فيما نرى فيما يتعلق بتعبير السابرا ، بحيث يمكن أن يتسع إذا

اقتضى الأمر ليشمل كـافة أولئـك اليهود الـذين ولدوا على التـراب الفلسطيني ، ويمكن أيضاً أن يضيق ليقتصر على شريحة بالغة الدقة من أولئك اليهود . وقد يجمع باحث واحـد بين تلك الإمكانـات المتناقضـة جميعاً في بحث واحـد ، كما هـو الحال بـالفعـل بالنسبة لكثير من البحوث السيكلوجية التي أجريت في هـذا المجال ، حيث يبـدأ الباحث بحثه باستخدام واسع الشمول لتعبير السابرا ، وكأنهم الشبـاب الاسرائيلي جميعـاً ، ثم يركـز تنـاولـه الميـداني بعـد ذلـك على قـطاع محـدود من الشبـاب الاسرائيلي ، ثم يعود في النهاية ليعمم من نتائجه معتبراً من جديد أن السابرا هم الشباب الاسرائيلي جميعاً . وما يعنينـا في ذلك الخضم من الضيق والاتسـاع في استخدامات تعبير السابرا هو التعرف على هوية المنتمين لذلك القطاع من الشباب الاسرائيلي الذي يستأثر عملياً دون غيره من القطاعات بالجانب الأكبر من جهد علماء الإنسانيات المهتمين بذلك المجال .

من هم أولئك السابرا ذوي التكوين السيكلوجي الموحد بحكم نتائج البحوث السيكلوجية والأنثروبولوجية هذا في المجال ؟ إن تحديد الهوية الاجتماعية في تجمع بشري كإسرائيل إنما يعني في المقام الأول تحديد الأصل العرقي الذي ينتمي إليه الفرد . وبالتالي فليكن سؤالنا : إلى أي الأصول العرقية ينتمي هؤلاء السابرا ؟ أو بتحديد أكثر : شباب أي الأصول العرقية في اسرائيل يشكل السابرا ؟

في عام ألف وتسعمائة وسبعين نشر هربرت روسكـول ، وزوجته مـارجاليت باتاي ـ وهما من مواطني اسرائيل ـ كتاباً بعنوان **المليون الأول من السابرا : صورة للاسرائيليين مولداً ووطناً** . ويكفي ذلك العنوان الفرعي الذي اختاراه للكتاب للدلالة على نظرتهما للسابرا باعتبارهم مواليد اسـرائيل بعـامة . ولقـد شملت تلك النظرة صفحات الكتاب جميعاً التي أكد فيها المؤلفان أن السابرا هم الاسرائيليون الصغار من أبناء وبنات المهاجرين من كافة بقاع الأرض ، وأنهم أصبحوا يمثلون الغـالبية بين سكان اسرائيل اليوم بل وإنهم قد طبعوا إسرائيل بطابعهم . ورغم ذلك فإن فكـرة واحدة وردت عرضاً ومرت دون تعقيب كفيلة بأن تهدم من الأساس تلك المسلمة التي قام عليها الكتاب عنواناً وموضوعاً . ففي معرض الحديث عما يثير قلق السابرا في اسرائيل يورد المؤلفان العديد من الموضوعات المثيرة لذلك القلق « . . . يشعر السابرا بالقلق تجاه موضوعات عديدة : تشغلهم المساعدات الروسية للعرب وارتفاع ضرائب الدخل كنتيجة مباشرة لمحاولات العرب المتكررة القضاء عليهم ويشغلهم كذلـك

التضخم النقدي ، وعدم الاستقرار الاقتصادي ، وارتفاع قيمة خلو الرجل» ثم يضيف المؤلفان بعد ذلك مباشرة «كما يشغلهم ـ ولكن بدرجة أقل ـ ارتفاع معدل مواليد اليهود الشرقيين الذي يبلغ ثلاثة أضعاف نظيره لدى اليهود القادمين من الغرب مما سوف يجعل في اسرائيل شعباً متخلفاً داكن البشرة» (٨٧٢: ٩) .

السابرا إذن ـ رغم كل محاولات روسكول وزوجته ، وباعترافهما أيضاً ينزعجون لارتفاع معدل مواليد اليهود الشرقيين ، ولو سلمنا مع رسوكول وزوجته بأن السابرا هم أولئك الاسرائيليون مولداً وموطناً ، لكان علينا أن نقنع أنفسنا بأن زيادة عدد السابرا يزعج السابرا أنفسهم . أليس أولئك المواليد الشرقيون أيضاً اسرائيليين مولداً وموطناً ؟ أم أن هناك صنفين من السابرا يتربصان ببعضهما الدوائر ؟ أم أن أولئك اليهود الشرقيين بتخلفهم وبشرتهم الداكنة لا علاقة لهم بالسابرا ؟

إن جورج مايكس يلقي مزيداً من الضوء على هذه القضية في كتابه **عزم النبي : إسرائيل اليوم وغداً** يقول مايكس في معرض حديثه عن السابرا «لقد غيرت كلمة السابرا من معناه مرتين . كانت تطلق في الأصل على ثمرة حلوة صغيرة شائكة ، ثم أصبحت تعني الشباب المولود في اسرائيل . لقد كان السابرا منذ عشرين عاماً شيئاً نادراً بين أصحاب ذلك البلد من المهاجرين . أما اليوم فإن ما يزيد عن نصف السكان مولودون بالفعل في إسرائيل ، ومن ثم فقد غيرت الكلمة معناها مرة أخرى . . . إن الأطفال الستة أو السبعة ، الذين أنجبتهم أسرة مغربية مثلاً والذين ولدوا بالفعل في إسرائيل ، ولكنهم تربوا في ظل التقاليد الشرقية البالية ، مثل هؤلاء الأطفال بعيدون عن السابرا بعد موشى دايان عن القرآن» (٧٤٠: ١٥٣) .

ترى هل صحيح أن كلمة السابرا قد غيرت معناها للمرة الثالثة ؟ لقد كانت السابرا ـ وفقاً لعبارة مايكس ـ تعني الشباب المولود في اسرائيل . كان ذلك منذ عشرين عاماً . ولا يقدم لنا مايكس تفسيراً لتغير مدلول «السابرا» للمرة الثالثة سوى زيادة عدد اليهود المولودين في اسرائيل . وهو تفسير لا يبدو مقنعاً على الإطلاق . لقد كان السابرا منذ عشرون عاماً هم الأبناء اليهود المولودون في اسرائيل . والذي تغير في اسرائيل أساساً خلال تلك الحقبة ليس هؤلاء الأبناء عدداً أو طبيعة بل إن الذي تغير هو الآباء . لقد وفدت على اسرائيل خلال تلك الحقبة أعداد هائلة من الآباء الجدد الذين هاجروا من أوطان جديدة لينجبوا أبناءهم على التراب الفلسطيني ولينشئوهم على عاداتهم وتقاليدهم ، وليربوهم «في ظل التقاليد الشرقية البالية» وفقاً

لقول مايكس . التنشئة الاجتماعية إذن كانت وما زالت هي الأساس في التفرقة بين السابرا وغيرهم . كل ما حدث أن الخصائص التي كانت تجمع بين غالبية المولودين في إسرائيل منذ ثمانية وثلاثون عاماً ـ أي منذ عشية قيام الدولة الاسرائيلية ـ لم تعد صالحة للجمع بين هؤلاء وأولئك الذين ولدوا فيها بعد ذلك . لأسباب لا تتعلق بالعدد كما أنها لا تتعلق بالمكان بل هي مرة أخرى أسباب تاريخية .

مرة أخرى : من هم هؤلاء السابرا ؟ يقول جورج فريدمان في كتابه: **هي نهاية الشعب اليهودي ؟** «أعتقد أن ثمة ثقافة فرعية هي ثقافة السابرا قد اتخذت لها مكانة راسخة في إسرائيل حيث يمكن التمييز بالفعل بين عدد من مثل تلك الثقافات الفرعية : ثقافة الفاتيكيم ذات الأساس الراسخ والتي اندمج فيها كافة المهاجرين القدامى ، وأغلبهم من الاشكنازيم الذين يحتلون مراكز المسئولية في كافة قطاعات الحياة الاسرائيلية ، ثم هناك ثقافة الكيبوتزيم ، وثقافة الموشافيم القدامى التي تشكلت قبل موجات الهجرة الكثيفة التي شهدتها الخمسينيات» ثم يضيف فريدمان بعد ذلك مباشرة: «وهناك أخيراً ثقافة جيل السابرا الجديد، وهم أبناء الفاتيكيم الذين لم يبلغوا الثلاثين» . (٤٢٩ : ١٢١) السابرا إذن وفقاً لعبارة فريدمان هم أبناء الفاتيكيم أي الاشكنازيم الذين يحتلون مراكز المسئولية في كافة قطاعات الحياة الاسرائيلية .

خلاصة القول إذن أن السابرا ليسوا مواليد اسرائيل من اليهود بعامة . وليسوا أيضاً الشباب اليهودي المولودين في اسرائيل جميعاً . وهم بالتحديد ليسوا شباب السفارديم ولا شباب اليهود الشرقيين . إنهم من بين الشباب اليهودي الاسرائيلي أصحاب الحضارة الأرقى والمكانة الأرفع والبشرة البيضاء . إنهم أبناء الصفوة الاسرائيلية ، وهم بالتالي صفوة أبناء اسرائيل . إن السابرا في النهاية ليسوا سوى أبناء الاشكنازيم .

ترى إلى أي حد يتفق هذا التحديد الذي توصلنا إليه لتعبير السابرا مع ما تشير إليه البحوث التي أجريت في مجال العلوم الإنسانية في ذلك الصدد ؟ ينبغي أن نسلم ابتداءً بأن عدداً من تلك البحوث والكتابات لا يتفق مع ذلك التحديد ، بل ينحو أصحابها إلى تناول الشباب الاسرائيلي من الناحية السيكلوجية والاجتماعية باعتباره ـ كالشباب في أي مجتمع آخر ـ كياناً منسجماً بمعنى أن ما يجمع بين أفراده ككل أكثر مما يفرق بينهم . أو بعبارة أخرى إن أوجه الشبه بين أفراده تفوق أوجه الخلاف .

إن بنيامين وولمان في دراسته المنشورة في مجلة الدراسات الاجتماعية اليهودية عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين والتي أجريت قبل قيام الدولة الاسرائيلية والمعنونة «التطور الاجتماعي لاسرائيل : الشباب» يخلص إلى تأكيد أن الشباب الاسرائيلي قد تحقق له ـ قبل قيام الدولة ـ الاندماج والكيان المنسجم سيكلوجياً واجتماعياً (١٠٣٥) والذي يستوقف النظر حقاً أن ذلك الذي خلص إليه وولمان ـ وفقاً لما تقول به الدراسة ـ لم يكن استنتاجاً نظرياً بل كان نتاجاً لدراسة ميدانية استغرقت ثلاثة أعوام من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين إلى عام سبعة وأربعين ، واستمدت بياناتها من أربعة آلاف شاب وفتاة تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين . فضلاً عن أن أساليب البحث التي استخدمت في الدراسة قد تعددت لتشمل المقابلات الشخصية ، وتحليل المذكرات اليومية الخاصة ، والاستبيانات ، إلى جانب الملاحظات . فلنسلم ابتداء بأن تلك العينة الكبيرة من الأفراد الذين شملهم البحث تمثل حقاً الشباب الاسرائيلي آنذاك أو أنها تمثل غالبيته على الأصح ، هل في مقدورنا إذن أن نعمم من نتائج تلك الدراسة لتشمل الشباب الاسرائيلي اليوم مع التزايد المضطرد في نسبة أبناء اليهود الشرقيين واليهود السفارديم في اسرائيل ؟ الحقيقة ـ فيما نرى ـ أن النتيجة التي توصل إليها وولمان صحيحة في إطارها الزمني . بل إنها لتؤكد ما تذهب إليه من وجود كيان منسجم سيكلوجياً واجتماعياً للسابرا باعتبارهم أبناء الأشكنازيم ، أما أبناء السفارديم فهم خارج تلك الدراسة حتماً لأنهم ببساطة لم تكن لهم آنذاك نسبة يعتد بها بين قاطني إسرائيل من اليهود .

وإذا كان لبحث وولمان وجاهته ومبرراته في إطاره التاريخي فإن بحثاً أجراه حاييم أورميان يفتقد للكثير من ذلك كله . وحاييم أورميان من قدامى المتخصصين في علم النفس في الجامعة العبرية ويكاد يكون من أبرز علماء النفس الاسرائيليين الذين أمدوا مجلة **الملخصات السيكلوجية** في الخمسينيات بالكثير من الملخصات الانجليزية للبحوث السيكلوجية التي نشرت أصلاً بالعبرية . وقد نشر أورميان عام ألف وتسعمائة وخمسين أي قبل أن يمضي أكثر من عامين على قيام الدولة الإسرائيلية مقالاً بعنوان «اتجاه طلبة المدارس الثانوية في إسرائيل نحو مندل»[1] قام فيه برصد

---

(١) مندل موشير سيفوريم (١٨٢٥ ـ ١٩١٧) . اسمه الحقيقي سولومون رابينوفيتش . وهو من أبرز الشخصيات في الأدب اليهودي الحديث . وقد اشتهر بقصصه الواقعية التي تدور حول حياة اليهود في الجيتو وخاصة في قرى شرقي أوروبا .

اتجاه عينة من طلاب المدارس الثانوية في اسرائيل تجاه أعمال مندل خالصاً من رصده إلى أن «الشباب في إسرائيل لديهم عامة اتجاه إيجابي نحو القصص التي تصف القرية اليهودية في شرقي أوروبا وخاصة نحو أعمال مندل ، نظراً لما تتضمنه من قيم يهودية هامة ، وأيضاً لمهارة مندل في تصوير الحياة اليهودية وكذلك كاستجابة انفعالية للكارثة الأخيرة . ولكن نمط الحياة الذي يصفه مندل كان أحياناً مثيراً لاتجاه رافض ومتناقص وجدانياً» (٧٧٧) .

ولنا على بحث أورميان ملاحظتان : الأولى أنه اعتبر نتائج بحثه معبرة عن اتجاهات الشباب الإسرائيلي بعامة ، وهو أمر لا يمكن التسليم به منطقياً لأسباب ثلاثة مرتبطة بعضها ببعض : -

١ - إن فترة الخمسينيات أي فترة اجراء البحث قدشهدت تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين إلى اسرائيل من بلدان الشرق .

٢ - إن أبناء هؤلاء المهاجرين من الشرق إلى اسرائيل لم يكونوا ليمثلوا نسبة يعتد بها بين طلاب المدارس الثانوية الإسرائيلية آنذاك لانخفاض مستوياتهم التعليمية عن أقرانهم من أبناء الحضارة الغربية .

٣ - إنه إذا كان منطقياً أن يتعاطف آنذاك أبناء الحضارة الغربية أي أبناء الاشكنازيم مع ما يتصل بالحياة اليهودية في قرى شرقي أوروبا - مهد حضارتهم - فإنه ليس منطقياً على الإطلاق أن نسلم بوجود مثل ذلك التعاطف لدى اليهود الشرقيين والسفارديم الذين لا تربطهم أية روابط تاريخية ولا عاطفية مع تلك الحياة .

خلاصة القول إن بحث أورميان ينصب فيما نرى على اتجاهات أبناء الاشكنازيم في إسرائيل آنذاك .

وملاحظتنا الثانية أنه حتى في نطاق اتجاه السابرا - أي أبناء الأشكنازيم - نحو أعمال مندل بالتحديد ، فإن تلك الاتجاهات قد تغيرت تماماً فيما بعد . ويكفي أن نشير إلى ما أورده سبيرو في هذا الصدد وهو بمعرض حديثه عن اتجاهات السابرا نحو الأدب اليهودي حيث ينقل تعليقاً كثر ترديده بينهم على أعمال مندل يصفها بأنها «لا تثير اهتماماً لدينا» (٩٤٥: ٣٨٥) ، وأنهم يعتبرون مندل كاتباً «مثيراً للضيق. . . لأنه يكتب عن تلك الأحياء الضيقة المليئة بالخرافات» (٩٤٥: ٤٥٥ - ٤٥٦) وأن قراءة

منـدل تعـد لـديهم بمثـابـة «الخبـرة التي تثيـر قـدراً هـائـلاً من الفــزع والضيق» (٩٤٥: ٤٥٧) .

ويتفق ذلك الموقف المتضارب من تعريف السابرا مع ما يقول به ملفورد سبيرو في مقـال لـه نشـر عـام ألف وتسعمـائـة وسبعـة وخمسين تحت عنـوان «السـابـرا والصهيونية : دراسة في الشخصية والايديولوجية» . ويتعرض سبيرو في هذا المقال لدراسة شباب أحد الكيبوتزات في إسرائيل واصفـاً إياهم في مستهـل مقالـه بأنهم «مجموعة خاصة من السابرا» باعتبار أن «مصطلح السابرا يشير عامة إلى أي يهودي ولد في إسرائيل» ويمضي سبيرو في بحثه ويزداد موقف تلك «المجموعة الخاصة من السابرا» حيـال بقية «السـابرا» وضـوحـاً . إنهم «يـطلقون على اليهـود الشرقيين في المدرسة الثـانويـة تعبير «السـود» ويجعلونهم عرضـة لكثير من الإهـانات والمضـايقات والسباب . . . بل إن بعض الطلبة يرفضون الجلوس على نفس المـائدة مـع أولئك الشرقيين الذين يعملون في الكيبوتز. إن إحدى فتيات الكيبوتز تقـول صراحـة : «عندمـا جلس أحدهم ـ أي أحد هؤلاء الشرقيين ـ بجواري على المائدة وقفت وانصرفت . إن الجلوس معهم على نفس المائدة يشعرني بالغثيان» كما أن أحد الراشدين ـ من الذين يطلق عليهم سبيرو تعبير السابرا ـ يعبر عن مشـاعره حيـال أولئك الشـرقيين بقولـه : «لقد كانت أمور هذا البلد على خير ما يرام حتى جاء هؤلاء السود» . (٩٤٤) .

ولا يجد سبيرو ما يفسر به ظاهرة الرفض العنيف هذه ، فيكتفي بأن يقرر «إن تفسير تلك المشاعر العنيفة التي تميز كراهية الشرقيين ليس بالأمر البسيط ، إن تلك المشاعر في حاجة إلى تفسير أكثر تركيباً» (٩٤٤) . إن حياة سبيرو إنما ترجع إلى خطأ منطلقه النظري الأول . لقد اعتبر منذ البداية أن أولئك الذين تناولتهم دراسته ليسوا سوى مجموعة خاصة من السابرا أي أنهم جزء من كيـان متجانس أكبـر يضم «أي يهودي ولد في إسرائيل» . وبالتالي فقد كان حتماً أن تنتابه تلك الحيرة وهو يرى ما تشير إليه نتائجه من أن ذلك «الجزء» يرفض رفضاً قاطعاً تقبل بقية أجزاء الكل . أي أنه يرفض الانتماء إلى ذلك الكل الذي افترض سبيرو منذ البداية أنه ينتمي إليه . ولم يكن الأمر يتطلب مثل تلك الحيرة على الإطلاق لو عدل سبيرو من منطلقه النظري الأول مدركاً أن أولئك الذين يدرسهم ليسوا «مجموعة خاصة من السابرا» بل إنهم ـ على الأقل ـ مجموعتان إحداهما من السابرا والأخرى لا تربطهـا بالسـابرا سـوى الكراهية والعداء .

ويتفق ذلك الاتجاه أيضاً مع ما يقول بـه دايترنـج جولـد شميدت في مقـاله المنشور عام ألف وتسعمائة واثنين وستين تحت عنوان «اسرائيل والعالم الثالث» حيث يتحدث عن موقف من أسماهم ـ دون تمييز ـ الأجيال الشابة الاسرائيلية حيال الفصل بين الدولة والمجتمع والدين (٤٦٨) . ويتفق ذلك أيضاً مع موقف تاموستوشيبوتاني وكيان كوان في كتابهما الصادر عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين والمعنون التدريج العرقي حيث يعرفا السابرا بأنهم أبناء المهاجرين اليهود بعامة ، وأنهم «يطورون ثقافة جديدة مختلفة تماماً عن ثقافة آبائهم» (٩١٤: ١٢٢) .

أما شيجبير وزوجته وهما من رجال التعليم الإسرائيليين فقد نشرا عـام ألف وتسعمائة وثمانية وستين مقالاً بعنوان «الاتجاهات نحو الأطفال العجـزة في مجتمع إسـرائيل ذو الثقـافات المتعـددة» وتقوم مـادة المقال على بحث أجـري على ألف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين من الفتيان والفتيات في إسرائيل ممن تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وإحدى عشرة سنة بهدف التعرف على اتجاهـاتهم نحو أنـواع العجز البدني والحركي الذي يصيب الأطفال . وقد تم تقسيم العينة وفقاً لعدد من العوامل مثل : الأصل العرقي ، والجنس ، والمكانة الاجتماعية الاقتصادية ، ومحال الإقامة ومدى التمسك الأورثوذكس بالدين ، وذلك بهدف تبين أي تلك العوامل أكثر تأثيراً في تحديد اتجاهات هؤلاء الأطفال . واتضح من النتائج ـ وفقاً لما يقرره المقال ـ أن العامل الوحيد ذو التأثير الجوهري في تحديد تلك الاتجاهات كان عامـل المكانـة الاقتصادية الاجتماعية دون بقية العوامل (٣١٢) .

ويمكننا أن نتبين للوهلة الأولى أن المقال يتجاهل حقيقـة يتميز بهـا التجمع الإسرائيلي ، وهي أن التقسيم وفقاً للمكانة الاجتماعية الاقتصادية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بـالتقسيم وفقاً لـلأصول العـرقية حيث يحتـل الاشكنازيم قمـة الهـرم الاقتصـادي الاجتمـاعي . ومن ثم فليس من المتصور منـطقياً أن يكـون للعـامـل الاقتصـادي الاجتماعي دون العامل العرقي مثل ذلك التأثير الجوهري في تمايز الاتجـاهات . خاصة وأن المؤلفين يسلمان كما هو واضح من عنوان المقال بأن إسرائيل «مجتمع متعدد الثقافات» .

لقد ذكر شيجبير وزوجته في مقالهما أنهما قاما ببحثهما المشار إليه بهدف إعادة فحص النتائج التي توصل إليها العالم الأمريكي ريتشاردسون ونشرهـا مع زمـلاء له عـام ألف وتسعمائة وواحد وستين في مقال بعنوان «التماثـل الثقافي في المـوقف حيال

العجز البدني» . ولو نظرنا إلى بحث ريتشاردسون لوجدناه يلتزم بنفس المنهج ، ونفس التقسيم للعينة وفقاً لعوامل الجنس ، والمكانة الاجتماعية الاقتصادية ، والأصول العرقية ، ومحال الإقامة. . . الخ . إلا أن بحث ريتشاردسون لم يسفر عن مثل ذلك التأثير الغالب لعامل المكانة الاجتماعية الاقتصادية ولا لغيره من العوامل على الاتجاهات حيال العجز البدني . ويعلق ريتشاردسون وزملاؤه على نتائج بحثهم بقولهم: «إن قدراً كافياً من الدلائل في ثقافتنا يشير إلى أن ثمة ما يحط من شأن أولئك الأشخاص الذين يعانون من عجز بدني . وينتشر مثل ذلك التقييم عامة في وسائل الاتصال الجماهيري. . . » (٨٤٧) .

الموقف من العجز البدني ينطلق إذن من ذلك الجانب من التكوين السيكلوجي الذي يشترك فيه أبناء ثقافة معينة على مختلف أصولهم ومكاناتهم ومحال إقاماتهم والذي يختلف من ثقافة إلى أخرى . إنه بعبارة أخرى نتاج لما يعرف بالطابع القومي للشخصية . وبالتالي فليس ثمة تفسير لما خلص إليه البحث الإسرائيلي المشار إليه من وجود تأثير جوهري لعامل المكانة الاقتصادية الاجتماعية في ذلك المجال سوى أن ذلك العامل في التجمع الإسرائيلي إنما يخفي وراءه عاملاً أكثر خطراً وأشد تأثيراً هو عامل التمايز العرقي . اللهم إلا إذا ظن أحد أن الصراع الاقتصادي الاجتماعي في اسرائيل أكثر حدة وبالتالي أشد تأثيراً على التكوينات السيكلوجية للأفراد عنه في الولايات المتحدة الأمريكية .

كانت تلك نماذج لكتابات حرص أصحابها على عدم التفرقة بين السابرا والشباب الإسرائيلي ، إما بالإشارة صراحة أو ضمناً إلى عدم وجود مثل تلك التفرقة ، وإما بعدم الإشارة أصلاً إلى تعبير السابرا وتناول الشباب الإسرائيلي ككل باعتباره كياناً سيكلوجياً منسجماً . ولكن ذلك الموقف لا ينسحب على بقية الكتابات جميعاً . صحيح أنه ليس ثمة تفرقة صريحة واضحة بين تعبيري السابرا والشباب الإسرائيلي لدى من تناولوا ذلك الموضوع سواء من الإسرائيليين أو من غيرهم . إلا أن مثل تلك التفرقة يمكن أن نتبينها ضمناً في ثنايا العديد من البحوث .

لقد نشر باكاليار ـ آلون عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين مقالاً بالعبرية بعنوان «حول الخصائص الانفعالية والعقلية للشباب اليمني» تناول فيه بالفحص النفسي مائتين وسبعة وثلاثين من الفتيان والفتيات من اليهود اليمنيين الهاربين من الدراسة في مدارس تل أبيب ممن تتراوح أعمارهم بين ثلاث عشرة وخمس عشرة سنة بهدف

مقارنتهم بأقرانهم من غير اليمنيين من حيث مستوى الذكاء ، والقدرة على التحصيل الدراسي وكذلك من حيث تفضيلاتهم للمناهج الدراسية (١٩٦) وليس لأحد أن يخطيء دلالة تعبير «الشباب اليمني» الذي يشير ضمناً إلى أن ثمة شباباً عراقياً وشباباً إيطالياً هم في النهاية الشباب الإسرائيلي . وذلك فضلاً عن تأكيد باكاليار ـ آلون في عرضه لنتائجه على أن تخلف هؤلاء الشبان اليمنيين في الذكاء والتحصيل الدراسي إنما يرجع لأسباب وصفها بأنها أسباب تاريخية وليست عرقية .

أما العالم الأمريكي رونالد ماركمان فإنه يتخذ في هذا الصدد موقفاً أكثر وضوحاً وحسماً ، وإن لم يستخدم تعبير السابرا على الإطلاق في مقاله المنشور عام ألف وتسعمائة وستة وستين تحت عنوان «جناح الأحداث في إسرائيل» . يقول ماركمان في مستهل مقاله : إن المهاجرين الذين تدفقوا على اسرائيل منذ قيامها في الرابع عشر من مايو عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين قد نزحوا إليها من بيئات شتى تتراوح بين المستويات شديدة البدائية والمستويات شديدة التحضر . «ورغم اشتراك هؤلاء جميعاً في التراث اليهودي فإن هناك فجوة ثقافية ملحوظة تفصل بين اليهودي الأوروبي واليهودي الأفريقي» ثم يحدد ماركمان لبحثه هدفين هما :

١ ـ استعراض ما طرأ على معدلات الجناح في اسرائيل من ارتفاع أثر موجات الهجرة مباشرة .

٢ ـ رصد الدور الذي تلعبه الأصول العرقية في تزايد ذلك الجناح .

وأهم ما يعنينا حالياً من نتائج دراسة ماركمان هو تقريره بوضوح «أنه بتحليل الحجم العددي لليهود المولودين في إسرائيل وفقاً لتعداد ١٩٦١ ؛ وكذلك الحجم العددي لمن أدينوا قضائياً من الأحداث وفقاً لذلك التعداد ، يتضح أن نسبة الأطفال الجانحين المنحدرين من أسلاف أفرو آسيويين تبلغ ١٨,٧ في الألف ، في حين تبلغ تلك النسبة بين أولئك المنحدرين من أسلاف أوروبيين أمريكيين ٢ في الألف. . . وأن أكثر من ثلاثة أرباع المذنبين قضائياً خلال عام ألف وتسعمائة وواحد وستين من الأطفال المولودين في إسرائيل ينتمون إلى ربع التجمع الاسرائيلي أي إلى المجموعة الأفروآسيوية» (٦٩٧) خلاصة القول إذن أن الشباب اليهودي المنحدر من أصول آفرو آسيوية أكثر جناحاً من غيره في إسرائيل وذلك بصرف النظر عن محل مولده ، أي سواء ولد في إسرائيل وتربى فيها أو ولد في موطنه الأصلي وهاجر إليها . ثمة فروق إذن في التكوين السيكلوجي بين المنحدرين من مختلف الأصول العرقية لا

تسمح بالتسليم بأن ثمة شباباً إسرائيلياً يمثل كياناً سيكلوجياً منسجماً .

وإذا كانت نتائج بحث ماركمان تشير إلى أن الشباب في إسرائيل يتمايزون في مجال الجناح وفقاً لأصولهم الحضارية ، فإن هافاهس في بحث لها نشر بالعبرية عام ١٩٦٥ تحت عنوان «نتائج دراسة مسحية لتلاميذ الصف الثامن بالمدارس الخاصة» تخلص إلى نتيجة مشابهة وإن كانت في مجال التحصيل الدراسي حيث قامت باختبار ثمانمائة وثلاثة وخمسين تلميذاً من تلاميذ الصف الثامن بالمدارس الخاصة في إسرائيل مقارنة بين مستوى التحصيل المدرسي وعدد من المتغيرات مثل الجنس والسن وموقع الدراسة والوطن الأم . . . إلى آخره . وقد وجدت هافاهس أن ثمة علاقة جوهرية بين مستوى التحصيل والوطن الأم (٥٤٨) .

وتتفق تلك النتيجة مع ما توصل إليه ج . ب . هس المسئول عن العيادة الخارجية للأمراض العقلية في كوبات عوليم بالقدس في مقاله المنشور بالعبرية عام ١٩٦٧ تحت عنوان «مشكلات المراهقة من وجهة نظر العلاج العقلي» . فقد خلص هس بعد فحصه لألفي حالة من المترددين على العيادة إلى أن ثمة دلائل كثيرة تشير إلى ازدياد معدلات التخلف العقلي لدى أولئك الذين ينتمون لأصول شرقية (٥١٩) .

لقد طرح ايزنشتادت منذ زمن مبكر في مقاله المعنون «الشباب والثقافة والبناء الاجتماعي في إسرائيل» فكرة نرى أنها ما زالت جديرة بالمناقشة حتى بعد أن مضى على طرحها عشرون عاماً أو يزيد . يقول ايزنشتادت ، وهو في معرض حديثه عن ثقافة الشباب في إسرائيل : «إن اتخاذ ثقافة الشباب من الحركات الشبابية القانونية شكلاً معبراً عنها ، أو بالمقابل اتخاذها من السلوك المنحرف كالجناح وسيلة لمثل ذلك التعبير ، أمر يتوقف على الاتجاهات القيمية المشتركة للبناء الاجتماعي الذي تنبثق منه ثقافة الشباب» (٣٨٠) .

ترى هل أجابت أحداث عشرين عاماً في إسرائيل على تساؤل ايزنشتادت ؟ لقد أجابت بالفعل ، ومنذ وقت بعيد . وكانت إجابتها إبراز أن ما يسمى بالشباب الإسرائيلي قد اتبع ـ ولم يكن أمامه إلا أن يتبع ـ كلا الطريقين معاً : الحركات الشبابية القانونية ، والجناح . ذلك لأن ثمة شبابين في إسرائيل : شباب الاشكنازيم ، وشباب غير الاشكنازيم .

خلاصة القول إن مجال دراستنا هو بالتحديد جماعة يهود الاشكنازيم القائمة

شيوخاً وشباباً وأطفالاً ضمن التجمع الإسرائيلي الراهن ولقد آثرنا أن نناقش موقع السابرا من بحثنا في هذا الفصل حيث أن السابرا ـ وفقاً لفهمنا لذلك التعبير ـ هم الأقرب إلى تصور السلطة الإسرائيلية لما ينبغي أن يكون عليه الشباب في إسرائيل . وليس ذلك ـ على أي حال ـ بالأمر المستغرب ، فهؤلاء السابرا ليسوا في النهاية سوى الأبناء الشرعيين لأصحاب السلطة الحقيقية في إسرائيل ، أعني الاشكنازيم ، ولعل هذا هو ما يفسر لنا ذلك الحرص الغريب على تركيز الضوء على تجربة الكيبوتز باعتبارها البوتقة المأمولة لصهر هؤلاء الشباب في المقام الأول ثم لتقديم النموذج لغيرهم بعد ذلك . (١١٢: ١٨١ ـ ٢٠١) .

ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء السابرا يمثلون ولسنوات قادمة احتياطي السلطة الإسرائيلية بمعنى أنه إذا كان للاشكنازيين التأثير الأكبر على صنع القرار السياسي في إسرائيل اليوم ، فإنهم حريصون على أن يستمر لهم ذلك التأثير في المستقبل من خلال امتدادهم الحضاري والسياسي والسيكلوجي كما يتمثل في أبنائهم أي في السابرا .

ثم إن أولئك السابرا يمثلون الجانب الغالب ـ عدداً وتأثيراً ـ من بين العسكريين الإسرائيليين الذين يواجهوننا بالفعل . ومن هنا تكتسب دراسة الاشكنازيم بالنسبة لنا أهمية خاصة تبرر احتلالها للأسبقية الأولى . فلكبارهم اليد الطولى في اتخاذ القرار السياسي والعسكري في قمة الحكم في إسرائيل ، ولشبابهم اليد الطولى أيضاً في اتخاذ القرارات التنفيذية العملية في الممارسة اليومية في كافة مناحي الحياة في إسرائيل وفي مقدمتها الناحية العسكرية .

الفصل السابع
خطة الدراسة

محـاولات

سبق أن أشرنا في ختام الفصل الرابع إلى أن أسلوب إعادة التركيب لا يمكن بحال أن يعد بديلاً يستغنى به عن غيره من الأساليب المتبعة في مجال دراسة شخصية الجماعة . ومن ناحية أخرى فإن اتباع أي من الأساليب الأخرى في ذلك المجال لا يمكن بدوره أن يعد بديلاً يستغنى به عن الحاجة إلى اتباع أسلوب إعادة التركيب .

وانطلاقاً من هاتين القضيتين حاولنا ـ قدر ما وسعنا الجهـد ـ أن نتبع أسـاليباً أخرى إلى جانب أسلوب إعادة التركيب الذي اصطنعناه أسلوباً رئيسياً في بحثنا . ورغم أن محاولاتنا هذه قد أخفقت ـ لأسباب مختلفة ـ في بلوغ غايتها ، فقد يكون لتسجيلها أو حتى لمجرد الإشارة إليها ثمة فائدة لدى من سيحاول بعدنا المضي في بحث هذا الموضوع .

لقـد حاولنـا الاستفادة من الأسلوب الـذي أطلقنا عليـه «دراسة الجمـاعـات المقتربة» وتم بالفعل إعـداد استبيان يهـدف ـ عن طريق المقـابلة الشخصية ـ إلى تسجيل انطباعات مجموعة ممن أتيح لهم الاحتكاك المباشر بالحياة الاسـرائيلية . وبعد محاولة للتطبيق استمرت عاماً وبضعة شهور كانت الحصيلة خمس مقابلات مع مناضلات فلسطينيات قضين فترات متفاوتة داخل التجمع الإسرائيلي بعامة وداخـل السجون الإسرائيلية على وجه الخصوص . وإحقاقاً للحق فلعل إخفاقي في دفع تلك المحاولة إلى بلوغ غايتها قد يرجع ـ في جانب منه على الأقل ـ إلى تحرج لم أستطع له دفعاً من أن تمثل محاولتي فهم الشخصية الإسرائيلية عبئاً ـ مهما كان ضئيلاً ـ على نضالهم في مواجهة الكيان الإسرائيلي . ولعل هذا التحرج ـ خطأ كان أو صواباً ـ هو

ما كان يحول بيني والإلحاح في البحث عن المزيد من المقابلات .

كذلك فقد حاولنا أيضاً الاستفادة من تواجد بعض الأسرى الاسرائيليين في استخدام الأسلوب الذي أطلقنا عليه «دراسة الجماعة المنعزلة» وأعددنا بالفعل خطة تلك الدراسة التي تمثلت في استخدام الأدوات التالية :

١ ـ المقابلة الشخصية .

٢ ـ تطبيق صورة معدلة تناسب وضع الأسرى من اختيار ساكس وليفي الإسقاطي لتكميل الجمل .

٣ ـ تطبيق اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص .

إلا أن هذه المحاولة قد تعذّرت لأسباب تتعلق بالأمن .

خطوات الدراسة

سوف نعرف في هذا الفصل للخطوات التي اتبعناها والتزمنا بها في حصرنا للمادة التي اعتمدنا عليها في إعادة التركيب ، وتجميعنا ، وترميزنا ، وتصنيفنا لها . وعرضنا لهذه الخطوات يهدف إلى أمرين : ـ

أ ـ توضيح الخطوات التي هدفنا بها إلى تحاشي ذاتية الانتقاء لمادة معينة وترك سواها .

ب ـ توضيح حدود المادة التي تناولناها في إعادة التركيب بحيث يمكن لغيرنا من الباحثين محاولة تخطيها زمنياً أو من حيث المجال الذي شملته .

أولاً ـ حصر البيانات

بدأت عملية الحصر المنظم[1] لهذا البحث منذ حوالي منتصف عام ألف وتسعمائة وسبعين وقد تمت وفقاً للخطوات التالية : ـ

---

(١) لا تعني عملية الحصر المنظم هذه أننا قد أهملنا المادة التي توصلنا إليها بشكل غير منظم سواء قبل عام ألف وتسعمائة وسبعين أو بعد ذلك . وتشمل تلك المادة عدداً من الكتب والمقالات بدأنا في تجميعها منذ منتصف عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين دون خطة محددة سلفاً .

أ ـ بالنسبة للكتب :

١ ـ تم تحديد المصادر الرئيسية المتاحة للمؤلفات المتصلة بـالموضـوع وقد شملت تلك المصادر :

أ ـ مكتبة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام .
ب ـ مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة .
ج ـ مكتبة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة .
د ـ مطبوعات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت .
هـ ـ مطبوعات مركز الدراسات الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت .
و ـ دار الكتب القومية .
ز ـ قـوائم منشـورات بعض دور النشـر الأجنبية وخـاصـة تلك المعنيـة بالاسرائيليات على وجه الخصوص . وأهم تلك الدور :

- Vallentine, Mitchell & Co.. Ltd. (London).
- Jewish Reconstructionist Press (New York).
- Middle East Institute (Washington).

٢ ـ إن المادة التي يمكن أن توفرها المصادر السابقة كان يحتمل أن يغلب عليها طابع الانتقاء بمعنى أن القائمين على أمور كل من تلك المصادر ينتقون ما يرونه هاماً من المادة المتاحة لهم فيقتنونه أو ينشرون في حدوده . ومن ثم فقد حاولنا تلافياً لهذا الانتقاء حصر المواد الواردة في بعض المراجع البيبليوجرافية الأجنبية المتخصصة وأهمها :

- International Bibliography of Social Sciences (Tavistock: London).
- Recent Publications in Social and Behavioral Sciences: The ABC guide (Pergamon: New York).
- Commulative Book Index: A world list of books in the English language. (Wilson: New York).

٣ ـ تم حصر وتسجيل أسمـاء العلماء الاسـرائيليين ، وغير الاسـرائيليين من المهتمين بالاسرائيليات ، ومتابعة ما ينشره هؤلاء من خلال المصادر المشار إليها في البندين السابقين . وكان ذلك الحصر يتم بالاستعانة بعدد من المراجع البيبليوجرافية المتخصصة في هذا الموضوع وأهمها : ـ

- ISI's who is publishing in science.
- American Psychological Association: biographical directory.
- International directory of psychologists.
- American Sociological Association: membership directory.
- Biographical directory of the American Psychiatric Association.

٤ ـ تم مسح قوائم المصادر الواردة في البندين الأول والثاني ، وتسجيل كافة المـواد الواردة فيهـا تحت العناوين التـالية : اسـرائيل ـ فلسـطين ـ اليهود ـ معـاداة السامية . وكان التسجيل قاصراً في البداية على نسخ البيانات الببليوجرافية المتاحة على بطاقات خاصة .

ب ـ بالنسبة للمقالات المنشورة في دوريات :

١ ـ تم حصر المقالات التي وردت الإشارة إليها تحت العناوين المحددة في البند الرابع من (أ) في مجلة الملخصات السيكلوجية Psychological Abstracts في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٧٣ .

٢ ـ كان الحصر قاصراً في هذه المرحلة على تسجيـل الموجـز المنشور في الملخصات السيكلوجية كما هو على بطاقات منفصلة .

٣ ـ كان يتم خلال هذا الحصر وعلى نفس البطاقة تسجيل ما إذا كانت الدورية المنشور فيها المقالة المشار إليه متاحة أم لا .

جـ ـ بالنسبة لحصر المعلومات المتاحة عن الباحثين :

تم في هذا الصدد إعداد بطاقـات تضم أسماء المؤلفين والبـاحثين أصحاب الأعمال المنشورة في البندين «أ» و«ب» وتسجيل البيـانات الببليـوجرافيـة المتاحـة الخاصة بكل منهم . وذلك تيسيراً لعملية تقييم إنتاجهم وخاصة فيما يتعلق بالباحثين الإسرائيليين نظراً لضآلة المعلومات التي كانت متاحة للباحث بشأنهم .

ثانياً ـ تجميع البيانات

أ ـ بالنسبة للكتب :

كان يتم الاطلاع على الكتاب الذي سجلت عنه البيانات الببليوجرافية أو على الفصول التي يضمها متعلقة بالبحث ، وتسجيل المادة التي تستقى منه على بطاقات خاصة تحمل كذلك ملخصاً للبيانات الببليوجرافية الخاصة بالكتاب . وقد اتضح أن

بعض الكتب التي سجلت في البطاقات البيليوجرافية لم تكن متاحة للباحث ، وقد أمكن الحصول على بعضها فيما بعد .

ب ـ بالنسبة للمقالات :

١ ـ كان يتم أولاً البحث عن أصول المقالات في الدوريات المتوفرة وتصويرها أو نسخها .

٢ ـ إذا لم تكن تلك الدوريات متاحة ، وكان أصحابها من غير الإسرائيليين ، فقد كنا نكتب إليهم ملتمسين تعاونهم بإرسال ما لديهم من مواد متعلقة بالموضوع .

ثالثاً ـ ترميز البيانات

كانت البطاقات التي يتم تجميعها ترتب أبجدياً وفقاً لاسم المؤلف ثم يتم ترميزها أولاً بأول تيسيراً لعمليات التصنيف وذلك وفقاً للمحكات التالية :

أ ـ نوعية البشر الذين تنصرف إليهم الدراسة .
ب ـ نوعية الموضوع الذي تندرج الدراسة تحت نطاقه .
جـ ـ نوعية التخصص الذي تنتمي إليه الدراسة .
د ـ نوعية الأدوات المستخدمة في الدراسة .

وكان الترميز وفقاً لنوعية البشر الذين تنصرف إليهم الدراسة يتم بوضع علامة ملونة على الطرف الأيمن الأعلى لبطاقة التسجيل . وكان اللون الأسود يدل على أن المادة التي تحملها البطاقة تتعلق باليهود عامة . ويشير اللون الأحمر إلى أن المادة تتعلق بمن يضمهم التجمع الاسرائيلي . أما اللون الأخضر فكان يشير إلى أن المادة التي تحملها البطاقة تتعلق بقضايا سيكلوجية عامة لها علاقة ما بالبحث . وكان ثمة ترتيب مفترض لدلالات الألوان من حيث الأهمية للتصنيف بحيث يأتي في المقدمة اللون الأحمر يليه اللون الأسود ثم اللون الأخضر . وبالتالي فإذا كان أحد البحوث ينصب على اليهود داخل وخارج إسرائيل فإن بطاقة كانت تحمل اللون الأحمر وليس الأسود .

أما الترميز وفقاً لنوعية الموضوع الذي تندرج الدراسة تحت نطاقه ، فقد كان يتم بوضع علامات خاصة بالحبر في حدود الجزء الأعلى من البطاقة وكانت تلك

العلامات عبارة عن حروف الأبجدية العربية والانجليزية بحيث يكـون لكل حـرف دلالته المفترضة على موضوع معين مثل : التعليم والمدارس ـ الدياسبوراه ـ الجيتو ـ الوضع الاقتصادي ـ الحالوتس . . الخ .

وكان الترميز وفقاً لنوعية التخصص يتم أساساً وفقاً لتخصص الباحث صاحب الدراسة ثم لتخصص موضوع الدراسة إذا لم تتيسر معلومات عن الباحث . وترجع ضرورة ذلك الترميز إلى مـا لوحظ من تـوافر عـدد كبير من الكتـابات الاجتمـاعية والأنثروبولوجية والتاريخية والاقتصادية بل والسيكلوجية غير المتخصصة وكلها تتناول موضوع البحث من زوايا مختلفة وكان الترميز يتم برسم خطوط تمثل أشكالاً معينة يشير كل منهـا إلى نوعيـة تخصصية محـددة مثل : علم النفس ـ علم الاجتمـاع ـ الطب ـ العلاقات الدولية ـ اللغويات . . . الخ .

وتم بنفس الطريقة ترميز البطاقات وفقاً للأدوات المستخـدمة في الـدراسة ، بحيث يشير كل رمز إلى نوعية معينة من الأدوات أو الأساليب مثل : اختبارات ورقة وقلم واختبار رورشاخ وتحليل المضمون . . . الخ .

رابعاً ـ تصنيف البيانات ووصفها

رغم أن البيانات المتعلقة باليهود وتلك المتعلقة بقضايا علم النفس بعامة تمثل الخلفية الضرورية للبحث في سيكلوجية الاشكنازيم ، إلا أن جوهر ذلك البحث إنما يتمثل في الدراسات السيكلوجية التي انصبت أساساً على أفراد إسرائيليين ، والتي نعتمد عليها أساساً لمعالجة الموضوع .

ولذلك فقد تم استخراج البطاقات التي يشير ترميزها إلى أنهـا تحمل مـواداً سيكلوجية تتعلق بالاشكنـازيم الإسرائيليين . وجـرى تفريـغ بيانـات كل من هـذه البطاقات في استمارة منفصلة تضم البنود التالية :

(أ) اسم الباحث .
(ب) جنسية الباحث .
(جـ) تخصص الباحث .
(د) عنوان الباحث .
(هـ) تاريخ النشر .

(و) تاريخ جمع البيانات .

(ز) المنهج والإطار النظري .

(ح) الأدوات المستخدمة في البحث .

(ط) حجم العينة أو العينات الإسرائيلية .

(ي) حجم العينة أو العينات غير الإسرائيلية .

(ك) خواص العينة أو العينات المستخدمة .

(ل) أهم النتائج التي أسفر عنها البحث .

(م) نقد وتقييم البحث وإعادة معالجة النتائج إذا ما اقتضى الأمر .

وقد اتضح من تفريغ بنود الاستمارة أن التخصصات التي تغطيها البحوث المتاحة تشمل : علم نفس الطفل ، والتحليل النفسي ، والطب العقلي ، وعلم النفس الاجتماعي ، والتربية ، والأنثروبولوجيا ، وسيكلوجية الجناح ، وعلم النفس العسكري .

كذلك فقد اتضح أن الأساليب التي استخدمها الباحثون قد شملت إلى جانب المقالات الانطباعية العامة : الاستبيانات ، والاختبارات الإسقاطية ، واختبارات الورقة والقلم ، والمقابلات الشخصية ، والملاحظات المنظمة ، وقياسات الاتجاهات ، إلى جانب الإحصاءات السيكياترية العامة .

ومثل ذلك التعدد في المنطلقات النظرية وفي الأساليب المستخدمة يتيح قدراً من الاطمئنان لإمكانية الشروع في استخدام أسلوب إعادة التركيب حسب تصورنا له .

خامساً ـ أسلوب عرض النتائج

تتمثل مشكلة عرض النتائج التي يسفر عنها أسلوب إعادة التركيب في أنها تتعرض لمنزلقين يهددانها :

أولاً : أن ينساق الباحث إلى الإغراق في عرض أكبر قدر ممكن من التفصيلات التي تتضمنها البحوث التي تم تحليلها بحيث يصبح ما يعرضه في حاجة إلى إعادة التحليل من جديد .

ثانياً : أن يندفع الباحث تخوفاً من الإغراق في التفاصيل إلى الإيجاز المخل ،

مكتفياً بالإشارة من بعيد إلى تلك التفاصيل . ومثل هذا التخوف قد يحيل من عرض الباحث لنتائجه إلى ما يشبه الفروض والاستخلاصات النظرية التي يعوزها الأساس الذي ترتكن إليه .

ولسوف نحاول في عرضنا للنتائج أن نتبع أسلوباً وسطاً يقوم على تصنيف اجتهادي للبحوث التي حاولنا إعادة تركيب نتائجها ، بحيث يتيح لنا ذلك قدراً مناسباً من عرض التفصيلات الضرورية ، دون أن نفقد الخيط الذي يربطها .

وقبل أن نشرع في استعراضنا لأهم النتائج التي أسفرت عنها البحوث التي شملها الحصر ينبغي التنبيه إلى أننا قد استبعدنا من ذلك الاستعراض تلك البحوث التي سبق أن تناولناها تفصيلاً في الفصل السادس خلال حديثنا عن السابرا وذلك تحاشياً للتكرار . ولا ينفي استبعادنا لتلك البحوث من الفصلين الثامن والتاسع أننا قد وضعناها في الاعتبار عند صياغتنا للمجمل التركيبي لخصائص الاشكنازيم الإسرائيليين في الفصل العاشر .

الباب الثالث

شخصية الاشكناز

الفصل الثامن : دراسات الأطفال
الفصل التاسع : دراسات الراشدين
الفصل العاشر : مجمل تركيبي

الفصل الثامن
دراسات الأطفال

أولاً ـ بحوث غير مميزة

مقدمـة :

سوف ندرج تحت هذا العنوان تلك البحوث التي لم تسفر نتائجها عن وجود أية سمات أو خصائص تميز أطفال الاشكنازيم الاسرائيليين عن غيرهم من الأطفال بعامة ومن أطفال إسرائيل على وجه الخصوص . وليس من شك ـ نظرياً على الأقل ـ في أن ثمة ما يجمع بين البشر جميعاً من حيث الخصائص النفسية . كما أنه ليس من شك كذلك في أن ثمة ما يميز بين كل فرد وآخر من تلك الخصائص . وكلا الطرفين يخرج عن نطاق البحث في مجال شخصية الجماعة الذي يقوم على أن ثمة مستوى وسطاً يميز بين الجماعات البشرية ومع ذلك فإن تلك المجموعة من الدراسات التي سوف نعرض لها بالتحليل لم تكن لتندرج ضمن الدراسات التي تبحث فيما يجمع بين البشر جميعاً من حيث الخصائص النفسية . فهي ليست دراسات في قوانين التعليم أو التذكر أو ما إلى ذلك . وهي لا تندرج كذلك ضمن الدراسات التي يمكن أن تبحث فيما يميز كل فرد عن الآخر شأن بعض الدراسات الاكلينيكية أو دراسات الاختيار المهني أو التوجيه المهني . إنها دراسات قد انصبت على مجموعة بشرية معينة ، بل إن بعضها قد تصدى لمقارنة تلك المجموعة بغيرها ، وفقاً لمتغيرات يغلب أن تميز بين جماعة وأخرى . ورغم ذلك فقد انتهت نتائجها إلى ما انتهت إليه . ولذلك فسوف نناقش تلك الدراسات بشيء من التفصيل منهجاً وفروضاً ونتائجاً . ولسوف نتبع في عرضنا لتلك المجموعة من البحوث أسلوباً يكفل تفرقة بين ما يمكن أن نطلق عليه «البحوث العارضة» و «البحوث الممتدة» ونعني بالنوع الأول من البحوث ـ أي

البحوث العارضة ـ تلك التي لم يسفر حصرنا عن أن الباحث ـ أو مجموعة الباحثين ـ قد أجرى أكثر من بحث واحد في هذا المجال . وقد يرجع ذلك بطبيعة الحال إلى قصور في الأسلوب الذي اتبعناه في الحصر . غير أن الاحتمال الأرجح أن يكون اهتمام الباحث بذلك الموضوع اهتماماً عارضاً . قد تتعدد أسباب ذلك الاهتمام ، وتختلف من باحث لآخر ، ولكنه يظل في النهاية اهتماماً عارضاً بموضوع أتيح للباحث أن يبحثه يوماً ففعل ثم مضى وقد فتر اهتمامه به أو قصرت وسائله عن متابعة دراسته ، أو انصرف عنه لغير ذلك من الأسباب . أما النوع الثاني من البحوث ـ أي البحوث الممتدة ـ فنعني بها أن اهتمام الباحث بالموضوع قد تمثل في مجموعة من التقارير أو البحوث تغطي فترة زمنية تطول أو تقصر . وغني عن الإشارة ما يتيحه ذلك النوع الأخير من إمكانيات المقارنة ، وتتبع الخط الفكري للباحث مما لا يمكن أن تتيحه البحوث العارضة بحال . وإن كان ذلك لا يعني أن نسقط من اعتبارنا ذلك النوع الأول على الإطلاق .

(أ) البحوث العارضة :

نشرت هيلين فايجين أنتونوفسكي[1] ١٩٥٨ مقالاً بعنوان : «السلوك الاجتماعي للأطفال الصغار في الكيبوتز» (١٨٤) . وهيلين انتونوفسكي باحثة نفسية اسرائيلية . حصلت على الدكتوراه في علم النفس من جامعة هارفارد عام ١٩٥٣ . عملت في اسرائيل باحثة نفسية في مجال الطب العقلي في مركز لاسكو للصحة العقلية بالقدس في الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ . ثم عملت في هيئة بحوث التربية الجماعية في الفترة من ١٩٥٦ إلى عام ١٩٥٨ وذلك فضلاً عن عملها كمحاضرة في قسم علم النفس بالجامعة العبرية في الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ وهي تعمل منذ ١٩٥٨ باحثة نفسية مستقلة بالقدس . وأهم مجالات اهتمامها : التنشئة الاجتماعية ، والعلاقات الطفلية ـ الوالدية ، والبحوث عبر الحضارية .

ويتضمن مقال انتونوفسكي عرضاً لدراسة ميدانية قامت بها الباحثة بهدف تبين خصائص سلوك أطفال الكيبوتزات الاسرائيلية كما تتضح في علاقاتهم المتبادلة داخل الجماعة وكذلك في العلاقات المتبادلة بين كل جماعة وأخرى . وقد اختارت لتحقيق

---

(١) نشر المقال تحت اسم هيلين فايجين . وهو اسم المؤلفة قبل زواجها من انتونوفسكي الذي أصبحت تنشر بعد ذلك منسوبة إليه . ولذلك فقد آثرنا الاعتماد على الاسم الأحدث في إشارتنا لبحثها تلافياً للخلط .

الهدف من دراستها كيبوتزين إسرائيليين انتقت من كل منها ثلاث مجموعات طبيعية من الأطفال ، بمعنى أنها لم تقم بتشكيل تلك المجموعات خصيصاً بهدف البحث . وكانت المجموعات الستة من أطفال تتراوح أعمارهم بين تسعة عشر شهراً وثمـانية وثلاثين شهراً . واتبعت الباحثة أسلوب الملاحظة المباشرة لما يقوله ولما يفعله هؤلاء الأطفال ثم تسجيل ذلك كله وإخضاعه للمقارنة الاحصائية وقد أسفرت الدراسة ـ وفقاً لتعبيرات انتونوفسكي ـ عن أن الأطفال في هذا السن يبدون توحداً قوياً بالجماعـة يتضح في زيادة استخدامهم الكلمات المعبرة عن الجماعـة مثل ضميـر الجماعـة «نحن» و «أشياؤنا» و «ألعابنا» وما إلى ذلك . كما يتضح ذلك التوحد أيضاً في تصدي أطفال الجماعة للدفاع عن أفراد جماعتهم ضد هجوم أعضاء الجماعـة الأخرى . وتستنتج الباحثة من ذلك أن المنافسة إنما توجد بين الجماعات وبعضها أكثر منها بين الأفراد داخل كل جماعة .

ورغم أن أسلوب الملاحظة المباشرة الذي اتبعته انتونوفسكي في بحثها يعد الأسلوب الأنسب والأكثر انتشاراً في بحوث علم النفس الاجتماعي في مجال الأطفال الصغار إلا أن لنا مأخذاً على المنهج ـ لا الأسلوب ـ الذي اتبعته الدراسة ، وتحفظاً على النتائج التي انتهت إليها . أما مأخذنا على المنهج فهو أن الباحثة قد خلطت بين التسجيل الكمي لنتائج الملاحظة المباشرة والأسلوب الاحصائي المقارن . فالأسلوب الأخير يشترط توافر متصل كمي يمكن المقارنة على هديه . بل إن المقارنة بعامة سواء كانت كمية احصائية أو تحليلة كيفية لا يمكن لها أن تتم دون وجود محك مـا تتم المقارنة به . ورصد الباحثة لتكرارات استخدام الأطفال مثلاً لكلمـات «نحن» في مقابل «أنا» ومهما كانت دقة ذلك الرصد فإنـه لا يمكن أن يخرج عن نـطاق كونـه تسجيلاً كمياً لنتائج الملاحظة المباشرة وليس احصاءاً مقارناً بحال . ومن هنـا فإن القول بأن الأطفال في هذه السن يبدون توحداً قوياً بالجماعة ، يـطرح على الفور تساؤلاً مؤداه : قوياً بالنسبة لأي معايير ؟ هل هو أقوى مما يبديه الأطفال عامة في هذا السن ؟ أليس محتملاً أن تكون زيادة التعبيرات الجماعية عن التعبيرات الفردية لدى الأطفال عامة أكبر من تلك الزيادة لدى هؤلاء الأطفال بالتحديد ؟ وعلى أي حال فإن مأخذنا على المنهج لا يعني بحال رفضاً مسبقاً لما خلصت إليه الباحثة من نتائج فذلك أمر سوف يتضح من خلال عملية إعادة التركيب التي سوف تشمل نتائج هذا البحث وغيره من البحوث كذلك . غير أن هذا لا يحول دون أن نورد تحفظاً لنا على

هذه النتائج ، أو بعبارة أخرى تحديداً أكثر دقة لما تشير إليه . إن تلك النتائج لو سلمنا بصحتها كما هي لا تشير إلى توحيد بجماعة الكيبوتز ككل بل إنها تشير بالتحديد إلى توحد بجماعة من الجماعات القائمة داخل الكيبوتز كما أنها تشير إلى أن ثمة عدواناً وهجوماً وصداً ودفاعاً تتبادله الجماعات القائمة داخل الكيبوتز الواحد .

وفي نفس العام أي في عام ١٩٥٨ نشرت باحثة إسرائيلية أخرى تجمع بين تخصصها في علم النفس وعملها لعدة سنوات مربية[1] للأطفال في أحد الكيبوتزات الإسرائيلية ، وهي ماريلين وينوجراد مقالاً بعنوان «تطور الطفل الصغير في مستوطنة جماعية» (١٠٢٠) والمقال عبارة عن تسجيل انطباعي لملاحظاتها التفصيلية لسلوك مجموعة الأطفال الذين كانوا تحت إشرافها ، والذين يبلغ متوسط أعمارهم أربع سنوات . وتقرر الباحثة في نهاية مقالها الانطباعي أن أطفال الكيبوتز أكثر سواءاً من الناحية الانفعالية من غيرهم .

وفي عام ١٩٦١ نشر ليون يارو أستاذ علم نفس الطفل في جامعة كورنل بالولايات المتحدة مقالاً بعنوان «الحرمان الأموي : نحو تقييم أمبيريقي وتصوري جديد» (١٠٣٩) . وموضوع المقال ليس بقاصر على الأطفال الإسرائيليين بل إنه يشمل أربعة أنماط مختلفة من الحرمان الأموي يمثل أسلوب التربية المتبع في الكيبوتز الإسرائيلي واحداً منها آثر المؤلف أن يطلق عليه تعبير «التعدد الأموي» بمعنى أن الوظيفة التقليدية للأم تتقاسمها في الكيبوتز شخصيات متعددة . وقد خلص الباحث إلى نتيجة مؤداها «إنه ليس من دليل حاسم على أن التعدد الأموي ما لم يكن مصحوباً بحرمان أو انعصاب يمكن أن يتسبب في دمار يلحق بالشخصية» . لقد توصل يارو إلى تلك النتيجة انطلاقاً من اعتباره أن أسلوب التربية المتبع في الكيبوتز يتضمن تعدداً أموياً وليس حرماناً أموياً . وهي قضية لا يمكن التسليم بها هكذا ببساطة ودون تحديد إجرائي للمصطلحات وتحقيق ميداني لما هو قائم بالفعل . وعلى أي حال فذلك هو ما تكفلت به بحوث أخرى سوف نعرض لها تباعاً .

وفي عام ١٩٦٤ نشر الباحث الإسرائيلي ن. بيليد الذي عمل لفترة طويلة

---

(١) كلمة مربية هي أقرب الكلمات معنى إلى المصطلح العبري Metaplet الذي يستخدم للإشارة إلى من تقوم على شئون إحدى مجموعات الأطفال في الكيبوتز بالتحديد . وهي وظيفة تتضمن أعباء تختلف إلى حد كبير عن أعباء المربية في الأسر التقليدية .

معالجاً نفسياً في الكيبوتزات مقاله المعنون «حول العلاقات بالموضوع ، والتوحدات لدى طفل الكيبوتز» (٧٨٦) وإذا كان يارو قد اعتبر أن أسلوب التربية في الكيبوتز يقوم على ما أسماه بالتعدد الأموي ، فإن بيليد يمضي خطوة أبعد معتبراً أن الأم وحدها هي محور العلاقة بالموضوع لدى طفل الكيبوتز كما هو الحال بالنسبة لغيره من الأطفال . وأن المربيات والمعلمين وغيرهم من الراشدين الذين تربطهم علاقات وثيقة بالطفل إنما هم موضوعات إشباع حاجة فحسب وأن علاقاتهم بالطفل عابرة ومتغيرة . ويستند الباحث تدعيماً لوجهة نظره إلى أسلوب دراسة الحالة عارضاً من خلاله لعدد من حالات الاضطراب الانفعالي مستخلصاً منها أن أطفال الكيبوتز شأنهم شأن غيرهم ـ يعانون من الصراعات الأوديبية الطبيعية بما يصحبها وما يترتب عليها من توحد واستطلاع[1] جنسي لعلاقة الوالدين بل وخبرة تخييلية أو واقعية ـ بصدمة المنظر الجنسي الأول .

وإذا ما تركنا جانباً انتقائية الباحث مجالات بعينها يعرضها باعتبارها نموذجاً لبقية الحالات ، وما يحكم تلك الانتقائية الذاتية من تحيزات شعورية ولا شعورية ، إذا ما تركنا كل ذلك جانباً ، فإنه يكفينا أن نشير إلى تعارض نتائجه مع نتائج غيره من الباحثين المنطلقين مثله من منطلقات التحليل النفسي ، والمتعاطفين مثله أيضاً مع تجربة الكيبوتز الاسرائيلي ولسوف نعرض فيما بعد لنتائج هؤلاء الباحثين التي تتفق ـ رغم اختلافها في عديد من التفاصيل ـ على أن ثمة ما يميز الموقف الأوديبي في نطاق التربية الكيبوتزية عنه خارج ذلك النطاق .

وفي عامي ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ نشر الباحث الإسرائيلي ريوفين كوهين ـ راز المدرس بكلية التربية بالجامعة العبرية مقالين ضمنهما نتائج بحث أجراه في مجال القدرات ، نشر المقال الأول عام ١٩٦٧ بعنوان «تحليل قياسي لبعض المترتبات

---

(١) فضلنا استخدام تعبير الاستطلاع بدلاً من الفضول . حيث ورد في المعجم الوسيط «استطلع الشيء طلب طلوعه ومعرفته» (٢٠) أما الفضول فهو «اشتغال المرء أو تدخله فيما لا يعنيه» (٣٥) . وبذلك فإنه إذا جاز أن نصف راشداً بالفضول في هذا الموقف فليس من الجائز فيما نرى أن نطلق على الاستطلاع الجنسي لدى الأطفال صفة الفضول . فمثل ذلك الاستطلاع هو من ناحية طلب للمعرفة وهو من ناحية أخرى اشتغال للطفل ليس بمجرد أمر يعنيه فحسب بل هو اشتغاله بالأمر الذي يعنيه أعني تحديد هويته .

التطورية لسلوك الرضيع كما يقيسها مقياس بايلي للتطور العقلي للرضع» (٦٠٦) ونشر المقال الثاني عام ١٩٦٨ بعنوان «التطور العقلي والحركي للرضع الإسرائيليين من أبناء الكيبوتزات ، والملاجىء ، والبيوت» (٦٠٧) ، وقد اعتمد كوهين ـ راز في بحثه على تطبيق اختبار بايلي لقياس القدرات العقلية والحركية لدى الأطفال على عينة من الأطفال الإسرائيليين بلغت ثلاثمائة وواحداً وستين طفلاً تراوحت أعمارهم بين شهر واحد وسبعة وعشرين شهراً . وكانت تلك المجموعة تنقسم إلى :

(أ) عينة من أطفال الكيبوتزات تضم مائة وثلاثين طفلاً .

(ب) عينة من أطفال الملاجىء تضم تسعة وسبعين طفلاً .

(جـ) عينة من أطفال بيوت الطبقة الوسطى تضم مائة واثنين وخمسين طفلاً .

وقد أسفرت النتائج التي توصل إليها الباحث عن أنه ليس ثمة فروق جوهرية بين أطفال الكيبوتزات وأطفال البيوت . كما أسفرت تلك النتائج ـ من ناحية أخرى ـ عن أن مستوى أطفال الملاجىء أدنى من مستوى غيرهم من الأطفال بفارق دال إحصائياً .

وما ينبغي أن نشير إليه فيما يتعلق بهذا البحث أن عملية تقنين اختبار موضوعي لقياس القدرات أو السمات لدى الأطفال الرضع أمر تكتنفه صعوبات شتى خاصة إذا لم يقتصر الاختبار على قياس القدرات الحركية ، فاستهدف القدرات العقلية كذلك (١٨٠ : ٢٧٧ ـ ٣٠٢) . والاختبار الذي استخدمه كوهين ـ راز في بحثه ، هو الاختبار الذي طورته نانسي بايلي عن مقياس كاليفورنيا العقلي للعام الأول . والبيانات التي نشرتها بايلي عن هذا الاختبار (٢١٢) تشير إلى أن ثباته قد بلغ مستوى الصفر باستخدام أسلوب إعادة الاختبار ، بل وأسفر عن بعض الارتباطات السلبية .

وفي عام ١٩٦٩ نشر افنرزيف وحنا شاوير وهما من الباحثين الاسرائيليين المشتغلين بعلم النفس في جامعة تل أبيب مقالاً بعنوان «إسهام في الدراسة عبر الحضارية للقلق الصريح عند الأطفال» (١٠٤٢) . ويقوم البحث على المقارنة بين مائة وأربعين طفلاً إسرائيلياً في سن التاسعة بمجموعات عمرية مماثلة من الأطفال الأمريكيين والفرنسيين واليابانيين باستخدام ترجمة عبرية لمقياس خاص بقياس القلق الصريح عند الأطفال . وقد أسفرت المقارنة عن أن الأطفال الاسرائيليين أقل قلقاً من غيرهم بدرجة دالة إحصائياً .

ولـو سلّمنا بـدقة الاختبـار المستخدم في البحث ، وبـدقـة تـرجمتـه العبـريـة ، وبسلامة توحيد إجراءات التطبيق في تلك المجموعات ، فإن الاعتراض الجوهري الذي يواجهنا هو أن مجرد التعامل بتعبير «الأطفال الإسرائيليين» في مقابل الأطفال الأمريكيين أو الفرنسيين أو اليابانيين إنما يعني مغالطة مبدئية تحيل ما يليها من نتائج إلى لغو لا طائل وراءه مهما تضمنت من أرقام ومهما اتبعت من أساليب مضبوطة . ويكفي أن نتساءل : أي أطفال اسرائيليين يمكن الحديث عنهم باعتبارهم الأطفال الاسـرائيليين ؟ أطفـال الاشكنـازيم ؟ أم أطفـال السفـارديم ؟ أم أطفـال اليشـوف القديم ؟ .

وفي عام ١٩٦٩ أيضاً نشر الباحثون الاسرائيليون جوزيف ماركوس ، وألكسندر توماس ، وستيلاشيس ـ وهم جميعاً من باحثي كلية هـاداسا الـطبية ـ بحثـاً بعنوان «الفردية السلوكية بين أطفال الكيبـوتز» (٦٩٦) ويبـدأ البحث باستعـراض لعدد من البحوث السابقة التي أجريت على أبناء الكيبوتزات الاسرائيليين بهدف إبراز أن تلك البحوث قد تجاهلت الدور الذي تلعبه فردية الطفل في عملية التفاعل المتبادل بين الـطفل والبيئـة المحيطة وبـالتالي فقـد كونت اتجـاهـاً نحـو تنميط صـورة أطفـال الكيبوتزات . ويحـاول البحث التصدي لاختبـار مدى تقـولب هؤلاء الأطفال ومـد تمايزهم الفردي ، وذلك باستخدام أسلوب الملاحظة المباشرة والمقابلات السلوكية بهدف تبين فردية الخصائص المزاجية لدى أطفال الكيبوتزات وقـد اقتصرت عينـة البحث على ثلاثة أولاد وثلاث بنات تتراوح أعمارهم بين الثالثة والرابعة وقد استمرت دراستهم لمدة سنتين . وأكدت النتائج التي أسفر عنها البحث أن الأنماط المزاجية الفردية لكل طفل تمثل عاملاً هاماً في تطوره .

(ب) البحوث الممتدة :

١ ـ بحوث ألبرت اسرائيل رابين :

يعد ألبرت رابين من الشخصيات المرموقة في مجال علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية ، وخاصة فيما يتعلق ببحوث الدوافع الوالـدية ، وبحـوث تقييم الشخصيـة . ويشغـل رابين منصب أستـاذ علم النفس بقسم علم النفس بجـامعـة ميتشيجان ، فضلاً عن توليه إدارة العيادة النفسية بتلك الجامعة . وإلى جانب ذلك فإنه يشغل منصب المستشار النفسي لإدارة إصلاح الأحداث بولاية ميتشيجان ، وأيضاً

لمستشفيات قدامى المحاربين الحكومية . وقد عمل أستاذاً زائراً في جامعات بالدانيمرك ، وبإسرائيل .

والإطار النظري الذي تنطلق منه الفروض التي يقيم عليها رابين بحوثه ، والذي ترتكز عليه تفسيراته لنتائج تلك البحوث ، هو الإطار النظري العام للتحليل النفسي . أما الأدوات التي آثر رابين استخدامها في الغالبية العظمى من بحوثه فهي الأدوات الإسقاطية بعامة . ويبدو ذلك متسقاً تماماً مع إطاره النظري فمثل هذه الأدوات هي الأقرب من حيث أساسها النظري لمفاهيم التحليل النفسي ، وهي الأنسب من ناحية أخرى لمنهج رابين في اختبار فروقه وهو المنهج الكمي المقارن . أو بعبارة أخرى فإنها الأدوات التي تكفل توفيقاً ـ في حدود الممكن ـ بين مفاهيم التحليل النفسي الدينامية وأساليب القياس الكمي المقارن ، وبالتالي فقد كانت هي أدوات رابين المثلى .

لقد قضى رابين عامي ١٩٥٥ و١٩٦٢ وهي سنوات إجازاته السبعية أستاذاً زائراً لعلم النفس في الجامعة العبرية . غير أن علاقته بالتجربة الإسرائيلية قد بدأت منذ وقت مبكر بزيارة قصيرة لاسرائيل عام ١٩٥٠ وتعددت منذ ذلك الحين زياراته القصيرة لها فضلاً عن زيارتيه الطويلتين اللتين أشرنا إليهما تواً (٨٢٣) .

وتمثلت تلك العلاقة المستمرة بين رابين والتجربة الإسرائيلية في سلسلة من البحوث والمؤلفات المنشورة بدأت منذ عام ١٩٥٧ وكان آخرها كتابه الصادر عام ١٩٧١ بعنوان «**دراسات الكيبوتز : مجموعة من كتب ومقالات العلماء الاجتماعيين والمربين وغيرهم عن الكيبوتز**» (٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢) .

وقد أسفر تصنيفنا للنتائج التي توصل إليها رابين عن خطين متميزين ومتكاملين :

أ ـ ثمة مجموعة من تلك الدراسات تشير نتائجها إلى أنه ليس هناك ما يميز أطفال الكيبوتزات الإسرائيلية عن غيرهم من الأطفال بعامة . وسوف نعرض على التو لنماذج من تلك المجموعة من الدراسات .

ب ـ ثمة مجموعة أخرى من دراسات رابين تشير إلى أن أطفال الكيبوتزات

الإسرائيليون يبدون شيئاً من مظاهر التخلف والاضطراب ، ولكن ذلك الذي يبدونه لا يلبث أن يتلاشى قبل بلوغهم العاشرة . وسوف نعرض لنماذج من تلك المجموعة من الدراسات فيما بعد .

من أولى الدراسات التي نشرها رابين في هذا المجال ، دراسته المنشورة عام ١٩٥٧ بعنوان «نضج الشخصية لدى الأطفال الكيبوتزيين وغير الكيبوتزيين كما يعكسه الروشاخ» (٧١٦) . ويستهل رابين بحثه مؤكداً أن «دراسة الأطفال الذين نشأوا في الكيبوتزات تتيح لنا فرصة اختبار الفكرة النظرية التي تعتبر استمرار علاقة الأم ـ الطفل ضمن المقومات الأساسية للصحة النفسية» .

وقد اختار رابين لدراسته هذه عينة عشوائية تضم ثمانية وثلاثين طفلاً من تلاميذ الصف الرابع ينتمون إلى ستة كيبوتزات إسرائيلية وتتراوح أعمارهم بين التاسعة والحادية عشرة . وكانت تلك العينة بمثابة المجموعة التجريبية . أما المجموعة الضابطة فقد تكونت من أربعة وثلاثين طفلاً من نفس المدى العمري والمستوى التعليمي ، غير أنهم ينتمون إلى خمس قرى زراعية تعاونية إسرائيلية (موشاف) تقوم التربية الأسرية فيها على الأساس الذي يتبعه نظام الأسرة النووية الشائع . وكان الأطفال جميعاً من مواليد إسرائيل الذين قضوا فترة تنشئتهم كاملة في المؤسسات التي تم اختبارهم فيها . وكان اختبار الرورشاخ يطبق بطريقة جماعة في بداية تطبيق بعض الاختبارات الجماعية الأخرى على الأطفال .

ولم يهتم رابين بمقارنة كل المتغيرات التي يتيحها الرورشاخ بل تركزت معالجته الاحصائية على «تلك العوامل من الرورشاخ الأكثر صلة بعمليات النضج العقلي والعاطفي لدى الأطفال» ، وكانت عملية تصحيح البروتوكولات الفردية «تتم وفقاً للنسق الذي وضعته بك» . وكان يتم حساب متوسط تكرار كل متغير على نطاق المجموعتين معاً ، ثم تجرى المقارنة بين عدد الأفراد الذين تجاوزوا ذلك المتوسط أو قصروا عن بلوغه في كل مجموعة وعددهم في المجموعة الأخرى . وقد شملت تلك المقارنات ثلاث مجموعات من العوامل التي يتضمنها اختبار الرورشاخ هي على الترتيب ووفقاً للتسميات الواردة في بحث رابين كما يلي :

١ ـ العوامل العقلية .
٢ ـ العلاقات بين متغيرات اللون .
٣ ـ فئات توازن الخبرة .

وفضلاً عن تلك المقارنات «فقد تمت عملية تقييم شامل للمستوى العام لنضج كل طفل وفقاً لملخص درجاته على الرورشاخ» . وقد قام بعملية التقييم هذه بالاشتراك مع المؤلف اثنان من المحكمين ذوي الخبرة في استخدامات الرورشاخ في مجال الأطفال . وكان كل من المحكمين الثلاثة يقوم بعمله على حدة بعد أن يتسلم مرة واحدة كافة الملخصات الخاصة بأفراد المجموعتين دون أن يتضمن الملخص أية بيانات شخصية . وكان يطلب من كل محكم وضع كل ملخص في واحدة من فئات ثلاث : الفئة رقم (١) وتعني أن الطفل غير ناضج بالنسبة لسنه ، والفئة رقم (٢) وتعني أن نضج الطفل مناسب لسنه ، والفئة رقم (٣) وتعني أن نضج الطفل يفوق سنه . وكان المحكمون يعلمون أنهم بصدد تقييم أطفال تتراوح أعمارهم بين التاسعة والحادية عشر . ولم يكن أي من المحكمين ملتزم بوضع نسبة معينة من الملخصات في أي من فئات التصنيف .

وقد أسفرت مقارنة رابين أعداد المتجاوزين للمتوسط في المجموعتين فيما يتعلق بالعوامل العقلية عن النتائج التي يضمها الجدول التالي :

	عدد الاستجابات	ك ٪	ج ٪	ج جـ ٪	سـ ٪	شائع	فئات المحتوى	حيوان أو جزء حيواني ٪	بشر أو جزء بشري
	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط	المتوسط
الكيبوتزيون	٢٢	١٦	١٨	٢٥	٢٤	٢١	٢٣	٢٠	١٩
	٢٩,٥	١٧,٥	٧٥,٥	٥,٠	٧٠,٥	٤,٥	٨,٠	٥٤,٥	٤,٧
غير الكيبوتزين	١٤	٢٠	١٨	١١	١٢	١٥	١٣	١٦ ١٦	١٧
كا²	٢,٠٢	٢,١٤	,٥٠	٨,٠٠	٥,٥٧	٠,٨٧	٣,٥٧	٠,٢٣	صفر
الدلالة عند	-	-	-	,٠١	,٠٢-,٠١	-	١,٠-٠,٥	-	-

(★) اعتمدنا في الترجمة العربية لرموز التقديرات على كتاب لويز ب ايمز (٥٢ : ٧٨ ـ ٧٩) .

ويعلق رابين على الفروق الثلاثة ذات الدلالة الإحصائية التي تضمنها الجدول مكتفياً فيما يتعلق بالعامل ج جـ بقوله: «أبدت مجموعة الكيبوتزيين اهتماماً بالتفاصيل الصغيرة أكبر مما أبدته المجموعة الضابطة». ثم يعلق على نتائج مقارنة العامل س + بقوله: «إن إدراك الواقع وتشكيل عالم المرء وفقاً لخطوطه يبدو في مستوى أرقى لدى مجموعة الكيبوتزيين، وهو مؤشر جيد على مستوى النضج» ويعلق على الفرق الأخير الخاص بعامل فئات المحتوى بقوله: «واضح أن الأطفال الكيبوتزيين يميلون إلى تحقيق مدى أوسع من فئات المحتوى مما يتفق مع اتساع المنظور الحضاري وارتفاع مستوى النضج».

أما فيما يتعلق بمقارنة المجموعتين من حيث العلاقات بين متغيرات اللون فقد أسفرت عما يلي:

	ل + ل سه > سه ل	سه ل > (ل + ل سه)	مجـ ل = صفر
الكيبوتزيون	١٨	١٢	٨
غير الكيبوتزيين	١٦	٤	١٤
كا٢ : ٥,٣١	**مستوى الدلالة عند ٠,٠٥ إلى ٠,٠١**		

ويعلق رابين على نتائج الجدول السابق بقوله: «تمت مقارنة المجموعتين من حيث النسب الدالة على غلبة المشاعر غير الناضجة (غلبة سه ل) فضلاً عن مقارنة المجموعتين من حيث غياب الاستجابة اللونية تماماً. وتشير كا٢ إلى أن الفروق بين المجموعتين لها دلالة جوهرية. إن نسبة الأطفال الكيبوتزيين الذين أبدوا مشاعراً ناضجة تفوق كثيراً نظيرتها لدى أطفال المجموعة الضابطة كما يتضح في غلبة استجابات الشكل على استجابات اللون.

ولم تسفر مقارنة المجموعتين فيما يتعلق بتوازن الخبرة كما تتضح في العلاقة بين نسبة «ح» و «ل» عن أية فروق ذات دلالة إحصائياً أما مقارنة المجموعتين من حيث التقييم الشامل للشخصية وفقاً لتقديرات المحكمين فقد أسفرت عن تفوق ملحوظ ودال لمجموعة الكيبوتزيين.

كانت تلك هي أهم النتائج التي أسفر عنها بحث رابين والتي لا تقف عند حدود تقرير أن أطفال الكيبوتز يستوون مع غيرهم من حيث «نضج الشخصية» بل تبرز أنهم يتفوقون على سواهم في هذا الصدد . ونستطيع أن نوجز أهم ملاحظاتنا على هذا البحث فيما يلي :

أولاً : تتعرض الاختبارات الإسقاطية عموماً وعلى رأسها اختبار الرورشاخ للنقد فيما يتصل بذاتية تصحيحها (٢١٠ ، ٢١١) ، وتشبع نتائجها بالقدرة اللفظية (٦٧١) . فضلاً عما تشير إليه تيودورا آبل من ضرورة وضع العوامل الاقتصادية الاجتماعية في الاعتبار عند تفسير نتائج الاختبارات الإسقاطية (١٦٠) ، وقد لجأ رابين في مقارنته الرابعة التي أطلق عليها «التقييم الشامل للشخصية» إلى أسلوب يضخم من ذاتية تفسير نتائج الرورشاخ باعتماده على أحكام شاملة يطلقها محكمون منتقون هو واحد منهم .

ثانياً : كان ثمة دراسات عديدة تشكك في إمكانية تطبيق الرورشاخ على الأطفال بشكل يكفل الاطمئنان لنتائجه ويكفي أن نشير مثالاً على ذلك إلى دراسات سويفت (٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠) . ولذلك فقد جرت عدة محاولات لتقنين تطبيق اختبار الرورشاخ على الأطفال أبرزها محاولات لويزايمز (٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦) . ورغم ذلك فقد آثر رابين أن يسير على المنهج الوارد في كتاب بك اختبار الرورشاخ (٢١٧) وهو كتاب يهتم أساساً باستخدامات الرورشاخ لدى الراشدين ولا يتضمن سوى إشارات طفيفة لتلك الاستخدامات لدى الأطفال .

ثالثاً : إن تفسيرات رابين لما أسفر عنه بحثه من فروق دالة بالنسبة لبعض عوامل الرورشاخ فقد اعتمدت منذ البداية على انتقائه لمجموعة معينة من العوامل رآها وثيقة الصلة بنضج الشخصية ومثل ذلك الانتفاء فضلاً عن تعارضه مع المنطق يتعارض مع ما تقول به لويز ايمز من «أن أي عامل لا يتم تقويمه إطلاقاً إلا من حيث صلته بالصورة الكلية للسجل الشخصي» (٥٢ : ١١٣) .

رابعاً : لقد فسر رابين ارتفاع تكرارات العامل ج جـ بأنه يعكس اهتماماً «بالتفاصيل الصغيرة» فحسب . ولو نظرنا إلى ما تقول به ايمز وهي بصدد مناقشة دلالة ذلك العامل لدى الأطفال لاتضح لنا أنه[1] «عندما يتم اختيار مساحة للاستجابة يندر

(١) التأكيد في العبارة من لدينا .

أن يستخدمها الآخرون فقد يدل ذلك على قدرة على الحكم المنمق بدرجة ملحوظة ، وعلى القيام بتفسير يتطلب ملاحظة دقيقة نافذة هذا إذا كان الشكل يتميز بالجودة ، وإذا كانت الاستجابة تتميز بحسن التكيف . أما إذا كان الشكل رديئاً ، وكان ذا كيفية نمطية ، فقد نستنتج أن القدرة الناقدة لم يتحقق لها الارتقاء والنمو الكافي ، أو أن هناك عاملاً يتعلق بالذكاء أو الانفعال يعمل بحيث يؤدي إلى خفض مستوى دقة الشكل . إن عدداً مرتفعاً من ج جـ بالنسبة للمجموع الكلي للاستجابات يدل عادة على التشكك وانعدام الشعور بالأمن والقلق والحواز» .

ومثل ذلك الذي تقول به ايمز إنما يعني على الأقل أن تفسير رابين لذلك العامل تفسيراً قاصراً تماماً . فإذا مضينا خطوة أبعد جاز لنا أن نعتبر التفسير الصحيح لما لم ير فيه رابين سوى «اهتمام بالتفاصيل الصغيرة» هو أنه مؤشر يدل على «التشكك ، وانعدام الشعور بالأمن والقلق والحواز» .

خامساً : لقد فسر رابين ارتفاع تكرارات العامل سہ + لدى مجموعة الكيبوتزيين باعتباره دليلاً على أن إدراك الواقع «يبدو لديهم في مستوى أرقى» وأن ذلك «مؤشر جيد على مستوى النضج» .

ونكتفي في هذا الصدد بتسجيل إشارتين أوردتهما أيمز بشأن تفسير العامل س + لدى الأطفال . تقول أيمز في إشارتها الأولى «إن أكثر ما يثير الدهشة حقيقة أن سہ + تقترب في فترة مبكرة للغاية من مستوى الراشدين» (٥٢ : ١٢٣) ونعني بإيرادنا لتلك الإشارة التنبيه إلى أنه كان من الأنسب أن يعتمد رابين في تناوله للرورشاخ على معايير خاصة بالأطفال طالما أن مستويات استجابة الأطفال على الرورشاخ تختلف عن تلك المستويات لدى الراشدين . وقد يرد على ذلك بأن رابين قد اعتمد في بحثه على مقارنة نتائج مجموعة من الأطفال بمجموعة أخرى من الأطفال أيضاً فاتضح أن النسبة المئوية للعامل سہ + تزيد لدى مجموعة الأطفال الكيبوتزيين . وإشارة أيمز الثانية تكشف دلالة مثل تلك الزيادة حيث تقول «يمكننا القول أنه إذا زادت نسبة سہ على ٧٥٪ بعد سن الخامسة فإن ذلك يدل على استجابة جامدة جداً» (٥٢ : ٥٣٩) ونظرة إلى نتائج رابين تكشف أن متوسط النسبة المئوية لذلك العامل في المجموعتين بلغ ٧٠,٥ ٪ وأن أربعة وعشرين طفلاً كيبوتزياً قد تجاوزوا ذلك المتوسط مقابل اثني عشر طفلاً من أطفال العينة الضابطة . ترى كم من هؤلاء الأطفال الكيبوتزيين قد تجاوزت

نسبة س + لديه ٧٥٪ بحيث تصبح استجابته «جامدة جداً» ؟ ذلك ما لا توضحه بيانات رابين .

سادساً : لقد اعترض فرانك (٤٢٥) منذ زمن بعيد على استخدام المتوسطات الجماعية في تكنيكات الإسقاط باعتبارها تعنى بقياس الفرد تبعاً لانحرافه عن الجماعة مشيراً إلى أن الأنسب هو مقارنة استجابة الفرد في وقت معين باستجابته في وقت آخر أو مقارنة استجابته على اختبار إسقاطي باستجابته على اختبار آخر .

ولو نحينا رأي فرانك جانباً وتأملنا الأسلوب الذي اتبعه رابين في معالجته الإحصائية لاتضح لنا أنه يقوم على مغالطة منطقية . لقد بدأ رابين بحساب المتوسط العام للمجموعتين معاً ثم قارن عدد الأفراد الذين تجاوزوا ذلك المتوسط في المجموعة التجريبية بعددهم في المجموعة الضابطة . ومثل هذه المقارنة لا تجوز منطقياً إلا إذا كان الفرق بين تشتت القيم في المجموعة التجريبية وتشتتها في المجموعة الضابطة فرقاً غير دال إحصائياً ؛ وهو ما لم يتثبت منه رابين وفقاً لما هو وارد في مقاله . ومن هنا فثمة احتمال أن تكون قيم إحدى المجموعتين متركزة حول المتوسط العام . حين تكون قيم المجموعة الأخرى أكثر تشتتاً وأقل تركيزاً حول ذلك المتوسط . وفي هذه الحالة تفقد مقارنات رابين دلالتها تماماً . لقد كان الأيسر والأكثر أهمية أن يزودنا رابين بمتوسط تكرارات كل مجموعة . وأن يعقد مقارنته بين متوسطي التكرارات في المجموعتين . فمن الجائز منطقياً أن تضم المجموعة الأصغر متوسطاً عدداً من الأفراد الذين تتجاوز تكراراتهم المتوسط العام أكثر ممن تضمهم المجموعة الأكبر متوسطاً .

وتتفق نتائج البحث السابق ؛ مع بحث آخر نشره رابين عام ١٩٦١ بعنوان «مراهقو الكيبوتزات» (٨٢٣) قام فيه بتطبيق بعض الاختبارات الإسقاطية على مجموعتين تضم إحداها عشرين من أبناء الكيبوتزات ؛ وتضم الثانية خمسة وعشرين من غير أبناء الكيبوتزات . وكان متوسط السن في كل مجموعة سبع عشرة سنة وكانت المجموعتان متساويتين من حيث نسبة الذكور والإناث ، وأيضاً من حيث المستوى التعليمي إذ كانوا جميعاً من تلاميذ الصف الثاني عشر . وقد أسفرت نتائج البحث عن أن أبناء الكيبوتزات لا يقلون توافقاً عن سواهم بل إنهم يفوقونهم فيما يتعلق بالتلقائية والذكاء . وهم كذلك لا يفترقون عن غيرهم من حيث إيجابية الاتجاه نحو الآباء . وتبدو نتائج رابين في هذا الصدد متفقة مع نتائج ف. بيليد التي سبق أن أشرنا

إليها ؛ وليس ذلك بالأمر الغريب ، فإن رابين يؤكد أن «الحاجة للأمومة تجد إشباعها بعامة تحت ظروف التربية الجماعية» (٨٢٥) وهي نفس المسلمة التي قامت عليها تفسيرات بيليد .

٢ ـ بحوث جاكوب وهافا جيفيرتز :

جاكوب ليون جيفيرتز أستاذ علم النفس بجامعة شيكاغو حتى عام ١٩٦٥ عمل أستاذاً زائراً لعلم النفس بقسم علم النفس بالجامعة العبرية في الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦١ . يشغل منصب رئيس قسم التعليم والنمو المبكر بالمعهد القومي للصحة العقلية بميريلاند بالولايات المتحدة الأمريكية . تتركز اهتماماته الرئيسية في مجالات التعليم الاجتماعي ، وعمليات النمو ، والشخصية ، والتنشئة الاجتماعية .

أما هافا بونيه جيفيرتز فتعمل باحثة سيكلوجية في معهد البحوث السلوكية في سيلفر سبرنج بولاية ميريلاند ، وقد اشتركت مع جاكوب جيفيرتز في بعض دراساته .

إن المقالات التى نشرها جاكوب وهافا جيفيرتز عن أطفال إسرائيليين (٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩) كانت جميعاً نتاجاً لبحث واحد بدأه جاكوب جيفيرتز عام ١٩٦٠ عندما كان أستاذاً زائراً بالجامعة العبرية . وقام قسم علم النفس بالجامعة العبرية بدعم المشروع في البداية . وبعد أن انتهت مرحلة جميع البيانات أو أوشكت على الانتهاء تلقى المشروع دعماً إضافياً في شكل منحة من الهيئة القومية للصحة العقلية في الولايات المتحدة . ورغم تلك الوقائع فقد آثرنا أن ندرج مقالات جيفيرتز تحت عنوان البحوث الممتدة وذلك لأن تلك المقالات التي نشرت عبر سنوات أربع من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٩ كانت تمثل جزءاً لا ينفصم من اتجاه عام يمثله جاكوب جيفيرتز في دراسات علم نفس الطفل وتعبر عنه دراساته ومقالاته السابقة والتالية على بحثه الإسرائيلي (٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣) .

وقد نشر المقال الأول من سلسلة المقالات عام ١٩٦٥ تحت عنوان «ظروف التنبيه ، وسلوكات الرضع والتعليم الاجتماعي في أربع بيئات إسرائيلية لتنشئة الأطفال : تقرير أولي يصور الفروق في البيئة والسلوك بين الطفل الوحيد والطفل الأصغر» (٤٤٨) . والمقال كما يتضح من عنوانه تقرير أولي يقتصر على توضيح هدف الدراسة وإبراز الخطوط العامة للمنهج المتبع .

وتهدف الدارسة وفقاً لما يتضمنه المقال إلى «محاولة تقييم ظروف التنبيه في

بيئة الطفل في عامه الأول ، وأثر تلك التنبيهات على سلوكه التوافقي والاجتماعي» وقد تكونت عينات البحث من مائة وعشرة أطفال إسرائيليين مقسمين إلى أربع فئات عمرية : ثمانية أسابيع ، وستة عشر أسبوعاً ، وأربعة وعشرين أسبوعاً ، واثنين وثلاثين أسبوعاً . وينتمي أطفال العينة إلى أربع بيئات إسرائيلية مختلفة : طفل الملاجىء ، طفل الكيبوتزات ، الطفل الوحيد في أسرة تقليدية ، الطفل الأصغر في أسرة تقليدية . والأسلوب المتبع في هذه الدراسة وفي دراسات جيفيرتز عامة هو أسلوب الملاحظة المباشرة ، وكانت ملاحظة كل مفحوص تستمر لما يساوي يوماً كاملاً على فترتين متتاليتين في يومين وقد أعد لكل قائمة بالملاحظة كتيباً صغيراً قسمت صفحاته إلى مساحات متساوية بمعدل مساحة واحدة لكل نصف دقيقة . وكان على القائمة بالملاحظة أن تلازم الطفل ومعها أوراقها مسجلة كل تغير يطرأ على البيئة المحيطة به ، وكل استجابة يصدرها مع مراعاة أن يتم هذا التسجيل في المساحات الزمنية المضبوطة . وتتم في النهاية معالجة ذلك الكم الهائل من الملاحظات معالجة إحصائية آلية تقوم في أساسها على الربط بين ما يجري في الموقف المحيط من تغير في التنبيهات المختلفة . وما يلي ذلك التغير أو يسبقه أو يصبحه من سلوكات أو استجابات معينة .

وتضمن المقال الثاني لجيفيرتز أولى نتائج تطبيقه لذلك الأسلوب وقد نشر في نفس العام أي عام ١٩٦٥ تحت عنوان «مسار ابتسامة الرضيع في أربع بيئات إسرائيلية لتنشئة الأطفال» (٤٤٩) وقد ضمن جيفيرتز مقاله وصفاً أكثر تفصيلية للعينات المحددة التي استخلص منها النتائج الواردة في المقال . وأهم خصائص تلك العينات الأربعة هي :

(أ) عينة الملاجىء :

وتضم مائتين وستة وعشرين طفلاً تتراوح أعمارهم بين شهر وثمانية عشر شهراً . «غالبيتهم من المستويات الاقتصادية الاجتماعية الفقيرة» وغالبيتهم أيضاً لم يتلقوا أية زيارات من أهليهم . وكل خمسة أو ستة أطفال من نفس السن يعيشون في غرفة واحدة تحت رعاية مشرفة تلقت عادة تدريباً مهنياً .

(ب) عينة دور الحضانة النهارية :

وتضم مائة وخمسة أطفال تتراوح أعمارهم بين ثمانية شهور وثمانية عشر شهراً . ممن يمضون فترة تتراوح بين ثمان ساعات وتسع ساعات يومياً ، ولمدة ستة

أيام أسبوعياً ، في رعاية مشرفات بعضهن مدرب مهنياً . و«أمهات هؤلاء الأطفال ممن يعملن نهاراً وينتمين عامة إلى شريحة اجتماعية اقتصادية دنيا . وقد عشن في إسرائيل لأعوام قلائل فحسب ولكل منهن عدة أطفال آخرين في المنزل» .

(جـ) عينة الأسر :

وتضم واحداً وتسعين طفلاً تتراوح أعمارهم بين شهرين وثمانية عشر شهراً . «وتقيم العائلات في شقق مستقلة بالقدس ، ويمكن أن تندرج قيمهم ، وأسلوبهم المعيشي ، ضمن هذه الصفات المميزة للطبقة الوسطى في إسرائيل . والأم في هذه الأسر تكون بالمنزل نهاراً عادة» .

(د) عينة الكيبوتز :

وتضم مائتين وستة وثلاثين طفلاً تتراوح أعمارهم من شهر إلى ثمانية عشر شهراً . وتتم تنشئة الأطفال وفقاً لأساليب التربية المتبعة عادة في الكيبوتزات .

وقد استعرض جيفيرتز الدلالات التي تحملها ابتسامة الرضيع فيما يتصل بالنضج الاجتماعي وناقش النظريات المختلفة السائدة في هذا الصدد . ثم عرض بعد ذلك لما أسفرت عنه معالجاته الاحصائية من نتائج يمكن تلخيصها جميعاً في أن أطفال الكيبوتزات أقرب ما يكونون شبهاً بأطفال الأسر من حيث مسار الابتسامة لديهم . وتتفق تلك النتيجة على وجه العموم مع النتائج التي وردت في مقال آخر لجيفيرتز نشر عام ١٩٦٧ تحت عنوان : «أساسيات الرعاية ، ومجموع الخبرات السابقة للرضع الكيبوتزيين : اتجاهات السن والجنس» (٤٤٣) . وكذلك مع مقال آخر نشر عام ١٩٦٩ تحت عنوان «مواقف الرعاية ، ووقائع الخبرات السابقة ، والفروق السلوكية في أربع بيئات إسرائيلية لتنشئة الأطفال : بعض الاتجاهات الأولية»(٤٤٥) .

وفي عام ١٩٦٨ نشر لجيفيرتز مقال بعنوان «أنماط الزيارة والرعاية لدى الرضع الكيبوتزيين : اتجاهات السن والجنس» (٤٤٤) . ويقوم هذا المقال على النتائج المستخلصة من اتباع منهج الملاحظة الذي أشرنا إليه آنفاً حيال أربعة وعشرين رضيعاً من الكيبوتز يشكلون أربع مجموعات :

(أ) أربع رضيعات من سن أربعة شهور .
(ب) أربع رضيعات من سن ثمانية شهور.

(جـ) ثمانية رضع من سن أربعة شهور .

(د) ثمانية رضع من سن ثمانية شهور .

ويمكننا تلخيص النتائج التي أسفرت عنها الملاحظة كما يلي :

١ ـ ليس ثمة فروق ذات دلالة بين طول الفترة التي يقضيها الرضيع نائماً في كل من المجموعتين العمريتين . وذلك يعني إمكانية الاعتماد على ما تسفر عنه الملاحظات دون احتمال أن تكون هناك فروق ناجمة عن اختلاف طول فترات النوم .

٢ ـ خلال الأربعة شهور الأولى من الحياة «يرى» رضيع الكيبوتز أمه ضعف رؤيته لأبيه أو للمربية .

٣ ـ يقضي رضيع الكيبوتز في سن أربعة شهور ٢٥ ٪ من وقت استيقاظه «منفرداً» ، وترتفع تلك النسبة إلى ٤٠ ٪ في سن ثمانية شهور ، وفي مقابل ذلك فإن رضيعة الكيبوتز تقضي ٢٦ ٪ من وقت استيقاظها في سن أربعة شهور «منفردة» وترتفع تلك النسبة إلى ٤٢ ٪ في سن ثمانية شهور .

٤ ـ تقضي الأم مع رضيعها البالغ أربعة شهور حوالي ستاً وسبعين دقيقة تقريباً أو ما يعادل ٢٣ ٪ من فترة استيقاظه وهو ما يفوق المدة التي تقضيها معه المربية خلال فترة الاستيقاظ . أما في سن ثمانية شهور فإن المربية تقضي مع الطفل خلال فترة استيقاظه حوالي تسعة وعشرون دقيقة يومياً أو ما يعادل ٧ ٪ من فترة الاستيقاظ وهو ما يفوق ما تقضيه معه الأم .

٥ ـ يحصل الرضع الذكور على وقت أطول من ذلك الذي يحصلن عليه الرضيعات في عملية الإطعام .

٦ ـ الفترات المنقضية بين مرات تغيير ملابس الرضع الذكور تكون أقصر عن نظيرتها لدى الإناث . بمعنى أن الذكور يحصلون على قدر أكبر من الرعاية فيما يتعلق بالنظافة .

٧ ـ زيارة الأب للرضع الذكور تكون وجه على العموم أطول من زيارته للرضيعات وخاصة في الفئة العمرية الأكبر .

٨ ـ زيارات الأم للرضع الأكبر تفوق زياراتها للرضع الأصغر . وعلى العكس فإن زياراتها للرضيعات الأصغر تفوق نظيرتها للرضيعات الأكبر .

ويتضمن المقال تعليقاً عاماً على تلك النتائج يعكس بصورة نموذجية أسلوب جيفيرتز في «تفسير» النتائج ، يقول التعليق :

> **ثـمـة طـريـقـة لـلـنـظر إلـى تـلك الأنـمـاط مـن خـلال الـتـسـاؤل عـمـا إذا كـان الـرضـع أقـل نـضـجـاً مـن حـيـث الـنـمـو مـن الـرضيعـات منـذ البدايـة . فـأحـوال الـرضـع قـد تكـون أكثر تغيـراً أو أكثر اعتمـاداً على الاشباعـات الفـوريـة من أحـوال الـرضيعـات. ومثـل تلك الفجـاجـة[1] التكـوينيـة يمكن أن تؤدي إلى مـزيـد من الـرعـايـة (أي مـزيـد من الاطعـام) ممـا يعبـر بشكـل مبـاشـر عن الحـاجـات الفعليـة وبشكـل غيـر مبـاشـر عن تصـاعـد مستـوى النشـاط أو التملمـل (أي مـزيـد من الصخب) ممـا قد يكـون بمثابـة التعبيـر عن تلك الحـالات التي لم تشبـع. ومن النـاحيـة الأخـرى فـإنـه إذا كـان الـرضـع أكثـر تملمـلاً حقـاً فـإنـه يمكن اعتبـار ذلـك نتيجـة لمـا يحـظون بـه من اهتمـام ورعـايـة كبيـرين وليس سببـاً لهمـا. بمعنى أن أولئـك الرضـع إنمـا يتعلمـون أن يكـونـوا أكثـر صخبـاً أو نشـاطـاً بعـامـة، لأن مثـل تلك الاستجـابـات الـصـاخبـة يـليهـا عـادة قـدر مـن اهتـمـام الـراشـديـن لا تحـقـقـه السلوكـات الـهـادئـة لـلأطـفـال الـقـانعـيـن .**

لقد آثرنا تحاشياً للتكرار أن نرجىء التعقيب على مقالات جيفيرتز إلى ما بعد الانتهاء من عرضها . ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا عليها فيما يلي :

(أ) لقد قامت نتائج جيفيرتز كما وردت في مقالاته ـ عدا تلك المنشورة عام ١٩٦٨ ـ على عقـد المقارنـات بين أطفال الكيبوتـزات والبيـوت والمـلاجىء ودور الحضانة النهارية . وهو اتجاه يقابل الاتجاه الذي اتبعـه رابين في أغلب دراساتـه والذي كان يقوم على المقارنة بين أطفال الكيبوتز وأطفال الموشاف . ولعل أهمية اتجاه جيفيرتز تتضح في أنه كان بمثابة البداية لعدد من البحوث التي قام بها غيره من الباحثين متبعين نفس نهجه في مقارنة أطفال الكيبوتزات بعينات مقابلة من أطفـال المـلاجىء والبيوت ودور الحضـانـة النهـاريـة (٦٠٦ ، ٦٠٧) . وتقـوم مثـل تلك المقارنات على افتراض مؤداه أن أساليب التنشئة الاجتماعية تختلف من مؤسسة إلى أخرى من تلك المؤسسات . وبالتالي فإن ما قد يلحظ من فروق في سلوك الناشئين

---

(١) الفجاجة : فجاجة كل شيء : قلة نضجه (٣٤) وقد فضلنا استخدام ذلك التعبير بدلاً من تعبيرات أخرى قد تكون شائعة مثل «عدم النضج» و«نقص النمو» (٥٤٩) وذلك تحاشياً لصعوبات استخدام التعبيرات المركبة من كلمتين في العربية ، وإيثاراً للمطابقة شكلاً ومعنى .

في تلك المؤسسات يمكن أن يعزى إلى ما يميز أسلوب التنشئة الاجتماعية في كل منها . ورغم سلامة ذلك الافتراض نظرياً فإن تحقيقه أو التثبت منه عملياً يقتضي ضبط بقية المتغيرات بشكل يكفل تماثلها بين المجموعات المختلفة . بحيث يصبح وجه الاختلاف الوحيد بينها هو أسلوب التنشئة الاجتماعية . وضبط المتغيرات جميعها أمر قريب من الاستحالة عامة ، بل إنه لمستحيل بالفعل إذا ما كنا بصدد دراسة الإنسان الذي يعد سلوكه نتاجاً لما لا حصر له من مؤثرات داخلية وخارجية ، دائمة وعارضة . ونظراً لتلك الاستحالة ، فلم يكن أمام علماء الإنسان في هذا الصدد سوى انتقاء العوامل التي يرون أنها الأحق بالضبط تاركين سواها مما يرون ألا أهمية أو لا علاقة له بموضوع بحثهم المحدد .

ودراسة جيفيرتز تعكس اهتماماً مدققاً بضبط العديد من العوامل مثل السن ، والجنس ، ووقت الملاحظة ، وتغيرات البيئة المحيطة إلى آخره . ولكنها أهملت عاملين يبدو أن جيفيرتز لم ير لهما علاقة بموضوع التنشئة الاجتماعية في حين أنها فيما نرى ـ وفيما يرى غيرنا أيضاً ـ بمثابة المحور الرئيسي لعملية التنشئة الاجتماعية ونعني بهذين العاملين : العامل الاقتصادي ، والعامل الحضاري . وهما على أي حال عاملان متداخلان شديدي التداخل فيما يتصل بالتجمع الإسرائيلي .

إن الفئات التي تنتمي إليها المجموعات التي عقد جيفيرتز مقارناته بينها تنتمي إلى مراتب اقتصادية متبادلة ومراتب حضارية متباينة أيضاً ، بل إن نظرة متأنية إلى مصادر عيناته الأربع : الملاجىء ودور الحضانة النهارية ، والأسر ، والكيبوتز كفيلة بأن توضح أنها تندرج بانتظام من الأدنى إلى الأعلى اقتصادياً وحضارياً وفقاً للواقع الإسرائيلي . فأطفال الملاجىء وفقاً لما يقرره جيفيرتز نفسه «غالبيتهم من المستويات الاقتصادية الاجتماعية الفقيرة» (٤٤٨) ثم يصف أطفال دور الحضانة النهارية بقوله : «إن أمهات هؤلاء الأطفال ممن يعملن نهاراً ، وينتمين عادة إلى شريحة اجتماعية اقتصادية دنيا وقد عشن في إسرائيل لأعوام قلائل فحسب ولكل منهن عدة أطفال آخرين بالمنزل» (٤٤٨) ونستطيع أن نقرر دون ما تعسف أن أطفال هاتين الفئتين إنما ينتمون في غالبيتهم إلى اليهود الشرقيين أو السفارديين ، فهم الأدنى مستوى من الناحية الاقتصادية (٩٠٣) ، وهم الأكثر إنجاباً (١٩ ، ٩٤ ـ ٩٥) . ونستطيع فضلاً عن ذلك أن نفترض أن مكانة الفئة الثانية أي أطفال دور الحضانة النهارية أعلى نسبياً من أطفال الملاجىء الذين يمثلون أبناء تلك الفئة من السفارديم الإسرائيليين التي

تلقت من العنت والضغط أكثر من سواها . أما أطفال الأسر الذين تعيش عائلاتهم في «شقق مستقلة بالقدس ، والذين يمكن أن تندرج قيمهم وأسلوبهم المعيشي ضمن تلك الصفات المميزة للطبقة الوسطى في إسرائيل» (٤٤٨) ، ومثل هؤلاء الأطفال ينتمون في الأرجح إلى اليهود الاشكنازيم . فهم الأيسر اقتصادياً ، والأقدر على الاستغناء عن العمل والتفرغ لتربية الأطفال مع المحافظة على المستوى الاقتصادي المرتفع (٦٩٠: ٢٠٢ ـ ٢٠٤) أما المجموعة الأخيرة ، أي مجموعة الكيبوتز فلسنا في حاجة إلى تفصيل القول في أن الكيبوتز ليس مؤسسة اشكنازية خالصة فحسب بل إنه مؤسسة النخبة الاشكنازية . ومن هنا فلم يكن عجباً أن تسفر نتائج جيفيرتز المقارنة ـ وأيضاً نتائج كوهن راز التي سبقت الإشارة إليها (٦٠٦ ، ٦٠٧) ـ عن تشابه كذلك بين أطفال الكيبوتز وأطفال الأسرة ، وعن تشابه كذلك بين أطفال دور التربية النهارية وأطفال الملاجىء . ولكن العجب هو إهمال تأثير تلك العوامل الحاسمة في تفسير النتائج . وعلى أي حال فإن ثمة إشارات عديدة إلى تشابه خصائص الأسرة في الكيبوتز الإسرائيلي مع خصائصها في الأسرة الغربية الحديثة (٤٣٨) .

(ب) إذا انتقلنا إلى مناقشة الأسلوب الذي اتبعه جيفيرتز في بحثه لاتضح لنا أنه أسلوب يتطرف في موضعة الملاحظة إلى الحد الذي تفقد معه قيمتها النظرية تماماً . وقد يكون الاكتفاء بمثل تلك الملاحظة التسجيلية الدقيقة مقبولاً إذا ما كان الهدف مثلاً هو تقنين مقياس معين لنمو قدرات الأطفال (٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢) إلا أنه ليس كذلك إذا ما كنا بصدد اختبار فرض أو فروض نظرية كما هو الحال بالنسبة لبحوث جيفيرتز .

ثانياً : بحوث مميزة

مقدمـة :

سوف نحاول تحت هذا العنوان أن نتعرض لمجموعة من البحوث التي أجريت على أطفال الاشكنازيم والتي يجمع بينها جميعاً أن نتائجها تشير إلى ثمة خصائص بعينها تميز هؤلاء الأطفال . ثم تنقسم تلك البحوث بعد ذلك إلى اتجاهين : اتجاه يرى أن تلك الخصائص المميزة قاصرة على الأطفال ، أو بـالأحرى على مـرحلة طفولتهم فحسب . وأنها لا تلبث أن تتلاشى ، ليعود هؤلاء الأطفال وقد أصبحوا في رشدهم ـ أو حتى قبل ذلك الرشد ـ كغيرهم من الراشدين ليس في سلوكهم كمجموعة

ما يميزهم من تلك الخصائص . بعبارة أخرى فإن بحوث ذلك الاتجاه تشير إلى أن ما يميز أطفال الاشكنازيم من خصائص إنما هي خصائص عارضة لا تلبث أن تتلاشى ولا يلبثون أن يتخطونها . أما الاتجاه الثاني فيرى في تلك الخصائص من الأصالة والثبات ما يكفل لها أن تترك بصماتها المستمرة على هؤلاء الأطفال بعد أن يتخطوا طفولتهم . وغني عن البيان أن تلك البحوث جميعاً باتجاهيها قد أسفرت عن خصائص أقرب إلى الأعراض المرضية سواء كانت أعراضاً عارضة فما يرى البعض أو دائمة فيما يرى غيرهم .

(أ) البحوث العارضة :

في عام ١٩٥٢ نشرت اليزابيث أيرفين مقالاً بعنوان «ملاحظات حول أهداف وأساليب تربية الأطفال في المستوطنات الجماعية» (٥٥٥) واليزابيث ايرفين باحثة بريطانية تخرجت من جامعة كمبردج عام ١٩٢٧ وعملت إثر تخرجها تحت إشراف سوزان ايزاكس ثم تنقلت في عدة وظائف إلى أن عملت خلال عام ١٩٥٠ أخصائية اجتماعية في الطب العقلي في إسرائيل تحت إشراف جيرالد كابلان حيث أتيح لها أن تجمع قدراً من البيانات عن أطفال الكيبوتزات كجزء من بحث كان يقوم به آنذاك جون بولي بتمويل من هيئة الصحة العالمية . ومقالها المشار إليه كان نتاجاً لعملها في تلك الفترة .

تستهل ايرفين مقالها بعرض وصفي لملاحظاتها عن الحياة في الكيبوتزات وما يميزها . ثم تنتقل بعد ذلك ، وتحت عنوان «التدريب على النظافة في الكيبوتز» ، إلى عرض لنتائج دراسة إحصائية أجرتها عن البوال لدى أطفال الكيبوتزات فيما بين السادسة والسابعة فاتضح لها أن نسبة الأطفال الذين يشكون البوال في الكيبوتزات الثلاثة كانت $\frac{١٥}{٤٧}$ و $\frac{٨}{١٥}$ و $\frac{٧}{١٥}$.

أي أن النسبة العامة تبلغ حوالي ٣٩ ٪ وهي نسبة تجاوز النسب المعتاد ورودها في هذا المجال (٤٥٧) ولا تتعرض ايرفين بالتفسير لما خلصت إليه من دراستها سوى بإشارة عابرة إلى أن أطفال الكيبوتز يختلفون عن أولئك الذين أجريت عليهم دراسات سابقة في المجال من حيث أنهم لم يكونوا يؤنبون عادة على بلل الفراش ، وأن إيقاظ الطفل لكي يتبول أمر لا يحدث إطلاقاً في الكيبوتزات .

وفضلاً عن تلك الدراسة الإحصائية فقد أوردت ايرفين ضمن نتائج اتباعها

لسلوك الملاحظة المباشرة في دراسة أطفال الكيبوتزات أن هؤلاء الأطفال الصغار «يبدون أكثر تبلداً بمقارنتهم بغيرهم» .

وفي عام ١٩٥٤ نشر جيرالد كابلان مقاله المعنون «ملاحظات أكلينيكية حول الحياة الانفعالية للأطفال في المستوطنات الجماعية في إسرائيل» (٥٨٨) وقد تضمن المقال عرضاً لنتائج دراسة قام بها الباحث مستخدماً أسلوب الملاحظة المباشرة لأطفال الكيبوتزات . وقد خلص الباحث من دراسته تلك إلى أن هؤلاء الأطفال يبدون اضطراباً انفعالياً واضحاً في سن خمس إلى سبع سنوات أو ما قبل ذلك ، وأن مظاهر ذلك الاضطراب تتضح في أعراض مثل : مص الإبهام ، وثورات الغضب ، وضعف السيطرة على العدوان ، والبوال . بل إن الباحث يمضي إلى حد القول بأن «الأطفال الكيبوتزيين يبدون كما لو كانوا يعانون من حرمان أموي» إلا أنه لا يلبث أن يقرر أن هذه المشكلات تقل لدى الأطفال فيما بعد «ويتمتعون بمراهقة أكثر هدوءاً» وأنهم ومع النضج «لا تبدو عليهم العصابية بشكل ملحوظ» .

وفي عام ١٩٥٨ نشر شموئيل جولان مقاله المعنون «التربية الجماعية في الكيبوتز» (٤٦٠) . وقد اعتمد في دراسته على أسلوب الملاحظة المباشرة أيضاً . ويشير جولان في مقاله إلى أن العلاقة المزدوجة بين الطفل وأعضاء أسرته من ناحية وبينه وبين المربية والأصدقاء من ناحية أخرى توحي بأن ثمة تغيراً في تكوين مركب أوديب في اتجاه التخفف من الصراعات الأوديبية . ويشير جولان إلى ما يثيره «الملاحظون الخارجيون من أن الفصل الجزئي للطفل عن الأم قد يجعله شبيهاً بمن يربون في الملاجىء من حيث طابع شخصيته وقدراته» . ويقرر جولان صراحة اختلافه مع هذا الرأي مؤكداً «أن فكرة الانفصال عن الأم لا محل لها في الكيبوتز» .

ثم يمضي جولان عارضاً نتائج دراسة إحصائية إضافية أجراها على ألف وثمانمائة طفلاً من أطفال الكيبوتزات تتراوح أعمارهم بين السابعة والثانية عشر خلص منها إلى أن نسبة تتراوح بين ٥ ٪ و٦ ٪ من هؤلاء الأطفال عصابيون لدرجة تحول بينهم وبين التوافق في الإطار التعليمي المنتظم . وأن أغلب العوامل المسببة لعصابهم كانت تلك المتصلة بالعلاقة بالوالدين وأن أقلية ضئيلة منها فحسب كانت مرتبطة باضطرابات في التربية الجماعية .

لقد اعتمدت الدراسات الثلاث السابقة على أسلوبي الملاحظات المباشرة

الأقرب إلى الانطباعية ، والمعالجات الاحصائية المبسطة والعامة . وأوجه قصور كلا الأسلوبين غنية عن البيان . إلا أن تسجيلنا لنتائجها كان ضرورياً في حدود أسلوب إعادة التكوين باعتبار أن تلك النتائج جزء من النسيج العام الذي يمكن التوصل من خلاله في النهاية إلى شخصية جماعة الاشكنازيم .

ولقد شهدت الستينيات تغيراً في طبيعة البحوث المنشورة في هذا المجال ، حيث ازدادت ضبطاً وإحكاماً ، وازدادت بالتالي قابليتها للمناقشة . ففي عام ١٩٦٤ نشرت زيلالوريا أستاذة علم النفس بجامعة تافت بالاشتراك مع الباحثتين الاسرائيليتين ميريام جولد واسر وآدينا جولد واسر مقالهن المعنون «الاستجابة لانتهاك المعايير كما تتضح في قصص أطفال إسرائيليين» (٦٧٧) . ويهدف البحث إلى الإجابة عن سؤالين محددين : هل يزيد استدماج السلوك الأخلاقي حيث تتجمع وظيفتي الإعاشة والتنشئة (الأسر التقليدية) عنه حيث تنفصل هاتان الوظيفتان نسبياً (الكيبوتز) ؟ وهل ما تشير إليه نتائج البحوث السابقة من أن الإناث يسبقن الذكور في النضج الأخلاقي يمكن أن يرجع إلى طبيعة الثقافة المعينة ؟

ولاختبار تلك الأسئلة المطروحة تم اختيار عينة تجريبية تضم كافة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من أبناء أحد الكيبوتزات الاسرائيلية في منطقة شمال الجليل . وقد بلغ عدد هؤلاء الأطفال ستة وأربعون طفلاً ، منهم أربعة وعشرون ولداً واثنتان وعشرون بنتاً وتكونت العينة الضابطة من ستة وعشرين طفلاً ، منهم أربعة عشر ولداً واثنتا عشرة بنتاً وتتراوح أعمارهم أيضاً بين الحادية عشرة والثالثة عشر . ومن أبناء عدة موشافيم إسرائيلية .

وبالإضافة إلى هاتين العينتين فقد تمت الاستعانة بعينتين فرعيتين كمجموعات «حضارية ضابطة» بغرض المقارنة . تضم الأولى مجموعة من الأطفال الأمريكيين اليهود تبلغ سبعة وثلاثين طفلاً منهم واحد وعشرون ولداً وستة عشر بنتاً . وتضم الثانية مائة طفل وطفلاً من الأمريكيين غير اليهود ، منهم ثلاثة وخمسون ولداً وثمان وأربعون بنتاً .

وقد استخدمت الباحثات صورة مختصرة ومعدلة من اختبار اليتسميث لإكمال القصص (١٧١) . وقد تم التعديل والاختصار بهدف «أن يلائم الاختبار الحياة الاسرائيلية» . والاختبار في صورته المختصرة المعدلة يضم أربعة قصص ناقصة .

تتضمن القصة الأولى انتهاكاً لأمر الأم للطفل بعدم فتح صندوق معين في دولابها . وتتضمن القصة الثانية أمنية بموت مدرس ، وتتضمن الثالثة خروجاً على اتفاق بسيط بين جماعة الأقران . وتتضمن الرابعة غشاً في مباراة رياضية . وكان المدرسون يقرأون القصص على الأطفال ويطلبون منهم إكمالها بكتابة ما سيحدث ، وتوضيح مشاعر وسلوك الشخصية . وكان الأطفال يعرفون أنهم بصدد بحث تقوم به الجامعة ولا علاقة له بدرجاتهم المدرسية . وكان الشرط الذي تقوم عليه القصص جميعاً هو غياب أي ملاحظ خارجي للانتهاك سوى بطل القصة أي الطفل القائم بذلك الانتهاك .

وتم تقييم القصص وفقاً لاثني عشر بعداً تتضمن : اعتراف الطفل بما ارتكبه من انتهاك وشعوره بالإثم ، وما ترتب على اعتراف الطفل بخطئه ، ومحاولاته إصلاح الخطأ . . الخ . وكانت زيلا لوريا هي التي تقوم بتقييم القصص مستعينة باثنين من المساعدين . وفي حالة عدم الاتفاق على تقييم واحد كانت تلجأ إلى ميريام وآدينا جولد واسر اللتين اشتركتا معها في نشر المقال «لعدم معرفتهما بما لديها من فروض» (كذا) . وقد تراوح معامل اتفاق تقديرات المحكمين بين ٨٤ ٪ و ٩٦ ٪ .

وقد أسفر البحث عن النتائج التالية :

(أ) أبدت عينة الكيبوتز قدراً من «الاعتراف» أكبر مما أبدته عينة الموشاف وكان الفرق دالاً .

(ب) أبدت بنات الكيبوتز أكبر قدر من الاعتراف بين المجموعات الاسرائيلية جميعاً وكان الفرق دالاً بينهم وبين بقية المجموعات .

(جـ) لم يسفر البحث عن أية فروق ذات دلالة فيما يتعلق بتكرار الاعترافات بين الأولاد والبنات الإسرائيليين على عكس الأولاد والبنات الأمريكيين من غير اليهود الذين وجدت لديهم فروق دالة في هذا الصدد .

(د) أبدت العينة الأمريكية اليهودية نفس التماثل بين الجنسين الذي أبدته العينتين الإسرائيليتين فيما يتعلق بتكرار الاعترافات .

(هـ) كانت العينة الأمريكية اليهودية من حيث المعدل العام لتكرارات اعترافات أفرادها أقرب إلى العينة الأمريكية غير اليهودية منها إلى العينة الإسرائيلية .

(و) كان تكرار اعترافات أفراد العينة الكيبوتزية أقل من معدله لدى العينتين الأمريكيتين .

(ز) تتزايد اعترافات أفراد مجموعة الكيبوتز والموشاف حين يكون هدف الانتهاك جماعة الأقران (القصتين الأولى والثانية) عنه حين يكون الهدف أحد الراشدين (القصتين الثالثة والرابعة) .

(ح) لم ترد في قصص المجموعتين الاسرائيليتين سوى «نسبة ضئيلة جداً من المشاعر الشديدة بالإثم» .

(ط) انتهاكات أوامر الأم كانت تثير أقل قدر من الشعور بالإثم لدى أفراد المجموعتين الإسرائيليتين .

(ي) ثمة سمة تسود قصص أفراد المجموعتين الإسرائيليتين ، وتتمثل في أن البطل (منتهك المعايير) لا يلحق به أي أذى .

ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا على بحث لوريا فيما يلي :

(أ) يقوم الجانب الأكبر من البحث على المقارنة على أطفال الكيبوتز وأطفال الموشاف . والكيبوتز مؤسسة اشكنازية خالصة . ولكن الأمر ليس على هذه الدرجة من الحسم فيما يتعلق بالموشاف . صحيح أن نسبة السفارديين والشرقيين إلى مجموع سكان الموشافيم قد ارتفعت من ١٤,٧ ٪ قبل عام ١٩٤٨ إلى ٦٧ ٪ عام ١٩٥٩ . أي أنهم يمثلون غالبية مجموع سكان الموشافيم . (٤ : ٢١٣) . رغم ذلك فإن ثمة موشافيم سفاردية شرقية خالصة وموشافيم اشكنازية خالصة كذلك ، وقلة مختلطة تجمع بين هذا وذاك (٣٤٥ ، ١٠٠٥) والاحتمالات الثلاثة قائمة على حد سواء بالنسبة لعينة أطفال الموشافيم التي اعتمد عليها البحث .

(ب) القصص التي استخدمت في البحث بالنسبة للعينات الإسرائيلية كانت أربعاً فقط . وذلك بسبب حذف القصص الأربع الأخرى التي يتضمنها القياس الأصلي «لأنها تتضمن انتهاكاً للملكية الخاصة . ولما كانت جماعة الكيبوتز ترفض ذلك الشكل من الملكية فقد استبعدت لك القصص» . وكان الأيسر والأصح أيضاً - فيما نرى - أن تعدل تلك القصص بحيث تتضمن انتهاكاً للملكية الجماعية فيتسع بذلك المجال لمقارنات أخصب . ومن ناحية أخرى كان يمكن بذلك تلافي جانباً

كبيراً من التحذير الذي يسوقه المقال مقرراً أن «المقارنات عبر الحضارية تقوم على عينات من القصص غير المتشابهة ولا متكافئة» . ذلك لأن نتائج المجموعات الأمريكية تتضمن استجابات الأطفال الأمريكيين لقصص الاختبار الأصلي جميعاً .

(جـ) لقد اعتبر المقال أن «الاعتراف» دليل على الشعور بالإثم ومن ثم على النضج الخلقي . وتلك مسألة لا يمكن التسليم بها بشكل مطلق . بل إن لوريا وزميلاتها يقررن ، صراحة : «من المحتمل أن نكون كغيرنا قد أخطأنا في اعتبار الاعتراف دليلاً على النضج الأخلاقي . فقد يرى البعض أن الطفل الذي لا يلجأ إلى الاعتراف (وهو في النهاية حل خارجي) تخففاً من الإثم ، قد يعبر بذلك عن استدماج أعمق للمعايير الاجتماعية . فليس غير الطفل نفسه من يستطيع مقاومة إغراء الإشباع الذي يحققه انتهاك المعايير . ولعلنا نكون أقرب إلى تبني وجهة النظر هذه إذا توافرت بدائل متعددة كمؤشرات تدل على وجود الشعور بالإثم في القصص» وليس من مبرر على الإطلاق ـ فيما نرى ـ للبحث عن تلك المؤشرات البديلة . فإن الأبعاد التي تم على أساسها تقييم القصص الواردة في البحث قد تضمنت بعداً أطلق عليه بوضوح «الشعور بالإثم» ، وتمت مقارنة القصص على أساسه بالفعل ولو كان لدى زيلا لوريا وزميلاتها الرغبة في التوثق عملياً من صلاحية الاعترافات كمؤشر على الشعور بالإثم ، فلم يكن أيسر عليهن من محاولة رصد معامل الارتباط بين التكرارات على بعد «الاعتراف» وتلك التكرارات على بعد «الشعور بالإثم» . خاصة وأن البيانات اللازمة لذلك متوافرة لديه بالفعل ، ولكن ذلك لم يحدث . وعلى أي حال فلو حاولنا تلمس مثل تلك العلاقة لما أعوزتنا الحيلة . فرغم ما تشير إليه النتائج من فروق دالة بين مجموعة الكيبوتز ومجموعة الموشاف ، تشير تلك النتائج أيضاً إلى أنه لم ترد في قصص المجموعتين الإسرائيليتين سوى نسبة ضئيلة جداً من المشاعر الشديدة بالإثم ، وأن تلك النسبة قد انحصرت في الاستجابات للقصة التي تضمنت أمنية موت مدرس وفضلاً عن ذلك فقد أسفرت تلك النتائج أيضاً عن أن البطل ـ منتهك المعايير ـ لم يكن يلحق به أي أذى في القصص الإسرائيلية جميعاً .

خلاصة القول إن النتيجة الوحيدة التي نستطيع أن نستخلصها من هذا البحث ، وأن نطمئن إليها نسبياً هي أن الأطفال الإسرائيليين الذين أجري عليهم البحث كانوا أقل شعوراً بالإثم من سواهم .

وفي نفس العام أي عام ١٩٦٣ نشر الباحث الإسرائيلي س. ناجلار الذي عمل

لفترة طويلة في مجال العلاج العقلي كمستشار للصحة العقلية في الكيبوتزات مقالاً بعنوان «ملاحظات أكلينيكية عن أطفال الكيبوتز» (٧٥٣) . والمقال عبارة عن انطباعات الباحث التي كوّنها خلال فترة عمله الطويلة والتي تتلخص في أن الاضطرابات النفسية لدى أطفال الكيبوتزات لا تتجاوز معدلها لدى بقية السكان إلا أن ثمة ارتفاعاً ملحوظاً في معدل الاضطرابات المتصلة بمشكلات الطعام فضلاً عن ندرة حالات الجناح والجنسية المثلية .

وفي عام ١٩٦٥ نشر الباحثان الأمريكيان أيزنبرج ونيوبو مقالهما المعنون «مشكلات الصحة العقلية في المستوطنات الإسرائيلية : الكيبوتزات» (٣٧٨) ، والمقال مجرد تسجيل لانطباعات وصفية كوّنها الباحثان من ملاحظاتهما خلال دورة دراسية قضياها مع مجموعة من الأطباء العقليين الإسرائيليين ، وقاما خلالها بعدة زيارات لعدد من الكيبوتزات الإسرائيلية . ويؤكد الباحثان أن المراهق الكيبوتزي لا يبدي أي مظهر من مظاهر الثورة أو الاحتجاج التي يبديها المراهقون عادة . ويرى الباحثان أن الأسباب الرئيسية لذلك إنما ترجع إلى «تحرك العدوان تجاه الأعداء الخارجين ، وضد التحدي الضخم الذي يتمثل في البيئة المادية القاسية المحيطة بهم» .

وفي عام ١٩٦٩ نشر شابيرا ومادسن مقالهما المعنون «السلوك التعاوني والسلوك التنافسي لدى الأطفال الكيبوتزيين والحضريين في اسرائيل» (٩٠٧) . ويقوم البحث على المقارنة بين أربعين طفلاً كيبوتزياً ، وأربعين طفلاً حضرياً من أبناء الشرائح العليا للطبقة المتوسطة . وكانت أعمار الأطفال جميعاً تتراوح بين ست سنوات وعشر سنوات . وقد طبق على أفراد العينتين اختبار لوحة مادسن للتعاون . وقد أسفرت النتائج عن أن أفراد كلا المجموعتين قد أبدوا توافقاً في ظل الحوافز الجماعية . ولكن حين انتقل الاختبار إلى استخدام الحوافز الفردية غيّر الأطفال الحضريين من سلوكهم . أما الأطفال الكيبوتزيون فقد استمروا في سلوكهم التعاوني . ويستخلص الباحثان من ذلك أن أبناء الكيبوتزات أكثر تعاونية من غيرهم ونستطيع أن نوجز أهم ملاحظاتنا على هذا البحث فيما يلي :

(أ) يقوم البحث على وضع الكيبوتزيين في مقابل «أبناء الشرائح العليا للطبقة المتوسطة» . وإذا كان الكيبوتزيون اشكنازيون بالضرورة ، فإنه لمن الأرجح أيضاً أن يكون «أبناء الشرائح العليا للطبقة المتوسطة» اشكنازيين كذلك ، خاصة إذا ما وضعنا

في الاعتبـار حقيقـة أن الاشكنـازيين يحتلون أعلى مـراتب السلم الاقتصـادي في اسرائيل (١٣) . والبحث بذلك يصبـح مقارنـة بين مجموعتين من الاشكنـازيين . وعلى أي حال فإنه في تلك الحدود تبقى للبحث قيمته في تبين مدى تأثير التربية الكيبوتزية بالتحديد .

(ب) لم يراع مادسن في تصميمـه لاختباره تحـاشي احتمال أن يتحـول هذا الاختبار إلى مقياس . فالبدء باستخدام الحوافز الجماعية ، ثم الانتقال بعد ذلك إلى استخدام الحوافز الفردية يجعل الاحتمال كبيراً في أن تؤثر عملية التعليم السابقة في إمكانية تعلم السلوك الجديد . أي أن يتحول الاختبار إلى مقياس خالص للجمود ، وهو ما نرجحه في هذه الحالة .

وفي عام ١٩٦٩ أيضاً نشرت مجموعة من الباحثات الاسكتلنديات من جامعة داندي بحثاً بعنوان «الخصائص الإثنية للأعراض المرضية السيكياترية داخـل وعبر تجمعات مكانية : دراسة لرواد عيادة اسرائيلية لتوجيه الأطفال» (٩٢٩) ويقوم البحث على مقارنة مجموعات من الأولاد اليهود الإسرائيليين المنتمين إلى أصول عراقية ، ويمنية ، وألمانية ، وبولندية وهـم جميعاً من المترددين على عيادة اسرائيلية متخصصة في تقديم العون النفسي للأطفال المضطربين . وقد اعتمدت تلك المقارنات على التشخيصـات السيكياتـرية المسجلة لهؤلاء الأطفـال . واتضح أن الأطفـال الـذين ينحدرون من أصول أوروبية أقرب بعامة إلى الانطواء .

(ب) البحوث الممتدة :

١ ـ بحوث مردخاي كوفمان :

مردخاي كوفمان . متخصص اسـرائيلي في الطب العقلي . يعمـل مستشاراً للطب العقلي في مستوصف أطفال وأسر الكيبوتزات في تل أبيب فضلاً عن عمله في مجال الطب العقلي في اسرائيل عامة . ودراساته تعبر تعبيراً مباشراً عن تخصصـه الأكاديمي وممارسته المهنية معاً (٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠) .

في عام ١٩٦٢ نشر كوفمان مقالاً بعنوان «تقييم الاضطرابات الانفعالية لدى أربعمائة وثلاثة من الأطفال الكيبوتزات الإسرائيليين» (٥٧٨) والمقال عبارة عن دراسة مسحية مقارنة لتكرار وشدة المشكلات السلوكية لدى أربعمائة وثلاثة أطفال كيبوتزيين تتراوح أعمارهم بين سنة واحدة واثني عشـر سنة . وينتمـون إلى ثلاث كيبـوتزات

مختلفة . وقد تمت مقارنة هؤلاء الأطفال بعينة مماثلة من الأطفال غير الكيبوتزيين من حيث التشخيص السيكياتري لما يشكون منه من أعراض . واتضح من المقارنات أن اضطرابات الأطفال الكيبوتزيين لا تزيد إن لم تقل في بعض الأحيان عن نظيرتها لدى الأطفال غير الكيبوتزيين وذلك بالنسبة للعدوان ، وثورات الغضب ، وأزمات التنفس ، والبوال ، واللوازم الحركية ، ومشكلات الكلام ، وقضم الأظافر ، والمخاوف الليلية . إلا أن كوفمان قد أشار إلى ما اعتبر أنه «فرق بالغ الغرابة يتمثل في التناسب العكسي بين مص الإبهام ، ومشكلات الطعام» حيث اتضح له أن الأطفال الكيبوتزيين يبدون من أعراض مص الأصابع ثلاثة أضعاف ما يبديه أفراد العينة الضابطة . في حين أنهم لا يبدون سوى ثلث ما يبديه أفراد العينة الضابطة فيما يتعلق بمشكلات الطعام . ويفسر كوفمان ارتفاع معدل مص الأصابع إلى ما تتميز به التربية الكيبوتزية المبكرة من تسامح كبير من الراشدين تجاه هذه العادة . كما أنه يرجع انخفاض معدل مشكلات الطعام إلى قيام المربية الكيبوتزية بمهنة تدريب الأطفال على عادات الطعام بدلاً من الأم البيولوجية .

ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا على بحث كوفمان فيما يلي :

(أ) إن الاعتماد على مقارنة تكرارات التشخيص السيكياتري المعين لدى عينة الأطفال الكيبوتزيين **المضطربين انفعالياً** بتكرارات ذلك التشخيص لدى عينة الأطفال غير الكيبوتزيين **المضطربين انفعالياً** ـ وهو الأسلوب الذي اتخذته مقارنات كوفمان في هذا البحث ـ يتضمن قدراً من التعسف . فمثل تلك المقارنة لكي تكتسب دلالتها كاملة لا بد وأن تنسب تكرارات كل عينة أولاً إلى حجم المجتمع الأصلي من **الأسوياء** الذي تنتمي إليه تلك العينة . وسكان الكيبوتزات لا يمثلون بحال سوى نسبة عددية ضئيلة بالغة الضآلة من سكان التجمع الإسرائيلي (٦٠٥: ٢٦ ـ ٢٧ ، ٧٠٢: ٤٤) . وإذا لم يكن لمثل هذا الاعتراض محل في بحوث مسابقة عرضنا لها وقامت على المقارنة بين الكيبوتزيين وغير الكيبوتزيين فإنه يكتسب قيمته في بحث كوفمان نظراً لأن العينتين اللتين يقارن بينهما عينتان متطرفتان على متصل السواء ـ المرض .

(ب) إذا نحينا الاعتراض السابق جانباً ونظرنا إلى التفسيرات التي يقدمها كوفمان لنتائج بحثه وبالتحديد إلى تفسيره لارتفاع معدل مص الأصابع لدى الأطفال

الكيبوتزيين لاتضح لنا أن كوفمان قد تحاشى تماماً أي تفسير دينامي متعمق لهذه الظاهرة . مكتفياً بإرجاعها إلى تسامح راشدي الكيبوتز حيالها . وغني عن البيان أن الأطفال وغير الأطفال أيضاً ـ لا يتبعون سلوكاً لمجرد أن الآخرين يتسامحون حياله . فالتسامح وعدم التسامح ليست سوى ظروف مساعدة ويبقى الأساس في أن السلوك إنما هو في النهاية تحقيق لرغبة ما . إن أنجلس وبيرسون يربطان بين عادة مص الأصابع واتجاهات الراشدين المتناقضة حيال الطفل مما يجعله تعساً شقياً (٤٥ : ٢٣٣ ـ ٢٣٥) أما ليوكانر فإنه يعتبر تلك العادة تعبيراً عن الفجاجة الانفعالية والاجتماعية (٥٨٤: ٥٢٤) أما السلوكيون فإنهم يعتبرون مص الأصابع مقدمة لتزايد النزعات الانطوائية (٥٥٧: ٤٣٤) .

وفي عام ١٩٦٥ تابع كوفمان التعبير عن اهتمامه بالموضوع . فنشر مقالاً بعنوان «مقارنة في الباثولوجيا النفسية : بين أطفال إسرائيليين من الكيبوتز ، وآخرين من أوساط حضرية» . (٥٧٩) ويتضمن المقال دراسة مقارنة لمجموعتين من الأطفال المضطربين انفعالياً . تضم المجموعة الأولى أربعة وثمانية طفلاً كيبوتزياً ، وتضم المجموعة الثانية سبعة وتسعين طفلاً حضرياً «ينتمون إلى الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة من طبقات هولنجشيد»[1] . وكان الأطفال جميعاً قد حولوا إلى عيادات نفسية لعلاجهم من اضطرابات يعانون منها . وقد قام كوفمان بتشخيص تلك الحالات تشخيصاً سيكياترياً كجزء من عمله في عيادات الكيبوتز والمدينة في تل أبيب . ثم عاد فأجرى ـ بهدف البحث ـ تصنيفاً لتلك التشخيصات السيكياترية إلى فئات ثلاث : تضم الأولى المشكلات السلوكية الأولية ، وتضم الفئة الثانية السمات العصبية ، وتضم الفئة الثالثة الاضطرابات النفسية العصابية . كانت تلك الفئات الثلاث تغطي ثمانين في المائة من الحالات موضع البحث . ويشير كوفمان في عرضه لنتائجه إلى أن المقارنات لم تسفر عن أية فروق جوهرية بين المجموعتين في مختلف مجالات

---

(١) اصطنع هولنجشيد في كتابه المعنون : **الطبقة الاجتماعية والمرض العقلي** تقسيماً اجرائياً لطبقات المجتمع على أساس تمايز تلك الطبقات وفقاً لعدة مظاهر أهمها محل الإقامة ، ونوع المهنة ، والمستوى التعليمي ، وبناء على أوزان معينة لكل من تلك المظاهر أمكن التوصل إلى تقسيم خماسي للطبقات يتدرج من الأعلى إلى الأدنى (٥٣١) وبناء على ذلك فإن الأطفال الحضريين في دراسة كوفمان إنما ينتمون إلى الطبقات المتوسطة والدنيا في السلم الاجتماعي .

الاضطراب فيما عدا فرق وحيد هو الذي أمكن ملاحظته وكان في مجال الشخصية السسيوباتية»[٢] . فلقد اتضح أن ثمة سبعة أطفال سسيوباتيين في عينة الحضريين في حين لم يبد على طفل كيبوتزي واحد مظاهر السسيوباتية . ونكتفي تعقيباً على بحث كوفمان أن نشير إلى أن اعتراضنا الأول الذي سقناه بصدد بحثه السابق ينطبق كذلك على هذا البحث . كما أنه لا يفوتنا أن نشير إلى أن ثمة تشابه يكاد يصل إلى حد التطابق بين النتائج التي انتهى إليها كوفمان في بحثه وتلك التي انتهى إليها ناجلار في بحثه الذي أشرنا إليه فيما سبق (٧٥٣) .

٢ ـ بحوث رابين :

سبق أن تناولنا بعضاً من بحوث رابين ، مقتصرين على تلك البحوث التي لم تسفر أي من نتائجها عن إشارة إلى قصور في أساليب التربية الكيبوتزية أو إلى أن ثمة ما يميز أبناء الكيبوتزات عن غيرهم . ورغم ذلك فلقد كان رابين قبل أن يشرع في نشر نتائج بحوثه يبدو متنبهاً إلى ما قد تؤدي إليه أساليب التربية الكيبوتزية من آثار على سلوك وشخصيات الأطفال . ففي عام ١٩٥٧ نشر رابين مقالاً بعنوان «الكيبوتز الإسرائيلي كمعمل لاختبار الفروض السيكودينامية» (٨١٧) وفيه يحدد رابين أهم تلك الفروض متى يمكن اختبارها بدراسة تجربة الكيبوتز كما يلي :

(أ) تخلف الأطفال .
(ب) الاندفاعية والفجاجة الانفعالية والعقلية .
(جـ) خفوت العلاقة بالوالد من الجنس المقابل .
(د) عدم اتساق التوحد بالوالد من نفس الجنس .
(هـ) التعبير صراحة عن العدوان تجاه الوالدين .
(و) خفوت تنافس الأشقاء .

وفي عام ١٩٥٨ نشر رابين مقاله المعنون «أطفال الكيبوتز : نتائج البحوث الجارية» (٨١٩) . ويشير رابين في مقدمة المقال إلى أن أنسب مناهج الدراسة في مجال تبين أثر أسلوب التربية المتبع في الكيبوتز على الأطفال هو المنهج الطولي التتبعي . إلا أن التطبيقات القليلة لذلك المنهج في الولايات المتحدة قد كشفت عن

---

(٢) استخدم كوفمان هذا التعبير ، وآثرنا نقله إلى العربية دون تصرف لكي تتضح علاقته بمصطلح السيكوباتية الذي جرت ترجمته أيضاً بنفس الطريقة .

العديد من المصاعب المنهجية . لذلك ونظراً أيضاً لأن «الفترة التي أتيحت للباحث في إسرائيل لم تتجاوز عاماً واحداً» فقد قرر القيام بدراسة عرضية مقارنة يتناول فيها بالمقارنة ثلاث مجموعات عمرية مختلفة من أطفال الكيبوتز ، وثلاث مجموعات عمرية مقابلة من غير أطفال الكيبوتز . وقد تم اختيار العينات التجريبية من حوالي ستة كيبوتزات مختلفة ، أما العينات الضابطة فقد اختيرت من بين الأطفال الذين يعيشون في قرى إسرائيلية يتوافر فيها التنظيم الأسري الأبوي المعروف .

كانت المجموعة الأولى تضم الرضع ممن تتراوح أعمارهم بين أحد عشر شهراً وسبعة عشر شهراً وتضم عينتين إحداهما من الرضع الكيبوتزيين والأخرى من غير الكيبوتزيين . وتتكون كل مجموعة من أربعة وعشرين طفلاً . وقد اعتمدت دراسة الرضع على إجراء مقابلات شخصية مع الآباء والمربيات فضلاً عن الملاحظة المباشرة واستخدام بعض الاختبارات المقننة . وتشير النتائج التي أسفرت عنها تلك الدراسة إلى ترجيح كفة الرضع غير الكيبوتزيين في مجال النمو الشخصي الاجتماعي وإن لم تسفر عن اختلاف جوهري في مجالات التآزر الحسي والحركي «والنشاط العضلي» فرغم أن الرضع الكيبوتزيين قد نشأوا في جماعة منذ يوم مولدهم إلا أن استجاباتهم الاجتماعية كانت أقل من نظيرتها لدى غيرهم كذلك فقد كان الرضع الكيبوتزيون «أكثر تململاً وتباعداً وقد يرجع ذلك إلى ما يعانونه من إحباط شديد نتيجة لتشتت اهتمام المربية المسئولة عن أطفال كثيرين» ويطرح رابين في نهاية عرضه لنتائج دراسته للرضع تساؤلاً محدداً : ترى هل سيستمر ذلك التخلف ؟ وللإجابة على هذا التساؤل ينتقل رابين إلى دراسة المجموعة العمرية الثانية .

وكانت تلك المجموعة العمرية الثانية تضم أطفال العشر سنوات وقد شملت تلك المجموعة أيضاً عينتين إحداهما من الأطفال الكيبوتزيين والأخرى من الأطفال غير الكيبوتزيين . وضمت كل مجموعة ثلاثين طفلاً . ويقول رابين أنه «قد بدا من الملاحظات الشخصية الأولى أن أطفال الكيبوتز أكثر تحرراً وانطلاقاً ووداً من غيرهم كما بدا أنهم أكثر كرماً فيما يتعلق بممتلكاتهم دون توقع عائد ما» . وقد اعتمد البحث على تطبيق عدة أدوات هي :

١ ـ تاريخ الحالة .
٢ ـ اختبار جود أنف لرسم الشخص .
٣ ـ اختبار الرورشاخ .

٤ ـ اختبار صور بلاكي .
٥ ـ اختبار تكميل الجمل .

ويقرر رابين أن نتائج مقاييس الذكاء والنضج الانفعالي تشير إلى أن أطفال الكيبوتزات لا يتساوون مع غيرهم فحسب ، بل يتفوقون عليهم أيضاً . «إن شيئاً ما قد حدث لأطفال الكيبوتزات فيما بين السنة الأولى والعاشرة . شيئاً ساعدهم في التغلب على ما كان يعوقهم» لقد أبدت غالبية أطفال الكيبوتز من الاتجاهات الإيجابية نحو أسرهم ما يفوق نظيرتها لدى غيرهم . وفضلاً عن ذلك فلقد كان طفل الكيبوتز أكثر توحداً بأسرته ، وأشد اعتقاد بأنها تفضل غيرها من الأسر» ولعل ذلك يرجع إلى عدم مشاركة الأسرة في فرض القيود التي تستلزمها عملية تربية الطفل . فضلاً عن أن قصر المدة التي يقضيها الآباء مع أطفالهم تجعلهم أكثر تسامحاً ووداً حيالهم» .

أما المجموعة العمرية الثالثة والأخيرة فكانت تضم المراهقين الذين تبلغ أعمارهم حوالي سبعة عشر عاماً . وقد تمت المقارنة في هذا النطاق بين مجموعة من الكيبوتزيين ، وأخرى من غير الكيبوتزيين وكانت كل مجموعة تضم خمسة وعشرين مراهقاً . وقد اتضح من البيانات الأولية أن أبناء الكيبوتزات يظلون على تفوقهم العقلي وعلى اتجاهاتهم الإيجابية نحو الأسرة في هذه المرحلة أيضاً .

لقد أقام رابين بحثه كما لو كان التجمع الإسرائيلي مجتمعاً مستقراً راسخاً له تاريخ طويل . إن مقارنة فئات عمرية متتالية باعتبارها بديلاً للدراسة الطولية ، التي يؤكد رابين في مقدمة مقاله أنها الأسلوب الأمثل في هذا الصدد ـ مثل تلك المقارنة إذ جاز الاعتماد عليها في مجتمعات أخرى فإن ذلك الاعتماد يصبح مجازفة لا ضابط لها إذا ما كان الموقع هو التجمع الإسرائيلي . إن تركيب ذلك التجمع يقوم على موجات المهاجرين اليهود إلى فلسطين . ومثل تلك الموجات تتباين من حيث خصائصها العمرية والمهنية وظروف قدومها إلى آخره . وفضلاً عن ذلك ـ وبسبب ذلك أيضاً ـ فإن التجمع الإسرائيلي يتصف بسرعة تغيره . إن المقارنات التي عقدها رابين عام ١٩٥٥ تاريخ جمعه للبيانات كانت بين مواليد أعوام ١٩٣٨ و ١٩٤٥ و ١٩٥٤ وذلك يثير تساؤلاً أساسياً : هل أفراد عينات رابين قد ولدوا جميعاً في الكيبوتزات ؟ أم أنهم قدموا إلى الكيبوتزات أطفالاً مع آبائهم المهاجرين ؟ ذلك ما لم يتضمن مقال رابين الإشارة إليه . وإذا ما كانوا قد قدموا إلى الكيبوتزات أطفالاً مع آبائهم المهاجرين ، فكم كانت أعمارهم آنذاك ؟ وحتى إذا ما كانوا قد ولدوا جميعاً في الكيبوتزات ، فإن

ظروف التجمع الإسرائيلي فضلاً عن أساليب التنشئة الاجتماعية في الكيبوتزات قد تعرضت لتغيرات شتى عبر تلك الأعوام . كل ذلك يثير قدراً كبيراً من التحفظ حيال نتائج رابين في هذا البحث .

وفي نفس العام أيضاً ، أي في عام ١٩٥٨ نشر رابين مقالاً آخر بعنوان «بعض الفروق النفسية الجنسية بين الأولاد الكيبوتزيين وغير الكيبوتزيين» (٨٢٠) . وتندرج محاولة رابين هذه ضمن تيار متصل من المحاولات السابقة عليها والتي قام بها غيره لاختبار بعض مفاهيم التحليل النفسي اختباراً تجريبياً (٢٦٧ ، ٨٩٨) . وإن كان رابين يرى أن محاولته تتميز عما سبقها في هذا المجال بأمرين : الأول أنها لم تجر في معمل تقليدي بل إنها قد تمت في تنظيم اجتماعي قائم بالفعل ، وتتوافر فيه ظروف مثلى لاختبار مثل تلك المفاهيم . الأمر الثاني أن الأسلوب المستخدم في الدراسة قد صمم خصيصاً من أجل هذا الهدف بالذات .

وبدأ رابين بعد أن ركز على الخصائص المميزة لأساليب التربية الكيبوتزية في صياغة فروض ثلاثة يستهدف البحث اختبارها :

١ ـ إن عدد الأطفال الكيبوتزيين الذين يبدون حدة أوديبية شديدة سوف يكون أقل من نظيره بين الأطفال الذين نشأوا في موقف أسري تقليدي .

٢ ـ إن عدد أطفال الأسر التقليدية الذين سوف يبدون توحداً مع نموذج الأب سوف يكون أكبر من نظيره بين الأطفال الكيبوتزيين الذين سوف تنتشر موضوعات توحدهم على مدى أوسع .

٣ ـ سوف يبدي أطفال الأسر التقليدية من المظاهر الدالة على تنافس الأشقاء ما يفوق نظيره لدى الأطفال الكيبوتزيين .

وبدأ رابين في اختبار فروضه تلك باختيار المجموعتين التجريبية والضابطة . تكونت المجموعة التجريبية من سبعة وعشرين طفلاً من الناشئين في الكيبوتزات ممن اختيروا عشوائياً من بين تلاميذ الصف الرابع في خمسة كيبوتزات مختلفة . وتكونت المجموعة الضابطة من سبعة وعشرين طفلاً أيضاً اختيروا عشوائياً من تلاميذ الصف الرابع في أربعة قرى إسرائيلية غر كيبوتزية . وقد تراوحت أعمار أفراد كل مجموعة من تسع سنوات وثلاثة شهور إلى إحدى عشرة سنة وثلاثة شهور ، بمتوسط بلغ عشر سنوات وشهران . ولم يكن ثمة فروق جوهرية بين المجموعتين من حيث السن .

١ ـ واستخدم رابين في بحثه اختبار بلاكي وهو يتكون من سلسلة من الرسوم الكاريكاتيرية التي تصور أسرة من الكلاب . «بابـا» ، و«مامـا» ، والابن «بلاكي» وشقيقه «تيبي» في مواقف مختلفة . ويطلب من المفحوص عادة ذكر قصة تدور حول كل صورة ، ثم الإجابة بعد ذلك على أسئلة أكثر تحديداً . ويشير رابين إلى أنه لما لم يكن للقصص جميعاً ـ وما تثيره من استجابات علاقة بفروض البحث فقد اقتصر التطبيق على تلك الصور التي لها علاقة مباشرة بتلك الفروض . كذلك فقد استبعد رابين من الأسئلة التي تَضمنتهـا التعليمات الأصليـة للاختبـار تلك التي «يستحيـل تصنيفها ومعالجتها إحصائياً» ونظراً لتلك الاختصارات في الصور والاسئلة فسـوف نعرض تباعاً لكل من الصور الثلاث التي استخدمها رابين لاختبار فروضه ، والأسئلة التي وجهها بشأن كل صورة ، والنتائج التي استخلصها من الاستجابات ، وتعليقنا عليها لكي يصبح العرض أكثر اكتمالاً .

أولاً : اختار رابين الصورة الـرابعة من اختبـار بلاكي لاختبـار فرضـه الأول المتعلق بزيادة الحدة الأوديبية لدى أطفال الأسر التقليدية . والصورة عبارة عن رسم لموقف يتبادل فيه «بابا» و«ماما» ممارسة الحب ، بينما يقف (بـلاكي) جانبـاً ينظر إليهم . وقد اقتصر رابين على توجيه الأسئلة التالية[1] فيما يتعلق بتلك الصورة :

١ ـ ترى ما الذي كان يستشعره «بلاكي» وهو يرى «بـابا» و«مـاما» يمـارسان الحب ؟ .

٢ ـ ما الذي سيفعله «بابا» إذا ما رأى «بلاكي» يسترق النظر ؟ .

٣ ـ ما الذي ستفعله «ماما» إذا ما رأت «بلاكي» يسترق النظر ؟ .

٤ ـ ترى أيهما أفضل : أن تكون «ماما» هنا و«بلاكي» مع «بابا» ، أم أن يكون «بابا» هنا و«بلاكي» مع «ماما» ؟ .

وقد توقع رابين بناء على فرضه الأول أن عدداً أكبر من الأطفال غير الكيبوتزيين سوف يقررون أن رؤية «بلاكي» لـ «بابا» و«ماما» يمارسان الحب سيبعث في نفوسهم الاضطراب دافعاً إياهم إلى التعبير عن غضبهم أو عدوانهم أو ما إلى ذلك . كما أن هؤلاء الأطفال سوف يتوقعون من الآباء عقاباً أكبر مما يتوقعه الأطفال الكيبوتزيون . وأن هؤلاء الأطفال سوف يقررون أن بلاكي يفضل أن يكون مع الأم وليس مع الأب .

(١) تم ترقيم الأسئلة في مقال رابين وفقاً للترقيم الوارد في الصورة الأصلية للاختبار .

وكان توزيع إجابات أفراد العينة التجريبية (ت) والعينة الضـابطة (ض) على أسئلة ذلك الرسم كما يلي :

الأسئلة		١		٣	٤		٥
المجموعة		ت ض		ت ض	ت ض		ت ض
	خوف ـ غيره	١٠ ١١	رفض	١٩ ١٩	١٤ ١٥	مع ماما	١٠ ١٧
	عدم اهتمام ـ إيجابية	١٧ ١٦	تقبل	٨ ٨	١٣ ١٢	مع بابا أو غير ذلك	١٧ ١٠
كا٢		-		-	-		٣,٦٤
الدلالة عند		-		-	-		,٠٣

ويعلق رابين على نتائج الإجـابة على السؤال الخـامس بقولـه «لقد رأى عـدد أكبر من أفراد المجموعة الضابطة أنه من الأفضل «لبلاكي» أن يكون مع «ماما» ، بينما قسم أفراد المجموعة التجريبية ولاءهم بتساو أكبر بين الوالدين (كذا) . وكانت تلك النتائج دالة إحصائياً ، ومتفقة مع أول الفروض التي عرضناها سابقاً» .

ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا على تحقيق رابين لفرضه الأول المتعلق بزيادة الحدة الأوديبية لدى أطفال الأسر التقليدية فيما يلي :

(أ) لقد اقتصر رابين في تعليقه على مناقشة نتيجة الإجابة على السؤال الخامس فحسب لعلها باعتبارها النتيجة الوحيدة التي أسفرت عن فرق دال إحصائياً بين إجابات المجموعة التجريبية ، وإجابات المجموعة الضابطة . ولم يشر رابين بكلمة واحدة تعليقاً على نتائج الإجابات على الاسئلة الأخرى سوى بتقرير أن الفروق لم تكن دالة بين المجموعتين وعدم دلالة تلك الفروق إحصائياً لا يعني بحال إسقاطها من الاعتبار عند التفسير . بل لعلها الأحق بالتفسير لتعارضها مع توقعات الباحث أن عدم الدلالة لا يعني عدم القابلية للتفسير . فلقد توقع الباحث أن تسفر نتائجه عن فروق دالة بين المجموعتين فإذا بها لا تسفر عن مثل تلك الفروق ، وذلك أمر في حاجة إلى تفسير .

(ب) لقـد توقـع الباحث أن يعبـر أطفال الأسـر التقليديـة عن توقعهم لتلقي «بلاكي» لعقاب الوالدين بأكثر مما يعبر عنه أطفال الكيبوتز . ولم يهتم رابين بالتعليق على نتائج إجابة الأطفال على السؤالين المتعلقين بهذا الموضوع أي السؤالين الثالث والرابع مكتفياً بإدراجها ضمن الأسئلة التي لم تسفر الإجابة عنها عن فروق دالة بين

المجموعتين ، وذلك صحيح . ولكن نظرة أخرى إلى نفس الأرقام التي تضمنها الجدول كفيلة بتوضيح الحقيقتين التاليتين :

الحقيقة الأولى :

إن موقف المجموعتين كان متماثلاً بالفعل بالنسبة للسؤال الثالث ولكن اتجاه ذلك التماثل جدير بالنظر . لقد توقع غالبية أطفال كلا المجموعتين وبنفس الدرجة رفضاً من الوالد لعملية استراق النظر . وكان الفرق بين تكرارات فئتي (الرفض) و (التقبل) لدى كل من المجموعتين دالاً عند مستوى ٠,٠٥ .

الحقيقة الثانية :

إن موقف المجموعتين كان متماثلاً أيضاً بالنسبة للسؤال رقم «٤» حيث لم تسفر الأرقام عن فرق دال بين تكرارات فئتي «الرفض» و «التقبل» لدى كل من المجموعتين . أي أن أطفال كل من المجموعتين لم يتخذوا موقفاً محدداً في توقعهم لرفض الأم أو لقبولها لموقف استراق النظر .

ولهاتين الحقيقتين معاً دلالة هامة تفوق مجرد الإشارة إلى تماثل المجموعتين : أن الأطفال الكيبوتزيين وغير الكيبوتزيين على حد سواء قد توقعوا أن يقوم الأب بالتحديد ـ وليس الأم ـ بدور الرافض لعملية الاستطلاع الجنسي . كما أن الأطفال الكيبوتزيين وغير الكيبوتزيين على حد سواء أيضاً قد توقعوا من الأم موقفاً أكثر تسامحاً وتقبلاً حيال تلك العملية . وإذا كان مثل ذلك التمايز بين دور الوالدين كمصدر للعقاب متوقعاً ومفهوماً بالنسبة لأطفال الأسر التقليدية ، فإنه يصبح في حاجة إلى تفسير متعمق إذا ما أفصح عن نفسه أيضاً لدى أطفال الكيبوتزات حيث لا يقوم أي من الوالدين ـ كما يقال ـ بأي دور في عملية التنشئة الاجتماعية .

(حـ) أما تعليق رابين ـ وهو تعليقه الوحيد ـ على الاستجابات للسؤال الخامس فهو تعليق في حاجة إلى تعليق . أن رابين يقرر أن أفراد المجموعة التجريبية قد قسموا ولاءهم بالتساوي بين الوالدين ، وذلك يتعارض تماماً مع ما تشير به الأرقام الواردة في الجدول حيث تشير تلك الأرقام بوضوح أن العلاقة كانت عكسية تماماً بين استجابات المجموعة التجريبية واستجابات المجموعة الضابطة . لقد فضّل عشرة أفراد من أطفال المجموعة التجريبية أن يكون «بلاكي» مع «الأم» أي أن يحل محل «الأب» في حين فضل سبعة عشر فرداً من أطفال تلك المجموعة أن يكون بلاكي مع «الأب» أي أن يحل محل «الأم» . وعلى العكس تماماً فإن أغلبية أطفال المجموعة

الضابطة (سبعة عشر طفلاً) قد فضلوا أن يكون «بلاكي» مع «الأم» ، في حين فضّلت أقلية منهم (عشرة أطفال) أن يكون «بلاكي» مع «الأب» ، وذلك يعني أولاً أن تعليق رابين يتعارض تماماً مع أرقام الجدول الذي أورده وبالتالي فإن إشارته إلى أن تلك النتائج «تتفق مع أول الفروض التي عرضناها سابقاً» أمر غير صحيح على الإطلاق . إن تلك النتائج إنما تعني بوضوح ، إذا ما سلّمنا بالمنطلقات النظرية التي يقوم عليها اختبار بلاكي ، أن أطفال الأسر التقليدية يتوحدون مع «الأب» في حين أن أطفال الكيبوتز يتوحدون مع «الأم» .

(د) كان ينبغي على رابين أن يربط بين استجابات الأطفال على مختلف الأسئلة التي تدور حول الصورة بدلاً من معاملة كل سؤال باعتباره وحدة منفصلة لا علاقة لها ببقية الوحدات . ولو حاولنا القيام بمثل ذلك الربط بين الإجابات على السؤالين الثالث والرابع والإجابات على السؤال الخامس بحثاً عما إذا كان ثمة معنى يربط بين توزيع تلك الإجابات لكان لمحاولتنا تلك ما يبررها . إن إجابات السؤالين الثالث والرابع تشير إلى اتفاق المجموعتين في تصور محدد للأب مؤداه أنه المصدر الأرجح لتوقيع العقاب . وإذا ما انتقلنا إلى الإجابات على السؤال الخامس لاتضح لنا أن أطفال الأسر التقليدية قد أبدوا توحدهم بذلك الأب الذي يمثل مصدراً للعقاب ، وهو التصرف الشائع في الموقف الأوديبي أما أطفال الكيبوتز وهم الذين عبّروا أيضاً عن تصورهم للأب باعتباره مصدراً للعقاب فإنهم لم يتوحدوا به بل عبروا عن توحدهم بالأم التي لم تسفر استجاباتهم للسؤالين السابقين عن أنها تمثل مصدراً للعقاب . أليس لمثل تلك الظاهرة من دلالة كانت تستدعي وقفة متمهلة من رابين بحثاً عن دلالة لها أو فهماً ؟

ثانياً : اختار رابين الصورة السابعة من اختبار بلاكي لاختبار فرضه الثاني المتعلق بإيجابية التوحد . والصورة عبارة عن رسم يمثل «بلاكي» وقد اتخذ موقفاً تهديدياً من لعبة تمثل كلباً آخر أصغر منه بكثير . وقد اقتصر رابين على توجيه الأسئلة التالية فيما يتصل بتلك الصورة :

١ ـ ترى من الذي يتحدث بهذه الطريقة إلى «بلاكي» : «ماما» أم «بابا» أم «تيبي» ؟

٢ ـ من الذي يطيعه «بلاكي» أكثر : «ماما» أم «بابا» أم «تيبي» ؟

٣ ـ أيهم يسلك «بلاكي» مثله هنا : «ماما» أم «بابا» أم «تيبي» ؟

٤ ـ أيهم يحبه «بلاكي» أكثر : «ماما» أم «بابا» أم «تيبي» ؟

وقد توقع رابين بناء على فرضه الثاني أن عدداً أكبر من أطفال المجموعة الضابطة سوف يرون أن «بابا» هو الذي يتحدث بتلك الطريقة وأنهم سوف يكونون أقرب إلى طاعته أو إلى اتخاذه نموذجاً للتوحد .

وكان توزيع إجابات أفراد العينة التجريبية (ت) والعينة الضابطة (ض) على أسئلة ذلك الرسم كما يلي :

الأسئلة	١		٢		٣		٤	
المجموعات	ت	ض	ت	ض	ت	ض	ت	ض
بابا	١٧	١٩	١٥	٢١	١٨	١٥	١٥	٢٢
ماما وتيبي	١٠	٨	١٢	٦	٩	١٢	١٢	٥
$كا^2$	-		٣,٠٠		-		٤,٢١	
الدلالة عند	-		٠,٠٤٥		-		٠,٠٢	

ويعلق رابين على بيانات الجدول السابق مقرراً أن «نتائج الإجابة على سؤالين من أسئلة الصورة السابقة تؤكد بشكل دال الفرض الثاني حيث اتضح أن عدد من يتوحدون مع الوالد من نفس الجنس من أفراد المجموعة الضابطة يفوق العدد المناظر من أفراد المجموعة التجريبية» .

ثالثاً : اختار رابين الصورة الثامنة من اختبار بلاكي لاختبار الفرض الثالث من فروض دراسته وهو المتعلق بالمنافسة بين الأشقاء . والصورة عبارة عن رسم يمثل «بابا» و«ماما» يبدون الحب للشقيق «تيبي» الذي يقف بينهما بينما يقف بلاكي جانباً يراقب الموقف . وقد اقتصر رابين على توجيه الأسئلة التالية فيما يتعلق بتلك الصورة :

١ ـ ما الذي يود «بلاكي» أن يفعله الآن ؟
٢ ـ هل يعتقد «بلاكي» أن «تيبي» يستحق هذا الحب ؟
٣ ـ إذا ما كان «بلاكي» غاضباً ، تراه يكون غاضباً من «ماما» أم «تيبي» ؟

وقد توقع رابين أن عدد من سيتوقعون استجابة «بلاكي» استجابة عدوانية من بين أطفال المجموعة الضابطة سوف يفوق نظيره بين أطفال المجموعة التجريبية .

كما أن أطفال المجموعة الضابطة سوف لا يرون في «تيبي» مستحقاً لذلك الحب ، وأنهم سوف يترقبون أن يوجه «بلاكي» غضبه الأساسي إلى «تيبي» وليس إلى والديه .

وكان توزيع إجابات أفراد العينة التجريبية (ت) ، والعينة الضابطة (ض) على أسئلة الرسم كما يلي :

الأسئلة		١			٢			٣	
المجموعات		ت	ض		ت	ض		ت	ض
	عدوان ـ هجوم	٤	١٠	نعم	٤	٦	الوالدين	١٤	٨
	سلبية ـ إيجابية	٢٣	١٧	لا	٢٣	٢١	تيبي	١٣	١٩
كا٢		٣,٤٨			-			٢,٧٦	
الدلالة عند		٠,٠٣٥			-			٠,٠٥	

ويكتفي رابين كعادته بعرض النتائج الرقمية التي تضمنها الجدول عرضاً تقريرياً لفظياً منتهياً إلى أن الأسئلة التي أسفرت الإجابة عنها عن فروق دالة إحصائياً تؤكد فرضه الثالث واستخلاص رابين هذه المرة تشوبه نفس أوجه القصور التي شابت استخلاصاته السابقة : اعتباره أن ما لا دلالة له لا تفسير له كذلك . ومن ناحية أخرى عزله لدلالة كل سؤال عن بقية الأسئلة ، بمعنى عدم تصديه لمحاولة استخلاص معنى ما من الاستجابة لمجموع الأسئلة المتعلقة بالصورة . وسوف نحاول القيام عوضاً عن رابين بمثل ذلك الربط والتفسير .

ولنبدأ بمحاولة تبين المنطق الذي يربط استجابات المجموعة الضابطة . إن أطفال تلك المجموعة قد عبّروا عما يثيره موقف تنافس الأشقاء لديهم من عدوان وغضب وهجوم . ثم قرروا أن الشقيق المنافس لا يستحق ما يلقاه من حب . ثم وجهوا غضبهم إلى ذلك الشقيق الذي يلقى حباً لا يستحقه ولعلنا لو أعدنا ترتيب الإجابات بحيث تصبح الإجابة على السؤال الثاني في المقدمة لاتضح لنا على الفور المنطق الذي يربط تلك الاستجابات جميعاً : شقيق يلقى حباً لا يراه الطفل مستحقاً له فيعبر عن غضبه وعدوانه موجهاً ذلك الغضب والعدوان إلى الشقيق المنافس .

وإذا ما أقدمنا على نفس المحاولة بالنسبة للمجموعة الكيبوتزية التجريبية فإن

الأمور سوف تختلف . إن الأطفال الكيبوتزيين لا يبدون غضباً واضحاً في موقف المنافسة ، ثم إنهم يتفقون من غيرهم في اعتبار أن الشقيق «المنافس» لا يستحق ما يلقاه من حب ، ثم إنهم لا يوجهون غضبهم إلى ذلك الشقيق بالتحديد . أي أن منطق استجابتهم يجري كما يلي : شقيق يلقى حباً لا يراه الطفل مستحقاً له ، فلا يعبر عن غضبه مما يراه حباً لا مبرر له ، وبالتالي فليس من هدف محدد يوجه إليه غضبه إذا ما اضطر إلى التسليم بوجود مثل ذلك الغضب . وكان يمكن لتلك الصورة أن تكتسب اتساقاً لو أن الأطفال الكيبوتزيين قد قرروا أن الشقيق «المنافس» يستحق ما يلقاه من حب إذن لأصبح منطقياً ألا يثير موقف المنافسة غضبهم . أما وأنهم يؤكدون عدم استحقاق ذلك الشقيق لمثل ذلك الحب حيث كان الفرق بين من أجابوا بنعم ، ومن أجابوا بلا فرقاً دالاً (كا^{٢} = ١٣,٣٨) ثم لا يثير فيهم ذلك الموقف شعوراً محدداً بالغضب ، فذلك أمر كان ينبغي أن يستوقف انتباه رابين محاولاً أن يفسره وهو ما لم يحدث . وعلى أي حال فإن دلالة ذلك الموقف تتلخص فيما نرى في أن التربية الكيبوتزية لم تقض على مصادر العدوانية ، فالأطفال الكيبوتزيون ما زالوا لا يرون في الشقيق مستحقاً لحب الوالدين . ولكن ليس من تعبير ظاهر عن تلك العدوانية في هذا الموقف بالتحديد . والسؤال هو : إلى أين انصرف ذلك العدوان الذي خلقه ـ ولا شك ـ مثل ذلك الموقف المحبط ؟

وقد نشر رابين مقاله الثالث في هذا العام ـ أي عام ١٩٥٨ ـ بعنوان : «الرضع والأطفال في ظل ظروف الأمومة المتقطعة في الكيبوتز» (٨١٨) . وواضح من عنوان المقال أن رابين يتحاشى أن توصف علاقة الطفل ـ الأم في الكيبوتز بأنها تقوم على الحرمان الأموي . وإذا كان يارو قد اصطنع ـ خروجاً من ذلك الموقف ـ تعبير «التعدد الأموي» (١٠٣٩) فها هو رابين يصطنع بدوره تعبيراً آخر هو «الأمومة المتقطعة» .

وقد حاول رابين في هذا المقال اختبار ـ أو بالأحرى تأكيد ـ فكرته عن أن تخلف رضع الكيبوتز يتلاشى تماماً في سن العاشرة ، وهو ما سبق أن تناوله في بحث آخر أشرنا إليه آنفاً (٨١٩) . وقد اتبع في دراسته هذه نفس المنهج الذي اتبعه في دراسته السابقة ، أي الاستعاضة عن الدراسة الطولية بدراسة مقارنة لمجموعات عمرية متفاوتة وقد سبق أن أشرنا إلى ملاحظاتنا بصدد هذا المنهج .

وقد تناولت مقارنات رابين في هذا المقال مستويين عمريين : الرضع وأطفال

العشر سنوات وقد شمل المستوى الأول مجموعة من الرضع الكيبوتزيين تضم عشرين رضيعاً ، قورنت بمجموعة ضابطة مماثلة من رضع الموشاف . وقد أسفرت المقارنة عن أن درجات الرضع الكيبوتزيين أقل من درجات رضع الموشاف على المقياسين التاليين :

١ ـ مقياس فاينلاند للنضج .
٢ ـ مقياس جريفيث للتطور العقلي .

أما المستوى العمري الثاني فقد شمل مجموعة من أربعين طفلاً كيبوتزياً في سن العاشرة قورنت بمجموعة ضابطة مماثلة من أطفال الموشاف بالاعتماد أساساً على استخدام اختبار الرورشاخ واختبار جودانف كمقاييس لنمو الأنا . وقد أسفرت مقارنات رابين عن تفوق المجموعة الكيبوتزية في هذا المستوى العمري .

ومما يستوقف النظر في الخطة التي اتبعها رابين في بحثه هذا ، أنه لم يعتمد على نفس المقاييس بالنسبة للمستويين العمريين . وإذا كان ذلك مستحيلاً بالنسبة لاختبار جريفيث المصمم خصيصاً للأطفال دون الثانية (٤٨٦ ، ٤٨٧) . فإنه كان ممكناً بل ومنطقياً بالنسبة لاختبار فاينلاند الذي يعتبر اختباراً صالحاً لقياس النضج الاجتماعي حتى مستوى سن الثلاثين (٣٥٥ ، ٣٥٦) . ولعل ذلك كان يعفي رابين من استخدام اختبار جودانف تعسفاً كمقياس للنضج الاجتماعي . فاختبار جودانف في الوقت الذي أجرى فيه رابين دراسته بل وحتى بعد أن نشرها ، كان مقياساً للذكاء فحسب (٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢) ولم يتم تقنينه وتعديله بحيث يصبح أيضاً مقياساً للنضج إلا عام ١٩٦١ (٥٠٢ ، ٥٠٣) أي بعد أن انتهى رابين من دراسته ونشرها .

وفي عام ١٩٥٩ نشر رابين مقاله المعنون «مقارنة بين أطفال أمريكيين وأطفال إسرائيليين باستخدام أسلوب إكمال الجمل» (٨٢٢) وقد تكونت المجموعة الأمريكية من اثنين وخمسين طفلاً من أطفال الصفين الخامس والسادس من ريف ميتشيجان بالولايات المتحدة وتكونت المجموعة الإسرائيلية من خمسة وأربعين طفلاً كيبوتزياً ، وتراوحت أعمار أطفال العينتين من تسع سنوات وستة أشهر إلى إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وانقسمت المجموعتان بشكل متساوٍ تقريباً من حيث الجنس ، فكانت المجموعة الأمريكية تضم ستة وعشرين طفلاً وستاً وعشرين طفلة ، أما المجموعة الإسرائيلية فكانت تضم أربعة وعشرين طفلاً وإحدى وعشرين طفلة . ولم يكن ثمة فروق جوهرية بين المجموعتين من حيث السن أو الذكاء الذي قيس باستخدام اختبار

جودانف لرسم الرجل حيث كان مستوى أطفال المجموعتين متوسطاً .

وقد تم تطبيق صورة مختصرة ومعدلة من اختبار ساكس وليفي لتكميل الجمل بشكل جماعي على أفراد العينتين . ويتكون الاختبار من ستة وثلاثين جملة ناقصة تغطي المجالات التسعة الآتية :

الأب ، والأم ، والأسرة ، والأصدقاء ، والمستقبل والأهداف ، والقدرات ، والمخاوف ، والشعور بالإثم . وبهدف التأكد من ثبات فئات التصنيف المستخدمة ، تم تصنيف إكمال الجمل بواسطة اثنين من المحكمين كل على حدة بالإضافة إلى الباحث . وبلغت النسبة المئوية للاتفاق ٩٢,٥٪ .

وقد اقتصر رابين في تسجيله للنتائج التي أوردها في المقال على الجمل التي أسفرت تكملتها عن فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين وقد بلغت ستة عشر جملة كانت نتائجها كما يلي :

أولاً ـ في مجال الأسرة :

الجملة السابعة :

تعتبر أسرتي إذا ما قورنت بغالبية الأسر الأخرى. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
موقف إيجابي	٢٧	١١	هي الأفضل ـ أسرة جيدة
غير ذلك	١٧	٣٢	كبيرة ـ تتناول طعامها بعد السادسة.
كا٢	١١,٣٤		
مستوى الدلالة	٠,٠٠١		

الجملة السادسة عشرة :

أسرتي تعاملني. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
موقف إيجابي	٢٣	٨	كملك ـ كطفل
غير ذلك	٢٣	٣٥	ككلب
كا٢	٩,٧٢		
مستوى الدلالة	٠,٠١		

الجملة الخامسة والعشرون :

غالبية الأسر التي أعرفها. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
موقف إيجابي	٣٦	١٩	سعداء جداً فيما بينهم
غير ذلك	١٢	٢٣	يعيشون في القرية
كا٢	٩,١٨		
مستوى الدلالة	٠,٠١		

الجملة الثامنة :

أمي . . . .

	الأمريكيون	الاسرائيليون	نماذج من الإجابات
موقف إيجابي	٤١	٢٠	أعظم أم في العالم
غير ذلك	١١	٢١	أم كبقية الأمهات
كا٢	٤,٥٠		
مستوى الدلالة	٠,٠٤		

ويعلق رابين على تلك النتائج بقوله : «طالما أن الطفل الإسرائيلي يتحمل بعض مسئوليات الراشدين ويشارك في نشاطاتهم منذ سن مبكر ، فإن فرصته في تقييم والديه تقييماً نقدياً تصبح أكبر. . . وذلك هو ما يفسر قلة استجاباته الإيجابية في إكمال الفقرات المتعلقة بالأسرة ، وكذلك الفقرة المتعلقة بالأم» .

ويتجاهل رابين أن ابن الكيبوتز لا يصبح عضواً عاملاً فيه إلا حين تخرجه من المدرسة الثانوية أما قبل ذلك فهو طالب كيبوتزي ليس إلا . أي أن أطفال العاشرة من الكيبوتزيين الذين أجرى عليهم رابين دراسته لم يكونوا قد بدأوا بعد في تحمل بعض مسئوليات الراشدين أو المشاركة في نشاطاتهم .

وحتى لو سلّمنا جدلاً بما يقول به رابين في هذا الصدد ، فكيف يمكن لنا أن نفسر استجابة الغالبية العظمى من أطفال الكيبوتز بما يعني أن أسرهم تعاملهم كما لو كانوا كلاباً أو شيئاً من هذا القبيل ؟. مع ملاحظة أن رابين قد اعتبر أن الإجابة بما

يعني أن الأسرة تعامل الطفل كطفل تدخل في نطاق الموقف الإيجابي . هل القول بأن فرصة طفل الكيبوتز «في تقييم والديه تقييماً نقدياً تصبح أكبر» يمكن أن يفسر تلك النقمة والمرارة التي تفيض بها مثل تلك الاستجابات ؟

ثانياً ـ في مجال الأصدقاء :

الجملة الخامسة عشرة :

لا أحب أولئك الذين. . . .

*	الأمريكيون	الإسرائيليون
الموقف من الذات	٨	١٠
الصفات الاجتماعية	١٣	٢٠
الشخصية	٢٨	١٢
كا٢		٧,٣٣
مستوى الدلالة		٠,٠٣

وأحب أولئك الذين. . . .

*	الأمريكيون	الإسرائيليون
الموقف من الذات	٢٩	١٥
الصفات الاجتماعية	٢٢	٩
الشخصية	صفر	
كا٢		٢٥,٣٣
مستوى الدلالة		٠,٠٠١

(*) المقصود بفئة «الموقف من الذات» أن حب الأشخاص أو عدم حبهم إنما يتوقف على علاقتهم بالمفحوص . والمقصود بفئة «الصفات الاجتماعية» أن حب الأشخاص أو عدم حبهم إنما يتوقف على خصائص هؤلاء الاجتماعية وعلاقاتهم الشخصية المتبادلة . والمقصود بفئة «الشخصية» أن حب الأشخاص أو عدم حبهم إنما يتوقف على خصائصهم الشخصية وخاصة فيما يتعلق بالجوانب المعنوية والأخلاقية .

الجملة الرابعة والعشرون :

الأشخاص الذين أحبهم أكثرهم. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون
الأسرة	١٤	٢
آخرون	٣٧	٣٩
كا٢	٨,٢٥	
مستوى الدلالة	٠,٠١	

الجملة الثالثة والثلاثون :

حين لا أكون حاضراً فإن أصدقائي. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
شك ـ سلبية	١١	٢٤	**يسبونني**
غير ذلك	٣١	١٦	**يبحثون عني**
كا٢		١٢,٤٣	
مستوى الدلالة		٠,٠٠١	

ويعلّق رابين على إهمال أطفال الكيبوتز الإشارة إلى أفراد الأسرة ضمن المحبوبين بأن ذلك أيضاً إنما يرجع إلى تحمل الطفل الكيبوتزي لبعض مسئوليات الراشدين في سن مبكر ومشاركته في نشاطاتهم . وقد سبق أن ناقشنا ذلك التفسير . ونستطيع أن نضيف في هذا الصدد أن مثل تلك الاستجابة إنما تتناقض تماماً مع الأهداف المعلنة للتربية الكيبوتزية . إن ما تقوم عليه التربية الكيبوتزية من تقليل لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية يترتب عليه ـ فيما يقال ـ تقليل لتناقضات الطفل الوجدانية حيال الوالدين اللذين يقومان ـ في الأسر التقليدية بوظيفتي الحب والإعاشة معاً . وتقليل تلك التناقضات كان ينبغي نظرياً أن يجعل من علاقة الطفل بأبويه حباً خالصاً ، باعتبارهما على الأقل أعضاء في ذلك المجتمع الذي ينتمي إليه ، أي الكيبوتز وذلك هو ما يؤكده رابين نفسه في بحث آخر له (٨٢١) . أما أن يهمل الطفل الإشارة إلى أفراد أسرته تماماً ضمن من يحبهم كما يتبين من إكمال الجملة رقم «٢٤»

فهو أمر في حاجة إلى تفسير . ومثل ذلك التفسير قد يصبح أيسر منالاً إذا ما حاولنا أن نربط إكمال تلك الجملة بإكمال الجملة رقم «١٦» حيث تشير استجابات الأطفال الكيبوتزيين إشارة واضحة إلى تقييمهم لمعاملة أسرهم لهم . إن إهمال الأطفال الكيبوتزيين للإشارة إلى أفراد أسرهم ضمن من يحبونهم إنما يرتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بتقديرهم أن تلك الأسر قد عاملتهم ككلاب وفقاً لنص نموذج الاستجابة كما أورده رابين نفسه . والربط بين الفقرتين بهذه الصورة إنما يكشف بوضوح أن أساليب التربية الكيبوتزية لم تحقق على الأقل «تحييداً» لموقف الطفل حيال والديه ، بل إنها شحنت ذلك الموقف بقدر بالغ من المرارة والحقد .

وإذا كان تعليق ـ أو تفسير ـ رابين للاستجابات على الفقرة «٢٤» تعليقاً قاصراً فيما نرى ، فإنه لم يورد أي تعليق على الفقرة رقم «٣٣» ، والاستجابات على تلك الفقرة غنية عن التعليق بالفعل ، ولكن بما لا يتفق مع اتجاه تفسيرات رابين . فالاستجابات تشير بوضوح إلى تشكك أطفال الكيبوتز في أصدقائهم ، أو بالتحديد في موقف أصدقائهم منهم . وهؤلاء الأصدقاء ليسوا سوى «مجموعة الأقران» التي تفيض الكتابات المتعاطفة مع تجربة الكيبوتز بالإشارة إلى إيجابية الدور الذي تلعبه مجموعة الأقران في التربية الكيبوتزية وكيف أنها تحل محل الأسرة التقليدية في تشكيل المعايير والقيم التي يستدمجها الطفل فيما بعد .

ثالثاً ـ مجال الشعور بالإثم :

الجملة التاسعة :

إنني على استعداد للقيام بأي شيء ينسيني أنه قد حدث أن. . . .

*	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
شخصي ـ غير شخصي	٦	٢٨	كذبت على جدتي
موضوع ـ واقعة	٣٨	١٣	سقطت فكسرت رجلي
كا٢	٢٦,٣٢		
مستوى الدلالة	٠,٠٠١		

(*) تشمل الفئة الأولى الشعور بالإثم المستدمج في مقابل ما تشير إليه الفئة الثانية من شعور بالإثم ناجم عن وقائع موضوعية مثيرة للخوف (قلق موضوعي) .

الجملة السابعة والعشرون :

كنت ـ وأنا أصغر سناً ـ أشعر بالإثم حيال. . . .

*	الأمريكيون	الإسرائيليون
شخصي ـ غير شخصي	١٤	٢٨
موضوع ـ واقعة	٢٣	١٤
كا٢		٦,٦٣
مستوى الدلالة		٠,٠١

الجملة السادسة والثلاثون :

أسوأ شيء فعلته هو. . . .

*	الأمريكيون	الإسرائيليون
شخصي ـ غير شخصي	٦	٢١
موضوع ـ واقعة	٣٤	١٠
كا٢		١١,٨٢
مستوى الدلالة		٠,٠٠١

ويعلّق رابين على تلك البيانات بقوله: « . . . إن الأطفال الإسرائيليين يبدون قدراً أكبر من نقد الذات ، واهتماماً أكبر بالانتهاكات الشخصية لقيمهم الخلقية. . . وربما يرجع ذلك إلى تحولهم إلى راشدين في فترة مبكرة ، أو إلى بعض الفروق الأساسية في عملية التوحد المبكرة نفسها والتي تعوزنا المعلومات الكافية عنها حالياً» .

وهكذا يلجأ رابين مرة أخرى إلى مفهوم النضج المبكرة ليفسر به ذلك النمط المميز من الشعور بالإثم لدى الأطفال الكيبوتزيين . وما نود الإشارة هو أن المعلومات الخاصة بتلك «الفروق الأساسية في عملية التوحد» متوافرة بالفعل ، وفي بحث نشره رابين نفسه في العام السابق مباشرة ، وهو البحث الذي سبق أن أشرنا إليه والمعنون «بعض الفروق الجنسية بين الأولاد الكيبوتزيين» (٨٢٠) . وبالتحديد في الإجابة على السؤال الخامسة من الأسئلة المتعلقة بالصورة الرابعة من اختبار بلاكي .

(*) انظر الهامش السابق .

رابعاً ـ مجال المستقبل :

الجملة الرابعة :

يبدو المستقبل أمامي. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
إيجابي	٣٧	١٧	مشرق ـ جميل جداً ـ رائع
غير ذلك	١٤	٢٤	غريب ـ غير معروف ـ غير واضح كالحاضر.
كا^{٢}		٨,٨٨	
مستوى الدلالة		٠,٠١	

الجملة الثانية والعشرون :

في يوم ما سوف. . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون	نماذج من الإجابات
إنجازات ذاتية	٤٢	١٧	أكون غنياً ـ أكون لاعب كرة مشهور
الرحيل	٥	٢٢	أرحل من هنا
كا^{٢}		٢٦,٦٨	
مستوى الدلالة		٠,٠٠١	

ويقرر رابين تعقيباً على تلك النتائج أن الأطفال الإسرائيليين لا يبدون متفائلين كالأمريكيين . ثم لا يلبث أن يفسر ذلك بقوله : «إن الوضع الخطير الذي تتعرض له دولتهم ، والواقعية التي يكتسبونها من خبرة العمل «كـذا» تميل إلى جعـل الطفـل الإسرائيلي حتى في سن العاشرة أقل تفاؤلاً من أقرانه الأمريكيين» . وبذلك التفسير يفترض رابين أن الأطفال الإسرائيليين في العاشرة يدركون «الوضـع الخطر الـذي تتعرض له دولتهم» ولنا بشأن ذلك تحفظين :

الأول : إن إدراك الأطفال في هذه السن «لخطورة» الوضع الذي تتعرض له دولتهم «لا يمكن أن يتأتى إلا عبر عملية تنشئة اجتماعية مخططة تستهدف تلقينهم

الإحساس بذلك الخطر وهم الذين ولدوا عشية «الانتصار» وإقامة «الدولة»» .

الثاني : أننا لو سلمنا بوجود خطر داهم يتهدد بيئة هؤلاء الأطفال إلى الحد الذي يمكنهم معه إدراكه في هذه السن ، فيبقى أن نتساءل : هل الخطر الموضوعي يؤدي حتماً إلى التشاؤم ؟ أم أن الأمر في حاجة إلى تفسير أعمق . وعلى أي حال فلعل ذلك التفسير يصبح أكثر يسراً إذا شملت نظرتنا استجابة الأطفال الإسرائيليين للجملة التالية على ذلك أي الجملة رقم (٢٢) .

لقد عبّر غالبية الأطفال الإسرائيليين عن رغبتهم في «الرحيل» خلال إكمالهم للجملة رقم (٢٢) ترى لماذا يود الأطفال الإسرائيليون لو رحلوا ؟ ألأنهم يحسون خطراً يتهدد «دولتهم» ؟ أم لأنهم يحسون حقداً وعدواناً يسود نظرتهم إلى أقرانهم وتصورهم لنظرة أقرانهم إليهم ؟ على أي حال فإن هذا الاحتمال الأخير تؤكده استجابات الأطفال الإسرائيليين للجملة رقم (٣٣) التي عرضنا لها فيما سبق .

خامساً ـ مجال الأهداف :

الجملة الواحدة والعشرين :

أن طموحي الخاص في الحياة. . . .

	الأمريكيون	الاسرائيليون	نماذج من الاستجابات
ترفيهي (أو طفولي)	١٣	٢	القفز ـ الصيد بالسهام
غير ذلك	٢٢	٣٧	أن أكون فلاحاً ـ أن أكون عالماً.
كا٢	١١,٦٥		
مستوى الدلالة	٠,٠٠١		

الجملة الثلاثون :

أن أقضي ما أتمناه من الحياة. . . .

	الأمريكيون	الاسرائيليون	نماذج من الاستجابات
ترفيهي (أو طفولي)	١٧	١	القفز ـ الصيد بالسهام
غير ذلك	٢٧	٤٠	أن أكون فلاحاً ـ أن أكون عالماً.
كا٢	١٦,٧٠		
مستوى الدلالة	٠,٠٠١		

ويرى رابين أن تفسير هذه الاستجابات إنما يرجع أيضاً إلى ما يتميز به الأطفال الإسرائيليون من «نضج مبكر» وهو نفس تفسيره لإكمالهم للجمل المتعلقة بمجال القدرات .

سادساً ـ مجال القدرات :

الجملة الثانية :

حينما تكون الظروف ضدي . . . .

	الأمريكيون	الاسرائيليون	نماذج من الاستجابات
سلبي	١٧	١٧	لا أكون سعيداً ـ أشعر بالرعب .
محايد	٦	١٧	أكف عن المحاولة ـ لا أنجح .
التصدي للمواجهة	٢٠	٨	أتصدى لها ـ أواجهها
كا^2	١٠,٣٠		
مستوى الدلالة	٠,٠١		

الجملة الحادية عشرة :

أعتقد أن لدي القدرة على . . . .

	الأمريكيون	الإسرائيليون
العمل	٨	١٠
الدراسة	٥	١٤
غير ذلك (ترفيهي وما أشبه)	٢٩	٢٠
كا^2		٦,٢١
مستوى الدلالة		٠,٠٥

صحيح أن استجابة الأطفال الإسرائيليين للجملة الحادية عشرة تتفق مع استجابتهم لجمل المجال السابق من حيث دلالتها على ما يطلق عليه رابين «النضج المبكر» . أما الاستجابة للجملة الثانية وهي من الجمل التي لم تحظ الاستجابة لها بأي تعليق من جانب رابين فإنها تشير بوضوح إلى موقف هؤلاء الأطفال الاسرائيليين

من الإحباط الخارجي . وهو الموقف الذي عبّروا عنه بالكف عن المحاولة والتسليم بعدم النجاح دون ما تصد مباشر . ولعل ذلك الموقف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإشارة وردت في بحث سابق لرابين (٨٢٠) . حيث أبدى الأطفال الكيبوتزيون إدراكهم للموقف المحبط ثم لم يعبروا عما يثيره ذلك الموقف من عدوان لديهم .

وفي عام ١٩٦٦ نشر رابين بالاشتراك مع الباحث الإسرائيلي حنا جولدمان مقالاً بعنوان «العلاقة بين قسوة الإثم ، وشدة التواحد لدى أطفال كيبوتزيين» (٨٢٧) . ويقوم البحث على التسليم بأن وظائف التنشئة الاجتماعية في الكيبوتز قد انتقلت إلى المربيات والأقران . ومن ناحية أخرى فإن الأبوين اللذين يمضي معهما الطفل وقتاً أكثر يصبحان أشبه بالأجداد في الثقافة الأمريكية أو الغربية . أي يصبحان مصادراً للعطف والرعاية والعطاء دون ما حاجة لفرض أي نوع من العقوبات على السلوك المرفوض ، تاركين ذلك للمربية أساساً . وانطلاقاً من تلك المسلمة يتوقع رابين وجولدمان أن قسوة الإثم لدى الكيبوتزيين سوف تكون أخف من نظيرتها لدى أطفال نشأوا في ظل مواقف عائلية تقليدية .

واختباراً لذلك التوقع استخدم أسلوب إكمال القصص بهدف تقييم قسوة الإثم وذلك بتطبيق صورة معدلة من الاختبار الذي سبق أن استخدمه الينسميث في هذا المجال[1] وقد أعدت مجموعتان من القصص إحداهما للذكور والأخرى للإناث وتضم كل مجموعة أربع قصص ناقصة . وتم تطبيق الاختبار على مجموعات من تلاميذ الصف السابع في ثلاث من مدارس المدن وستة كيبوتزات . وكان متوسط العمر لكل من المجموعات ثلاث عشرة سنة ، ولم يكن بالتالي ثمة فروق جوهرية في هذا الصدد . وكانت العينات الكيبوتزية تضم أربعة وخمسين ولداً وستاً وخمسين بنتاً . بينما كانت العينات غير الكيبوتزية تضم اثنين وخمسين ولداً وثمان وأربعين بنتاً . وكان تقدير قسوة الإثم التي تتضمنها القصة المكملة يقوم به مؤلفاً المقال وفقاً

(١) يشير رابين وجولدمان ضمن مبررات استخدامها لأسلوب إكمال الجمل في هذا المجال إلى «أن نتائج البحوث السابقة التي استخدمت تلك الجمل الناقصة كانت قاصرة على الأولاد دون البنات» . وهما بذلك يتجاهلان تماماً استخدام زيلا لوريا وزميلاتها (٩٧٧) لصورة معدلة من نفس الاختبار الذي يستخدم رابين وجولدمان صورة معدلة منه . وأنهن قد استخدمنه في نفس المجال (أطفال الكيبوتز) ، ولنفس الهدف (اختبار الشعور بالإثم) . وفضلاً عن ذلك فقد تضمنت بياناتهم مقارنات بين الأولاد والبنات من حيث الاستجابة للاختبار .

لفئات ثلاث (عال ـ متوسط ـ منخفض) ، وقد بلغ معامل اتفاق التقدير بين المحكمين تسعين في المائة .

وقد تضمنت القصص الأربع ، ثلاث قصص معدلة من اختبار الينسميث بالإضافة إلى قصة أعدت خصيصاً للبحث وتدور حول تخريب ممتلكات الجماعة . وكانت نتائج البحث كما وردت في المقال كما يلي :

	الأولاد			البنات		
	منخفض	متوسط	عالي	منخفض	متوسط	عالي
القصة الأولى (السرقة)[١]						
الكيبوتزيون	٣٢	٧	١٥	٢٣	١٧	١٦
غير الكيبوتزيين	٢٤	٨	٢٠	١٣	١٠	٢٥
القصة الثانية (عدم النظافة)[٢]						
الكيبوتزيون	١٧	٢٨	٩	١٩	٢٥	١١
غير الكيبوتزيين	٩	٢٠	٢٣	١١	٢٨	٩
القصة الثالثة (تمني الموت للآخرين)[٣]						
الكيبوتزيون	٣٣	١٠	٩	١٦	١٤	٢٦
غير الكيبوتزيون	٢٢	٩	٢١	٦	٧	٣٥
القصة الرابعة (التخريب)[٤]						
الكيبوتزيون	٣٤	١١	٩	٣٢	١٥	٩
غير الكيبوتزيين	٢٧	١٢	١٣	١٦	١٧	١٥

ويعلق رابين وجولدمان على تلك النتائج بقولهما «لقد تأكد فرضنا بحيث يمكن للمرء أن يتوقع تزايداً في الإثم وفي الشعور بالإثم نتيجة لانتهاك المعايير الاجتماعية لدى الأطفال الذين يكون توحدهم أشد تركيزاً وأقل انتشاراً» . ثم يمضيان في تعليقهما مؤكدين «أن النتائج لا تعني أنه ليس من إثم على الإطلاق لدى الأطفال الكيبوتزيين ، أو أنهم يعجزون كلية عن الشعور بالإثم . كل ما هنالك أن النتائج تشير

(١) الفروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ بالنسبة للبنات .
(٢) الفروق دالة عند مستوى ٠,٠١ بالنسبة للأولاد .
(٣) الفروق دالة عند مستوى ٠,٠٣ بالنسبة للأولاد و ٠,٠٢ بالنسبة للفتيات .
(٤) الفروق دالة عند مستوى ٠,٠٤ بالنسبة للفتيات .

إلى أن معاناتهم للإثم تكون أقل قسوة لديهم عنها لدى أقرانهم من غير الكيبوتزيين» .

لقد أضاف رابين وجولدمان القصة الرابعة بالذات «متوقعين أن يكون أطفال الكيبوتز أكثر حساسية لهذا النوع بالذات من الانتهاك» إلا أن «انخفاض قسوة الإثم لدى العينة الكيبوتزية قد أفصح من نفسه في هذا المجال أيضاً» . وذلك يعني أن تخريب ممتلكات الجماعة يثير من الإثم لدى غير الكيبوتزيين ممن لم يربوا تربية جماعية أكثر مما يثيره لدى الكيبوتزيين الذين جرت تنشئتهم ـ فيما يقال ـ على أساس من التوحد بالجماعة . ولا يورد المقال أي تعليق على تلك النتيجة سوى أنها «مما يجدر الإشارة إليه» . وعلى أي حال فإن النتيجة العامة لهذا المقال والتي تتلخص في خفوت الشعور بالإثم لدى الكيبوتزيين تتفق تماماً مع ما سبق أن توصلت إليه زيلا لوريا وزميلاتها بتطبيق نفس الاختبار مع استخدام أسلوب آخر في التقييم[١] (٦٧٧) .

وفي عام ١٩٦٨ نشر رابين مقالاً بعنوان «نتائج تطبيق اختبار تفهم الموضوع لدى الأطفال[٢] على أطفال كيبوتزيين وغير كيبوتزيين فيما قبل سن الدراسة» (٨٢٨) ويطرح رابين في مقدمة هذا البحث جوهر القضية التي تدور حولها جميع بحوثه التي أجراها على إسرائيليين . يقول رابين أن نتائج العديد من الدراسات التي تمت فيها مقارنة الأطفال الكيبوتزيين بغيرهم قد أسفرت عن بعض الفروق الجوهرية التي تشير إلى تخلف الأطفال الكيبوتزيين في مجال تطور الأنا بمقارنتهم بأقرانهم من غير الكيبوتزيين . ولكن أطفال العاشرة من الكيبوتزيين لا يبدون مثل ذلك التخلف بل على العكس فإنهم يتساوون مع أقرانهم . بل يفوقونهم في أغلب مجالات توافق الشخصية أو الأبعاد المعرفية . «والسؤال هو : في أي وقت بين مرحلتي الطفولة المبكرة وما قبل المراهقة تحدث نقطة التحول هذه ؟» .

وبناءً على ذلك يهدف البحث إلى محاولة تبين ما إذا كان أطفال الكيبوتز في سن الخامسة والسادسة يبدون من مظاهر التخلف ما سبق أن بدا عليهم في طفولتهم المبكرة .

---

(١) انظر النتيجة «ح» من نتائج البحث المشار إليه .
(٢) CAT .

وقد تم اختيار عينة من ثلاثة وأربعين طفلاً كيبوتزياً تضم تسعة عشر طفلاً وأربعة وعشرين طفلة . وكذلك تم اختيار عينة من أطفال الموشاف تضم ستة عشر ذكراً وعشرين أنثى وكان سن أطفال العينتين يتراوح بين الخامسة والسادسة . وطبق اختبار تفهم الموضوع لدى الأطفال على العينتين .

وقد اعتمد رابين على محكات ثلاثة في مقارنة الذكور بالإناث في كل عينة على حدة وبين كل عينة وأخرى . ويتمثل المحك **الأول** في عدد الكلمات الواردة في كل قصة . ويتمثل المحك **الثاني** في عدد النماذج الوالدية الواردة في قصص كل عينة وكذلك مقارنة إيجابية أو سلبية المواقف المتخذة حيال تلك النماذج . ويتمثل المحك **الثالث** في طبيعة الموضوعات الرئيسية السائدة في مجموع قصص كل بطاقة بالنسبة لكل عينة .

وتتلخص نتائج البحث فيما يلي :

١ ـ بالنسبة للمحك **الأول** اتضح أن الإناث يتفوقن على الذكور في العينتين .

كما اتضح أيضاً أن ذكور الكيبوتز يتفوقون على ذكور الموشاف في حين لم تتضح فروق بين إناث العينتين. ويعلق رابين على تلك النتائج بقوله: «إذا ما اعتبرنا طول القصص مؤشراً على الطلاقة اللفظية ، وبالتالي دليل جزئي على التطور العقلي ، فإننا نستطيع استنتاج أنه ليس ثمة فروق جوهرية بين الأطفال الكيبوتزيين وغيرهم . بل إن هناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن أطفال الكيبوتز الذكور يفوقون أقرانهم من أطفال الموشاف في هذا الصدد» .

٢ ـ بالنسبة للمحك **الثاني** فقد اتضح ما يلي :

عدد مرات الإشارة إلى الوالدين في سجلات كل مجموعة وعدد الاتجاهات الإيجابية (+) والسلبية (ـ) حيال الوالدين :

	الإشارة إلى		الأب		الأم	
	الأب	الأم	+	ـ	+	ـ
أولاد الكيبوتز	٤٩	٥١	١١	٦	١٩	١
أولاد الموشاف	١٩	٢٣	١	٢	٥	٥
بنات الكيبوتز	٦١	٩٤	١٠	٧	٣٢	٩
بنات الموشاف	٦٤	٩٢	٥	٦	١٤	١٢

ويعلق رابين على ما يتضمنه الجدول السابق بأنه «فيما يتعلق بدلالة زيادة ورود الشخصيات الوالدية لدى الكيبوتزيين فإنه يصعب القول بما إذا كان ذلك راجعاً إلى ما يسمى بالحرمان الوالدي» . وعلى أي حال فإن تلك النتيجة تتناقض بوضوح مع النقص الواضح في الإشارات للوالدين في قصص اختبار تفهم الموضوع حين طبق الاختبار على مراهقين كيبوتزيين . أما إيجابية الموقف من الوالدين لدى الكيبوتزيين فإن رابين يرجعها إلى «انخفاض الحدة الأوديبية لديهم» .

٣ ـ بالنسبة للمحك الثالث : اتضح أن «العدوانية» هي الموضوع الأساسي بالنسبة لثلاث بطاقات لدى ذكور عينة الكيبوتز مقابل بطاقتين لدى أقرانهم من أبناء الموشاف . وأنها أيضاً تمثل الموضوع الأساسي بالنسبة لخمس بطاقات لدى إناث عينة الكيبوتز مقابل بطاقة واحدة لدى إناث عينة الموشاف . كما اتضح أن موقف التغذية يسود قصص خمس بطاقات لدى ذكور عينة الكيبوتز ، وبطاقتين لدى إناث تلك العينة ، في حين أنه لا يسود أية بطاقة لدى عينة الموشاف ذكوراً وإناثاً . وفي مجال الاستجابات التي يسودها «الإنكار» أي تجاهل أو حذف معنى واضح وسائد لشخصية أو لموقف ، كإدراك موقف واضح العدوانية مثلاً على أنه موقف تعاوني ، اتضح أن الإنكار يسود خمس بطاقات لدى ذكور عينة الكيبوتز ، وخمس بطاقات أيضاً لدى إناث تلك العينة في حين أنه لا يسود أية بطاقة لدى عينة الموشاف ذكوراً أو إناثاً .

ويعلق رابين على تلك النتائج مشيراً إلى أن زيادة ورود مواقف الطعام لدى الأولاد الكيبوتزيين قد تعني «استمراراً للاعتمادية الفمية ، وهو ما لم يلحظ في الدراسات السابقة» . أما فيما يتعلق بالإنكار «فإن تلك النتائج ـ إذا ما تدعمت ـ قد تشير إلى اتجاه عملية دفاعية أساسية لدى الكيبوتزيين . وقد يكون ذلك الاتجاه مرتبطاً بالسلوك الذي أبداه مراهقو الكيبوتزات ـ في بحث آخر ـ في تناول دفعاتهم الجنسية . والذي يفصح عما يسود ذلك السلوك من كبت وقمع» .

وفي الحقيقة فإن ثمة اعتراضات منهجية عديدة توجه إلى المنطلق النظري الأساسي الذي يقوم عليه «اختبار تفهم الموضوع لدى الأطفال» والذي يتمثل في أن الأطفال يكونون أقرب إلى التوحد بالحيوانات عنهم بالشخصيات البشرية (١٨٧ ، ٢٦١ ، ٤٣٣ ، ٦٦٥) ورغم ذلك فإن النتائج التي أسفر عنها بحث رابين وخاصة فيما يتعلق بالموقف الإيجابي للأطفال الكيبوتزيين حيال الوالدين وما تتضمنه تلك النتائج

من تناقض مع نتائج أخرى توصل إليها رابين أيضاً ، كل ذلك لا يرجع فيما نرى إلى مجرد ما تعنيه تلك الاعتراضات المنهجية العامة الموجهة إلى الاختبار ، بل يرجع كذلك إلى ما سبق أن أشرنا إليه من مخاطر تكتنف الاعتماد على مقارنة الكيبوتزيين بأبناء الموشاف .

٣ ـ بحوث برونوبتلهايم :

برونوبتلهايم . محلل نفسي أمريكي يهودي . ولد في فيينا وحصل من جامعتها على درجة الدكتوراه عام ١٩٣٨ وفي نفس العام اعتقلته السلطات النازية وظل حتى عام ١٩٣٩ متنقلاً بين معتقل أوشفيتز ومعتقل بوخنفالد . ثم هاجر إلى الولايات المتحدة حيث قام بالتدريس في جامعاتها إلى أن أصبح أستاذاً لعلم النفس في جامعة شيكاغو منذ عام ١٩٥٠ ، ومشرفاً على مدرسة تابعة للجامعة تختص بتقويم الأطفال عقلياً وعصبياً . أمضى في إسرائيل سبعة أسابيع متصلة من ربيع عام ١٩٦٤ متفرغاً لدراسة تجربة الكيبوتز من حيث أساليب التربية وتأثيراتها على شخصيات الأطفال .

ولم تكن زيارة بتلهايم لإسرائيل بداية اهتمامه بتجربة الكيبوتزات كما كان الحال بالنسبة لجاكوب وهافا جيفيرتز ، بل كانت نتاجاً لاهتمام سابق على ذلك بعدة أعوام على الأقل . ويشير بتلهايم نفسه إلى ما يفيد أنه كان شديد الاهتمام بما ينشر عن تلك التجربة إلى حد جعله يفكر في الرد على كتاب ملفورد سبيرو الذي نشرت طبعته الأولى عام ١٩٥٨ (٩٤٥) . ولعل خير تعبير عن درجة ذلك الاهتمام هو قول بتلهايم في مقدمة كتابه عن الكيبوتزات الإسرائيلية المعنون : **أطفال الحلم** :

> سبق أن كتبت دفاعاً عن التربية الكيبوتزية رداً على كتاب سبيرو ، وعلى تقارير مماثلة لبعض الأطباء العقليين الذين لم يستطيعوا رؤية شيء طيب في التربية الجماعية للأطفال . وفي الحقيقة فإنني كنت كلما ازددت دراسة لكتاب سبيرو، ازداد اختلافي مع بعض التفسيرات التي قدمها لبياناته...... وطالما أن كتابه كان هو الكتاب المتعلق بالموضوع، فقد بدا لي من الأهمية بمكان كتابة مقال نقدي مطول عنه . ويسعدني الآن أن التقدير الأفضل قد انتصر في النهاية ، وأنني مزقت ما كان في طريقه ليصبح مقالاً طويلاً . لقد تبين لي أنه إذا ما قال كل منا ما لديه ، فسوف يبقى لسبيرو أنه كان هناك وأنني لم أكن» (٢٥٩: ٢ ـ ٣)

كذلك فقد أشار بتلهايم في مقال له نشر عام ١٩٦٢ أي قبل زيارته لإسرائيل بعامين تحت عنوان «ترى أتجدي التربية الجماعية ؟ مثال الكيبوتز» (٢٥٦) إلى أنه «بدلاً من تقبل تلك الخصوصيات المميزة لأحد الوالدين أو لكليهما ، فإن الأمومة المتعددة تحول دون التوحدات الشديدة بشخص واحد . وتجعل الطفل متقبلاً لما يسود الجماعة من قيم وأنماط متسقة» .

وعلى أي حال فإن الجذور النظرية البعيدة لاهتمام بتلهايم بتجربة الكيبوتز إنما ترجع إلى فكرة شغلته منذ فترة اعتقاله في أوشفيتز وبوخنفالد وظل صداها يتردد في كتاباته منذ ذلك الحين (٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) وخلاصة تلك الفكرة هي ما يمكن أن تلعبه البيئة المحيطة من دور غلّاب في تغيير الشخصية الإنسانية ـ حتى بالنسبة للراشدين ـ تغييراً جذرياً عميقاً . وهي فكرة يدرك بتلهايم ـ وهو محلل نفسي ـ مدى تعارضها مع أساسيات التحليل النفسي (٢٥٥ : ٩ ـ ١٢) ولعل ذلك هو أحد أسباب تكرار ترددها في كتاباته جميعاً .

ويربط بتلهايم بين فكرته تلك وتجربة الكيبوتزات ربطاً مباشراً صريحاً في كتابه : **القلب الواصل** (٢٥٥) . ففي ذلك الكتاب وبعد أن يعرض بتلهايم لفكرته تلك وكيف واتته في خضم خبرته في معسكر اعتقال بوخنفالد يقول :

> **وبعد ذلك بكثير، وفي سياق مختلف تماماً أو لعله ليس على هذه الدرجة من الاختلاف[1] توافرت عدة وقائع أكثر شيوعاً بكثير . أعني دراسة الأشخاص الذين نشأوا في بيوت الأطفال الجماعية في الكيبوتزات الاشتراكية (كذا) بإسرائيل . لقد مر الكثيرون منهم بخبرات طفولية كان ينبغي وفقاً لنظرية التحليل النفسي أن تجعل شخصياتهم بعيدة تماماً عن الاستقرار . ولقد كانوا بالفعل أميل إلى الانعزال وعدم الاكتراث وفقاً للفهم التحليلي النفسي على الأقل . لقد نظر إليهم المحللون النفسيون باعتبارهم شديدو العصابية ولكنهم رغم ذلك كانوا هم الأشخاص**

---

(١) التخطيط من لدينا . ترى هل يشير بتلهايم دون أن يقصد إلى أن ثمة تشابه بين بوخنفالد والكيبوتز ؟

الـذين صمـدوا لـصعـاب تـفـوق الاحتـمـال دون أن يهتـزوا خـلال الحـرب من أجـل التحـريـر[1] (كـذا)، ومـرة أخـرى خـلال المعـركـة القصيرة ضـد مصـر[2]. كـل ذلـك فضـلاً عن مصـاعب الحيـاة المستمـرة في مستـوطنـات الحـدود عـرضـة لـلتسلسـل العسكـري العـربي . هـؤلاء الأشخـاص أنـفسهم الـذين كـان ينبغي وفقـاً لنـظريـة التحليـل النفسي القـائم أن تـكـون شخصيـاتهم ضـعيفـة وقـابلة لـلتفكـك ، هؤلاء الأشخـاص قـد تحـولـوا إلى قـادة بـطوليـين ، والسبـب في ذلـك إنمـا يـرجـع أسـاسـاً إلى قـوة شخصيـاتهم» (٢٥٥ : ٢١).

ولا يفوت بتلهايم أن يستدرك في حاشية نفس الصفحة التي ورد فيها النص السابق قائلاً : «لا أود أن يفهم من ذلك أن انعزالية المرء أو تباعـده انفعاليـاً من الخصائص البشرية المرغوبة أو أن الجمود يكفل حياة طيبة . كل ما أود أن أقوله هو أن نظرية التحليل النفسي في مجال الشخصية قاصرة في إشارتها لما يكفل تكوين الشخصية المرغوبة جيدة التكامل ويرجع ذلك إلى تركيزها المبالغ فيه على أهميـة الحيـاة الداخليـة إلى حد أهملت معـه الإنسان ككـل يتعامـل مـع بيئتـه البشـريـة والاجتماعية» (٢٥٥ : ٢١) .

لقد قال بتلهايم ذلك ، وأصدر تلك التقييمات جميعاً قبل أن يـرى الكيبوتـز الإسرائيلي . وكان طبيعياً أن تؤثر تلك التقييمات ذات التاريخ الطويل المؤصل نظرياً لـديه في خبـرته المبـاشرة في الكيبـوتز والتي يقـول عنها : «إن خبـرتي في الكيبوتـز قـد أقنعتني بأنه إذا كان ضرورياً أن يجد كل طفل نجمه الذي يتطلع إليه ، فإنه ليس من الضرورة في شيء أن تكون الأم هي هذا النجم . وإذا ما مضينـا خطوة أبعـد في استخدام التشبيه ، فإننا نستطيع أن نقول إن مجرّة النجوم يمكن أن تحل محل النجم المفرد» (٢٥٧ : ٤٧ ـ ٤٨) . ثم يمضي بتلهايم مؤكداً أنه « . . . مهما كان ما يفقده طفل الكيبوتز في طفولته المبكرة فإنه في المرحلة التالية بالتحديد يبلغ ذروة التلقائية ، وذروة النجاح في استخدام تلك التلقائية» (٢٥٧ : ٤٧ ـ ٤٨) .

وقبل أن نشرع في عرض النتائج التي توصل إليها بتلهايم من خلال دراسته

---

(١) يعني معارك ١٩٤٨ .

(٢) يعني غالباً معارك ١٩٥٦ .

للتجربة الكيبوتزية الإسرائيلية كما نشرها في كتابه : **أطفال الحلم** (٢٥٩) ينبغي أن نؤكد أمرين :

أولاً : إن إشارتنا إلى تلك الأحكام والتقييمات المسبقة التي كونها بتلهايم عن تجربة الكيبوتز قبل أن يقترب مباشرة من تلك التجربة ، لا يعني على الإطلاق مصادرة مسبقة منا على نتائج دراسته . كل ما يعنيه إيرادنا لتلك الأحكام المسبقة هو أنها قد تسهم في فهم تعسفاته وفي تفسير ملاحظاته .

ثانياً : صحيح أن برونو بتلهايم محلل نفسي يهودي ، وصحيح كذلك ـ ومفهوم أيضاً ـ أنه شديد التعاطف مع التجربة الإسرائيلية ، شديد التعصب لها . وصحيح فضلاً عن ذلك أن سيجفريد بيرنفلد المحلل النفسي اليهودي كان يمارس نشاطاً صهيونياً مبكراً حتى قبل أن يمارس التحليل النفسي (٣٨٦ : ٤١٦) . وأن اهتمامات تيودور رايك المحلل النفسي اليهودي بالتاريخ اليهودي والحضارة اليهودية والديانة اليهودية غنية عن البيان (٧٦٠ : ٢٥٢ ، ٨٤١) . وأن ماكس ايتنجتون المحلل النفسي اليهودي وتلميذ فرويد القديم كان صهيونياً فكراً وممارسة منذ شبابه إلى أن قضى عام ١٩٤٣ على أرض فلسطين (٧٩٩ : ٥١ ـ ٦٢) . وأن موشيه وولف محلل نفسي ، يهودي الديانة ، روسي المولد ، إسرائيلي الجنسية ، صهيوني الموقف (٥٦١ : ٢٠٠ ـ ٢٠٩) كل ذلك صحيح ، ولكنه لا يعني بحال أن التحليل النفسي هو المؤامرة الصهيونية في مجال علم النفس (٨٦ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ١٩٧) . إن عميد مدرسة الجشطلت كيرت ليفين قد بلغ بصهيونيته حد الإسهام العملي المباشر في الدعوة الصهيونية في الولايات المتحدة (٦٥ ، ١٧٢ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧) ولم يكن ذلك ليعني أن ننفض أيدينا من إسهامات الجشطلت في علم النفس بدعوى أنها صادرة عن عقل صهيوني . ومن ناحية أخرى فإن أتباع التحليل النفسي فكراً وممارسة ، لم يكونوا رايك ، وبيرنفلد ، وايتنجتون ، ووولف ، ومن إليهم فحسب . فهناك أيضاً إيريك فروم المحلل النفسي اليهودي المعادي للصهيونية (٤٣١) . وهناك أيضاً فرانز فانون المحلل النفسي الفرنسي الجنسية ، الجزائري الإقامة ، العربي الانتماء ، الذي استهل خطاب استقالته الموجه إلى الوزير النفسي المقيم بقوله : «إن التحليل النفسي إنما يهدف إلى تمكين الإنسان من التكيف مع البيئة ، والتخلص من الشعور بالوحشة والغربة والخوف . ولكي أكون محقاً مع نفسي فلا بد أن أقرر هنا أن الإنسان العربي في الجزائر يحس بالغربة والوحشة في

بلده . لقد قررت الوقوف مع الشرفاء. . .» (٤٠٦ : ٥٢) وموقف فانون وكتاباته إلى أن استشهد عام ١٩٦١ تفيض بتأكيد موقفه البطولي النضالي (٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧) .

لقد اختار بتلهايم أن يجري دراسته في كيبوتز إسرائيلي ينتمي لحزب الماباي الحاكم[1] . وهو يرجع ذلك الاختيار من ناحية إلى أسباب شخصية حيث أن بعض أعضاء ذلك الكيبوتز كانوا من تلامذة بتلهايم في جامعة شيكاغو . ومن ناحية أخرى فقد آثر بتلهايم ذلك الاختيار لأن الدراسات السابقة التي أجريت في الكيبوتزات الاسرائيلية سواء تلك التي قام بها سبيرو أو رابين قد أجريت في كيبوتزات تنتمي لحزب المابام (٢٥٩ : ٣٢١ ـ ٣٢٢) . وكان الكيبوتز موضع الدراسة يضم يهوداً من أوربا الشرقية (٢٥٩ : ٣٣٢) .

إلا أن بتلهايم قد جمع البيانات الإضافية من ثلاثة كيبوتزات أخرى تنتمي لنفس الاتحاد ويضم أحدها يهوداً من أوروبا الغربية ، والثاني يهوداً من ألمانيا وأوروبا الشرقية ، والثالث يهوداً من الولايات المتحدة الأمريكية . (٢٥٩ : ٣٢٣) . وذلك يعني أن دراسة بتلهايم قد انصبت بالتحديد على اليهود الإسرائيليين الاشكنازيم .

وقد استقى بتلهايم «البيانات الموضوعية من مقابلات أجريت مع عدة مئات من الأشخاص مسجلة على شرائط ، إلى جانب بعض الاختبارات الإسقاطية (اختبار الرغبات الثلاث ، واختبار رسم الشخص) . وقد طبقت تلك الاختبارات على ١٩١ طفلاً من أطفال الكيبوتزات الأربعة من تلاميذ الصف الثاني والثالث والرابع .

---

(١) تخضع الكيبوتزات الاسرائيلية لإشراف أربعة اتحادات تتباين ولاءاتها الحزبية السياسية كما يلي (وذلك وفقاً لبيانات احصاء ١٩٦٤) :

١ ـ اتحاد ايحود وقد تأسس عام ١٩٥١ ، وولاءه السياسي لحزب الماباي . ويتبع ذلك الاتحاد ٨١ كيبوتزاً تضم ٢٨ ألف عضو .

٢ ـ اتحاد داتي وقد تأسس عام ١٩٣٠ ، وولاؤه السياسي لحزب مزراحي ويتبعه ١١ كيبوتزاً تضم ٣٥ ألف عضو .

٣ ـ اتحاد هاآرتزي وقد تأسس عام ١٩٢٧ ، وولاؤه السياسي لحزب المابان ويتبعه ٧٣ كيبوتزاً تضم ٢٨٥٠٠ عضو .

٤ ـ اتحاد ميوحاد وقد تأسس عام ١٩٢٧ ، وولاؤه السياسى لحزب هافودا . ويتبعه ٥٨ كيبوتزاً تضم ٢٢٥٠٠ عضو .

ولم أورد هنا نتائج تلك الاختبارات. . . حيث إنها قد قننت لثقافة تختلف ملامح قيمتها عن الكيبوتز . وذلك رغم أن نتائج تلك الاختبارات تدعم بشدة وجهات النظر التي تضمّنها هذا الكتاب من حيث نتائج تربية الكيبوتز وما تخلقه من شخصية» (٢٥٩ : ٣٥٧) .

ولا يفسر بتلهايم لماذا إذن طبّق تلك الاختبارات ما دام لا يرى لها أدنى قيمة ، إلى حد أنه يغفل الإشارة إلى نتائجها مطلقاً في دراسة . ثم هو لم يفسر أيضاً كيف يمكن لنتائج تلك الاختبارات التي «قننت لثقافة تختلف ملامح قيمها عن الكيبوتز» أن «تدعم بشدة وجهات النظر التي تضمّنها هذا الكتاب من حيث نتائج تربية الكيبوتز» . على أي حال فإن بتلهايم يشير بوضوح في مستهل كتابه إلى أنه مجرد «تقرير بالغ الشخصية والانطباعية» (٢٥٩ : ٨ - ٩) وهذا صحيح .

يؤكد بتلهايم وهو بصدد حديثه عن الاضطرابات الانفعالية لدى أطفال الكيبوتز أن أحكامه لا تقف على أرضية ثابتة وذلك «لعدم التيقن من أي المجموعات يمكن المقارنة بها في أمريكا : أهي الجماعة الريفية الصغيرة ؟ ولكن جماعاتنا الريفية الصغيرة تبدو أكثر ابتعاداً عن تيار المجريات الحضارية والفكرية عن أولئك الذين يعيشون في الكيبوتز . أتصلح للمقارنة إحدى الجماعات المشابهة للكيبوتز من حيث المستوى الحضاري والاجتماعي ؟ ولكن مثل تلك الجماعات في أمريكا سوف لا تعيش على الأرض الزراعية كما أن أفرادها سوف لا يكونون من العاملين بالزراعة» (٢٥٩ : ١٨٧ - ١٨٨) .

إن استخلاص أهم نتائج مثل ذلك «التقرير الشخصي الانطباعي» ليس بالمهمة الميسورة ، خاصة إذا كان ذلك التقرير يطول إلى ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين صفحة . فاستخلاص مثل تلك النتائج من خلال حديث مرسل ممتد بالأسلوب الذي اتبعه بتلهايم ، أمر تتهدده أساساً تدخل انتقائية الباحث وذاتيته في اختيار ما يتصوره مهماً من النتائج وإهمال ما عدا ذلك . ولقد حاولنا تلافي مثل تلك الذاتية باتباع أسلوب محدد في تفريغ ثم في عرض بيانات تقرير بتلهايم تتلخص خطواته فيما يلي :

١ - تفريغ كافة العبارات أو الإشارات التي تضمنها التقرير والتي تنصب على مشاهدات امبيريقية يقرر بتلهايم صراحة أنه شاهدها بالفعل . سواء تضمنت تلك

المشاهدات سلوكاً حركياً أو تعبيراً لفظياً . وسواء صدر ذلك السلوك أو التعبير عن أبناء الكيبوتزات أو المربين في الكيبوتزات أو غير ذلك من الشخصيات **الاسرائيلية** .

٢ ـ تمت عنونة كل عبارة وفقاً لمضمونها السيكلوجي .

٣ ـ تم تصنيف العبارات جميعاً وفقاً لما أسفرت عنه عملية العنونة السابقة .

٤ ـ تم تسجيل موجز لتفسيرات وتعليقات بتلهايم على كل عبارة على بطاقات منفصلة .

ولقد أسفر ذلك عن عدة خصائص أو سمات نفسية وردت الإشارة إلى وقائع تتصل بها ـ نفياً أو إثباتاً ـ في تقرير بتلهايم ، ولسوف نعرض لتلك الخصائص بإيجاز مشيرين إلى أمثلة من الوقائع التي أوردها بتلهايم :

أولاً ـ العدوان :

يقرر بتلهايم وهو بصدد الحديث عن فترة الرضاعة والطفولة المبكرة في الكيبوتز «أنني لم أر حالة مقواة واحدة قاوى[1] فيها طفل طفلاً آخر . ولقد رأيت الرضع الأضعف يدفعون بواسطة الأكثر قوة ، ولكن بلا قصد على الإطلاق ـ إذا كان للمرء أن يتحدث عن التعمد في مثل هذه الأمور قبل سن الثانية ـ وأيضاً بلا تشف» . (٢٥٩ : ٨٨) .

ويقرر بتلهايم كذلك في موضع آخر وهو بصدد الحديث عن مرحلة الكمون «لم ألحظ ولو مرة واحدة أي عراك بدني بين الأطفال الكيبوتزيين . ولم أر ولو مرة واحدة أيضاً ـ فيما بعد هذه السن التي كانوا يدفعون فيها بعضهم البعض في ساعة اللعب ـ طفلاً يدفع الآخر ناهيك عن الضرب بالأيدي أو القذف بالأشياء . ولقد سألت مراراً عن سبب ذلك ، وكانت الإجابة هي نفسها دائماً : حينما تكون ثمة اعتراضات ، فإنهم لا يذهبون أبداً إلى أبعد من التعبير اللفظي . فليس من عراك بينهم حول من

---

(١) قاويت فلاناً أي غالبته في القوة فقويته : غلبته (١٠٧) . ولقد آثرنا استخدام التعبيرات قاوى ومقاو ومقاواة كمشتقات من الفعل الانجليزي Bully بدلاً من «المشاغبة» (٢٩٤) حيث أن الشغب ليس بقاصر على القوة البدنية وحدها . شغب القوم وعليهم وفيهم وبهم ـ شغباً : هيج الشر بينهم . ويقال شغب فلان : أحدث فتنة وجلبة . وشغب عن الطريق وغيرها : حاد (٣٣) .

يأتي أولاً ، ومن يجلس هنا إلى آخره» (٢٥٩ : ١٧٥) .

وتمضي غالبية عبارات بتلهايم المتعلقة بالعدوان في هذا الاتجاه . ليس من عدوان بدني شاهده بتلهايم ـ فيما يقول ـ لدى أبناء الكيبوتزات رضعاً أو مراهقين . إلا أن ثمة إشارات قليلة يوردها بتلهايم أيضاً ولا تبدو متسقة تماماً مع هذا الاتجاه . يشير بتلهايم مثلاً إلى المقابلات التي أجراها بعض الشبانُ في سن الثامنة عشر والتي كانت أقرب إلى الالتزام بأسلوب التحليل النفسي من حيث الإلحاح على استدعاء الذكريات . خلال تلك المقابلات وبعد ضغط في اتجاه استدعاء ذكرياتهم عن طفولتهم ، وبعد أن أخبروا بتلهايم أنه ليس لديهم أية ذكريات عن المربيات اللاتي كن يعتنين بهم «وحين ضغطت عليهم ، مصرا على أنه لا بد وأن يكون ثمة شيء ما يذكرونه عن تلك السنوات المبكرة ، بدأوا جميعاً في الضحك . لقد تذكروا أنهم حين كانوا في حوالي السادسة أو السابعة[1] ، وبينما كانوا ينتقلون من مقر رياض الأطفال إلى منزل تلاميذ المرحلة الابتدائية ، قاموا بإحراق بيت الدمى . ولم يكن ذلك الفعل من وحي اللحظة بل كان حريقاً تم تدبيره بإحكام . وذلك لأنهم قد استعادوا تفصيلاً كيف كان الأولاد يتدارسون الإقدام على ذلك ، وكيف أن الفتيات لم يكنّ يصدقن في البداية أنهم سوف يجرأون على ذلك. . . ولعل شيئاً ما يمكن استخلاصه من حقيقة أن ذلك هو ما ورد إلى أذهانهم تلقائياً حين ضغطت عليهم مطالباً بذكريات عن **أشخاص**[2]» (٢٥٩ : ١٠٥) . ويمضي بتلهايم مفسراً الواقعة بقوله: «وإذا ما كنت على حق ، فإن البيت قد حلّ مكان هؤلاء الأشخاص ، وبالتالي فقد صبّوا غضبهم الناجم عن الهجران على بيت الدمى طالما أنهم لا يستطيعون أن يغضبوا من مربياتهم» (٢٥٩ : ١٠٥) .

تلك هي أهم الإشارات التي أوردها بتلهايم سلباً وإيجاباً فيما يتعلق بعدوانية الكيبوتزيين . أما فيما يتعلق بنفيه الحاسم لمشاهدته لأي عدوان بدني صريح يتبادله أبناء الكيبوتز عن عمد ، فهو أمر يتعارض مع غالبية المشاهدات التي أوردها غيره من الباحثين على تباين ولاءاتهم الايديولوجية ومواقفهم من التجربة الإسرائيلية (١٨٤ ، ٥٨٨ ، ٩٤٥) .

---

(١) أجريت المقابلة مع مجموعة من الشبان الكيبوتزيين الذين نشأوا سوياً منذ طفولتهم وكانوا في فترة المقابلة على وشك الالتحاق بالخدمة العسكرية (٢٥٩ : ١٠٥) .

(٢) التأكيد من لدينا .

وعلى أي حال فإن لنا على ملاحظات بتلهايم عدة تحفظات أهمها : ـ

(أ) أن قضية «التعمد» التي طرحها بتلهايم قضية ذاتية تماماً . ومن هنا فإنه قد يشاهد من العدوان ما شاهده غيره ومع ذلك فإنه يتجاهله ـ أو يتجاهل دلالته على الأقل ـ طالما أنه عدوان غير متعمد . ذلك رغم أن بتلهايم نفسه يشير إلى صعوبة الاعتماد على محك «التعمد» هذا في تصنيف عدوانية أطفال لا يتجاوزون الثانية .

(ب) لم يحاول بتلهايم أن يربط أو يفسر اختفاء مظاهر العدوان البدني ـ وفقاً لما شاهده ـ اختفاءً تاماً لدى الأطفال ، وبين ورود إشارات إلى عدوان عنيف ومخطط في ذكريات الراشدين . خاصة وأن ذلك العدوان ـ وفقاً لتفسير بتلهايم ـ كان موجهاً في الأساس إلى أشخاص ثم أزيح إلى مبان وما أشبه بعد ذلك . وخاصة أيضاً أن تلك الإشارات قد أوردتها جماعة نشأت معاً مما ينفي شبهة أن يكون ذلك مجرد تخيلات . وعلى أي حال فإن للتخيلات التي على ذلك القدر من العدوانية دلالتها الهامة .

ثانياً ـ التسطح الانفعالي :

وهو اصطلاح صكه بتلهايم نفسه وهو في معرض حديثه عن نتائج التربية الكيبوتزية (٢٥٩ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨) وإن لم يعن كثيراً بتعريفه تعريفاً محدداً . وعلى أي حال ، فإن التعريف الشائع لهذا الاصطلاح هو «غياب غير ملائم للاستجابة الانفعالية المناسبة كما يحدث حين يبتسم شخص ذهاني بسعادة أو حين **لا يبدي أي استجابة على الإطلاق** بينما يعاني من خبرات أو أعراض مفزعة»[1] (٤٢٠) .

وانطلاقاً من ذلك التعريف أمكننا أن نحصي العديد من الوقائع التي تشير إلى وجود تلك الخاصية وانتشارها لدى أبناء الكيبوتز .

تقول إحدى مربيات الأطفال في الكيبوتز «إن أطفالي الكبار حين يقابلونني لا يحيونني . وحتى إذا ما قمت أنا بتحيتهم حتى أشعرهم بخطئهم ، فإنهم يمضون دون أن ينبسوا ببنت شفة» (٢٥٩ : ٩٩.) .

كذلك فقد لوحظ أن الأطفال حين يعودون أحياناً إلى بيت الأطفال حيث كانوا

---

(١) التأكيد من لدينا .

يقيمون وهم صغار لم يكونوا يعيرون انتباهاً للمربيات القدامى بدرجة كانت تجعل هؤلاء يشعرن بالإهانة (٢٥٩ : ٩٩) .

كذلك فإن الآباء والأمهات يشكون من أن معاملة أبنائهم لهم تتسم «بالبرود وعدم المبالاة بل والجفاء» (٢٥٩ : ١٨٨) .

ويقول بتلهايم في هذا الصدد: «إن الأمر الأكثر دلالة هو ما يبدو كما لو كان تسطحاً انفعالياً لدى الجيل الثاني . وحين أثرت هذا التساؤل مع المربيين الكيبوتزيين قيل لي مراراً وتكراراً ـ إلى حد يشعر المرء معه أنه حيال إجابة محفوظة ـ أن أولئك الشبان شديدو الخجل من الغرباء . وأنهم ينغلقون على أنفسهم إلى حد لا يستطيعون معه الإفصاح عن مكنوناتهم سوى لأولئك الذين تربطهم بهم علاقات شخصية وثيقة . ولكن لديهم رغم ذلك أعماقاً عظيمة» (٢٥٩ : ٢٨٧) . ويعلق بتلهايم على تلك الإجابة بقوله: «ولكن الحديث عن ذلك العمق الذي يفصح عن نفسه في مختلف التفاعلات المتبادلة بين الأشخاص ليس ـ في أفضل الأحوال ـ سوى حكم ذاتي مطلق . وعلى أي حال فلقد أخفقت في استثارة أي من تلك الأعماق في الأجيال الشابة» (٢٥٩ : ٢٨٨) .

وإذا كانت ملاحظات وتفسيرات القائمين على شئون التربية في الكيبوتز تستثني العلاقات المتبادلة داخل «جماعة الأقران» وما يسود علاقات أبناء الكيبوتز من تسطح انفعالي ، فإن ملاحظات بتلهايم لتلك العلاقات تدحض مثل ذلك الاستثناء . يقول بتلهايم : «قد تتسم العلاقات المتبادلة بين الأقران بالشفقة ، أو بالاستمتاع ، أو بالتضحية حتى الموت . ولكنهم لا يستطيعون على الإطلاق التعبير عن مشاعرهم الشخصية العميقة . إن أحداً منهم لا يستطيع أن يستسلم للآخر انفعالياً . وإذا ما تسللت العواطف ووجدت لنفسها طريقاً إليهم ، فإنهم يهونون من شأنها وسرعان ما يقمعونها» (٢٥٩ : ٢٦٠) .

ويتفق ذلك مع ما يشير إليه أحد مدرسي الكيبوتزات من أن تلاميذه «لم يكونوا ليستطيعوا أبداً قراءة ما كتبوه أمام الفصل ، ولا حتى عرضه على زملائهم الآخرين ولم يكن لذلك أدنى علاقة بما إذا كان ما كتبوه يمس أموراً شخصية أم لا» (٢٥٩ : ٢٦١) .

ثالثاً ـ الخوف من الظلام :

يقول بتلهايم وهو بصدد التعقيب على ما يقتضيه نظام الكيبوتز من انتقال الأطفال وفقاً لتقدمهم في العمر من مربية إلى أخرى ، ومن مكان إلى آخر : «في محاولة مني لفهم ما تعنيه مثل تلك التنقلات انفعالياً بالنسبة للأطفال ، تساءلت عما إذا كانوا يبدون أية مخاوف ليلية عند انتقالهم إلى بيت جديد ومربية جديدة . وكانت الإجابة التي تلقيتها : بصراحة ، إن بين أطفالنا العديد من حالات الخوف ، ولكننا لم نجد أن تلك المخاوف نتاجاً لانتقال الطفل مع تقدمه في السن من شخص إلى آخر في نطاق النسق التربوي» (٢٥٩ : ١٠١) .

كذلك يشير بتلهايم إلى أنه حينما كان يستثير ذكريات الطفولة لدى الشبان ولو بأسئلة محايدة مثل : ما الذي تتذكره عن طفولتك ؟ أو ما هي انطباعاتك عن طفولتك ؟ فإن غالبية السلبيات التي كانت تستحوذ على إشاراتهم كانت تتمثل في استعادتهم للمخاوف من الظلام وخاصة أثناء الذهاب إلى دورة المياه في ظلام الليل. ويعبر أحدهم عن ذلك بقوله: «أذكر خبرة أثارت في نفسي خوفاً شديداً: حين كان علي أن أذهب إلى دورة المياه عبر ممر طويل دائم الظلام» (٢٥٩ : ١٤٦) .

ويحلل بتلهايم مخاوف أطفال الكيبوتز من الظلام بقوله : «إن الظلام بالتحديد هو ما يثير خوفهم ، وليس الشعور بالوحدة ، فالخوف من الظلام يتكون من عوامل عديدة أكثرها أهمية عاملان : أولهما ألا يستطيع المرء رؤية ما قد يكون مختبئاً في الأركان ، وثانيهما: الخوف من الهجران . وخوف الطفل الكيبوتزي من الظلام لا يتضمن سوى العامل الأول فحسب ، فهو منذ مولده لم يترك وحيداً قط» (٢٥٩ : ١٠٣) .

ونستطيع أن نعرض لملاحظاتنا على تفسير بتلهايم لمخاوف أطفال الكيبوتز من الظلام على الوجه التالي :

١ ـ الخوف سلوك متعلم مكتسب ، أو بالتحديد فإن الموضوعات التي تثير الخوف يتم تعلمها واكتسابها ولذلك فهي تختلف من جماعة إلى أخرى بل ومن فرد إلى آخر . ولو تناولنا العامل الأول الذي يرى فيه بتلهايم المكون الأساسي لخوف أطفال الكيبوتز من الظلام . أي الخوف مما قد يخبئه الظلام . فإن لنا أن نتساءل : ترى مَن الذي علّم أطفال الكيبوتز أن ثمة شيئاً مخيفاً قد يختبىء في الأركان

المظلمة ؟ مثل ذلك التعلم في الجماعات التقليدية ـ غير الكيبوتزية ـ يقوم به الكبار من خلال القصص المخيفة التي يلجأون إليها أحياناً كوسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية ، وهو أمر بعيد عن التوقع بالنسبة لمربيات الكيبوتز . وبالتالي فإن ذلك العامل الذي يراه بتلهايم أساسياً ، نراه الأبعد عن التوقع وبالتالي عن التأثير .

٢ ـ أما العامل الثاني فقد استبعده بتلهايم كمصدر للخوف من الظلام ، وهو مخافة الهجران ، اعتماداً على تسليمه بأن الطفل الكيبوتزي «منذ مولده لم يترك وحيداً قط» والحقيقة التي تشير إليها بحوث جيفيرتز والتي سبق أن تعرضنا لها (٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩) تؤكد أن الطفل الكيبوتزي يترك وحيداً بالفعل ولفترة طويلة . وإذا كان ذلك يمكن أن يبرر خوف الطفل من الهجران ، فإن ثمة احتمالاً أيضاً أن يكون ذلك الهجران الفعلي المبكر ، قد كفل للطفل وقد كبر مناعة حيال ما قد يثيره الهجران من خوف . باختصار فإننا أميل إلى استبعاد العامل الثاني أيضاً ، ولكن لأسباب تختلف عن تلك التي يستبعده من أجلها بتلهايم .

٣ ـ إن ثمة عاملاً آخر ، لم يشر إليه بتلهايم ، ونراه الأرجح في تكوين مخاوف أطفال الكيبوتز من الظلام . إنه العدوان المتبادل السائد بين أفراد جماعة الأقران الذين يقضون الليل سوياً . لقد أشارت نتائج بعض البحوث (١٨٤ ، ٥٨٨) إلى أن ثمة عدوانية ملحوظة متعددة الصور تسود علاقة الأطفال الكيبوتزيين . ولسوف نشير فيما بعد ، خلال عرضنا لنتائج دراسات ملفورد سبيرو (٩٤٥) إلى ما يؤكد ذلك . والمشكلة أن تلك الملاحظات جميعاً قد انصبت على الأطفال في فترات صحوهم ، دون أن يورد أي من الباحثين تسجيلاً لملاحظاته عن الفترة التي يقضيها الأطفال في مقار نومهم . إن تلك الفترة تمثل نقطة مظلمة من تيار البحوث المتوافرة عن التنشئة الاجتماعية في الكيبوتزات . ولكننا نستطيع على أي حال أن نتوقع تزايداً ـ أو على الأقل لا نتوقع تناقصاً ـ للعدوان المتبادل بين الأطفال في غيبة الراشدين تماماً رغم سلبية الدور الذي يلعبه أولئك الراشدون ـ أي المربيات ـ في السيطرة على عدوانية الأطفال في فترات صحوهم . ولو صح توقعنا لاتضحت الصورة . فالأرجح أن ما يبديه أطفال الكيبوتز من مخافة الظلام إنما يرجع إلى ما يحمله ذلك الظلام من عدوان يمارسونه بعضهم على البعض ، أو بالتحديد يمارسه أقوياؤهم على ضعافهم رغم تقاربهم عمرياً .

رابعاً ـ البوال :

يعلق أحد القادة التربويين في الكيبوتز الذي أجرى فيه بتلهايم دراسته على مشكلة البوال بقوله: «إنها إحدى المشكلات التي سوف نناقشها في الكيبوتز. ولقد قررنا إلى أن يتم ذلك ألا نتخذ اجراءاً حيالها حتى يتسنى لنا أن نقلب فيها الرأي وأن نعرف ما هو الاتجاه الصحيح الذي ينبغي اتخاذه بشأنها ، وفي نفس الوقت فإن علينا أن نسلّم بحقيقة أن عدد من يبللون فراشهم كل ليلة ممن يبلغون التاسعة يصل لدينا إلى ثمانية أطفال من بين كل عشرين طفلاً» (٢٥٩ : ١٤٧ ـ ١٤٨) .

ويرجع بتلهايم ارتفاع معدل البوال بين أطفال الكيبوتز إلى سببين :

١ ـ ما يسود أساليب التنشئة الاجتماعية في الكيبوتز من تسامح فعلي حيال التدريب على عمليات الإخراج . سواء كان ذلك تسامحاً مقصوداً أم كان راجعاً ـ وبالذات في حالة البوال ـ إلى عدم تواجد المربية مع الأطفال أثناء نومهم ، وانشغالها عن توجيههم أثناء صحوهم (٢٥٩ : ١٤٨) . ونحن نتفق مع بتلهايم على ضرورة وضع ذلك العامل التعليمي في الاعتبار عند محاولة فهم ارتفاع معدلات البوال بين أطفال الكيبوتز . ولكن ليس باعتباره العامل الحاسم .

٢ ـ أما بصدد العامل الثاني الذي يرى فيه بتلهايم مسبباً لارتفاع معدل البوال بين أطفال الكيبوتز فإنه يقول: «إنه لمن المفهوم أن المجتمع الذي يركز اهتمامه على تلاشي كافة الميول نحو الاحتفاظ بالأشياء ، سواء كانت تلك الاشياء ممتلكاتاً أو تقاليداً أو أطفالاً ، مثل ذلك المجتمع سوف يجد صعوبة شديدة في تعليم هؤلاء الأطفال الاحتفاظ بأي شيء على الإطلاق ومن هنا كانت معاناة المربين الكيبوتزيين من التناقض الوجداني حيال إقدامهم على توجيه أولئك الأطفال إلى الاحتفاظ بفضلاتهم حتى الذهاب إلى دورات المياه . ولعل تلك الرغبة في تعليم الأطفال ألّا يحتفظوا بشيء، قد تفسر ولو جزئياً رفضهم ترك أطفالهم يحتفظون بحلمة الرضاعة سواء كانت حلمة ثدي أو زجاجة ، كما أنه قد يفسر عدم ترك هؤلاء الأطفال فيما بعد يحتفظون بلعبهم أو حتى بآبائهم أنفسهم» (٢٥٩ : ١٤٩) ولو صح ما يقول به بتلهايم إذن لارتفعت نسبة البوال أيضاً بين أبناء الكولخوزات السوفيتية والكوميونات الصينية وما إليها . وهو ما لم يقم عليه دليل سواء في حدود ما حاولنا تقصيه أو فيما أورده بتلهايم نفسه .

خامساً ـ مص الابهام :

يتسم الموقف من عمليات الإخراج ـ كما سبق أن أشرنا ـ بقدر كبير من التسامح في الكيبوتز ، ولكن الأمر يبدو على العكس تماماً فيما يتعلق بمص الابهام . ويورد بتلهايم تفسيراً قدّمه أحد المربين الكيبوتزيين لذلك الموقف يقول فيه: «لقد قرأنا فرويد ، ثم أنا فرويد ، واستقر لدينا أن مص الطفل لإصبعه يعد علامة على أنه في حاجة إلى شيء ما . وبالتالي فقد شعرنا أنه يجب علينا أن نتيح للطفل تلك اللذة . ولكن بعد سنوات قليلة تصورنا أننا لو لم نمنح أطفالنا سوى الحرية واللذة فحسب، فإننا بذلك سوف لا نهيئهم للانضباط أي لتقبل سيطرة الكيبوتز عليهم ، ولتعلم الضبط الذاتي . ومن هنا كان علينا من أجل أن نعلّم أطفالنا تقبل برنامج الحياة اليومي ، وأن نتيح لهم الانتماء إلى مجتمعهم الطفلي ، أن نغير من اتجاهنا» (٢٥٩ : ٧٩) .

ويطرح مربٍ كيبوتزي آخر تصوره للمشكلة بقوله: «إذا ما كان مص الإبهام يمثل إشباعاً تعويضياً نتيجة لحاجة شديدة ، فإننا نشعر أنه إذا ما قضينا على تلك العلامة الظاهرة الدالة على الحاجة ، فمن المحتمل أننا بذلك سوف نؤثر إلى حد ما على تلك الحاجة نفسها» (٢٥٩ : ٨٠) .

وعلى أي حال فإن بتلهايم ينفي انتشار عادة مص الإبهام بين أطفال الكيبوتز مقرراً «إنني خلال زيارتي لعديد من الكيبوتزات. . . لم ألحظ أن انتشار الظاهرة مص الإبهام لدى الأطفال يفوق نظيره في الولايات المتحدة الأمريكية. . .» (٢٥٩ : ٣٢٩) .

ويدرك بتلهايم تناقض مشاهداته مع ما أسفرت عنه مشاهدات غيره من الباحثين وخاصة جيرالد كابلان في بحثه المنشور عام ١٩٥٤ والذي سبق أن أشرنا إليه (٥٨٨) . ويفسر ذلك التناقض بأنه قد مضى زمن طويل على مشاهدات كابلان مما يوحي بأنها كانت سابقة على اتجاه الكيبوتزات إلى التشدد حيال مص الابهام .

سادساً ـ الجناح :

يشير بتلهايم إلى أنه ليس ثمة مظاهر تدل على وجود جناح الأحداث لدى الكيبوتزيين (٢٥٩ : ٤٩ ـ ٥٢ و ٣٢٩ ـ ٣٣٠) وهو في ذلك يتفق تماماً مع ما تشير إليه نتائج غيره من الباحثين (٥٧٩ ، ٧٥٣) .

سابعاً ـ الجمود :

رغم عدم استخدام بتلهايم لمصطلح «الجمود» في كتابه على الإطلاق إلا أن ثمة إشارات عديدة تؤكد اتصاف أبناء الكيبوتزات بالجمود أياً كان التعريف الذي نرتضيه للجمود (٣٠٥: ١١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٦٠٤ ، ٦٧٤ ، ٦٨٩: ١٠٦ ، ٦٩٤ ، ٧٨٥: ٦٦) . إن أبناء الكيبوتزات لا يودون تغييراً ولا يقترحونه (٢٥٩ : ١١٢) . «وليس من فرصة في الكيبوتز لحدوث أي اختلاف في الرأي بين جماعة الأقران لأنه ليس من مصدر تأتي منه الأفكار المختلفة» (٢٥٩ : ٢١٩) . والمربون لا يجدون أي غضاضة في أن يقمع الفرد رغباته المعارضة لقيم الكيبوتز وأن يستنكرها ، أي أن ينصاع انصياعاً كاملاً للقيم السائدة ، فذلك القمع فيما يرى أحد هؤلاء المربين «يساعد الشباب على التوحد بقيم الكيبوتز» (٢٥٩ : ٢١٤) ويقول أحد مدرسي الكيبوتز ، وقد كان كيبوتزياً قبل أن يشرع في ممارسة التدريس في مدارس الكيبوتز والمدينة : «لقد استخدمت دون جدوى كافة أنواع المناهج لتعليمهم (أي الكيبوتزيين) أن يكونوا تلقائيين ، وأن يكونوا مبدعين في كتاباتهم» (٢٥٩ : ٢٦١) . فالكيبوتز «يقاوم التغير ويقلقه التجديد» (٢٥٩ : ٢٨٦) . والطفل الذي يبدي أقل تململ من معايير الكيبوتز يعتبر مريضاً ومضطرباً انفعالياً إلى حد تحويله إلى المعالج النفسي لعلاجه من «أعراضه» (٢٥٩ : ١٨٨ ـ ١٨٩) .

وترتبط خاصية الجمود هذه لدى أبناء الكيبوتزات بخاصية أخرى هي عدم القدرة ـ وبالتالي النفور ـ من التصورات المجردة . يقول بتلهايم : «كثيراً ما سألت أفراداً من الجيلين الثاني والثالث في الكيبوتز : ترى ما الذي يمكن أن تصبح عليه مشاعركم حيال الكيبوتز : لو كنتم قد ولدتم ونشأتم في المدينة ؟ وكانت الإجابة في الغالبية العظمى من الحالات : سوف أكون على ما أنا عليه تماماً ، متمسكاً تماماً بنفس وجهات النظر التي أتمسك بها الآن لأنها هي وجهات النظر الصحيحة . وكانت الإجابة في حالات قليلة : إنني لم أنشأ هناك ومن ثم فلست أستطيع الإجابة على ذلك السؤال . ولم أصادف ولو مرة واحدة إجابة مثل : يحتمل آنذاك أن تختلف نظرتي إلى الأمور كثيراً» (٢٥٩ : ١٧١) . ويعلق بتلهايم على ذلك بقوله : «إن الخروج من الذات ثم النظر إليها ليس بالموقف الذي يعرفه مثل هؤلاء الشبان» (٢٥٩ : ١٧٢) . ولعلنا لا نجاوز الحقيقة كثيراً إذا ما تصورنا ذلك السلوك مؤشراً على سيادة التفكير العياني لدى أبناء الكيبوتزات .

٤ ـ دراسات ملفورد سبيرو

ملفورد سبيرو . أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة كونكتيكت بالولايات المتحدة الأمريكية حصل عام ١٩٥١ على منحة لمدة عام دراسي قضاها مع زوجته ـ ومساعدته ـ أودري جولدمان سبيرو في دراسة ميدانية لأحد الكيبوتزات الإسرائيلية . وشرع في نشر نتائج دراسته تلك منذ عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٧ (٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦) وكان سبيرو ينوي أن ينشر النتائج الأساسية لدراسته في ثلاثية متتالية استهلها بكتابه المعنون : **«الكيبوتز : مغامرة في يوتوبيا»** (٩٤٦) الذي خصصه لعرض المناخ الاقتصادي الاجتماعي الذي تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية في الكيبوتز ثم ثنى بكتابه الأساسي : **«أطفال الكيبوتز»** (٩٤٥) الذي تعرّض فيه لتفاصيل عمليات التنشئة الاجتماعية وتأثيراتها على تطور الشخصية في الكيبوتز . وكان الكتاب الثالث ـ خاتمة الثلاثية ـ سوف يخصص لديناميات شخصية السابرا الكيبوتزيين كما تفصح عنها الاختبارات الإسقاطية . ولكن ذلك الكتاب لم يصدر ، وظلت ثلاثية سبيرو ناقصة حتى الآن لأسباب قد يخرجنا التعرض لها عن مجال بحثنا الأساسي إلى حد ما .

وقبل أن نعرض لتفاصيل نتائج بحوث سبيرو ينبغي أن نتعرض بشيء من التفصيل للأسلوب الذي اتبعه خلال دراسته الميدانية الرئيسية والتي استقى منها نتائج جميع بحوثه المنشورة (٩٤٥: ٤٦٥ ـ ٤٧٥) . لقد استخدم سبيرو العديد من الأساليب لجمع البيانات التي تصف نسق التنشئة الاجتماعية في الكيبوتز ، والتي تصف كذلك جوانباً مختارة من شخصية وسلوك السابرا فاستعان بالملاحظات المنظمة ، وبالملاحظات الحرة ، وبالمقابلات ، وبالاختبارات النفسية وبالاستبيانات ، وبالوثائق الخطية والمنشورة .

وترتكز الغالبية العظمى من التقارير والأوصاف المتعلقة بعملية التنشئة الاجتماعية في الكيبوتز ، وتطور الشخصية في السنوات الست الأولى ، على الملاحظات المنظمة لسلوك الأطفال والتي قام بها سبيرو بالاشتراك مع زوجته . ونظراً لأن سبيرو وزوجته كانا يعملان[1] في الكيبوتز من الصباح حتى الظهيرة ، فإنهما لم

(١) كان قيام سبيرو وزوجته بالعمل في الكيبوتز التزاماً منهما بمنهج الملاحظة بالمشاركة .

يكرسا للبحث سوى الفترة منذ الظهيرة حتى المساء . وبعد مضي بعض الوقت تمكنا من تعديل نوبات عملهما أسبوعياً بحيث أصبح في إمكانهما القيام بملاحظات صباحية ومسائية على حد سواء .

وكانت الملاحظات تتم على مرأى من المفحوصين سواء كانوا الأطفال أو المربيات وذلك لعدم توافر زجاج أحادي الشفافية . وكان سبيرو وزوجته يحاولان دائماً أن يصبحا «موضوعات محايدة وغير فضولية في بيئة الكيبوتز» (٩٤٥: ٦٥ - ٦٦) وكان موقفهما العام أثناء الملاحظة هو عدم التدخل فيما يحدث بين الأطفال حتى لو اعتدى طفل على آخر .

ويقول سبيرو: «كان أسلوبنا في الملاحظة والتسجيل أسلوباً بسيطاً لقد حاولنا أن نسجل سلوك الأطفال والمربيات بأكبر قدر ممكن من التفصيلات . وبما يتضمنه ذلك السلوك بالطبع من تعبير لفظي . ولذلك فقد تعلمت العبرية قبل ذهابي إلى إسرائيل . ولكن زوجتي لم تتعلمها إلا بعد استقرارنا في كيريات[1] بيديم . وكانت معرفتها بها كافية لفهم وتسجيل أغلب المناقشات . . .» (٩٤٥: ٤٦٦ - ٤٦٧) .

ورغم سعي سبيرو إلى تسجيل كل شيء يمكن ملاحظته ، فإنه لا ينحو منحى بحوث جيفيرتز (٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩) في تجاهل العامل الذاتي يتدخل في عملية التسجيل ، أن سبيرو يقرر صراحة أن الدراسة قد تركزت «على عدد محدود من متغيرات الشخصية التي رأينا أن لها أهمية نظرية خاصة بالنسبة لنظام التربية المتبع في الكيبوتز مثل : مصير العدوان في مجتمع غير تنافسي ، وكذلك مصير مركب أوديب في مجتمع لا تقوم فيه الأسرة بتنشئة الأطفال . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد تركزت الدراسة أيضاً على عدد محدود من متغيرات التنشئة الاجتماعية . ولقد اختيرت تلك المتغيرات من بين تلك التي تؤكدها نظريات الشخصية (خاصة نظرية التحليل النفسي) ، وكذلك دراسات الثقافة والشخصية» . (٩٤٥: ٤٦٧ - ٤٦٨) .

وإلى جانب أسلوب الملاحظة استخدم سبيرو كذلك أسلوب المقابلة الشخصية

---

(١) كيريات بيديم الاسم الرمزي الذي استخدمه سبيرو للإشارة إلى الكيبوتز الذي أجرى فيه دراسته .

التي كانت تجري باللغة العبرية في أغلب الحالات . وقد أجريت تلك المقابلات مع كافة المربيات والمدرسين الذين تـواجدوا في كـافة الفئـات العمريـة التي شـملتها الدراسة .

وفضـلاً عن ذلك فقـد استعان سبيـرو أيضاً بـاختبار ستيـوارت لـلاستجـابـة الانفعالية ، وباختبار بافيلاس للايديولوجيا الأخلاقية . وكذلك تم تطبيق استبيان أعد خصيصاً لتغطية جوانب التنشئة الاجتماعية الوالدية . وقد أمكن لسبيرو أيضاً تحليل عينة كبيرة من الوثائق الخـطية الشخصيـة الخاصـة بالسـابرا في صـورة مقالات أو مذكرات .

كانت تلك ، فضلاً عن الاختبـارات الإسقاطيـة التي لم ينشر سبيـرو نتائـج تطبيقها ، هي الوسائل التي استخدمها في دراسته هذه . وقد شملت تلك الدراسة ، أبناء الكيبوتز الذي أقام فيه سبيرو وزوجته . وآثر سبيرو أن يجعـل عرضـه لمادتـه متدرجاً من حيث أعمار أبناء الكيبوتز والتي تراوح مداها بين أقل من عام واحد إلى ثمانية وعشرين عاماً . ولم تكن أعداد تلك المجموعات الطبيعية متسـاوية بـطبيعة الحال . وعلى أي حال فإننا نستطيع أن نتبين أن سبيرو يقسم عيناته بعامـة[1] إلى مستويات خمسة متدرجة هي :

المستوى الأولى : ويضم ثمانيـة من الرضـع الذين تقـل أعمارهم عن عـام واحد .

المستوى الثاني : ويضم ٤٧ فرداً تتراوح أعمارهم بين ١٣ شهراً و ٥ سنوات .

المستوى الثالث : ويضم ٤٨ فرداً تتراوح أعمارهم بين ٦ سنوات و ١٢ سنة .

المستوى الرابع : ويضم ٧١ فرداً تتراوح أعمارهم بين ١٢ سنة و ١٨ سنة .

المستوى الخامس : ويضم ١١ فرداً تتراوح أعمارهم بين ٢١ سنة و ٢٨ سنة .

وسوف نتبع في عرضنا لنتائج سبيرو نفس الأسلوب الذي سبق أن اتبعناه في عرضنا لنتائج بتلهايم ، أي عرض الوقائـع المباشـرة التي شاهـدها سبيـرو أو التي أسفرت عنها الاختبارات التي طبقها . وذلك بعد تصنيفها وفقاً لدلالاتها النفسية .

---

(١) لم يفرد سبيرو في كتابه حديثاً خاصاً يفصل فيه حجم عيناته ومستوياتها العمرية إلا فيما يتعلق بعينات المستوى الثالث .

أولاً ـ العدوانية :

تبدأ إشارات سبيرو إلى مظاهر العدوان لدى أطفال الكيبوتز ابتداء من أطفال المستوى الثاني ، ويصنف سبيرو أطفال ذلك المستوى إلى أربع مجموعات : (٩٤٥ : ١٣٢)[١] :

المجموعة الأولى :

وتتكون من ستة أفراد تتراوح أعمارهم بين ثلاثة عشر شهراً وستة عشر شهراً بمتوسط خمسة عشر شهراً . وتضم المجموعة خمسة ذكور وأنثى واحدة . وليس لأي من أفراد المجموعة أشقاء أصغر منه . ولثلاثة من أفراد المجموعة الذكور أشقاء أكبر (شقيقين لكل) أما بقية الأطفال ـ بما فيهم الفتاة ـ فليس لأي منهم أشقاء على الإطلاق .

المجموعة الثانية :

وتتكون من ستة عشر فرداً تتراوح أعمارهم بين تسعة عشر شهراً ، وسنتين وخمسة شهور ، بمتوسط سنتين . وتضم المجموعة ثماني ذكور وثمانية إناث . وتضم تلك المجموعة العمرية جماعتين[٢] طبيعيتين تتكون كل منهما من ثمانية أفراد : أربعة إناث وأربع ذكور . وليس لأي من أفراد الجماعتين أشقاء أصغر . ولسبعة من أفراد الجماعة الأولى ، وأربعة من أفراد الجماعة الثانية أشقاء أكبر . أما بقية أفراد الجماعتين ، فليس لأي منهم أشقاء على الإطلاق .

المجموعة الثالثة :

وتتكون من عشرة أفراد تتراوح أعمارهم بين سنتين وتسعة شهور ، وثلاث سنوات وثمانية شهور بمتوسط ثلاث سنوات . وتضم المجموعة خمسة ذكور وخمسة إناث . وهي تضم أربعة أفراد لكل منهم أشقاء أكبر وأصغر منه ، وطفل له شقيق أصغر منه فحسب ، وثلاثة أطفال لكل منهم أشقاء أكبر منه فحسب ، وطفلين ليس لأي منهما أشقاء .

---

(١) أورد سبيرو وصفاً تفصيلياً لخصائص كل فرد من أفراد مجموعاته الأربعة اكتفينا باستخلاص أهم سماته العامة .

(٢) وفقاً للنظام المتبع في الكيبوتز يقسم الأطفال إلى مجموعات تضم كل مجموعة حوالي ثمانية أطفال تتولى الإشراف عليهم واحدة من المربيات .

المجموعة الرابعة :

وتتكـون من خمسة عشـر طفلاً تتـراوح أعمارهم بين ثـلاث سنوات وعشـرة شهور ، وخمس سنوات ، بمتوسط أربع سنوات وأربعة أشهر . وتضم المجموعة ستة ذكور وتسع إناث . وهي تضم طفلة واحدة لها أشقاء أكبـر وأصغر منهـا ، وخمسة أطفال لكل منهم أشقاء أصغر فحسب ، وسبعة أطفال لكل منهم أشقاء أكبر فحسب ، وطفلين ليس لأي منهم أشقاء على الإطلاق .

ويورد سبيرو تصنيفاً لما أسفرت عنه ملاحظاته لسلوك تلك المجموعات الأربعة خلال العلاقات المتبادلة بين أفراد كل مجموعة أثناء اللعب (٩٤٥: ١٥٣) .

أنماط التفاعل[1]	المجموعة الأولى (ن = ٩٧)	المجموعة الثانية (ن = ٣٩١)	المجموعة الثالثة (ن = ٢٥٤)	المجموعة الرابعة (ن = ٣١٥)
تكاملية	٪١٧	٪٤١	٪٢٩	٪٣٧
مساعدة ـ مشاركة ـ تعاطف	٪ ٦	٪٢١	٪ ٩	٪١٣
تعاطف بدني	٪ ٢	٪ ٣	٪ ٥	٪ ٥
لعب تعاوني	٪ ٩	٪١٧	٪١٥	٪١٩
غير تكاملية	٪٨٣	٪٥٩	٪٧١	٪٦٣
عدوان	٪٤٥	٪٣٩	٪٥٧	٪٥٢
صراع	٪٣٨	٪١٨	٪١١	٪ ٨
رفض المشاركة	صفر	٪ ٢	٪ ٢	٪ ٣

ويتحفظ سبيرو بشأن البيانات التي يضمها الجدول مشيراً إلى أنها لا تضم سوى تلك الأفعال التي اشترك فيها أكثر من فرد واحد وهي لا تمثل سوى أقلية بالنسبـة لمجموع الأفعال التي تمت ملاحظتها . وهو تحفظ منطقي ، وله دلالته التي سوف نناقشها فيما بعد .

وإذا كان مثل ذلك التحفظ مقبولاً فإن تحفظاً آخر لسبيرو يبدو في حاجة إلى بعض المناقشة . يشير سبيرو إلى أن اعتماده على «الفعل» كوحدة للقياس قد يشوه من

(١) قام سبيرو بحساب كا^2 للتأكد من دلالة الفرق بين تكرارات أنماط التفاعل التكاملية وغير التكاملية فاتضح أن كا^2 = ١١,٩٩ بما يعني أن الفرق دال عند مستوى ٠,٠١ .

الصورة الواقعية لأنماط التفاعل السائد «فوفقاً لذلك المقياس يمكن أن يسجل لفعل عدواني يبديه أحد الأطفال لمدة لا تتجاوز ستون ثانية مثلاً نفس الوزن الذي يسجل للعبة تعاونية يمارسها طفلان في تفاعل منسجم لمدة عشرين دقيقة مثلاً . وبنفس الطريقة يمكن أن يتساوى فعل صراعي بين طفلين مع لعب تعاوني يشترك فيه ثلاثة أطفال أو أربعة أو حتى أكثر» (٩٥٤: ١٥٤) . ويشير سبيرو إلى أن ثمة محكات أفضل كان يمكن استخدامها في هذا الصدد لعدد الأفراد وفترة دوام الفعل . ونحن نتفق مع سبيرو في أن استخدام محكات إضافية أخرى كعدد المشتركين وفترة الدوام يمكن أن يثري أبعاد المقارنة . إلا أن ذلك لا يقلل بحال من ضرورة الاعتماد على عدد الأفعال كمحور أساسي يمكن المقارنة على أساسه . فاستمرارية الفعل ، وكذلك عدد المشاركين فيه ، كل ذلك يمكن أن يتأثر بتدخل عوامل موقفية خارجية . في حين أن تدخل مثل تلك العوامل يقل كثيراً إذا ما اقتصر حصرنا على مجرد خروج الفعل إلى حيز التنفيذ .

وعلى أي حال فإن البيانات التي أوردها سبيرو في الجدول السابق تشير بوضوح إلى أنه في تلك الأحوال القليلة التي يتم فيها تفاعل متبادل بين أطفال الكيبوتز تكون السمة الغالبة على ذلك التفاعل هي العدوانية والتصارع ورفض المشاركة حيث تبلغ نسبة تلك الأفعال التي أسماها سبيرو أفعالاً غير تكاملية ٦٩ ٪ منها نسبة ٤٨,٢٥ ٪ أفعالاً عدوانية صريحة . ويمضي سبيرو مصنفاً تلك الأفعال العدوانية الصريحة على الوجه التالي (٩٤٥: ١٦٣) :

العدوان	المجموعة الأولى (ن = ٤٤)	المجموعة الثانية (ن = ١٥٢)	المجموعة الثالثة (ن = ١٤٥)	المجموعة الرابعة (ن = ١٦٤)
بالنميمة	صفر	صفر	٧ ٪	٢ ٪
اللفظي	صفر	٣ ٪	٩ ٪	٣١٪
بالعصيان	صفر	١٠٪	٤ ٪	٢ ٪
البدني	١٠٠٪	٨٧٪	٨٠٪	٦٥٪

ويتضح من بيانات الجدول السابق أن العدوان بالنميمة ـ أي بالدس للطفل الآخر لدى المربية ـ يعد أقل أنواع العدوان انتشاراً حيث لا تتجاوز نسبته العامة بين

المجموعات الثلاث الأكبر[1] ٣ ٪ ويلي العدوان بالنميمة العدوان بالعصيان أي بالتمرد على أوامر الراشدين حيث لا تتجاوز نسبته ٥,٣٣ ٪ . ويلي ذلك العدوان اللفظي أي السباب وتبلغ نسبته ١٤,٣٣ ٪ ومن الأمور ذات الدلالة ـ وفقاً لما يقوله سبيرو ـ إن الألفاظ التي يتداولها الأطفال ألفاظ يديشية[2] وليست عبرية مما يعني «إن بعض العناصر الصريحة لثقافة الجيتو ما زالت قائمة في الكيبوتز» (٨٤٥ : ١٦٤) أما العدوان البدني فيمثل القمة إذ تصل نسبته العامة بين تلك المجموعات الثلاث أيضاً ٧٧,٣٣ ٪ . ويشير سبيرو إلى أن ذلك النوع من العدوان يشمل ضروباً شتى من السلوك كالضرب ، والضرب بشيء ، والركل ، والعض ، والدفع ، والقذف بشيء ، وتدمير ممتلكات الآخر ، والخربشة ، ومحاولة قلع العين ، وشد الشعر ، والتلويث ، والهز ، وإعاقة النشاط ، وتقطيع الشعر . كما يشير سبيرو أيضاً إلى أن الضرب كان أكثر أنواع العدوان البدني انتشاراً إذ بلغت نسبته لبقية أفعال العدوان البدني في المجموعات الأربع على التوالي : ٣١ ٪ ، ٦٦ ٪ ، ٤٤ ٪ ، ٤٧ ٪ .

ويمكننا أن نستخلص من نتائج الجدول السابق أن أطفال الكيبوتز لا يميلون في عدوانهم إلى اللجوء إلى ممثلي السلطة واستعدائهم على من يودون الاعتداء عليه . وأنهم لا يميلون كذلك إلى العدوان السلبي بالعصيان أو بالسباب . إن عدوانهم أميل إلى اتخاذ صورة العدوان البدني المباشر . وهو ما نرى له دلالة سوف تزداد وضوحاً فيما بعد .

وقد يأخذ البعض على القول بعدوانية أطفال الكيبوتز أنه تخصيص لا مبرر له لسمة قد تميز الأطفال بعامة في هذا السن . وقد يبدو لمثل هذا المأخذ بعض الوجاهة في نطاق سيكلوجية النمو عامة ، ولكن ثمة ما يبرر تخصيصنا له كسمة مميزة لأطفال الكيبوتز . وأهم مبرراتنا في هذا الصدد هي :

١ ـ إن التربية الكيبوتزية في حدود أهدافها المعلنة إنما تسعى لغرس التعاون والمودة بين أبناء الكيبوتزات وبعضهم البعض . وبالتالي فإن القول بأن العدوانية قد

---

(١) استبعدنا المجموعة الأصغر سناً من حساب النسبة المئوية العامة لاستحالة أن يمارس أفرادها بحكم السن أي من أنواع العدوان سوى العدوان البدني .

(٢) لغة اليديش هي لغة الاشكنازيم في الدياسبورا وعلى الأخص في أحياء الجيتو في أوروبا الشرقية في مقابل لغة اللادينو التي يستخدمها السفارديم .

تكون سمة تميز الأطفال بعامة في سن معين لا تنقص بحال من دلالة سيادة العدوانية في هذه السن بالنسبة لأطفال الكيبوتزات بالتحديد .

٢ ـ إذا ما سلّمنا بأن العدوانية بعامة تميز سلوك الأطفال في مرحلة بالذات من مراحل العمر فإن اختلاف النوعية أو الطابع المعين الذي تتخذه تلك العدوانية لا يمكن تفسيره إلا وفقاً لاختلاف الوسط الاجتماعي الذي يسود عملية التنشئة الاجتماعية في تجمع بشري معين .

٣ ـ إن القول بعمومية سلوك معين كالعدوانية مثلاً في مرحلة عمرية معينة ـ حتى ولو سلّمنا بتلك العمومية على إطلاقها ـ لا يعني بالضرورة أنه سلوك بيولوجي موروث . فثمة احتمال أن تكون تلك العمومية راجعة إلى تشابه الخبرات المعاشة بين القطاع الغالب من البشر جميعاً .

٤ ـ إن الأساس الذي يقوم عليه الأسلوب الذي ارتضينا اتباعه في دراستنا ـ أي أسلوب إعادة التركيب ـ يكفل تلافي مثل تلك المخاطر بربطه بين نتائج دراسات ميدانية تتباين من حيث المستويات العمرية التي تتعرض لها . وعلى أي حال فإن بقية نتائج دراسة سبيرو نفسها كفيلة بدحض مثل ذلك الاحتمال .

ويمضي سبيرو في دراسته محاولاً التصدي من واقع ملاحظاته للإجابة على سؤالين محددين ، يمكن صياغتها على الوجه التالي :

(أ) ترى ما الذي يثير عدوانية هؤلاء الأطفال ؟

(ب) ترى كيف يستجيب هؤلاء الأطفال في مواجهة العدوان ؟

ويضمن سبيرو نتائج محاولته لتقصي مثيرات العدوان البدني لدى أطفال الكيبوتز في الجدول التالي (٨٤٥: ١٦٦) :

مصدر إثارة العدوان البدني	المجموعة الأولى (ن = ٤٤)	المجموعة الثانية (ن = ١٤٠)	المجموعة الثالثة (ن = ١١٨)	المجموعة الرابعة (ن = ١٠٧)
بدون سبب أو بسبب غير معروف	٪٦٤	٪٥٧	٪٦٤	٪٦٧
الأقران	٪١٦	٪٢٩	٪٢٩	٪٢٧
صراع	٪١٤	٪١٤	٪١٢	٪ ٩
عدوان بدني	صفر	٪١٣	٪١٤	٪١٣
غير ذلك	٪ ٢	٪ ٢	٪ ٣	٪ ٥
الكبار	٪٢٠	٪١٤	٪ ٧	٪ ١
تأنيب من المربية	صفر	٪ ٤	٪ ٣	٪ ١
حرمان المربية للطفل من شيء ما	صفر	٪ ٢	٪ ٢	صفر
الحرمان من اهتمام المربية القائم بالملاحظة[1]	٪١١	٪ ٣	صفر	صفر
	٪ ٩	٪ ٤	٪ ٢	صفر
غير ذلك	صفر	٪ ١	صفر	صفر
غير ذلك	صفر	صفر	صفر	٪ ٥

ويتضح من بيانات الجدول السابق أن متوسط الأفعال العدوانية المجهولة السبب يبلغ ٦٣ ٪ من مجموع تلك الأفعال في المجموعات الأربعة . كما يتضح من تلك البيانات أيضاً أن العدوان استجابة لمواقف يتخذها الكبار يحتل ذيل القائمة فضلاً عن أنه يتناقص بانتظام دال احصائياً مع تقدم العمر[2] إلى حد أنه يقترب من التلاشي لدى المجموعة الرابعة .

ولا يفوت سبيرو أن يعقب على الملاحظة الأولى مشيراً إلى أنه مما يسترعي الانتباه تماماً أن النسبة الكبرى من أنواع العدوان البدني لا سبب لها أو غير معلومة السبب «ولنا أن نفترض بناءً على النظرية العامة للسلوك (كافة أنواع السلوك مدفوعة) ، وبناءً أيضاً على ما توصلنا إليه من بيانات. . . أن تلك الأفعال العدوانية

(١) كان الأطفال يحاولون أحياناً الاستئثار باهتمام القائم بالملاحظة وبالتالي فإن انصرافه عنهم كان يثير عدوانهم فضلاً عن أن المربية كانت تسند إلى زوجة سبيرو أثناء قيامها بالملاحظة ببعض المهام الإشرافية وخاصة في المجموعتين الأولى والثانية .

(٢) $كا^2$ = ١٩,٥٢ .

التي تفتقد السبب الواضح إنما تمثل نتاجاً لعدوان منقول . وقد أمكن لنا في بعض الأحوال على الأقل أن نلحظ مثل ذلك النقل مباشرة كأن يهاجم طفلاً زميلاً له فإذا بالأخير يهاجم بدوره طفلاً ثالثاً» (٩٤٥: ١٦٧ ـ ١٦٨) . ويمضي سبيرو محاولاً أن يتلمس مصدر ذلك العدوان المنقول فيقول: « . . . لما كان الأطفال يدركون المربية باعتبارها أهم الشخصيات المحبطة في حياتهم ، فقد كان المفترض أن تثير لديهم قدراً أكبر من العدوان نتيجة لما تتطلبه عملية تدريبهم ومن إحباطات . من هنا فإن التضاؤل النسبي لما تثير المربية من عدوان يصبح أمراً يتطلب التفسير» (٩٤٥: ١٦٨) ويعرض سبيرو للحجة القائلة بأن المربية ـ رغم قيامها بالدور الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية ـ فإنها نادراً ما تكون حاضرة خلال فترات لعب الأطفال ، وهي الفترات التي يزداد فيها الإفصاح عن العدوانية وبالتالي فليس ثمة إحباط تمارسه حيالهم خلال تلك الفترات التي خضعت لملاحظة سبيرو . ويعلق سبيرو على هذه الحجة قائلاً : «لا يبدو هذا التفسير كافياً بحال ، لأنه حتى في تلك الحالات التي أمكن فيها ملاحظة سلوكها المحبط الذي يمكن أن يعد مثيراً مباشراً للعدوان فإنها لم تكن على الإطلاق هدفاً للعدوان . بل كان العدوان ينقل دائماً ويتجه إلى طرف آخر . باختصار ، فإنه رغم دور المربية كمثيرة للعدوان فإنها لمْ تكن أبداً[1] ضحية لذلك العدوان البدني» (٩٤٥: ١٦٩) . ويستخلص سبيرو من ذلك أن جانباً كبيراً من العدوان المجهول السبب إنما يرجع إلى إحباطات سبق أن عاناها الأطفال من المربيات ولم يستطيعوا أن يوجهوا عدوانهم الناجم عنها إلى المربية فنقلوه إلى أهداف أخرى . والأمر بالمثل فيما يتعلق بالإحباطات التي يلقاها الأطفال من الراشدين أو الأقران الذين لا يستطيعون توجيه العدوان إليهم .

ويلتمس سبيرو تدعيماً لوجهة نظره فيما لاحظه من عدوان موجه إليه هو شخصياً معقباً بأنه «يصعب تفسير ذلك إلا باعتباره عدواناً منقولاً ضد ضحية غير مؤذية ، لأنه من ناحية لا يمارس العقاب ، ومن ناحية أخرى فإن فقدان حبه لا يمثل تهديداً سيكلوجياً . وبالتالي فلقد كنت من حيث الدلالة أشبه بالأطفال الضعاف في تلك المجموعات . وهم الأطفال الأكثر عرضة لعدوان أقرانهم» (٩٤٥: ١٧٠) . ويشير سبيرو إلى أن وجود ظاهرة «كبش الفداء» بلغ من الوضوح الحد الذي دفع بأحد

(١) التأكيد في الأصل .

المسئولين الكيبوتزيين إلى تناوله في مقال منشور في إحدى الدوريات التربوية الكيبوتزية يقول فيه : «إن ما يوجد في الجماعة الكيبوتزية من توترات ، وما يترتب على ذلك من سلوكات عدوانية إنما يتضح كأفضل ما يكون في واقعة تزداد انتشاراً هي كبش الفداء . ففي كل جماعة كيبوتزية يوجد بعض الأطفال الذين يتحول إليهم كل العدوان» (١٩٤٥:١٧١). ويسوق سبيرو أمثلة توضح كيف يتصرف الأطفال الكيبوتزيون تجاه كبش الفداء بتهور وبقسوة لا تعرف العدل ولا التعاطف . «لقد كان جيورا[١] أصغر أطفال المجموعة سناً وحجماً ، ومع ذلك فقد هاجموه جميعاً دون أن يتقدم أحد لمساعدته» (١٩٤٥: ١٧١) .

وينتقل سبيرو بعد ذلك إلى محاولة التصدي للإجابة على التساؤل الثاني ، ترى كيف يستجيب أطفال الكيبوتز في مواجهة العدوان البدني إذا ما وقع عليهم مثل ذلك العدوان ؟ ويصنف سبيرو ما أسفرت عنه ملاحظاته في الجدول التالي (١٩٤٥: ١٧٢) .

الاستجابة[٢]	المجموعة الأولى (ن = ٥٠)	المجموعة الثانية (ن = ١٢٦)	المجموعة الثالثة (ن = ١٢٩)	المجموعة الرابعة (ن = ١٠٤)
البكاء والصراخ والأنين	٪٥٦	٪٣٧	٪٤٨	٪٢٩
لا شيء (ليس ثمة استجابة ظاهرة)	٪٢٨	٪٣٠	٪٢٣	٪١٩
الثأر (بدنياً أو لفظياً)	٪ ٢	٪٢١	٪١٦	٪٢٩
التراجع	٪١٠	٪ ٤	٪ ٩	٪١٠
التماس العون	٪ ٢	٪ ٤	٪ ١	٪١٣
مص الإبهام	٪ ٢	٪ ٢	٪ ٢	صفر
الضحك أو التحدث	صفر	٪ ٢	٪ ١	صفر

ولا يفوت سبيرو أن يلحظ ما تشير إليه بيانات الجدول من تناقص للاستجابة بالبكاء مع التقدم في العمر ، ومن ناحية أخرى تزايد الاستجابة بالثأر ، فضلاً عن

(١) أحد كباش الفداء التي تضمنتها أمثلة سبيرو .
(٢) قام سبيرو بحساب الدلالة الإحصائية للفروق بين تكرارات الفئة الأولى وتكرارات بقية الفئات فاتضح أن $كا^2$ = ٤٤,٠٦ بما يعني أن مستوى الدلالة أكثر من ٠,٠٠١ .

ضآلة نسبة الاستجابة بالتماس العون على وجه العموم . فيشير سبيرو إلى أن التحليل الكيفي للاستجابة بالصراخ يكشف عن أن هذه الاستجابة ـ فيما عدا حالات التعبير عن الألم أو الدلالة على انخفاض مستوى تحمل الإحباط ـ تكون بمثابة الفعل ذو الهدف المزدوج : دفع المعتدي إلى الكف عن عدوانه ، ودعوة المربية للتدخل . وبالتالي فإن تضاؤل الاستجابة بالصراخ مع تقدم العمر لدى أطفال الكيبوتـز «إنما ترجع إلى سببين : أولاً : أن الأطفال يتعلمون كلما ازدادوا نضجاً أن ثمة أساليباً أشد تأثيراً لإحباط المعتدي . إن الصراخ بدلاً من أن يؤدي إلى الحيلولـة دون استمرار المعتـدي في عدوانـه يؤدي في أغلب الأحيان إلى تشجيعـه على الاستمرار . إن الأطفال الكيبوتزيين بمجرد انطلاق طاقاتهم العدوانية لا يبدون رحمة ولا تثير مظاهر الألم لديهم سوى مزيد من العـدوان» . (٩٤٥: ١٧٣) . ومن ناحية أخرى فإن تضاؤل الاستجابة بالصراخ مع تقدم العمر لدى الأطفال الكيبوتزيين إنما يرجع إلى «اكتشافهم أن حماية المربية ـ وهي الدافع الثاني للصراخ ـ لا يمكن التعويل عليها . وذلك لأنها نظراً لواجباتها ومسئولياتها العديدة لا تكون في أغلب الأحوال حاضرة خلال وقوع العدوان» (٩٤٥: ١٧٣) . ويؤكد سبيرو «إن الثأر بدنياً أو لفظياً يحل محل الصراخ كأسلوب لردع المعتدي» (٩٤٥: ١٧٣) . كما يشير إلى أن ملاحظاته لأطفال الكيبوتز تكشف عن أن أشد الأطفال عدوانية يكـونون أقلهم تعـرضاً للعـدوان ، وأن أقلهم عدوانية يكونون أكثرهم تعرضاً للعدوان» (٩٤٥: ١٧٣) .

يشير سبيرو إلى ما تؤكده الفلسفة التربوية الرسمية المنشـورة للاتحـاد الذي ينتمي إليه الكيبوتز محل الدراسة من «أن مجتمع الأطفال ، بجماعاته المقسّمة وفقاً للعمر ، يتيح للطفل إحساساً بالأمان . بينما يشعر الطفل في المجتمعات التقليدية كما لو أنه جاليفر بين العمالقة (٩٤٥: ١٧٤) ويعلق سبيرو على تلك العبارة مشيراً إلى أن ما أسفرت عنه دراسته الميدانية من بيانات تكشف «أن التربية الجماعية يمكن أحياناً أن تدعم لا أن تخفف من ظاهرة جاليفر ـ بين ـ العمالقة» (٩٤٥: ١٧٤) .

وعلى أي حال فإن تلك النتائج التي خلص إليها سبيرو تلقى تدعيماً إضافياً بملاحظاته لاستجابات الأطفال الكيبوتزيين في مواقف الصراع التي يعرفها سبيرو بأنها «تلك المواقف التي يرغب فيها الطفل في الاستيلاء على شيء ما يستحوذ عليه طفل آخر ، ولا يكون ذلك متاحاً إلا بإيذاء الطفل الآخر» (٩٤٥: ١٧٦) .

ويلخص سبيرو نتائج ملاحظاته في هذا الصدد على الوجه التالي :

الاستجابة للمبادأة بالصراع	المجموعة الأولى (ن = ١٦)	المجموعة الثانية (ن = ١٠٠)	المجموعة الثالثة (ن = ٣٧)	المجموعة الرابعة (ن = ٢٩)
البكاء والصراخ والأنين	٣٣٪	٥٠٪	٥٥٪	٣٩٪
المقاومة الإيجابية (العدوان)	٣٩٪	٣٥٪	٢١٪	٢٩٪
المقاومة السلبية[1]	٣ ٪	١ ٪	١٤٪	١٤٪
الاستسلام[1]	٢٥٪	١٢٪	١٠٪	٧ ٪
التماس العون	صفر	صفر	صفر	١١٪
غير ذلك	صفر	٢	صفر	صفر

ويضيف سبيرو إلى بيانات الجدول السابق أن ما يزيد عن ٥٠ ٪ من كافة أفعال المبادأة بالصراع ، وبصرف النظر عن الأسلوب المستخدم ، كانت تنتهي بهزيمة الضحية أي بفقدان الطفل المعتدى عليه للعبه موضع الصراع (٩٤٥: ١٧٧) ويعقب سبيرو على ذلك بقوله «طالما أن الأطفال الضعاف هم أولئك الذين يفقدون ما يملكونه من لعب ، سواء لأنهم يتخلون عنها دون مقاومة أو لأنهم يهزمون في المعركة الناجمة عن ذلك ، فإننا نواجه مرة أخرى بما سبق أن أشرنا إليه من نتائج لا توافقية للتربية الجماعية. . . فعلى الأطفال في كل الجماعات ومنذ سنوات عمرهم الأول أن يتقاتلوا من أجل اللعب ، والأقوى هو الذي يكسب دائماً» (٩٤٥: ١٧٧) .

ولا تقتصر إشارات سبيرو إلى عدوانية أطفال الكيبوتز على المستوى العمري الثاني الذي أشرنا إليه والذين تتراوح أعمارهم من ١٣ شهراً إلى خمس سنوات ، بل إن تلك الإشارات تمتد لتشمل المستويات الأخرى أيضاً .

يعرض سبيرو لمظاهرات عدوانية مراهقي الكيبوتزات مشيراً إلى أنها تتخذ اتجاهات ثلاث :

(أ) العدوان نحو الغرباء :

ويشمل أولئك الغرباء المدرسين ، والعمال الذين يستأجرهم الكيبوتز من

(١) يعني سبيرو بالمقاومة السلبية تمسك الطفل بلعبته بينما يحاول الآخر الاستيلاء عليها . أما الاستسلام فيعني تخلي الطفل عن لعبته دون مقاومة .

الخارج للعمل بالأجر وهم من الشباب الشرقيين عادة . كما أن عـدوان المراهقين الكيبوتزيين يمتد ليشمل أيضاً زملاءهم في الدراسة . فحين التحقت مجموعة من كيبوتز مجاور للدراسة بنفس المدرسة أبدى تلاميذ كيريات بيديم «عـدواناً شـديداً تجاههم ، وخاصة تجاه الفتيات منهم . . . فضلاً عن أن ثمة دلائل عديدة تشير إلى أنهم يعتدون بالضرب على الفتيات في الكيبـوتزات المجـاورة» (٩٤٥: ٣١٩) ولا يرتبط هذا العدوان الذي يبديه مراهقو الكيبوتز بمـوقف ايديـولوجي محـدد بل «إن العديد من الطلبة الذين يؤيدون أيديولوجياً الهجرة إلى إسرائيل ، يبدون عدواناً شديداً تجاه أولئك المهاجرين إليها من الشرق الأوسط ، وينظرون إليهم باعتبـارهم أدنى منهم مرتبة ، ويطلقون عليهم : السود» (٩٤٥: ٣١٩) . وإذا ما حاولنا تفسير ذلك العدوان بأنه نوع من الاتجاه العدائي تمـارسه «الأغلبيـة» حيال «الأقليـة» في نطاق الكيبوتز ، أو يمارسه «الأرقى حضارياً» حيال «الأدنى حضارياً» ، لاصطدمت تفسيراتنا تلك بما يورده سبيرو من «أن المهاجـرين الأوروبيين أيضاً قـد يكونـون موضعـاً للعدوان فحين قررت سلطات المدرسة أنه على الطلبة البولنديين المهاجرين الانـدماج مـع زملائهم الآخرين بدلاً من بقائهم كمجموعة منفصلة ، رفض هؤلاء البولنديون الحياة مع أبناء الكيبوتز لعدوانيتهم ، وهددوا بترك المدرسة إذا ما أصرت الإدارة على فرض قرار الاندماج» (٩٤٥: ٣١٩) . ولا تقتصر تلك الاتجاهات العـدوانية على مجـال الدراسة وما قد يثيره من منافسات بل إنها لتشمل مجال العمل أيضاً ، أن ملاحظات سبيرو تشير إلى أنه حين تقرر منح العمال الشرقيين الذين يستأجرهم الكيبوتز يوماً إضافياً كإجازة استشاط أبناء الكيبوتز غضباً لتلك «الوقاحة» (٩٤٥: ٣١٩) .

(ب) العدوان نحو الراشدين :

يورد سبيرو العديد من الأمثلة التي تؤكد أن «المدرسين هم أول ضحايا عدوانية السابرا من الـراشدين» (٩٤٥: ٣٢٠) وقـد يبدو للبعض أن السلوك العـدواني من التلاميذ تجاه مدرسيهم في فترة المراهقة أمر شائع في المجتمعات الحديثة جميعاً . ومسألة الشيوع هذه مسألة نسبية تماماً .

صحيح أننا قد لا نعدم في مجتمع من المجتمعات الحديثة أن نجـد طالبـاً عدوانياً حيال مدرسيه ، أو مجموعة من الطلبة ، أو حتى مدرسة بأسرها ، ولكن أن تكون تلك هي القاعدة ، بل والقاعدة التي يخطط لها وتوضع لها البرامج فهو أمر في حاجة إلى تأمل .

ويكفي أن نورد مجموعة من النماذج التي أوردها سبيرو (٩٤٥: ٣٢٠ ـ ٣٢٣) من واقع ملاحظاته :

فتاة من الصف التاسع لا تنتبه للدرس ، ومدرسها (وهو من أعضاء الكيبوتز) يطلب منها أن تفعل ما يفعله بقية الفصل . فتقول له أنها تفعل بالدقة ما يفعله بقية الفصل : تضييع الوقت .

بعض طلبة الصف التاسع جاءوا إلى الفصل متأخرين يغنون فطلب منهم المدرس (وهو من غير أبناء الكيبوتز) مغادرة الفصل فاستشاطوا غضباً ، واعتدوا عليه وأخيراً خرجوا من الفصل ولكن بالقفز من فوق المقاعد. . . وبعد قليل عبروا أمام الغرفة ، وقالوا بعض ما يحقر من شأن المدرس ، ومضوا في طريقهم .

طالبة تثير شغباً في الفصل أثناء حصة الانجليزية فيطلب منها المدرس أن تكف. تقول له الفتاة : «لماذا ؟ إنك لم تدرس لنا شيئاً على الإطلاق طوال العام» .

مدرس في الصف العاشر يطلب من تلاميذه الهدوء دون جدوى يطلب من إحدى الفتيات أن تقرأ فتقول «لا» . يقول المدرس «إنني أقرر لا أرجو» . تقول الفتاة «وأنا كذلك لا أرجوك بل أقرر أنني لا أريد ذلك». . . يسود الاضطراب الفصل. . . يوقف المدرس الدرس قائلاً أنه لا جدوى من الاستمرار طالما أن أحداً لا ينصت . الكل يوافقه قائلين : «إنه شيء مثير للضيق تماماً» . يحاول أن يناقش الأمر معهم ، وهم يصيحون فيه كما لو كان تلميذاً منهم .

ويقرر سبيرو أن بعض المدرسين وجدوا أنه من المستحيل عليه التدريس في ظل مثل تلك الظروف السيكلوجية الصعبة إلى حد أنهم كثيراً ما كانوا يقدمون على الاستقالة إذا لم يكونوا أعضاء في الكيبوتز . «وقد حدث قبل وصولنا مباشرة أن استقال أحد مدرسي اللغة الإنجليزية نظراً للضغط المستمر الذي يتعرض له فالطلبة يحضرون إلى الفصل متأخرين ويضحكون من نطقه للعبرية ، وينتقدون طريقته في التدريس» (٩٤٥: ٣٢٣) .

(جـ) العدوان نحو الأقران :

يفصل سبيرو الحديث في مجال التدليل على عدوانية مراهقي الكيبوتز تجاه بعضهم البعض أو ما يسميه بالعدوان نحو الأقران مشيراً إلى أن تطبيق اختبار ستيوارت

للاستجابة الانفعالية قد أسفر عن أن سبعين في المائة من عينة السابرا التي طبّق عليها الاختبار قد أشارت مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى الأقران باعتبارهم مصدراً لإثارة انفعال الغضب (٩٤٥: ٣٢٣) .

ويحدد سبيرو ستة صور من ذلك النوع من العدوان تتضح في سلوكات السابرا هي (٩٤٥: ٣٢٣ - ٣٢٦) :

١ - العدوان الجماعي نحو من يخرج على معايير الجماعة .
٢ - النميمة ، وهي أفضل ما يمضي فيه طلبة المدرسة الثانوية أوقات فراغهم .
٣ - السخرية والتحقير .
٤ - الخشونة وسوء المعاملة ، فنادراً ما يراعي السابرا أصول اللياقة البسيطة كتحية طالب زميل إذا ما تطلبت المناسبة ذلك .
٥ - مضايقة الأصغر سناً ، والاعتداء عليهم ، وتدبير المقالب للسخرية منهم . وإن كان ذلك لا يقتصر تماماً على الأصغر سناً بل يشمل الأقران جميعاً .
٦ - العدوان البدني .

ذلك هو أهم ما أسفرت عنه ملاحظات سبيرو فيما يتعلق بعدوانية مراهقي الكيبوتزات ولعل استحالة أن يعتمد سبيرو على التسجيل المباشر لملاحظاته بالأسلوب الذي أمكنه اتباعه في المراحل السابقة قد أسهم في تردده بعض الشيء حيال التسليم بدلالة تلك الملاحظات . حيث يعلق على بعض النتائج التي أسفر عنها تطبيق اختبار ستيوارت المشار إليه بقوله : «إنني لعلى ثقة رغم ما يلقاه المدرسون من شغب من أن العدوان المتبادل ، في صورته البدنية على الأقل - يقل كثيراً في المدرسة[1] الثانوية عنه بين الأطفال الأصغر سناً . فبينما يمثل العدوان البدني أهم الأسباب المؤدية إلى انفعال الغضب بين تلاميذ المدرسة الإعدادية - كما يتضح من نتائج اختبار ستيوارت للاستجابة الانفعالية - فإنه يعد من أقل تلك الأسباب أهمية لدى تلاميذ المدرسة الثانوية» (٩٤٥: ٣١٨) ويمضي سبيرو معقباً «ومن بين الافتراضين المحتملين لتفسير ذلك الانحدار المفاجىء - التأقلم مع العدوان ، أو تضاؤل حجم العدوان - فإن ملاحظاتنا تدعم الافتراض الأخير» (٩٤٥: ٣١٨) ونحن نختلف في

---

(١) Mosad .

ذلك مع سبيرو إذ نرى أن المنطق ـ فضلاً عن ملاحظات سبيرو نفسها ـ يرجح التفسير الأول . وقبل أن ندلل على ما نراه ينبغي أن نشير إلى عبارة أوردها سبيرو ـ وإن حرص على وضعها في حاشية ـ تتصل بعبارته الأخيرة ، وتقول تلك العبارة «على أي حال ، فإن الدلائل المستقاة من اختبار الاستجابة الانفعالية تبدو **غامضة**[١] فيما يتعلق بالعدوان اللفظي . فرغم أن ثمة تضاؤلاً في تكرار استجابات الغضب التي يسببها العدوان . فإن هناك تزايداً في استجابات الحزن» (٩٤٥ : ٣١٨) وإذا عدنا إلى الأرقام الدالة على نتائج اختبار الاستجابة الانفعالية كما أوردها سبيرو لاتضح لنا[٢] (٤٩٥ : ٤٨٣ ـ ٤٨٤) :

العدوان كمصدر لانفعال / فئة العدوان	الحزن			الغضب		
	سنة ٦-١١	سنة ١٢-١٧	سنة ١٨ +	سنة ٦-١١	سنة ١٢-١٧	سنة ١٨ +
الاستهداف لعدوان بدني	٥ ٪	٣ ٪	صفر	٢٦٪	٦ ٪	صفر
الاستهداف لعدوان لفظي	١٠٪	١٧٪	٥ ٪	٣٣٪	٢٢٪	٤
عدوان بدني جماعي	٥ ٪	١ ٪	٥ ٪			
الحرب	٢ ٪	صفر	٥ ٪			
غضب الفرد نفسه	٢ ٪	٦ ٪	صفر			
عدوان لفظي من الآخرين تجاه الآخرين				١٠٪	٥ ٪	صفر
المجموع	٢٤٪	٢٧٪	١٥٪	٦٩٪	٣٣٪	٤ ٪

وواضح أن سبيرو يقصر مقارنته على فئة «الاستهداف لعدوان لفظي» كما أنه يقصر تلك المقارنة أيضاً على فئتي العمر الأوليين لكي يستنتج أن تلك الفئة من العدوان قد أشار إليها ١٠ ٪ من المستجيبين الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات

(١) التأكيد من لدينا .

(٢) الأرقام والفئات والنسب المئوية مقتبسة كما هي ودون تعديل من الجداول الواردة في الصفحات ٤٨٣ ، ٤٨٤ من كتاب ملفورد سبيرو المشار إليه آنفاً (٩٤٥) وكان تدخلنا قاصراً على طريقة العرض والتجميع .

وإحدى عشرة سنة باعتبارها مصدراً لانفعال الحزن لديهم في حين ارتفعت تلك النسبة إلى ١٨ ٪ لدى الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٧ سنة . ومن ناحية أخرى فقد أشار ٣٣ ٪ من المستجيبين الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وإحدى عشرة سنة إلى تلك الفئة باعتبارها مصدراً لانفعال الغضب لديهم مقابل ٢٢ ٪ ممن تتراوح أعمارهم بين اثني عشر عاماً وسبعة عشر عاماً وباختصار. فإن ملاحظة سبيرو قد اقتصرت على الاستجابة للتعرض بالعدوان اللفظي بالغضب قد انخفضت من ٣٣ ٪ إلى ٢٥ ٪ في حين ارتفعت الاستجابة لذلك العدوان بالحزن من ١٠ ٪ إلى ١٧ ٪ وأن ذلك أمر «غامض» .

وواضح أن قصور ملاحظة سبيرو قد أسهم في ارتباك تفسيره للظاهرة فضلاً عن أن تمسكه بما أكده في الفقرة الأصلية من تناقص الخبرات العدائية التي تصبغ سلوك السابرا قد قدّم مزيداً من الإسهام في ذلك الارتباك .

ولو عدنا إلى أرقام الجدول متخلصين من تلك العوامل التي أربكت تفسير سبيرو لاستطعنا أن نضع أيدينا على بعض الملاحظات :

لو تخطينا اقتصار سبيرو على النظر إلى فئة العدوان اللفظي دون غيرها وعلى فئتي العمر الأوليين فحسب ، ونظرنا إلى بيان «المجموع» باعتباره معبراً عن الاستجابة للعدوان بعامة محاولين رصد ما يطرأ عليه من تغير في فئات العمر الثلاث بالنسبة لانفعالي الحزن والغضب لاتضح لنا شيئاً هاماً .

إن الاستجابة للعدوان بالحزن تتخذ مساراً هرمياً عبر فئات العمر الثلاث بمعنى أنها تبلغ قمتها لدى أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين اثنتي عشرة سنة وست عشرة سنة ثم تعود للانخفاض بعد ذلك . ولو قارنا ذلك المسار الذي تتخذه الاستجابة بالحزن للعدوان بشكل عام بالمسار الذي تتخذه الاستجابة بالحزن أيضاً للعدوان اللفظي وحده لما وجدنا بين المسارين فرقاً على الإطلاق . نفس المسار الهرمي الذي تتمثل قمته في الفئة الوسطى التي تضم أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين اثنتي عشرة سنة وست عشرة سنة .

ونفس الظاهرة تتكرر بالنسبة للاستجابة للعدوان بالغضب فإنها تتخذ مساراً تنازلياً مضطرداً (٦٩ ٪ - ٣٣ ٪ - ٤ ٪) ويتكرر نفس المسار لو اقتصرنا ـ كما فعل سبيرو ـ على النظر إلى الاستجابة بالغضب للعدوان اللفظي (٣٣ ٪ - ٢٢ ٪ - ٤ ٪) .

وواضح إذن أن العدوان اللفظي بالتحديد ، وكما يتضح من الأرقام هو أكثر أنواع العدوان تعبيراً عن الاتجاه العام سواء بالنسبة لانفعال الغضب أو بالنسبة لانفعال الحزن . وعلى أي حال فإن ذلك يتفق تماماً مع ما تقول به قواعد المنطق . فالعدوان هو العدوان سواء كانت ممارسته بالفعل أو بالقول أو بالإشارة .

وهكذا يتضح أن «الجزء» الذي اختار سبيرو أن يقصر حديثه عليه هـو خير الأجزاء تعبيراً عن «الكل» . وبالتالي فما كان أجدره أن يتحدث عن «الكل» فذلك أدعى إلى الوضوح وأبعد لاحتمال الخطأ . أعني أنه كـان الأوجب على سبيرو أن يتحدث في هذا المقام عن العدوان عامة لا عن العدوان اللفظي بالتحديد .

يمكننا إذن أن نطرح القضية من جديد على الشكل التالي :

إن تكرار ورود العدوان كمصدر لانفعال الغضب يتناقص باضطراد مع تقدم في العمر في حين أن تكرار ورود العدوان كمصدر لانفعال الحزن يتزايد حتى يبلغ قمته في فئة العمر ١٢ ـ ١٧ ثم ينحدر تكراره بعد ذلك .

يعرف إنجلش وإنجلش الغضب بأنه «استجابة انفعالية تنجم عن الإعاقـة أو الإيذاء أو التهديد» (١٨٢) . الغضب إذن هو الانفعال الطبيعي المصاحب للعدوان وبالتالي فإن وروده في ذلك السياق لا يتطلب تفسيراً خاصاً بحال . ولكن بيـانات سبيرو تشير إلى أن ذلك الانفعال الطبيعي يتناقص باضطراد مع تزايد انفعال آخر هو الحزن . وفي هذه الحالة يصبح الأمر في حاجة بالفعل إلى تفسير .

ولقد حاولنا أن نلتمس ذلك التفسير بأن نظرنا في الجداول نفسها التي أوردها سبيرو محاولين تقصي جميع الانفعالات ـ وليس انفعال الحزن والغضب فحسب ـ التي ورد بتلك الجداول ما يشير إلى ارتباطها بالعدوان عبر فئات السن الثلاث . وقد أسفرت محاولتنا تلك عن النتائج التالية[1] :

١ ـ بالنسبة للفئة الأولى أي الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ سنوات و ١١ سنة .

(١) يقوم اختبار ستيوارت للاستجابة الانفعالية على تقصي المواقف التي تثير انفعالات السعادة ، والحزن ، والخجل ، والغضب ، والخوف لدى من يطبّق عليهم الاختبار . وبالتالي فإن نتائج الاختبار تصنف عادة وفقاً للانفعالات وليس للمواقف المثيرة لها . وهو ما اتبعه سبيرو في جدولة نتائجه . ولذلك فإن الأرقام التي سوف نوردها في مقارناتنا التالية مستقاة من الجداول الملحقة بدراسة سبيرو (٩٤٣: ٤٨٣ ـ ٤٨٦) وينحصر تدخلنا في تجميعها وفي حساب المتـوسطات العامة لورود العدوان كمصدر للانفعال في كل من فئات العمر .

تشير الأرقام إلى ورود الاستجابة للعدوان كمصدر للحزن بنسبة ٢٤ ٪ ، وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للغضب بنسبة ٦٩ ٪ ، وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للخجل بنسبة ٤ ٪ ، وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للخوف بنسبة ١٣ ٪ . أي أن متوسط ورود العدوان كمصدر للانفعال بعامة في هذه الفئة من فئات العمر تبلغ ٢٧,٥٪ .

٢ ـ بالنسبة للفئة الثانية ، أي الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ سنة و١٧ سنة : تشير الأرقام إلى ورود الاستجابة للعدوان كمصدر للحزن بنسبة ٥٧ ٪ وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للغضب بنسبة ٣٣ ٪ وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للخجل بنسبة ٢ ٪ ، وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للخوف بنسبة ٥ ٪ . أي أن متوسط ورود العدوان كمصدر للانفعال بعامة في هذه الفئة من فئات العمر تبلغ ١٦,٧٥ ٪ .

٣ ـ بالنسبة للفئة الثالثة ، أي الذين تبلغ أعمارهم ١٨ سنة فأكثر : تشير الأرقام إلى ورود الاستجابة للعدوان كمصدر للحزن بنسبة ١٥ ٪ ، وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للخجل بنسبة صفر ٪ . وورود الاستجابة للعدوان كمصدر للانفعال بعامة في هذه الفئة من فئات العمر تبلغ ٤,٧٥ ٪ .

إن انخفاض معدل ما يثيره العدوان من انفعال بتقدم العمر يرتبط بمؤشر آخر تورده بيانات سبيرو المتعلقة أيضاً باختبار ستيوارت للاستجابة الانفعالية ، حيث يتضمن الاختبار إلى جانب تقصيه لمثيرات انفعالات السعادة والحزن والخجل والغضب والخوف مجالين إضافيين للاستقصاء يتمثلا في أن يطلب من المفحوص أن يحدد أفضل الأشياء في نظره وأسوأها أيضاً . ولقد حاولنا أن نتبين موقع العدوان من ترتيب الكيبوتزيين للأشياء حسب سوئها في نظرهم فاتضح ما يلي :

فئة السن / فئة العدوان	٦ - ١١	١٢ - ١٧	١٨ ÷
الاستهداف لعدوان بدني	٥ ٪	صفر ٪	صفر ٪
الاستهداف لعدوان لفظي	صفر ٪	٢ ٪	صفر ٪
ممارسة العدوان	٥ ٪	٢ ٪	٥ ٪
المجموع[١]	١٠٪	٤ ٪	٥ ٪

(١) أرقام الجدول مقتبسة كما هي من الجداول الواردة في كتاب سبيرو (٩٤٥: ٤٨٦) فيما عدا الأرقام الواردة في بيان «المجموع» .

وتعني أرقام الجدول أن عشرة في المائة من أفراد فئة السن الأولى قد اعتبروا العدوان ضمن أسوأ الأشياء في نظرهم كما تشير هذه الأرقام إلى تضاؤل تلك النسبة مع التقدم في السن .

والتساؤل الذي تطرحه كل تلك النتائج يمكن صياغته كما يلي : هل تضاؤل حجم العدوان كمصدر للانفعال ، وكذلك تضاؤل نسبة من يدرجون العدوان ضمن أسوأ الأشياء يرجع ـ كما يقول سبيرو ـ إلى تضاؤل حجم العدوان الممارس في بيئة الكيبوتز مع التقدم في العمر ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل إنما تكمن فيما أسفرت عنه دراسة سبيرو نفسها من نتائج بالنسبة للأطفال الأصغر سناً وهي النتائج التي أشرنا إليها فيما سبق . لقد أكدت تلك النتائج بوضوح أن العدوانية هي السمة الغالبة على سلوك أطفال الكيبوتز إلى ما قبل السادسة ، بل إن ملاحظات سبيرو نفسه تفيض بالأمثلة الدالة على استمرار تلك العدوانية إلى ما بعد ذلك . وليس فيما أورده سبيرو بعد ذلك ما يشير إلى تفسير لما يقول به من اختفاء أو تضاؤل الممارسات العدوانية لدى أبناء الكيبوتزات الأكبر سناً .

ثانياً ـ الانطوائية والتسطح الانفعالي :

يشير سبيرو وهو بصدد الحديث عن تمضية أطفال الكيبوتز الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين سنة واحدة وخمس سنوات للأوقات المخصصة للعب الحر إلى «أن كل طفل يمضي أغلب وقته بالفعل في نشاطات لا تتطلب وجود غيره من الأطفال . وإذا ما تطلب الأمر وجودهم ، فإنهم لا يتواجدون بأعداد كبيرة. . . ومن ثم فرغم أن الأطفال يكونون دائماً معاً إلا أنهم لا يكونون جماعة إلا بالمعنى الأيكولوجي وليس بالمعنى الاجتماعي السيكلوجي أو التفاعلي» (٩٤٥: ١٥٣) .

وتتأكد هذه الإشارة بما يورده سبيرو من أرقام تشير إلى أن النسب المئوية للألعاب التعاونية التي يمارسها الأطفال في تلك المرحلة تتراوح بين ١١ ٪ و١٣ ٪ فقط (٩٤٥: ١٦٠) .

وتمتد هذه الملاحظة لتشمل المراهقين الكيبوتزيين حيث يقول سبيرو: «إن أهم الخصائص التي تميز علاقة المراهق بوالديه هي تباعده السيكلوجي . فرغم أن المدرسة لا تبعد أكثر من خمس دقائق سيراً على الأقدام من محل إقامة أي من الآباء ، فإن تسعة فقط من التلاميذ ضمن عينة تضم واحداً وثلاثين تلميذاً ذكروا أنهم

يزورون آباءهم يوماً ، وكانت أعمار هؤلاء الثمانية جميعاً فيما عدا اثنين تقل عن الخمسة عشر عاماً (٩٤٥ : ٣٣٧) ويعلق سبيرو على هذا بقوله : «إذا ما كان لنا أن نعتبر معدل التفاعل الاختباري مقياساً مناسباً للتباعد النفسي ، فإن لنا أن نستخلص من هذه البيانات وحدها أن التباعد السيكلوجي هو الوصف الحقيقي لاتجاه هؤلاء التلاميذ» (٩٤٥: ٣٣٧) .

ولا تقتصر مثل هذه الملاحظة على سبيرو وحده . لقد أبدت إحدى الأمهات الإسرائيليات ملاحظة على سلوك أولئك السابرا الكيبوتزيين مؤداها (إن الانطواء والتعالي هما أبرز خاصيتين تميزان السابرا (٩٤٥: ٤٢٤) ويعلق سبيرو واصفاً هذه الملاحظة بأنها «تكشف عن بصيرة سيكلوجية نفاذة» (٩٤٥: ٤٢٤) ثم يمضي واصفاً سلوكهم بقوله : «إنهم لا يتحاشون العلاقات الانفعالية العميقة التي على نطاق ضيق فحسب ، بل إنهم يبدون ميلاً للتباعد السيكلوجي حيال الكثرة كذلك . . . إنهم يبدون كما لو كانوا قد أحاطوا أنفسهم بقوقعة لا تمتد شخصياتهم إلى خارجها إلا فيما ندر ، فضلاً عن أنها تحول دون نفاذ الآخرين إلى ما تحت سطحها الخارجي» (٩٤٥: ٤٢٤) .

وتتخذ انطوائية السابرا وفقاً لما تشير إليه نتائج دراسة سبيرو مظاهراً ثلاثة (٩٤٥: ٤٢٤ - ٤٢٧):

١ - الخجل والاضطراب عند التعامل مع الغرباء عن الكيبوتز أو حتى أبناء الكيبوتز من غير أقرانهم .
٢ - حرص كل منهم على الاحتفاظ بمسافة سيكلوجية معينة تفصله عن الآخرين .
٣ - ندرة إقامتهم لعلاقات انفعالية وثيقة بين بعضهم البعض .

ويؤكد سبيرو أن عجز السابرا عن إقامة العلاقات الانفعالية الوثيقة لا يشمل الشبان الإسرائيليين الشرقيين مستدلاً على ذلك بقول أحد المسئولين الإسرائيليين عن حركة الشباب «إنه لم يجد صعوبة قط في إقامة علاقة مع مجموعات من الشباب الشرقيين ، كانت من بينهم مجموعة من مواليد إسرائيل» (٩٤٥: ٤٢٥) . ويمضي سبيرو مؤكداً: «إن ثمة تضاداً واضحاً بين السابرا والشبان الشرقيين الذين يبدون بعامة وداً وانفتاحاً تجاه الغرباء : إنهم يرحبون بالغريب على الفور. . . وإذا ما عمل زائر

معهم في الحقول مثلاً ، فإنهم يبدون تجاهه اهتماماً كبيراً . ويسألونه عن حياته ، وعن وطنه . وإذا ما كان مستجداً فإنهم يشرحون له العمل . أما السابرا فإنهم على النقيض من ذلك ، يظلون جماعة منعزلة . لا يبدأون تفاعلاً مع غريب ، بل ولا حتى يستجيبون لمبادآته» (٩٤٥: ٤٢٥) كذلك يشير سبيرو إلى أنه «فيما عدا استثناءات قليلة فإن طلاب مدرسة الكيبوتز يصيبهم بكم سيكلوجي إذا ما كان عليهم الظهور أمام مجموعة» (٩٤٥: ٤٢٦) .

ويحاول سبيرو أن يفسر هذه الانطوائية المميزة لأبناء الكيبوتز بقوله : «إن انطوائية السابرا إنما تقوم على إدراكهم للآخرين أو للعلاقات الشخصية المتبادلة إما باعتبارها أمراً مؤلماً أو أمراً خطراً وبالتالي فإن انطوائيتهم دليل على افتقادهم للأمن» (٩٤٥: ٤٢٧) .

يقول أحد الآباء الكيبوتزيين أن الشباب من السابرا حين يذهب إلى المدينة «يشعر بالضياع . . . يعذبه الاضطراب لأنه قد أصبح عليه أن يتخذ قراراته بنفسه . أما في الكيبوتز فإن كل شيء يكون مخططاً من أجله . ولذلك فإنه يصبح متشوقاً للعودة إلى الإطار الذي نظّم حياته» (٩٤٥: ٤٤٨) .

ويقول أحد هؤلاء السابرا أنفسهم «إن النتيجة العامة للتربية الجماعية خلال سنوات طويلة هي الحد من القدرة على المبادأة» (٩٤٥: ٤٤٨) .

ثالثاً ـ الجمود :

وإذا كانت مثل هذه التقارير الذاتية تتعلق بالشبان الكبار فإن سبيرو قد لاحظ «أن الأطفال يجلسون دائماً على نفس المقاعد وفي نفس المواضع من مائدة الطعام» (٩٤٥: ١٩٤) ويؤكد سبيرو «إن هذا الجمود تعبير مباشر عن رغبة الأطفال أنفسهم وليس نتيجة لأي فرض من جانب المربية ، وهو جزء من النمط العام للإجبارية الذي لوحظ خاصة لدى أطفال العينة من سن الثانية والثالثة والذي يعبّر عن نفسه في رفض أي تغيير يطرأ على الروتين اليومي المعتاد . فمثلاً حين جلس أومري على مقعد آفنر عند العشاء أبدى الأطفال جميعاً غضباً ظاهراً ، ورفضوا تناول الطعام حتى يجلس أومري في مكانه الصحيح . . .» (٩٤٥: ١٩٤) .

ويرد سبيرو على القول بأن مثل تلك الاستجابات في المواقف الجديدة قد تكون أمراً يشترك فيه غالبية الناس بأن يؤكد أنه طالما أن الكيبوتزيين يعتبرون أن لها

دلالة خاصة فإن لنا أن نعتبرها كذلك (٩٤٥: ٤٤٨) .

رابعاً ـ البوال :

يشير سبيرو إلى انتشار ظاهرة البوال بين أبناء الكيبوتزات مقرراً أن نسبة من يبللون فراشهم من أبناء روضة الأطفال تبلغ ٩:١٦ (٩٤٥: ٢٠٧ ـ ٢٠٨) . ويربط سبيرو بين ظاهرة البوال وما يتميز به أسلوب التربية الكيبوتزية من تغيير للمربيات (٩٤٥: ٤٣٢) وما تثيره تلك التربية من أنواع القلق لدى الأطفال (٩٤٥: ٩٠ و ٢٨٤ و ٣٤٢) ، فضلاً عن الموقف المتساهل الذي يتخذه الكيبوتز حيال ظاهرة البوال (٩٤٥: ٣٢٦) .

خامساً ـ مص الإبهام :

يؤكد سبيرو انتشار ظاهرة مص الإبهام بين أبناء الكيبوتزات (٩٤٥: ٢١٣ و ٢١٨) ، كما يشير إلى تسامح المربيات حيالها (٩٤٥: ٢٨٤) . ويرى أن هذه الظاهرة ترتبط بما يتميز به الكيبوتزيون من سلبية حيال تلقي العدوان (٩٤٥: ١٤٦) .

سادساً ـ الجناح :

تؤكد مشاهدات وملاحظات سبيرو عدم وجود أي من المظاهر المعروفة لجناح الأحداث بين أبناء الكيبوتزات (٩٤٥: ٣١٧ ـ ٣١٨) .

سابعاً ـ الخوف من الظلام :

تشير النتائج التي أسفر عنها تطبيق سبيرو لاختبار ستيوارت للاستجابة الانفعالية عن أن أبناء الكيبوتزات ، حتى أولئك الذين وصلوا منهم إلى مرحلة الدراسة الثانوية يدرجون «الظلام» في مقدمة الأمور التي تثير خوفهم (٩٤٥: ٢١٣) . ويرى سبيرو «أنه من الصعب تفسير هذا الخوف ـ إذا ما وضعنا في الاعتبار ظروف الحياة في الكيبوتز ـ إلا إذا اعتبرناه استجابة شرطية للخوف من الهجران ليلاً خلال تلك السنوات المبكرة» (٩٤٥: ٢١٣) .

وقد نتفق مع سبيرو في أن خوف الكبار من الظلام استجابة مشروطة . ولكننا نختلف معه في ظروف هذا التشريط . إن الظلام ـ فيما نرى ـ إنما يرتبط لدى أطفال الكيبوتز بمعاناة العدوان أو الخوف منه وتوقعه ، وليس بالخوف من الهجران . وعلى أي حال فإن ذلك هو التفسير الذي سبق أن طرحناه خلال مناقشتنا لنتائج بحوث برونو بتلهايم .

ثامناً ـ اختلال عملية التوحد :

حاول سبيرو تقصي أبعاد عملية التوحد لدى الإناث والذكور من أطفال الكيبوتز مستعيناً برصد ما يتخلل ألعابهم التخييلية من توحد بأدوار مختلفة . وقد اقتصرت مقارنات سبيرو في هذا الصدد على المجموعتين الثانية والثالثة والرابعة من مجموعات أطفال المستوى العمري الثاني وذلك لأن المجموعة الأولى لا تضم سوى طفلة واحدة . وقد أسفرت تلك المقارنة عن النتائج التالية (٩٤٥: ٢٤٠) :

النموذج	الأولاد (عدد الأفعال = ٤٩)	البنات (عدد الأفعال = ٨١)
حيوان	٤٨٪	٢٣٪
راشدة	٢٦٪	٤٧٪
راشد	١٦٪	١٣٪
رضيع أو طفل صغير	٨٪	١٥٪
موضوع غير حي	٢٪	٢٪

ويعيد سبيرو عرض نفس نتائج الجدول السابق مركزاً على مقارنة أولاد وبنات الكيبوتز من حيث التوحد بنفس الجنس وبالجنس المغاير على الوجه التالي (٩٤٥: ٢٤٠) :

	نفس الجنس	الجنس المغاير
الأولاد	٨	١٣
البنات	٣٨	١١
كا٢		١٠,١٦
مستوى الدلالة		٠,٠٠١

وأهم ما تفصح عنه بيانات الجدولين السابقين يتمثل في أن الأولاد أميل إلى التوحد بالنموذج الأنثوي . ويحاول سبيرو أن يرجع ذلك إلى أنه توحد بدور المربية باعتبارها أهم الشخصيات القابلة للتوحد لدى الذكور والإناث على حد سواء (٩٤٥: ٢٣٨) .

ويضيف سبيرو من واقع ملاحظاته ما يؤكد بيانات الجداول السابقة مقرراً «أن

الطفل لا يجد صعوبة فحسب في التوحد بالأدوار الذكرية ، بل إن بعض الأطفال يفضلون تغيير جنسهم إلى الجنس المقابل ، ففي كل من المجموعات الأربعة كان ثمة قلة من الأطفال على الأقل يصرون على ارتداء ملابس أنثوية . وكانت المربيات يخضعن دائماً لتلك المطالب» (٩٤٥: ٢٤٢) .

إن اعتماد سبيرو على رصد أبعاد عملية التوحد من خلال ملاحظة ألعاب التخييل عند الأطفال يتفق من حيث المنهج مع ما تشير إليه العديد من الدراسات النفسية التي اهتمت بإبراز الدلالة السيكلوجية لذلك النوع من ألعاب الأطفال (٤١٣ ، ٦٤٨ ، ١٠١٤) وما نأخذه على سبيرو هو أنه لم يمض خطوة أبعد في اتجاه محاولة تفسير نتائج مثل ذلك الاختلال في عملية التوحد وربطه ببقية الخصائص التي تضمنتها دراسته .

تاسعاً ـ الجنسية المثلية :

يورد سبيرو العديد من الملاحظات والأمثلة التي تبرز وجود بعض مظاهر الجنسية المثلية لدى أطفال الكيبوتز من المستوى العمري الثاني (٩٤٥: ٢٢٦ ـ ٢٢٧) ويقول سبيرو «إن عدم وضوح الهوية الجنسية يتبدى في السلوك الجنسي للأطفال . فالأولاد والبنات على حد سواء يبدون قدراً كبيراً من السلوك الجنسي المثلي في المجموعات الثانية والثالثة والرابعة ، حيث لم يظهر أي سلوك جنسي غيري أو مثلي بين أطفال المجموعة الأولى . وكانت النسب المئوية للسلوك الجنسي الغيري مقابل السلوك الجنسي المثلي في تلك المجموعات الثلاث كما يلي : ٢٩ : ٢١ ، ١٩ : ١٢ ، ١٧ : ٣٤ . وفي نفس الوقت فإن نتائج مقارنة التكرار النسبي للجنسية المثلية بين الأولاد بنظيره بين الفتيات يميل إلى تدعيم الفرض القائل بأن الأولاد أشد اضطراباً من الفتيات فيما يتعلق بالهوية الجنسية . لقد اتضح في مجموعتين من المجموعات الثلاث أن الأولاد يفوقون البنات في مظاهر الجنسية المثلية (٩٤٥: ٢٤٣) .

الفصل التاسع
دراسات الراشدين

مقدمـة :

نحاول في هذا الفصل أن نستعرض نتائج أهم البحوث التي شملها حصرنا والتي أجريت على راشدين من الأشكنازيم الإسرائيليين . وسـوف نتخلى في هذا العرض عما التزمنا به سابقاً من تقسيمات للبحوث وذلك نـظراً لقلتها نسبيـاً إذا ما قورنت بنظيرتها التي أجريت على الأطفال ، ملتزمين فحسب بتتابـع تلك البحوث تاريخياً . كذلك فسوف نقتصر في نقدنا للبحوث من حيث المنهج أو المنـطلقات النظرية على ما قد يستجد من أوجه نقد لم يسبق أن أشرنا إلى مثيلاتها في البحوث السابقة وذلك تحاشياً للتكرار .

دراسات الراشدين :

في عام ١٩٤٩ نشر الباحث السيكلوجي أنطون لوربيه مقالاً بعنوان «اليهودي كنمط سيكلوجي» (٦٧٢) . ونحن لا نتفق منذ البداية مع ما يوحي به عنوان المقال من أن ثمة إمكانية للحديث عن نمط سيكلوجي مميز لليهود بوصفهم يهوداً . ومن ناحية أخرى فإن مقال لوربيه لا ينصب مباشرة على أفراد يضمهم بالفعل التجمـع الإسرائيلي . وحديثنا ينبغي أن ينصرف إلى هؤلاء دون غيرهم . إلا أننا ـ رغم تنبهنا لهذين الاعتراضين ـ قد آثرنا أن نعرض لهذا المقال لسببين :

(أ) رغم ما يوحي به عنوان المقال من أن اليهود بعامة يشكلون نمطاً سيكلوجياً متميزاً ، إلا أن مضمون المقال ينصب بالتحديد على «بعض الأنماط السلوكية المميزة ليهود وسط وشرقي أوروبا وخاصة أولئك الذين يحيون في الجيتو أو انطلقوا من أساره حديثاً» . وفضلاً عن ذلك فإن المؤلف يشير في نهاية مقاله إلى أن ما عرض له من

خصائص قد يكون راجعاً إلى تأثيرات الجيتو وليس بالطابع الخالص لما يمكن أن يسمى بالشخصية اليهودية .

(ب) إن الحديث عن يهود وسط وشرقي أوروبا وبالتحديد في عام ١٩٤٩ عشية إعلان قيام الدولة الإسرائيلية يبدو وثيق الصلة بموضوع بحثنا . فلقد قامت الدولة الإسرائيلية بالفعل على أكتاف هؤلاء ، بل إن في مقال لورييه ما يشير من بعيد إلى أن ثمة احتمال أن يهاجر أولئك الذين أجرى عليهم بحثه .

يقوم بحث لورييه على تصنيفه الذاتي لملاحظاته المشخصية كمتخصص فضلاً عن استخدامه لأسلوب المقابلة الشخصية . ويخلص الباحث إلى عدة سمات سيكلوجية أساسية تميز هؤلاء اليهود حيث «يبدو العدوان وقد انحرف عن هدفه الطبيعي التدميري وانقلب إلى توق شديد للتفوق له طبيعة طفلية شبيهة بغيرة الأشقاء . ويرتبط ذلك التوق إلى التفوق بتمركز غريب حول الذات يدفع إلى إضفاء الطابع الشخصي على كافة الأمور . وكثيراً ما يعبر عن نفسه في سلوك غير عقلاني . ولقد استطعنا أن نلمح أيضاً ميولاً مازوخية» .

وفي عام ١٩٥٤ نشر ا. كاردنر مقاله المعنون «السبل المؤدية إلى الشك ، والغضب ، والبلادة الانفعالية ، والتفكك المجتمعي» (٥٩١) والمقال انطباعي نظري يستهدف بحث العلاقة بين العواطف الاجتماعية والبنيان الاجتماعي . ويصف كاردنر عملية تربية الأطفال في الكيبوتز الإسرائيلي بأنها عملية تسودها الروتينية والتزامن . وأن المعيشة المشتركة تؤدي إلى عدم إتاحة الفرصة لتبادل الانفعالات الشخصية . وينجم عن ذلك أن يصبح الفرد «حسوداً ، متمركزاً حول ذاته . قدرته محدودة على إقامة العلاقات الانفعالية . لديه قدر كبير من عدم الثقة . وقدر كبير أيضاً من الخزي المتبادل» .

وفي عام ١٩٥٥ نشر الباحثان الأمريكيان جيمس جالسبي وجوردون ألبورت بحثهما المعنون «نظرة الشباب إلى المستقبل : دراسة عبر قومية» (٤٥٤) ويطرح الباحثان في مطلع بحثهما شروطاً ثلاثة يريان ضرورة توافرهما في الدراسات عبر القومية بعامة :

١ ـ أدوات موحدة قابلة لمقارنة ، تعكس للأشخاص نفس المعاني عند ترجمتها .

٢ ـ أن تكـون العينـات قـابلة للمقـارنـة من حيث السن والجنس والحـالـة الاجتماعية .

٣ ـ أن يتوافر في مختلف البلدان المعنية عدد من المعاونين الأكفاء المقبلين على المساهمة في العمل ، فضلاً عن تمرسهم في العلوم الاجتماعية ، وموضوعيتهم في النظر إلى الأمور ، والتزامهم الدقة في اتباع التعليمات الموحـدة (٤٥٤: ٤) .

ويقرر الباحثان أنهما قد حاولا الالتزام بتوفير هذه الضمانات لدراستهما .

ويقوم البحث على المقارنة بين مجموعات من طلبة الجامعات الذين ينتمون إلى عشر دول مختلفة هي : الـولايات المتحـدة ، ونيوزيلندا ، وجنوب أفـريقيا ، ومصر ، والمكسيك ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، واليـابان ، وإسـرائيل ، وقـد تراوحت أعمارهم بين ١٧ سنة إلى ما يزيد عن ٢٢ سنة . وكذلك فقد تباينت أعداد المجموعات بين عينة الولايات المتحدة التي بلغت ٧٢٠ فرداً وعينة إسـرائيل التي بلغت ٤١ فرداً فقط . كذلك تباينت أوقات جمع البيانات حيث تم هذا الجمع في عام ١٩٤٩ بالنسبة للعينة الأمريكية ، وفي عام ١٩٥١ بالنسبة للعينة الإسرائيلية ، وفي عام ١٩٥٠ بالنسبة لبقية العينات .

واستخدم الباحثان أداتين لجمع بياناتهما :

(أ) استبيان يضم خمسون سؤالاً أعد خصيصاً للبحث .

(ب) السيرة الذاتية كما يتصورها الفرد حتى عام ٢٠٠٠ .

وسنقتصر في عرضنا لنتائج البحث على ما يتصـل من تلك النتائـج بالعينـة الإسرائيلية نظراً لصغر حجم هذه العينة بما لا يسمح بتناولها في إطار عبر ـ قومي متفقين في ذلك مع مؤلفيه .

يقول المؤلفان في استعراضهما لنتائج العينـة الإسرائيليـة «لم يعبر الـطلاب الإسرائيليين كثيراً عن الحاجة إلى الدين . ولن نحاول التعرض لما إذا كـان ذلك الموقف نتيجة لميل عام للردة لدى الشباب اليهودي ، أو أنه يعني أن الاهتمامات الدنيوية لأمة جديدة نامية تمتص من الطاقات ما لا يجعل هناك حاجة للإشبـاعات الدينية ، أو ما إذا كان ذلك الموقف يشير إلى صراع بين الأجيال داخل المجتمـع البشري الإسرائيلي» (٤٥٤: ٣٠ ـ ٣١) .

ثم يمضي الباحثان في استعراضهما للنتائج الإسرائيلية فيقولا : «إن المصاعب الدولية التي اكتنفت تكوين الدولة الإسرائيلية والتي ما زالت تتهددها ، قد انعكست بلا شك فيما أبداه الطلاب من مخاوف تتعلق بـأن مصيرهم في المستقبـل سوف تحـدده قوى لا يستطيعون السيطرة عليها . وأنه لمن المفهوم إذن أن ينظر بعضهم إلى العالم باعتباره «مكاناً غير مأمون يضم أناساً يتصفون أساساً بالشر والخطورة» ، وأن تتواتر لـديهم النظرة إلى الحـرب بـاعتبـارهـا قـد تكـون شيئـاً طيبـاً في بعض الأحيـان» (٤٥٤ : ٣١) ويضيف الباحثان : «لقـد كان الـطلاب الإسرائيليـون من بين المجموعـات الأكثر تشاؤماً في نظرتهم إلى مستقبلهم» (٤٥٤ : ٣١) .

وللمـرء أن يختلف أو يتفق مع التفسيـرات التي يقدمهـا جـالسبي وألبـورت لنتائجهما . ولسنا على أي حال في مجال التفنيد التفصيلي لهذه التفسيرات . يكفينا أن نسجل أن تلك النتائج أياً كانت تفسيراتها ، تعني أن عينة الطلاب الإسرائيليين كانت تتصف بخصائص ثلاث : اللا تدين ، والشعور بقلة الحيلة ، والتشاؤم ، فضلاً عن العدوانية كما تتضح في الموقف المتسامح حيال الحرب .

وفي عام ١٩٦١ نشر الباحث السيكلوجي الإسرائيلي أ. هاندل مقاله المعنون «مفهوم الذات عند المراهـق في الكيبوتز» (٤٩٤) . وقد استخدم هاندل في بحثه قائمة تضم عدداً من العبارات تقدم إلى المفحوص أو إلى آخرين ممن يستطيعون الحكم عليه ، ويطلب تصنيف كل من تلك العبارات إلى عدد من الفئات وفقاً لمدى انطباق كل عبارة على المفحوص . وقد شملت دراسة هانـدل واحداً وثمـانين من الشبان الإسرائيليين من سكان المدن . وسبعين من قاطني الكيبوتـزات . وأسفرت الدراسة عن وجود فروق جـوهريـة بين المجموعتين . فقـد اتضح أن الكيبـوتزيين ينظرون إلى أنفسهم باعتبار أنهم أقل قدرة على مواجهة الصعاب بثقة ، كما أنهم أقل ثقة في مستقبلهم ، وأشد تشاؤماً حياله ، وأكثر تحقيراً لأنفسهم ، وإحساساً بعجزهم إلى جانب أنهم يعتبرون أنفسهم الأقل ذكاء ، والأشد حساسية للنقد ، والأكثر قلقاً في مواجهة المواقف الحرجة ومواجهة الغرباء .

ويلخص هاندل نتائج بحثه مستخدماً تعبيرات هنري موراي في نـظريته عن الحاجات (١٥٥ : ٢٣٢) مؤكداً أن شباب الكيبوتزات يتميزون بقدر كبير من «الحاجة إلى تجنب المذلة» و«الحاجة إلى تجنب تأنيب الضمير» . والمقصود بالحاجة إلى

تجنب المذلة وفقاً لما يقول به موراي «الابتعاد عن المواقف المحرجة . وتجنب الظروف التي تؤدي إلى التصغير : الازدراء أو السخرية أو عدم المبالاة من جانب الآخرين . الكف عن العمل بسبب الخوف من الفشل» (١٥٥ : ٢٣٢) كذلك فإن المقصود بالحاجة إلى تجنب تأنيب الضمير وفقاً لنظرية موراي «تحاشي التأنيب بكف الدفعات المرفوضة اجتماعياً . الخوف من التأنيب . أو النبذ ، أو العقاب . الحاجة إلى المعاملة الطيبة» (٢٦٢) .

وفي عام ١٩٦٣ نشر الباحث الإسرائيلي ل. ميللر مقاله المعنون «دراسة في علم الأوبئة» (٧٤٢) قارن فيه بيانات المرضى العقليين الذين دخلوا المستشفيات لأول مرة في إسرائيل عام ١٩٥٨ ، بالبيانات المقابلة المتوافرة عن يهود مدينة نيويورك والتي نشرها مالزبرج B. Malzberg عن الأعوام من ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ وقد تبين من المقارنة أن معدلات الاضطرابات البرانوية ، ثم الاضطرابات العصابية ، ثم اضطرابات الشخصية في إسرائيل تفوق كثيراً ـ وعلى الترتيب ـ معدلاتها لدى يهود نيويورك . كما أنها في حدود إسرائيل ترتفع لدى الذين ولدوا خارجها عنها بين أولئك الذين ولدوا فيها «وقد تدعم تلك الواقعة القول بأن عوامل الهجرة والتوافق والاضطهاد قبل المجيء إلى إسرائيل يمكن أن تكون مسئولة عن هذه الفروق . ويتزايد اتضاح دور عامل الاضطهاد حين نضع في الاعتبار أن اليهود المنتمين لأصول أوروبية ، والذين يعيشون في نيويورك يبدون معدلاً أقل بكثير من معدل يهود إسرائيل المنتمين لأصول أوروبية أيضاً فيما يتعلق بالاضطرابات البرانوية ، وأن الفرق بين المعدلين دال إحصائياً» .

وفي عام ١٩٦٣ أيضاً بدأ سولومون رتنج أستاذ علم النفس في جامعة أوهيو في نشر نتائج دراسته المقارنة لتغير الاتجاهات عبر أجيال متتالية من أعضاء الكيبوتز وأعضاء الموشاف في إسرائيل ، ومدى تأثر هذا التغير بالمناخ الثقافي الحضاري الذي يتم فيه . وقد نشرت نتائج تلك الدراسة في مقالين . ظهر الأول عام ١٩٦٣ بالاشتراك مع ب. سامانك تحت عنوان «بعض ملاحظات حول الأيديولوجية الأخلاقية للجيلين الأول والثاني من المستوطنين الجماعيين وغير الجماعيين في إسرائيل» (٨٤٣)، ونشر المقال الثاني عام ١٩٦٦ تحت عنوان «العلاقة بين الأنساق الاجتماعية والتغيرات عبر ـ الجيلية للاتجاهات الأخلاقية» (٨٤٤) .

وقد اختار رتنج لدراسته المقارنة بين ثلاثة أجيال متتالية من أعضاء الكيبوتزيم

والموشافيم في إسرائيل . ويقرر المؤلف منذ البداية أن أعضاء كلا النظامين يتشابهون من حيث السن والتركيب الأثني والظروف التاريخية التي أدت بهم إلى الهجرة فضلاً عن تشابههم في اللغة والثقافة . ويبقى الاختلاف بين النظامين في الأيديولوجية التي يتبناها كل منهما .

وقد شارك في هذه الدراسة ٨٣٨ مفحوصاً يمثلون أجيالاً ثلاثة من أبناء الكيبوتزيم والموشافيم في إسرائيل وينتمون إلى تسعة عشر كيبوتزاً وعشرة موشافيم . وينحدر المفحوصون جميعاً من أصول أوروبية شرقية ، وأفراد كلا الجيلين الأول والثاني ينحدرون بالتحديد من أصول بولندية . وقد اختير المفحوصون من الجيل الأول والثاني اختياراً عشوائياً من بين الجماعات التي استقرت في فلسطين قبل عام ١٩٣٥ والتي كان البولنديون يمثلون غالبيتهم . أما الجيل الثالث ، فرغم أن أفراده جميعاً ينحدرون أيضاً من أصول أوروبية شرقية إلا أنه لم يكن قاصراً على البولنديين وحدهم ، بل كان يضم إلى جانبهم أفراداً ينحدرون من أصول روسية ورومانية وكان التصنيف العددي للعينة كما يلي :

	عينة الكيبوتزيم	عينة الموشافيم
الجيل الأول	١٥٠	١٥٠
الجيل الثاني	١٥٠	١٥٠
الجيل الثالث	١١٥	١٢٣
المجموع	٤١٥	٤٢٣

وقد استخدم رتنج في دراسته مقياساً سبق أن صممه واستخدمه كريسمان منذ عام ١٩٤٢ . وهو عبارة عن خمسين جملة يطلب من كل مفحوص تحديد درجة موافقته أو رفضه لكل منها على متصل متدرج يمتد من واحد (الأقل خطأ أو غير الخاطىء) إلى عشرة (الأكثر خطأ) (٣٣٢ : ٤٢) وقد أدخل رتنج بعض التعديلات الطفيفة على فقرات المقياس كاستبدال عبارة «الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد» بعبارة «الذهاب إلى المعبد يوم السبت» وتم تقييم ثبات المقياس باستخدام معادلة كودر ـ ريتشارد سون فتراوح معامل الثبات بين ٠,٨٤ للجيل الأول الكيبوتزي و ٠,٨٩ للجيل الثالث الموشافي . كما تم اختبار صدق المقياس باستخدام أسلوب المجموعات المتضادة

حيث قورنت نتائج عينة من القساوسة الكاثوليك ومدرسي اللاهوتيات بالفاتيكان بنتائج عينة من الطلبة الملحدين بجامعة سيول الوطنية وغيرها من جامعات كوريا الجنوبية . وقد تنبّه رتنج إلى أن مثل هذه المقارنة قد تثبت صدق المقياس في مجال الاتجاه الديني فحسب ، ولذلك فقد نشر دراسته الأولى مع باسامانك التي أخضع فيها إجابات العينة العشوائية التي تضم أفراد الجيلين الأول والثاني والتي تبلغ ستمائة مفحوص للتحليل العاملي . وأسفر التحليل عن وجود تسعة عوامل متمايزة هي :

١ ـ الخلق الاستغلالي
مثال : «جعل الآخرين يقومون بالعمل من أجلك» .

٢ ـ التدين الأسري
مثال : «الأشخاص المتزوجون الذين يستخدمون وسائل منع الحمل» .

٣ ـ التطلع للرفاهية
مثال : «الحياة في مستوى يفوق إمكانيات الفرد بهدف الحصول على ما يستمتع به الأصدقاء والأقارب من رفاهية» .

٤ ـ الخلق الأمري
مثال : «مجتمع لا يعاقب مجرميه» .

٥ ـ الثقة المتبادلة
مثال : «الإخفاق المستمر في المحافظة على الوعود» .

٦ ـ الوطنية
مثال : «رفض حمل السلاح في حرب لا يعتقد المرء بعدالتها» .

٧ ـ الإجرام
مثال : «الإمساك بشخص وسرقة ما معه» .

٨ ـ الشفقة
مثال : «طبيب يسمح بموت طفل مشوه رغم أنه يمكنه إنقاذه وإن لم يكن في استطاعته إبراءه من عجزه» .

٩ ـ القتل المبرر
مثال : «قتل شخص دفاعاً عن حياة المرء» .

وتراوحت نسبة تشبع الفقرات بين ٠,٣٨ و ٠,٧٤ ولم تكن أي فقرة مشبعة بأكثر من عامل واحد . وقد استبعد رتنج ١١ فقرة لأنها لم تبد تشبعاً واضحاً . وبذلك بقي من المقياس الأصلي ٣٩ فقرة فقط . وقد تم تطبيق المقياس على المفحوصين جميعاً . ولم يطلب منهم تسجيل أية بيانات شخصية عنهم . سوى إيضاح الجيل والجماعة التي ينتمي إليها كل منهم . وكانت النتائج وفقاً لما أورده رتنج كما يلي :

العامل	عدد الفقرات	متوسط الأحكام					
		الكيبوتز			الموشاف		
		الجيل الأول ١٥٠ فرداً	الجيل الثاني ١٥٠ فرداً	الجيل الثالث ١١٥ فرداً	الجيل الأول ١٥٠ فرداً	الجيل الثاني ١٥٠ فرداً	الجيل الثالث ١٢٣ فرداً
الخلق الاستغلالي	٥	٤٢,١	٤٠,٥	٣٦,٧	٤٠,١	٣٦,٧	٣٤,٦
التدين الأسري	٥	١٦,٥	١٥,١	١١,٧	٢٦,٣	١٨,٦	١٩,٤
التطلع للرفاهية	٦	٥٢,٩	٤٩,٩	٤٤,٧	٥٤,٤	٥٢,٣	٥٠,٠
الخلق الأمري	٥	٤٧,٦	٤٧,٤	٤٦,١	٤٨,٠	٤٧,٣	٤٦,٤
الثقة المتبادلة	٥	٤٨,٣	٤٧,٣	٤٥,٥	٤٨,٦	٤٧,٠	٤٦,٧
الوطنية	٤	٢٩,٩	٣١,٤	٢٩,١	٣٢,٠	٣١,٧	٣٠,٣
الإجرام	٣	٢٩,٠	٢٩,٠	٢٧,٨	٢٩,١	٢٨,٥	٢٨,٣
الشفقة	٣	٢٣,٠	٢٢,٧	٢٠,٥	٢١,٤	٢٠,١	١٩,٤
القتل المبرر	٣	١٨,٦	١٧,٨	١٧,٤	١٦,٦	١٦,٧	١٦,٤

وركز رتنج معالجاته الإحصائية لنتائجه في اتجاه مقارنة معدل التغير عبر الجيلي لدى عينة الكيبوتز بذلك المعدل لدى عينة الموشاف . ولم تسفر هذه المقارنة عن فروق دالة إلا فيما يتعلق بعاملين فحسب من العوامل التسعة هما : التدين الأسري ، والتطلع للرفاهية . أما بالنسبة لبقية العوامل فلم يكن ثمة فروق ذات دلالة بين الكيبوتزيين وغيرهم بشأنها . ويرجع رتنج هذه الفروق إلى طبيعة المناخ الأيديولوجي السائد في الكيبوتز .

ولقد قمنا بحساب دلالة الفروق بين متوسط أحكام أبناء الكيبوتزيم وأبناء الموشافيم داخل نطاق كل جيل وبالنسبة لكل عامل على حدة . فلم تسفر مقارنتنا عن وجود أية فروق ذات دلالة بين المجموعتين .

وعلى أي حـال فإنـه إذا كان رتنـج مهتماً بقضيـة المقارنـة بين مجمـوعتين اشكنازيتين فإن ما يعنينا نحن في المقام الأول هو تبين الاتجاهات العامة لـلأفراد جميعاً كمجموعة اشكنازية واحدة . وبناءً على ذلك فقد قمنا بحساب البيانات التالية اعتماداً على بيانات الجدول السابق .

العامـل	متوسط الجيل الأول	متوسط الجيل الثاني	متوسط الجيل الثالث	المتوسط العام	معامل * قوة الإدانة
الخلق الاستغلالي	٤١,١	٣٨,٦	٣٥,٦	٣٨,٤	٧٦,٨
التدين الأسري	٢١,٤	١٦,٨	١٥,٥	١٧,٩	٣٤,٨
التطلع للرفاهية	٥٣,٦	٥١,١	٤٧,٣	٥٠,٧	٨٤,٥
الخلق الأمري	٤٨,١	٤٧,٣	٤٦,٢	٤٧,٢	٩٤,٤
الثقة المتبادلة	٤٨,٤	٤٧,١	٤٦,١	٤٧,٢	٩٤,٤
الوطنية	٣٠,٩	٣١,٥	٢٩,٧	٣٠,٧	٧٦,٧
الاجرام	٢٩,٥	٢٨,٧	٢٨,٥	٢٨,٩	٩٦,٣
الشفقة	٢٢,٢	٢١,٤	١٩,٩	٢١,٢	٧٠,٧
القتل المبرر	١٧,٦	١٧,٢	١٦,٩	١٧,٢	٥٧,٣
معامل قوة الإدانة * *	٨٠,٠٢	٧٦,٨٤	٧٣,٢٥		

لقد قمنا في الجدول السابق بحساب متوسط أحكام كل جيل كما يتضح من الأعمدة الثاني والثالث والرابع وذلك بالنسبة لكل عامل . ثم استخرجنـا المتوسط العام للأجيال الثلاثة بالنسبة لكل عامل أيضاً كما يتضح من العمود الرابع . ثم قمنا

(*) معامل قوة الإدانة بالنسبة لكل عامل = $\frac{\text{المتوسط العام}}{\text{عدد الفقرات} \times 10} \times 100$ وذلك على أسـاس نسبة المتـوسط العـام إلى الحـد الأقصى لـلإدانـة بـاعتبـار أن أقصى إدانـة لكـل سؤال تسـاوي ١٠ درجات .

(*) معامل قوة الإدانة بالنسبة لكل جيل = $\frac{\text{مجموع المتوسطات للجيل}}{39 \times 10} \times 100$ وذلك على أساس أن عـدد فقرات المقيـاس المستخدم ٣٩ وبـالتالي فـإن الحد الأقصى لـدرجة الإدانـة يسـاوي ٣٩ × ١٠ .

بحساب ما أطلقنا عليه «معامل قوة الإدانة» بالنسبة لكل عامل كما يتضح في العمود الأخير وذلك تيسيراً لما نحتاجه من مقارنة بين العوامل وبعضها . وفضلاً عن ذلك فقد قمنا بحساب «معامل قوة الإدانة» بالنسبة لكل جيل كما يتضح من الصف الأخير مفترضين أن ذلك المعامل يعكس قوة الحكم الأخلاقي بعامة لدى أفراد كل جيل . ونستطيع أن نخلص من بيانات الجدول بالنتائج الآتية :

١ ـ اتضح أن الفروق بين الأجيال في «معامل قوة الإدانة» فروق غير دالة احصائياً (كا٢ = ٣,٠) وذلك يعني أنه ليس من فجوة بين الأجيال الاشكنازية الإسرائيلية في مجال القيم الأخلاقية . والتوصل إلى تلك النتيجة قد يسهم كثيراً في فهم الظاهرة التي استوقفت انتباه الكثيرين من الإسرائيليين وغير الإسرائيليين أعني ظاهرة انعدام مظاهر احتجاجات الشباب الاشكنازيم في إسرائيل (٥٤ ، ٧٨ ، ٣٧٧ ، ٦١٧ ، ٧٨٧) .

٢ ـ اتضح أن الفروق بين العوامل في «معامل قوة الإدانة» فروق دالة إحصائياً (كا٢ = ٤٢,٤٨٢) مما يتيح إمكانية المقارنة بين العوامل المختلفة من حيث الموقف الأخلاقي منها . ويتضح من هذه المقارنة أن أقل العوامل إدانة لدى عينة البحث هي بالترتيب : التدين الأسري ، والقتل المبرر ، والشفقة (التي تصل إلى حد تبرير القتل) . وأن أشد العوامل عرضة للإدانة هي : الإجرام ، الخلق الأمري ، والثقة المتبادلة .

وفي عام ١٩٦٤ نشر أيتنجر دراسته المعنونة «الناجون من معسكرات الاعتقال» التي أشار فيها إلى دراسة أجراها على خمسة وستين يهودياً إسرائيلياً من الناجين من معسكرات الاعتقال النازية والمقيمين في أحد الكيبوتزات في إسرائيل فاتضح له أن ثلاثة منهم فقط لا يشكون من أعراض مرضية محددة أما الباقون فيشكون أساساً من أعراض سيكوسوماتية رغم مشاركتهم النشطة والفعالة في كافة أعمال الكيبوتز (٣٨٥) .

وفي عام ١٩٦٥ نشر الباحث الأمريكي برترام هربارت رافين بالاشتراك مع الباحثة الأمريكية والدا فيدرلف مقالهما المعنون «تأثيرات الحضارة وسلوك الزميل على استراتيجية تباري الشخصين» (٨٣٨) ويشغل رافين منصب أستاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس . وهو من الأساتذة المهتمين على وجه الخصوص

بمجال التأثيرات الاجتماعية في السلوك عامة ، ومجال ديناميات الجماعة على وجه الخصوص . أما لف فهي باحثة مساعدة في كلية التربية بجامعة نيويورك وهي مهتمة أساساً بموضوع سيكلوجية التأثير الاجتماعي في مجال الاتصال والإدراك . وتصادف أن قضى المؤلفان العام الدراسي ٦٣/٦٢ في منحة دراسية حيث كان رافين أستاذاً زائراً في قسم علم النفس بالجامعة العبرية . وقد قام مكتب بحوث البحرية الأمريكية بتمويل بحثهما المشار إليه .

وتهدف الدراسة إلى اختبار السلوك التعاوني والتنافسي من حيث تأثرهما بخطة الزميل الآخر . وكذلك بحث آثار الثقافة كما تنعكس في المجال الأيديولوجي على السلوك التعاوني . وقد استخدم الباحثان أسلوباً شاع استخدامه لفترة في بحوث علم النفس الاجتماعي وإن كان قد أخذ في الخفوت منذ أواخر الخمسينيات بحيث أصبح استخدامه نادراً في الستينيات (٥٢٣) ، ويعرف ذلك الأسلوب باسم «مشكلة السجين»* .

وقد اختار الباحثان الكيبوتز الإسرائيلي حيث تعتبر المنافسة ـ فيما يريا ـ أمراً منافياً للقيم الأخلاقية السائدة فيه . ونظراً لتباين ما توليه الكيبوتزات الإسرائيلية

(*) يقوم هذا الأسلوب على موقف تصوري مؤداه أن (أ) و (ب) اتهما في جريمة ارتكباها وقبض عليهما من جرائها . ولم تكن الأدلة المتوافرة كافية لإدانة أي منهما ، وإن كان محتملاً الحكم عليهما بالسجن لتهمة أخرى خفيفة كالتشرد مثلاً وتقوم السلطات بمقابلة كل منهما على انفراد وتعرض عليه أن يعترف على زميله مقابل تخفيف الحكم عليه إذا ما أدين نتيجة لاعتراف زميله عليه . كما أنه إذا لم يدن من جراء ذلك الاعتراف فلسوف تسقط عنه أيضاً تهمة التشرد . ومن هنا فإن مشكلة السجين تتمثل في أنه حيال اختيارين :

(أ) ألا يعترف وبالتالي يتعرض لزيادة العقوبة إذا ما اعترف عليه الآخر الذي ستخفف عقوبته .

(ب) أن يعترف فيضمن بهذا تخفيف العقوبة أو إلغائها مع احتمال أن يحجم الآخر عن الاعتراف فيكون بذلك قد تسبب في الإضرار به في حين كان يمكنه برفض الاعتراف أن يخفف الحكم عليهما معاً . وبالتالي فإن السلوك التعاوني إنما يعني عدم الاعتراف . وتقوم تجارب علم النفس الاجتماعي التي تستخدم هذا الأسلوب على موقف مشابه يطلب فيه من كل من اللاعبين الاختيار بين بديلين أ ، ب ويتوقف المكسب والخسارة التي يحرزها كل منهما على تركيب اختباراتهما معاً والتي تتم سراً وتعلن في وقت واحد .

المختلفة من اهتمام بالأيديولوجيـة الجماعيـة فقد تم اختيـار الأفراد من كيبـوتزيين ينتميان إلى اتحادين مختلفين :

(أ) اتحاد هاآرتزي وهو امتداد لحركة الشباب الرواد هاشومير هـاتزائيـر التي تأسست في بولندا عام ١٩١٧ وجميع أعضاء كيبوتزات هذا الاتحاد أعضاء في حزب المابام اليساري الإسرائيلي .

(ب) اتحاد ايحود وينتمي غالبية أعضاء كيبوتزاته إلى حزب الماباي العمالي اليميني الحاكم ، وإن كان الاتحاد يسمح بتعدد الولاءات السياسية لأعضائه .

وذلك بافتـراض أن اتحاد هـاآرتزي أكثـر تأكيـداً على التعاون من اتحـاد ايحود . ويتضح ذلك وفقاً لما يراه الباحثان في مجالات عديدة مثل : الاتجاه نحو الفروق في المكانة الاقتصادية وفي الممتلكات ، وتباين صرامة المـوقف من تربيـة الأطفال ، وتباين الموقف من العمل المأجـور والإصرار على الالتـزام الأيديـولوجي المحـدد كأساس للعضوية . وتوقعا بناءً على ذلك التصور أن يتزايد ظهور التعاونية لدى أعضاء كيبوتز اتحاد هاآرتزي عنه لدى أعضاء كيبوتز اتحاد ايحود .

وقد شملت عينات البحث المجموعات التالية :

(أ) مجموعة مدرسة بيت بيرل الثانوية وتضم ٦٧ كيبوتزياً من طلاب الثانوي : ٢٧ ذكراً و ٤٠ فتاة ينتمون جميعاً لكيبوتز ايحود . وهم جميعاً من طلاب السنة النهائية السابقة على التجنيد .

(ب) مجموعة جيفات هافيفا وتضم ٦٤ كيبوتزياً من طلاب الثانوي : ٣٠ ذكراً و ٣٤ فتاة ينتمون جميعاً لكيبوتز هاآرتزي ، وقد حضروا إلى جيفات هافيفا للاشتراك في حلقة دراسية تستمر لمدة أسبوع وتضم طلبة السنة النهائية في الدراسة الثانوية السابقة أيضاً على الالتحاق بالخدمة العسكرية .

(جـ) جماعة من الطلاب الأمريكيين اليهود الصهاينة تضم ٣٥ طالباً : ١٥ ذكراً و ٢٠ فتـاة تتراوح أعمـارهم بين ١٧ و ١٩ عامـاً وهم ينتمون جميعـاً إلى منظمـة شبـاب جـوديا Young Judea وهي إحـدى المنظمـات الصهيونيـة في الولايـات المتحـدة الأمريكية . وقد قدم هؤلاء الطلاب إلى إسرائيل لقضاء عام دراسي بها .

ويقرر الباحثان بوضوح في عرضهما لنتائجهما أن «ثمة تشابهاً مدهشاً بين نتائج

الطلاب الأمريكيين من غير الذين شملتهم الدراسة وشباب الكيبوتزات حيث تشير النتائج إلى ميل أساسي نحو اختيار الاستجابات غير التعاونية» . ويمضي الباحثان في عرضهما فيؤكدا أنه «على عكس توقعاتنا لم تسفر الاختلافات في ايديولوجية الكيبوتز عن تأثيرات ذات دلالة فيما يتعلق باتباع السلوك التعاوني في المباراة . فلقد أبدى الكيبوتزيون وبدرجات متفاوتة ميلهم إلى اتباع الاستراتيجية التنافسية بعامة» .

ويورد الباحثان تفسيراً لما أسفرت عنه نتائجهما يتعارض تماماً مع مقدماتهما النظرية فيقولا : «وليس من غرابة في ذلك فقد تم تشكيل الموقف باعتباره موقف تباري . وثمة مجالات عديدة داخل الكيبوتز تبدو فيها المنافسة مقبولة في المباريات عموماً وليس من مبرر لافتراض أن الأيديولوجية التعاونية في الكيبوتز يمكن أن تؤدي إلى مزيد من السلوك التعاوني حين يواجه عضوان كيبوتزيان بعضهما أمام رقعة شطرنج مثلا» .

والأمر الذي يستوقف الانتباه حقاً هو أن يفسر الباحثان تعارض النتائج التي يسفر عنها بحثهما مع فروضهما التي أورداها في مقدمة البحث بأن «ليس من غرابة في ذلك» . فلو لم تكن ثمة غرابة من الناحية النظرية في تعارض نتائج البحث مع فروضه لكن الأجدر بالباحث أن يعكس فروضه منذ البداية .

وفي عام ١٩٦٦ نشر س. ايزنبرج مقالاً بعنوان «علاقة الاكتئاب بالسلطوية والأثنية في ثلاث مجموعات اثنية فرعية إسرائيلية» (٣٧٩) . ويقوم بحث ايزنبرج على المقارنة بين مجموعة عراقية وأخرى رومانية وثالثة بولندية من المجموعات المكونة للتجمع الإسرائيلي . وقد استخدم الباحث بعض الاستبيانات التي أسفرت عن عدم وجود ارتباط موجب بين التعصب والاكتئاب كما أسفرت النتائج أيضاً لما ورد في المقال عن أنه ليس صحيحاً ما هو شائع لدى الرأي العام الإسرائيلي من أن المهاجرين الشرقيين أكثر تسلطية ومحافظة من غيرهم «إذ تبين أنه ليس من فروق جوهرية في مستوى السلطوية أو الاثنية بين العراقيين والرومانيين والبولنديين» .

ونستطيع أن نستخلص من نتائج بحث ايزنبرج أن التجمع الاسرائيلي كموقع جذب للهجرة اليهودية يمارس نوعاً من الانتقائية يفسر تقارب أفراده من حيث السلطوية والاثنية . علماً بأن ذلك التقارب أو التشابه لا يعني بالضرورة تماسك أولئك الأفراد ، بل لعله أقرب إلى أن يكون مؤشراً على تفككهم بما يدفع إليه من عدوان

متبادل بين الجماعات اللهم إلا إذا اتجه ذلك العدوان إلى الخارج .

وفي عام ١٩٦٧ نشر الباحث الاسرائيلي هـ. ز. وينيك مقاله المعنون «مزيد من التعليقات حول مشكلات وعلاج التأثيرات السيكوپاثولوجية المتأخرة للاضطهاد النازي» (١٠١٩) . وصاحب المقال[1] هو أستاذ الطب العقلي بالجامعة العبرية وأيضاً بكلية هاداسا الطبية إلى جانب أنه المدير الطبي لمستشفى تالبيه للأمراض العقلية بالقدس . وعلى أي حال فإن مقال وينيك يعكس اتجاهاً عاماً لدى العلماء الإسرائيليين نحو الاهتمام بالمترتبات الناجمة عن الخبرة النازية بالتحديد (٣٥٩ ، ٤٨٨ ، ٥٧٦ ، ٧٥٧ ، ٧٦٧ ، ٩٢٣) .

ويبدأ مقال وينيك بإبرازه أن أياً من المؤتمرات الطبية العديدة التي شهدتها إسرائيل لم يهتم بدراسة مشكلات الناجين من النازية . وأن الحال قد استمر كذلك إلى أن عقدت جمعية التحليل النفسي في يوليو ١٩٦٦ حلقة دراسية تركزت موضوعاتها حول الخبرة العلاجية لأعضاء الجمعية في معالجة أولئك الضحايا .

ووفقاً لبيانات مكتب الاحصاءات المركزية كما أوردها وينيك يتضح أنه قد وصل إلى إسرائيل من القارة الأوروبية فيما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٣ حوالي ٣٩١ ألف مهاجر منهم ٣٤٣ ألفاً وصلوا فيما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٣ وهي الفترة التي يطلق عليها اسم فترة الهجرة الكبرى ، والتي كان أكثر من نصف أعضائها ضحايا لأنواع متعددة من الاضطهاد «المباشر والقاسي والمستمر» . ثم يشرع وينيك بعد ذلك في استعراض لأهم الدراسات التي سبقته .

لقد أصدر فيليس بالجي Phyllis Palgi عام ١٩٦١ تقريراً بعنوان «الصحة العقلية في إسرائيل : اتجاهات اقتصادية حضارية» ، كما نشر م. دفورجتسكي M. Dvorjetski عام ١٩٦٢ مقالاً بعنوان «هجرة الفارين من أوروبا إلى إسرائيل» ويعلق وينيك على نتائجهما بقوله «لعله من الأمور ذات الدلالة ما يشير إليه فيليس بالجي ، وم. دفورجتسكي من أن الناجين من مذابح النازية لا يبدون ميلاً للانضمام إلى الكيبوتزات رغم ما توفره لهم من أمان اقتصادي واجتماعي ، ويفسر بالجي تلك

(١) كان لوينيك إبناً يعد من أبرز القوّاد الاسرائيليين العسكريين الذين وصلوا على رأس وحدتهم إلى قناة السويس في يونيو سنة ١٩٦٧ (١٦٨) .

الواقعة بأنها تعبر عن تحاشيهم للحياة الجماعية التي تذكرهم بفترة اعتقالهم في المعسكرات النازية . وما عانوه فيها من افتقاد للخصوصية» .

ولا يحاول وينيك أن يتعرض بالمناقشة لتفسير بالجي لنفور ضحايا النازية من الانضمام للكيبوتزات ، وهل يمكن الاكتفاء تفسيراً لتلك الظاهرة باعتبارها تعبيراً عن تحاشي ما يذكرهم بالحياة الجماعية في معسكرات النازية ؟ وهل الحياة الجماعية هي كل ما في الكيبوتز ؟ ، وهل الحياة الجماعية هل كل ما في معسكرات التعذيب النازية ؟ أم أن ثمة أوجه شبه أخرى بين هذا وذاك ؟ إن ما كان ينبغي لوينيك أن يتصدى له بالتفسير هو أن الكيبوتزات مؤسسات اشكنازية أقامها واستوطنها وسهر عليها يهود أشكنازيون قادمون أساساً من وسط وشرق أوروبا ، أي من نفس التجمعات السكانية التي قدم منها ضحايا النازية . لهم نفس تاريخهم الحضاري والاقتصادي والاجتماعي . لا يختلفون عنهم سوى في تعرضهم لخبرة قاسية ذات طبيعة خاصة . ومع ذلك فإن أصحاب تلك الخبرة بالتحديد ينفرون من التجربة الكيبوتزية بالذات . وإذا صح تفسير بالجي الذي يوافقه عليه وينيك ضمناً لوجب أن يعبر هؤلاء عن نفورهم كذلك من جوانب أخرى من الحياة الجماعية في الجيش مثلاً أو ما إلى ذلك من خبرات قتالية جماعية بطبيعتها .

إن ميخائيل أيلكينز في كتابه المعنون فتية **صهرهم الغضب** (٣٨٧) يورد من الوقائع ما لا يدع مجالاً للشك في أن التعرض لخبرة معسكرات الاعتقال النازية قد أنتجت فيما أنتجت نماذجاً يهودية قتالية أشد تمسكاً بنمط الحياة الجماعية على مستوى الممارسة القتالية ممن لم يتعرضوا لتلك الخبرة . وفضلاً عن ذلك فإن و. جاكوب W. Jacob وفقاً لما ينقله عنه وينيك ـ يقرر أن التوافق الاجتماعي لأولئك الناجين من العسف النازي في إسرائيل قد حقق من النجاح ما يفوق تحققه في أي بلد آخر وخاصة في أوروبا. ويدعم وينيك نفسه هذا الرأي بقوله : «إن مشاركة هؤلاء الناجين في نضال مشترك لتأسيس الدولة يساعد على تشكيل الأساس المشترك بينهم وبين المهاجرين القدامى ، أي أنه يحقق وظيفة علاجية . فلهؤلاء المهاجرين هدف واضح يمكنهم من استخدام عدوانيتهم المخزونة لتحقيقه . لقد عاش بعضهم مرة أخرى خبرة معاناة النواح لموت الأقارب أي الرفاق القتلى» ويمضي وينيك مؤكداً: «لقداتضح أن للمناخ المحلي تأثيراً مفيداً من الناحية الاجتماعية العلاجية لدى نسبة كبيرة من الناجين من المذابح الأوروبية لأنه يتيح لهم مزجاً جيداً بين الرفاهية والأمان

من ناحية ، وبين مواجهة الواقع من ناحية أخرى» بل إن وينيك يحدد عناصراً ثلاثة يرى أنها يسرت إعادة التكامل إلى أولئك الناجين من العسف النازي :

أولاً : كبر حجم الجماعة التي تشارك أفرادها في معاناة خبرات صادمة متشابهة يساعد على تقليل ما يوصف عادة بالشعور بالغربة والصد و «الشعور بأن المرء مختلف عن غيره» .

ثانياً : لقد كانت عملية التوافق بما يصحبها عادة من قلق وتململ مشكلة عامة تواجه الدولة الجديدة وليست بالمشكلة القاصرة على هؤلاء الناجين دون غيرهم .

ثالثاً : رغم كل ما لقيه هؤلاء الناجون من تعاطف وتسامح وعون ومساعدة فإنهم لم يلقوا أي تشجيع لحنينهم إلى الاعتمادية . وقد أسهم هذا الاتجاه الواقعي في تنشيط قدراتهم العقلية كما نمى من تعاونهم مع مؤسسات الدولة .

إن نفور هؤلاء من ناحية الكيبوتزات ـ لو صح أنه يمثل قسمة عامة وهو ما نشك فيه ـ قد يرجع فيما نرى إلى أن تلك الحياة لا تقدم لهم شيئاً جديداً ولا تعدهم بشيء جديد . لقد صهرتهم معسكرات الاعتقال النازية بما لا يدع للكيبوتزات وظيفة تؤديها لهم . لقد أصبحوا على استعداد للبدء فوراً فيما يسميه وينيك «نضال مشترك لتأسيس الدولة» وهو هدف واضح يمكنهم من استخدام «عدوانيتهم المخزونة» .

ولا يعني ذلك التوافق الاجتماعي للناجين من العسف النازي في إسرائيل أنهم لا يبدون أعراضاً مرضية تميزهم . يشير وينيك إلى أن بالجي قد أجرى دراسة استخدم فيها استبياناً وزعه على أشهر الأطباء العقليين في إسرائيل . وأسفرت النتائج المنشورة لتلك الدراسة عن قائمة تتضمن أهم شكاويهم وهي : ـ ذكريات حية ومرعبة لخبرات الرعب والإفناء ـ الخوف من الموت وما يثيره ذلك من قلق ـ الكوابيس ـ الشعور بالعزلة ، وبأن المرء مفرغ من الداخل ـ العجز عن إقامة اتصال اجتماعي حتى مع أفراد الأسرة ـ ضيق نطاق الاهتمامات الشخصية ـ سطحية العواطف والانفعالات ـ تأنيب الذات ـ الشعور بالإثم ـ صعوبة إقامة رابطة انفعالية مستمرة مما يعزي إليه الفشل الملحوظ في عدد من الزيجات بين بعض أولئك الذين يشتركون في الأصل والتاريخ .

ويولي وينيك اهتماماً خاصاً بنشاطات منظمة هجرة الشباب وهي المنظمة التي أسستها هنرييتازولد H. Szold عام ١٩٣٤ بهدف توفير الرعاية للأطفال والشبان فيما

أقل من ١٨ سنة ولكي تتيح لهم التغلب على مصاعب التوافق مع المجتمع الجديد . ووفقاً للاحصاءات التي أتيح لوينيك الاطلاع عليها فقد بلغ عدد من قامت المنظمة بتهجيرهم إلى فلسطين ممن تقل أعمارهم عن ١٨ سنة في الفترة من ١٩٣٤ إلى ١٩٦٥ أي خلال ما يزيد عن ٣٠ عاماً ٩٢٢٨٦ فرداً من بينهم ٤٨٦٧٢ فرداً أي ٤٦,٨٪ قدموا من بلدان أوروبية . ومن بين هؤلاء ٣١٧٧٧ ممن قضوا سنوات الحرب في مناطق تخضع للاحتلال الألماني ، وقد هاجر غالبيتهم في الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٣ ، ويضم ذلك العدد الأخير ١٦٣١٧ فرداً ـ أي ٤١,٥٪ ـ تعرضوا شخصياً لأنواع مختلفة من خبرات الاضطهاد . فقد مر بعضهم بخبرة الاختفاء في الملاجىء والأديرة ، وحمل أوراق مزورة ، فضلاً عن أن ما لا يقل عن ٥٥٨٣ فرداً منهم قد مروا بشكل مباشر بخبرة معسكرات الاعتقال والعمل الألمانية الشهيرة . ومن الناحية العملية فإن كلاً منهم فقد أحد أبويه أو كلاهما .

ويشير وينيك إلى دراسة نشرت عام ١٩٥١ وأجريت على هؤلاء الأطفال والشبان الذين تقل أعمارهم عن الثامنة عشرة من الذين أنقذوا من العسف النازي وهاجروا إلى إسرائيل . وتشير تلك الدراسة إلى أن أولئك الشبان لا يقلون عن أقرانهم الأوروبيين فيما يتعلق بقدرتهم على التعلم أو على العمل «إلا أن ثمة ما يعوق توافقهم الاجتماعي على المستوى الشخصي الوثيق أي فيما يتعلق باكتساب الأصدقاء وتكوين عائلات مستقرة» .

وتمضي نتائج تلك الدراسة ـ وفقاً لما يعرضه وينيك ـ فتشير إلى «أن سلبية هؤلاء الأطفال ، والتزامهم الصمت بمجرد الاقتراب من خبراتهم الصادمة التي سبق أن تعرضوا لها ، إنما يدل على نوع معين من العجز وليس على مقاومة إيجابية . ويتجلى هنا العجز عن التعبير بالكلمات عن ذلك الجزء من التاريخ الشخصي كما لو كانت تلك الخبرات الصادمة قد تقهقرت إلى عالم ما قبل اللغة» .

وتقرر أيضاً نتائج تلك الدراسة وبوضوح «أن الكثير من هؤلاء الناجين يرغبون عن طلب العون الطبي . ويرجع ذلك من ناحية إلى نقص مبادأتهم . ومن ناحية أخرى إلى ريبة راسخة لديهم نحو الآخرين ، ومن ناحية ثالثة إلى رغبتهم اللاشعورية في التمسك بأعراضهم . وكثيراً ما يردد هؤلاء الناجون عبارة بالغة الدلالة مؤداها أن أحداً لا يستطيع أن يفهمهم سوى أولئك الذين عانوا خبرات مشابهة لخبراتهم وهو

نفس ما يردده العديد ممن يعانون من اضطرابات ذهانية»[1] .

ويعرض وينيك بعد ذلك لما خلص إليه تروتمان E.C. Trautman في دراسة له نشرها عام ١٩٦١ من أنه «يصعب تحليل الحياة الانفعالية والعقلية لأولئك الناجين نتيجة للحاجز السيكلوجي الذي يحول دون النفاذ إلى المستويات الأعمق من عقولهم» .

كذلك يحدد هوب K.H. Hoppe في دراسة له نشرها عام ١٩٦٥ ثلاثة صور أكلينيكية تسود بين هؤلاء «أكثرها انتشاراً صورة رد الفعل الاكتئابي المزمن ، الذي يتميز بغلبة الأفكار الاضطهادية» .

ثم ينتقل وينيك بعد ذلك إلى تناول دراستين مسحيتين لانتشار الأمراض العقلية في إسرائيل نشرتهما وزارة الصحة الإسرائيلية . وقد اقتصرت كلا الدراستين على المرضى من نزلاء المستشفيات العقلية . ونشرت الدراسة الأولى عام ١٩٥٩ . وتناولت بالتحليل البيانات الأساسية للمرضى الذين غادروا المستشفيات عام ١٩٥٧ . أما الدراسة الثانية فقد نشرها هاليفي H.S. Halevy عام ١٩٦٠ وتناولت بالتحليل بيانات المرضى الذين دخلوا المستشفيات خلال عام ١٩٥٨ ويعتمد وينيك في تناوله لبيانات هاتين الدراستين على التحليل الذي أجراه الباحث الإسرائيلي ل. ميللر لتلك البيانات وضمّنه دراسته المعنونة «الطب العقلي الاجتماعي ، وعلم الأوبئة ، في مجال الصحة العقلية في إسرائيل» (٧٤٢) .

يشير وينيك وهو بصدد التعليق على نتائج تحليل ميللر إلى أنه «من المدهش أن مرضى الذهان الاكتئابي من اليهود الإسرائيليين من مواليد أوروبا يبلغون ضعفي عددهم بين اليهود المنتمين إلى أصول شرقية . بينما يبلغ عدد المرضى المصابين ـ وخاصة أولئك الذين يبدون ردود فعل هستيرية بين اليهود الشرقيين ما يزيد عن عشرة أضعاف عددهم بين اليهود الغربيين» .

وفضلاً عن ذلك فإن «محاولات الانتحار لدى اليهود الاشكنازيم الذين يعانون الاكتئاب في إسرائيل تبلغ خمسة أمثال نظيرتها لدى اليهود الشرقيين الذين يعانون من الاكتئاب أيضاً» .

---

(١) التأكيد من لدينا .

ولقد تدعمت النتائج السابقة بدراسة تحليلية أجراها وينيك للبيانات الاحصائية الخاصة بألف مريض تم قبولهم في إحدى مؤسسات العلاج العقلي بإسرائيل في الفترة بين أغسطس ١٩٥٨ وسبتمبر ١٩٥٩ . يشير وينيك إلى أن الاحصاء السنوي الذي أجري في إسرائيل عام ١٩٦٤ قد تضمن للمرة الأولى استبياناً يتضمن أسئلة تتعلق بخبرات الاضطهاد السابقة . ولكن هذه البيانات قد جمعت بعد مضي حوالي عشرين عاماً على التحرير من معسكرات الاعتقال ، وبعد مضي حوالي عشر سنوات على الهجرة . وعلى أي حال فقد تضمن الاحصاء تقاريراً واضحة عن الاضطهاد قدمها ٦٣٣ مريضاً تتراوح أعمار ثلثيهم بين ٤٠ سنة و ٥٩ سنة ، ويمثلون حوالي ١٣,٣ ٪ من نزلاء المستشفيات ممن تزيد أعمارهم عن ٣٠ عاماً ، و ١٩,١ ٪ ممن تزيد أعمارهم عن ٤٠ عاماً . كذلك فقد لوحظ ارتفاع نسبة الذهان بين المهاجرين الأوروبيين الذين عانوا شخصياً من العسف النازي إلى ضعف نظيرتها لدى المهاجرين الأوروبيين الذين لم يتعرضوا لمثل هذا العسف .

ويجري وينيك تحليلاً لبيانات إحصائية توافرت له عن عام ١٩٥٣/١٩٥٢ مقارناً بين مجموعات ثلاث :

(أ) ٤٥,٠٠٠ من المهاجرين القدامى ، أي من الذين هاجروا قبل ١٩٤٨ .
(ب) ٢٨,٠٠٠ من المهاجرين حديثاً من أوروبا .
(جـ) ١٢,٠٠٠ من المهاجرين حديثاً من آسيا وأفريقيا .

واستخلص وينيك من تحليلاته المقارنة لهذه المجموعات أن ثمة أمراضاً سيكوسوماتية معينة تزيد معدلاتها بين مهاجري بعد الحرب من البلدان الأوروبية . وأهم هذه الأمراض هي :

قرحة المعدة ، وقرحة الإثني عشر ، وزيادة إفراز الغدة الدرقية ، وأمراض الشرايين .

كذلك أجرى وينيك مقارنة في مجال الأمراض السيكوسوماتية أيضاً بناءً على بيانات احصاء ١٩٦٣ بين مجموعات أربعة أخرى هي :

(أ) مجموعة من المستوطنين الكيبوتزيين المهاجرين تضم ٣٣٠ فرداً .
(ب) مجموعة من سكان المستوطنات الزراعية اليمنيين تضم ٨٠٠٠ فرد .
(جـ) مجموعة من سكان الحضر المهاجرين تضم ٢٥٨٢٣ فرداً .

(د) مجموعة من سكان الحضر من المهاجرين القدامى تضم ٢٨٣٨٥ فرداً .

ويشير وينيك إلى أن نفس الفروق التي اتضحت في المقارنة السابقة قد اتضحت أيضاً في المقارنة الحالية ولكن بدرجة أقل .

لقد انحصرت المقارنات السابقة سواء التي أجراها وينيك بنفسه أو التي تضمنتها الدراسات التي أشار إليها والتي أجراها غيره في نطاق المقارنة بين فئات مختلفة داخل التجمع الإسرائيلي . أما في مجال المقارنة بين انتشار الأمراض العقلية داخل التجمع الإسرائيلي وانتشارها في العالم . فإن وينيك يشير إلى أن عدد المرضى العقليين الذين يحتاجون إلى علاج داخل المستشفيات يبدو في إسرائيل أقل إلى حد ما عنه في البلدان الغربية . ويرجع وينيك ذلك إلى عدة عوامل متداخلة التأثير هي :

(أ) قلة عدد الأسرة حيث لا تتجاوز نسبتها في إسرائيل سريرين ونصف لكل ألف من السكان .

(ب) قد تلعب بعض العوامل الاجتماعية الثقافية دورها في دفع بعض فئات المهاجرين إلى الإحجام عن اللجوء إلى المستشفيات العقلية للعلاج . «ولكن ثمة دراسات تشير إلى أنه حتى أولئك المهاجرين من دول تتميز بانخفاض مستوى الرعاية الطبية بها ، وبسيادة مفاهيم سحرية عن الأمراض العقلية وعلاجاتها لا يحجمون عن تقبل الرعاية الطبية الحديثة أو الإقامة في المستشفيات للعلاج» .

(جـ) قد يكون ذلك الانخفاض راجعاً إلى انخفاض في انتشار الكحال وأعصبة الزهري التي تمثل الآن المصدر الرئيسي لنسبة كبيرة من نزلاء المستشفيات العقلية في أوروبا .

وفي عام ١٩٦٨ نشر الطبيب العقلي الأمريكي ليو ألكسندر مقاله المعنون «الطب العقلي العسكري ، والاحتلال ، ومشكلات اللاجئين في اسرائيل» (١٦٨) وهو المقال الذي قرأه المؤلف في الاجتماع السنوي لجمعية بوسطن للطب العقلي والنيورولوجيا الذي عقد في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٧ . وليس هذا المقال بحثاً بالمعنى المعروف بل هو نتاج لزيارة قام بها الباحث لإسرائيل عقب معارك يونيو مباشرة والتي يقول عنها : «خلال زيارتي لإسرائيل في الفترة من ١١ إلى ٢٧ يوليو سنة ١٩٦٧ أتيح لي إجراء مناقشات مع الأطباء العقليين الإسرائيليين المدنيين والعسكريين حول خبرات الطب العقلي التي تجمعت خلال حرب الأيام الستة التي نشبت بين إسرائيل

وقوى الدول العربية مجتمعة وخاصة مصر وسوريا والأردن» . والملاحظات الواردة في المقال «ترتكز جميعاً على تقارير السلطات الطبية الإسرائيلية العاملة فيما عدا زيارتي لمستشفى أسرى الحرب حيث أمكنني الحديث مع المرضى مباشرة» .

وأول ما يحلظه ألكسندر هو انخفاض نسبة الانهيارات العقلية بين أفراد الجيش الإسرائيلي نتيجة للحرب «لقد كانت الخسائر العقلية سواء بين العسكريين أو المدنيين قليلة جداً حيث لم تتجاوز أثناء القتال وفقاً لتقدير البروفسور وينيك مائتا حالة إرهاق ذات طبيعة سيكياترية» ويرجع ألكسندر تلك الظاهرة إلى الأسباب الآتية :

١ ـ قصر مدة الحرب بحيث أن الفترة السابقة على الاشتباكات الفعلية كانت أشد إثارة للقلق من فترة القتال نفسها .

٢ ـ «كان كل جندي ومدني في إسرائيل واعياً بأنه ليس من بديل شريف أو حتى بديل يكفل استمرار الحياة سوى الثبات على أرض المعركة حيث لا بديل سوى الإفناء على أيدي الأمم العربية» .

٣ ـ «الجيش الإسرائيلي هو جيش المواطن بأصدق ما تعنيه تلك الكلمة. . . حيث يؤدي التدريب الميداني الفعلي لمدة شهر كامل سنوياً إلى توثيق روابط العلاقة الأخوية بين أعضاء الوحدة العسكرية» .

٤ ـ الفحص السيكياتري الدقيق المسبق لأفراد الجيش الإسرائيلي «الذي يعتبر من حيث الكفاءة السيكوبيولوجية جيش نخبة بحق» فالخدمات السيكياترية في الجيش الإسرائيلي قد استفادت من خبرات الحرب العالمية الثانية ، والحرب الكورية بالذات وخاصة فيما يتعلق بضرورة تدريب أخصائي الطب العقلي العسكري على القتال الفعلي . وفي هذا الصدد يقول الكولونيل جاد تادمور Gad Tadmor كبير الأطباء العقليين بالجيش الإسرائيلي: «لقد طبّقنا على أوسع نطاق دروس الحرب الكورية».

أما الظاهرة الثانية الهامة التي استوقفت انتباهه ، والتي رآها جديرة بالإشارة فهي «تلك الندرة العامة في احتفالات النصر ، حتى بين وحدات الجيش التي تربط بين أفرادها علاقات وثيقة . وفي بعض المناسبات التي احتفلت فيها وحدات قليلة ، لم يحضر القادة تلك الاحتفالات . ويعتقد الدكتور وينيك أن ذلك إنما يشير إلى تأثيرات اكتئابية خفيفة ناجمة عن فقدان الأصدقاء . «إن إسرائيل نفسها لم تشهد احتفالاً يمكن مقارنته مثلاً بذلك الذي حدث في كاتدرائية برن بسويسرا في

الثاني عشر من يوليو والذي دعي الحاخام المحلي للحديث فيه» .

الظاهرة الثالثة التي يشير إليها ألكسندر هي انخفاض نسبة الجناح انخفاضاً ملحوظاً في إسرائيل . ويرجع الكولونيل تادمور ذلك الانخفاض إلى الاهتمام بالتدريب العسكري للمراهقين الإسرائيليين «الذي يتيح فرصة عظيمة لنمو الثقة بالنفس. . . إن التدريب العسكري يمكن اعتباره في إسرائيل بمثابة اللعبة» .

وفي عام ١٩٦٩ نشر الباحث الإسرائيلي يهودا أمير مقاله المعنون «كفاءة مواليد الكيبوتز المجندين في جيش الدفاع الإسرائيلي» (١٧٧) ويهودا أمير محاضر أول في علم النفس الاجتماعي في جامعة بارايلان الإسرائيلية . حصل على درجة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي من جامعة نيويورك . التحق عام ١٩٥٩ بالعمل في جامعة بارايلان وأيضاً في هيئة البحوث السيكلوجية للجيش الإسرائيلي حيث شغل منصب رئيس تلك الهيئة في الفترة من ١٩٦٠ حتى ١٩٦٤ .

وقد شملت عينة البحث كافة الجنود الذكور الذين تم استدعاؤهم للخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي في الأعوام : ٦٢/٦١ ، ٦٣/٦٢ ، ٦٤/٦٣ . «ونظراً لمقتضيات السرية فلم يكن ممكناً نشر تلك الأرقام التي تتجاوز قطعاً عدة ألوف في كل عام» ، ولما كان قانون التجنيد في إسرائيل «يسري على اليهود الإسرائيليين الذكور جميعاً ، فإنه يمكن اعتبار الجيش ممثلاً بدرجة كبيرة للتجمع الإسرائيلي من الذكور في الفئة العمرية من ١٨ - ٢١ سنة»[1] .

وقد كانت كفاءة الجنود - في هذه الدراسة - تقيم وفقاً لمحكات ثلاثة :

١ - التطوع الاختياري لمهام تتميز بصعوبات ومخاطر خاصة .
٢ - التقدم في الرتبة ومستوى العمل .
٣ - النجاح في دورات التدريب العسكري .

وهي محكات مقبولة بعامة كمقاييس للكفاءة في الجيش الإسرائيلي وغيره من الجيوش أيضاً .

---

(١) ثمة جماعات يهودية يضمها التجمع الاسرائيلي ولا يشملها التجنيد مثل جماعة الناطورا كارتا ، ورجال الدين .

وقد تم الحصول من السجلات العسكرية على أنواع ثلاثة من البيانات :

١ ـ الأماكن التي عاش فيها الجندي حتى استدعاؤه وأي الفترات قضاها في الكيبوتز إذا وجدت .

٢ ـ بيانات شخصية تشمل نتائج مقاييس الذكاء والشخصية التي طبقت على الجندي عند التحاقه بالخدمة مع التركيز بوجه خاص على البيانات التي تستخدم في التصنيف العام في الجيش مثل : المستوى التعليمي ، والذكاء ، ومعرفة اللغة العبرية ، فضلاً عن الدرجة التي حصل عليها الجندي في المقابلة الشخصية المخططة المصممة خصيصاً للتعرف على احتمالات توافقه مع الحياة العسكرية في الجيش الإسرائيلي وهي مقابلة تجري للجنود جميعاً .

٣ ـ معلومات عن إنجازات الجندي في الجيش فيما يتعلق بالمحكات الثلاث المشار إليها فيما سبق .

وبدأ الباحث بأن قسم المجندين إلى فئات ثلاثة :

(أ) «المولودون في الكيبوتزات» أي أولئك الذين عاشوا في الكيبوتزات باستمرار منذ الميلاد أو من قبل بلوغهم العاشرة حتى استدعائهم للخدمة .

(ب) «الناشئون في الكيبوتزات» أي أولئك الذين أتوا إلى الكيبوتزات فيما بين سن العاشرة والسادسة عشرة وظلوا بها حتى سن التجنيد . والسمة الغالبة على تلك المجموعة أنها تضم أولئك الشبان الذين ظلوا محرومين من التعليم حتى أتوا إلى الكيبوتزات . وغالباً ما يكون تحويلهم إلى الكيبوتزات قد تم عن طريق منظمة هجرة الشباب التي تأخذ على عاتقها توطين المهاجرين الشبان .

(جـ) «الآخرين» أي كافة الجنود من غير الفئتين السابقتين .

وقد كانت النسب المئوية لكل فئة فرعية من الفئات الثلاث المشار إليها بالنسبة لكل دفعة من الدفعات الثلاث كما يلي :

الفئة / الدفعة	٦٢/٦١	٦٣/٦٢	٦٤/٦٣
أ	٣,٨ ٪	٣,٥ ٪	٣,٩ ٪
ب	١,٤ ٪	١,٨ ٪	١,٧ ٪
جـ	٩٤,٨٪	٩٤,٧٪	٩٤,٤٪
المجموع	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

ويمكننا أن نستخلص من الجدول السابق أن نسبة الكيبوتزيين عموماً ـ أي الفئتين أ ، ب ـ في الجيش الإسرائيلي ٥,٣٦ ٪ فقط.

وتمت مقارنة المجموعات الفرعية من حيث الذكاء . وكان تحديد مستوى الذكاء يتم بواسطة اختبارين جمعيين يتم تطبيقهما على كافة الجنود عند التحاقهم بالخدمة وهما اختبار لفظي على غرار اختبار أوتيس ، واختبار غير لفظي على غرار مصفوفات رايفن المتتابعة . وكانت درجات الاختبارين تدمج معاً بطريقة حسابية بحيث تتحول إلى مقياس يتدرج تصاعدياً من «١» إلى «٩» وكانت نتائج المقارنة كما يلي :

مستوى الذكاء/الفئة	أ	ب	جـ
عالي (٧ ـ ٩)	٤١ ٪	٢٤ ٪	٢٩ ٪
متوسط (٥ ـ ٦)	٤٧ ٪	٥٤ ٪	٤٤ ٪
منخفض (١ ـ ٤)	١٢ ٪	٢٢ ٪	٢٧ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

ويتضح من الجدول أن الفئة «أ» تتفوق في مستوى ذكاء أفرادها على المجموعتين «ب» و «جـ» المتشابهتين من حيث هذا المستوى .

كذلك فقد تمت أيضاً مقارنة المجموعات الفرعية من حيث المستوى التعليمي وكان هذا المستوى يحسب بعدد السنوات التي قضاها الفرد في الدراسة . وقد أسفرت المقارنة عن النتائج التالية :

مستوى التعليم/الفئة	أ	ب	جـ
عالي	٨٣ ٪	٤٣ ٪	٣٠ ٪
متوسط عالي	١٤ ٪	٣٥ ٪	٢٤ ٪
متوسط منخفض	٣ ٪	١٩ ٪	٣٥ ٪
منخفض	صفر	٣ ٪	١١ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

ويتضح من الجدول أيضاً أن الفئة (أ) تتفوق على الفئتين (ب) و (جـ) من حيث المستوى التعليمي لأفرادها .

وتمت كذلك مقارنة المجموعات الفرعية من حيث معرفة اللغة العبرية وكانت النتائج كما يلي :

الدرجات في اللغة العبرية/الفئة	أ	ب	جـ
عالية	٩٦ ٪	٨٠ ٪	٧٢ ٪
متوسطة	٣ ٪	١٥ ٪	١٧ ٪
منخفضة	١ ٪	٥ ٪	١١ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

ويتضح من الجدول أن الفئة (أ) تتفوق على غيرها في إتقان أفرادها اللغة العبرية أيضاً .

وتمت كذلك مقارنة المجموعات الفرعية من حيث الشخصية . فالمجند الإسرائيلي ـ كما يشير البحث ـ يمر بمقابلة شخصية مخططة يحصل في نهايتها على درجة كلية تعبر عن مدى ملاءمة شخصيته بعامة للحياة في الجيش ولمتطلبات تلك الحياة . وكانت نتائج المقارنة كما يلي :

درجة المقابلة الشخصية/الفئة	أ	ب	جـ
عالية	٥١ ٪	٣٨ ٪	٧ ٪
متوسطة	٣٣ ٪	٤٤ ٪	٣٣ ٪
منخفضة	١٦ ٪	١٨ ٪	٦٠ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

وكانت الدرجات العالية تشمل العشر الأعلى من درجات المجموعة الأصلية كلها أما الدرجة المنخفضة فقد كانت تشمل النصف الأدنى من الدرجات التي حصلت عليها المجموعة الأصلية كلها ، والدرجة المتوسطة تشمل بقية الدرجات .

كذلك فقد تمت مقارنة المجموعات الفرعية من حيث محل الميلاد فاتضح الآتي :

الفئة / محل الميلاد	أ	ب	جـ
إسرائيل	٩٠ ٪	٣٤ ٪	٣٨ ٪
الغرب	٦ ٪	٣٢ ٪	٢٣ ٪
آسيا وأفريقيا	٤ ٪	٣٤ ٪	٣٩ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

وقد تم بالإضافة إلى ذلك ـ دون إيراده في الجدول ـ تقسيم مجموعة المولودين في إسرائيل وفقاً لمحال ميلاد آبائهم فتزايدت الهوّة ـ تبعاً لذلك ـ بين أبناء الكيبوتزات وغيرهم ، فقد اتضح أن كافة آباء أبناء الكيبوتزات من الغرب أما بالنسبة للمجموعتين الأخريين فقد كان الغربيون يمثلون ٧٥ ٪ والشرقيون ٢٥ ٪ .

وبعد هذه المقارنة بين المجموعات الفرعية من حيث البيانات الشخصية بدأت المقارنات بينهما من حيث المحكات الثلاثة التي سبق الإشارة إليها وأولها محك التطوع الاختياري للمهام ذات الصعوبات والمخاطر الخاصة . وكانت نتائج المقارنة كما يلي :

الفئة / الإقبال على التطوع	أ	ب	جـ
عـالي	٣٠ ٪	١٩ ٪	٥ ٪
إلى حد مـا	٢٤ ٪	٤٣ ٪	١١ ٪
لا شيء	٤٦ ٪	٣٨ ٪	٨٤ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

وتمت كذلك المقارنة بين المجموعات الفـرعية من حيث التقـدم في الرتبـة فـالجنود الـذين يتخـطون مستـوىً معينـاً من التعليم والـذكـاء يمـرون بسلسلة من الاختبارات السيكلوجية والعسكرية لتحديد المواقع القيادية الأنسب لهم . ولا يسمح بدخول مدرسة الضباط إلا لأولئك الذين يبلغون مستوىً معيناً في تلك الاختبارات . وكانت نتائج تلك المقارنة كما يلي :

الفئة / درجة الملاءمة للقيادة	أ	ب	جـ
عالية	٦١ ٪	٤٠ ٪	٣٩ ٪
متوسطة	١٣ ٪	٢٦ ٪	١٣ ٪
منخفضة	٢٦ ٪	٣٤ ٪	٤٨ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

وتمت بعد ذلك المقارنة بين المجموعات الفرعية من حيث ما صادف أفرادها الذين التحقوا بمدرسة الضباط من نجاح أو فشل باعتبار ذلك تعبيراً عن النجاح أو الفشل في الدورات العسكرية . كانت نتيجة المقارنة كما يلي :

الفئة / النتيجة	أ	ب
نجحـوا	٨٨ ٪	٧٥ ٪
رسبـوا	١٢ ٪	٢٥ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪

وقد أهملت الفئة «ب» في هذه المقارنة لأن أفرادها كانوا من القلّة بحيث أمكن استبعادهم .

أما الجزء الثالث من الدراسة فقد اتجه إلى التحقق من النتائج السابقة أو بالتحديد إلى التحقق من أن تلك الفروق التي تميز الفئة «أ» لا ترجع إلى ما اتضح أنه يميز تلك الفئة من خصائص كارتفاع مستوى التعليم وإتقان العبرية والأصل الغربي وما إلى ذلك .

ولتحقيق هذا الهدف تم ـ بالنسبة لكل مجموعة فرعية ـ اختيار مجموعة متجانسة من أفرادها بحيث يكونوا جميعاً من المواطنين الإسرائيليين المجندين الذين ينحدر آباؤهم من أصول غربية ، والذين حصلوا جميعاً على تعليم عال ، وثبت أنهم على مستوى عال من الذكاء والمعرفة باللغة العبرية .

وتمت مقارنة المجموعات المتجانسة الثلاث من حيث **ملاءمة الفرد لشغل المناصب القيادية** فاتضح ما يلي :

درجة الملاءمة للقيادة / الفئة	أ	ب	جـ
عالية	٦٥ ٪	٥٢ ٪	٥٤ ٪
متوسطة	١٢ ٪	٢٢ ٪	١٤ ٪
منخفضة	٢٣ ٪	٢٦ ٪	٣٢ ٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

وتمت كذلك مقارنة المجموعات المتجانسة من حيث مدى النجاح في مدرسة الضباط . وبالنسبة لتلك المقارنة تم تقسيم طلاب مدرسة الضباط إلى مجموعتين :

(أ) مجموعة «عالية» تضم المواطنين الإسرائيليين الذين تنحدر أصولهم من الغرب والذين حصلوا على درجات دراسية عليا ، وجميعهم من ذوي درجات الذكاء المرتفعة .

(ب) مجموعة «منخفضة» تضم الباقين وقد أسفرت المقارنة عما يلي :

المجموعة / الفئة	أ	جـ
العالية	٨ ٪	١٩٪
المنخفضة	٢٢٪	٢٨٪

وقد أهمل ذكر الفئة «ب» لقلة عدد أفرادها .

وتمت كذلك مقارنة المجموعات من حيث التقدم في الرتبة ، وذلك بتقسيم مجموعات البحث الأصلية إلى مجموعات فرعية متجانسة وفقاً لدرجة مركبة متدرجة من الأعلى إلى الأدنى وتشمل التعليم ، والذكاء ، ودرجة المقابلة الشخصية ، ومعرفة اللغة العبرية . ويمثل الجدول التالي النسبة المئوية لعدد الجنود الذين أصبحوا ضباطاً في كل فئة منسوبين للرقم الكلي لمجموعتهم الفئوية (الخاصة بالدرجة المركبة) .

الدرجة المركبة / الفئة	أ	جـ
١	٦٩٪	٢٣٪
٢	٤٥٪	٢٤٪
٣	٣٢٪	١٩٪
٤	٢٦٪	٦ ٪

ونستطيع أن نوجز أهم نتائج البحث في أن الكيبوتزيين أكفأ من حيث التطوع الاختباري للمهام القتالية ، ومن حيث التقدم في الرتب العسكرية ، وأيضاً من حيث النجاح في الدورات العسكرية .

ويتصدى أمير لتفسير تلك النتائج مؤكداً أن «التفسيرات الخارجية لا تمثل إلا تفسيراً ثانوياً فحسب للفروق التي وجدت في الكفاءة العسكرية . إن العامل الأساسي لا بد وأن يستمد من العمليات الداخلية للكيبوتز ، ومن التأثيرات المبكرة لعملية التنشئة الاجتماعية ، ومن عملية تشكيل شخصية طفل الكيبوتز» .

ثم يمضي مدعماً ذلك بقوله : «من واقع الخبرة الشخصية الشاملة للمؤلف مع الجنود الكيبوتزيين وغير الكيبوتزيين تبرز ظاهرتين بارزتين. . . تتعلق **الأولى** بتلك الرغبة القوية والشديدة لدى الجنود الكيبوتزيين للتقدم والنجاح في بلوغ أهدافهم

الفردية داخل إطار الجيش . . . ويبدو أن ذلك السعي للامتياز يرتبط ببعض دوافع الإنجاز الأساسية الضاربة الجذور في بنيان شخصية الجندي الكيبوتزي ، لقد نشأ في مناخ اجتماعي يؤكد بشدة وباستمرار أن الطفل الكيبوتزي جزء من نخبة اجتماعية . كذلك فقد نشأ في ظل نظام اجتماعي وتربوي يعتقد أنه أرقى بكثير من النظم الأخرى . . . والعامل الداخلي الثاني هو بالتحديد ما يتميز به الجندي الكيبوتزي من نمط معرفي أو تمييزية سيكلوجية» .

وفي نفس العام أي عام ١٩٦٩ نشر جوزيف ايتون أستاذ علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في جامعة بتسبرج مقاله المعنون «الجادناع : الوحدات العسكرية للشباب الإسرائيلي» (٣٦٧) . وإذا كان مقال يهودا أمير الذي تناولناه سلفاً قد أشار ضمناً إلى أن العسكرية الإسرائيلية إنما تتمثل أساساً في يهود إسرائيل من الاشكنازيم فإن جوزيف ايتون يحسم تلك القضية بوضوح قائلاً: «إن معسكرات الشباب في إسرائيل ـ أي الجادناع ـ على عكس نظيرتها في أمريكا وغانا وكينيا ، لم تخطط أساساً لشباب الطبقات الدنيا . . . إنها تلعب دوراً مرسوماً في استراتيجية الراشدين الإسرائيليين لتشكيل مصادر التأثير على الأجيال القادمة وربطهم بمستقبل البلاد» .

ويحاول ايتون أن يلتمس تفسيراً أو تبريراً لذلك بقوله: إن «أطفال الفقر في إسرائيل لا يستبعدون ، وإن كانت نسبة تمثيلهم منخفضة . فمراهقو القطاعات الهامشية من السكان غالباً ما ينتظر منهم العمل المبكر ، وفي حالة الفتيات ينتظر منهن المساعدة في الأعمال المنزلية . وهم عادة فوضويون إلى الحد الذي لا يجعلهم ينسجمون في أي برنامج منظم تلعب فيه جماعة الأقران دوراً هاماً» .

وأيضاً في عام ١٩٦٩ أصدر لويس فوير ، كتابه المعنون : **صراع الأجيال : طابع ودلالة حركات الطلاب** (٤١٤ : ٤٢ ـ ٤٧) . ويتعرض فوير في كتابه لطبيعة ذلك التناقض في إسرائيل فيقول: « . . . لقد عرفت إسرائيل لسنوات طويلة الأفكار الاشتراكية الديمقراطية متمثلة في مستوطناتها الجماعية أي الكيبوتزات . كما عرفت أيضاً الاشتراكية التطوعية المتوسطة متمثلة في اتحاد المنظمات المهنية أي الهستدروت» ورغم ذلك فقد اتضح من دراسة أجراها قسم العلوم السياسية بالجامعة العبرية عام ١٩٦٣ وشملت ٧٠٠ شاب في سن الثامنة عشرة أن «أغلبية كبيرة من أبنائنا في سن الثامنة عشر يقبلون إقامة نظام دكتاتوري في إسرائيل . فمن المدهش أنه في

قطاع الطلاب المثقفين يوجد قدر هائل من التعصب المعادي لليبرالية والديموقراطية . لقد عبر ٥٨ ٪ من الشبان الإسرائيليين عن تفضيلهم للنظام الدكتاتوري . وأكثر من نصف هؤلاء - ٥٣,٤ ٪ - من طلاب المدارس الثانوية أو ما يعادلها . إن تعليمهم لم يؤد إلى تطوير مماثل في نضجهم السياسي . . . وحتى الكيبوتزيين ، فقد عبر ٤٥,٥٧ ٪ منهم عن موقفهم المؤيد للدكتاتورية . والغريب حقاً (كذا) أن فكر أولئك الأكثر فقراً ، والأشد حرماناً ، من المهاجرين المستوطنين كان أقل دكتاتورية من الجميع سواء من أبناء الكيبوتزات أو المزارع الخاصة ، أو شباب المدن» وقد اتضح من الدراسة أيضاً «أن نسبة ذوي الفكر الدكتاتوري بين المهاجرين حديثاً ممن تبلغ أعمارهم ١٨ سنة كانت ٤٤,١٪ بينما تصل لدى أبناء المهاجرين القدامى ٥١ ٪ كذلك فإن ٥٣ ٪ من الشبان الأعضاء في تنظيمات شبابية . كان فكرهم دكتاتورياً . وكذلك كان فكر ٥٥ ٪ ممن وصلوا في تعليمهم إلى ما بعد المرحلة الابتدائية» .

وفي عام ١٩٦٩ أيضاً نشر يوشانان بيريز[1] مدرس علم الاجتماع بمعهد كابلان بالجامعة العبرية بالاشتراك مع زميلته زيبوراه ليفي مقالهما المعنون «اليهود والعرب : أنماط جماعية إثنية في إسرائيل» (٧٨٩) .

وقد أجريت الدراسة على مجموعتين إحداهما من العرب والأخرى من اليهود وجميعهم من طلبة الجامعة العبرية . وقد اختير الطلبة بالذات ليس فحسب لأنهم الموضوعات الأقرب تناولاً للباحثين السيكلوجيين والاجتماعيين بل لسبب آخر أهم هو أن الطلبة العرب في الجامعة العبرية هم أكثر فئات العرب احتكاكاً باليهود .

واعتمدت الدراسة في الحصول على البيانات على ستون مقابلة مفتوحة ومخططة بهدف التوصل إلى تفاصيل الأنماط الجامدة التي لدى كل مجموعة عن نفسها وعن المجموعة المقابلة . وقد كان التحليل أساساً كيفياً وليس كمياً . وكان يطلب من المفحوص في المقابلة أن يصف موقفاً متخيلاً تم بينه وبين أحد أفراد

(١) اتخذ يوشانان بيرنر بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ وبوصفه من أعضاء حزب الماباي موقفاً علنياً حذّر فيه من انخفاض شعبية الحزب إلى حد يهدد بإخراجه من السلطة ما لم تتم «عملية إصلاح حاسمة في جهاز الحزب» .
(الأهرام ، في ١٨ مارس ١٩٧٤ ، نقلاً عن رويتر) .

المجموعة الأخرى وبينه وبين أحد أفراد مجموعته أيضاً . وقد لاحظ المؤلفان بعامة أن العرب كانوا أكثر تعاوناً وحماساً للتعبير عن آرائهم .

وقد تم عن قصد بالنسبة لعينة الطلبة اليهود استبعاد اليهود المولودين في الأقطار الإسلامية وذلك لأن «حضارة مواطنهم الأصلية قريبة الشبه جداً بحضارة العرب الإسرائيليين وأيضاً لأنهم يمثلون جماعة منخفضة المكانة بين اليهود الإسرائيليين» . وفضلاً عن ذلك فقد تم الاستبعاد «إسهاماً في إيضاح الفروق بين الجماعة المسيطرة والجماعة الأضعف» .

وبينما تم اختيار عينة العرب عشوائياً ، فإن عينة اليهود كانت منتقاة بحيث يصبح لكل عربي نظيراً يهودياً يماثله في الجنس والسن والتخصص الدراسي . وكان ذلك ضرورياً «نظراً لأن العرب الإسرائيليين يتركزون في أقسام القانون والحضارة الإسلامية والدراسات الآسيوية في حين أنهم نادراً ما يلتحقون بأقسام العلوم الطبيعية . فضلاً عن أن نسبة الإناث الجامعيات بينهم منخفضة جداً» .

ويقسم المؤلف نتائجه إلى قسمين على الوجه التالي :

أولاً : صورة عضو الأقلية (العرب) :

١ ـ المركزية :

بالنسبة لعضو الأقلية فإن مشاكل جماعته تحتل المكان الرئيسي في حياته بحيث أنه ينتهز أية فرصة لطرحها وتناولها ، وقد اتفق أفراد كلا المجموعتين على ذلك وإن كان العرب أكثر إبرازاً لها .

٢ ـ الشعور بالدونية والحرمان :

يحس العربي بأن ثمة تحيزاً ضده سواء كان تحيزاً رسمياً من الحكومة أو غير رسمي من قبل الناس . وتتفق المجموعتان أيضاً على ذلك وإن كانت الصورة أكثر وضوحاً وشدة أيضاً لدى العرب . ويؤدي هذا الإحساس إلى شعور بالاضطهاد وإلى حساسية زائدة وميل إلى نقد الذات وشعور بالدونية «ويؤكد المفحوصون اليهود دونية جماعة الأقلية خاصة في مجال القدرة العقلية ويحسون إحساساً بالغاً بتفوقهم هم» .

٣ ـ الاعتماد المتبادل :

العرب منغلقون على أنفسهم ـ متخوفون من الغرباء ، ولكنهم متعاطفون

ودودون مع بعضهم البعض . وكلا المجموعتين تتفقان على ذلك وإن كان اليهود يطلقون على تلك الخاصية صفة الانطواء في حين يفضل العرب استخدام تعبير جاذبية الجماعة وتكافل أعضاء الجماعة .

٤ ـ تمايز الملامح المرئية :

يتعرف العربي على أعضاء جماعته بسهولة من ملامحهم الخارجية ، وملابسهم ، وطريقة حديثهم ، بينما يجد اليهودي صعوبة في التعرف على العربي لأنهم يشبهون اليهود الشرقيين كما أن من بينهم أفراداً ذوي لون أشقر .

٥ ـ الاتجاه السياسي :

أهم ما يميز العرب سياسياً خاصيتان (١) تيقظ زائد (٢) اتجاه نقدي متفاوت الدرجات . ويتفق على هذا كلا المجموعتين .

٦ ـ الروحانية :

نظراً لأن الظروف قد فرضت على العربي نوعاً من العزلة فإن تناوله للمشكلات يتم بطريقة أقرب ما تكون إلى الاتجاه النظري غير العملي . ورغم أن المجموعة العربية قد أبرزت هذه السمة فإن المجموعة اليهودية لم تتعرض لها مطلقاً .

ثانياً : صورة عضو الأغلبية (اليهود) :

١ ـ المركزية :

اتفق أفراد كلا المجموعتين عموماً على أنه لدى اليهودي متسع من الاهتمام لعدد أكبر من المشاكل دون التركيز على مشاكل مجموعته النوعية .

٢ ـ التفوق :

(أ) يعبر سلوك اليهودي عن شعوره بالأمن والحرية والتحرر من التقاليد وقد اتفق على هذا أفراد المجموعتين بعامة ويمكن تفسير هذا التحرر بأنه «تعبير عن وجود الفرد في مجتمع جديد لم يضع لنفسه معاييراً محددة بعد بعكس المجتمع التقليدي الذي تنتمي إليه الأقلية العربية» .

(ب) يبرز اتجاه عضو الأغلبية نحو جماعته ونحو الجماعة الأخرى أيضاً صورة صاحب النعرة العنصرية الذي يضع جماعته في المركز دائماً . ويتضح ذلك في تمسكه بتراث جماعته ورموزها فضلاً عن شعوره بالتفوق والتعصب ضد الآخرين وخاصة العرب فضلاً عن الجماعات اليهودية الأخرى التي يراها تختلف عن «اليهودي

الإسرائيلي النمطي» وقد أبرز أفراد المجموعتين تلك الصفة كخاصية تميز اليهود . ومن الأقوال التي ذكرها اليهود في هذا الصدد :

* كان يتحدث باستمرار عن الجيش ، وكان متأكداً أنه ما من دولة تستطيع هـزيمة إسرائيل .
* . . . يتميز بشعور غريب بالاحترام نحو مفاهيم مجردة كالدين والتراث اليهودي .
* . . . يقول إن السماح للعرب بدخول الجامعة : إنما يعني أننا نخدع أنفسنا .
* إن لديه شعوراً طبيعياً بالتفوق على يهود الدياسبورا «إنهم يرسلون النقود فحسب بينما نتولى نحن المحافظة على الأرض من أجلهم» .
* . . . إنهم يرفضون طبقـات اجتماعيـة معينة ومـواطن أصلية معينـة : العراقيـون يكرهون المغاربة والغربيون يكرهون الجميع .

أما العرب فقد عبّروا عن ذلك بشكل أكثر حدة :

* . . . إنه يظن أننا لم نتقدم إلا بسبب اليهود .
* . . . لم يكن يتحدث العربية ومع ذلك لم يدهشه إجادتي للعبرية . . . إنه يعتقد أن كل من في إسرائيل ينبغي أن يتحدث العبرية .

٣ ـ تمايز الملامح المرئية :

يفتقد اليهود الخصائص الخارجية المشتركـة التي تميزهم عن غيـرهم داخل التجمع الإسرائيلي .

٤ ـ الاتجاهات السياسية :

يميل اليهودي إلى الانصياع للنظام الاجتماعي القائم ، وهو يعتمد على السلطة الحاكمة ، ويثق في أجهزة الإعلام الرسمية ويصدق ما تمده به من معلومات . فضلاً عن أنه لا يميل إلى التعمق في الأمور . وبينما يتفق العرب على انصياعية اليهود فإن اليهود يختلفون في هذه النقطة بحيث أن بعضهم يرى أن لدى اليهودي الإسرائيلي من الاتجاهات الناقدة ما يكفي «ولعل ذلك الاختلاف بين العرب واليهود في تلك النقطة إنما يرجـع إلى اختلاف مفهـوم كلا الجمـاعتين عن النقد فـالعرب يعنـون بالنقـد الاحتجاج ضد المبادىء الأساسية للنظام في حين يراه اليهود مجرد الاحتجاج على بعض التفاصيل في نطاق الموافقة على الإطار العام» .

٥ ـ العملية في مقابل الروحانية :

يتفق أفراد المجموعتين عامة على أن اليهودي الإسرائيلي يتصف بأنه شخصية عملية ومادية . ويؤكد العرب صفتي القوة واللاإنسانية والغرضية والمهارة .

ويختتم المؤلفان مقالهما بقولهما : إنه قد يبدو غريباً أن يتفق العـرب واليهود على خصائص الصورة النمطية لكل منهما ولعل ذلك يؤكد «أن المدرك (بكسر الراء) أقل أهمية من المدرك (بفتح الراء)» بمعنى أن مضمون النمط الجامد لا يمكن أن يفهم فحسب على أساس من الحاجات اللاشعورية لصاحبه ولكنه يستمد إلى حد كبير من الدور الذي يلعبه كل طرف حيال الآخر في السياق الاجتماعي والسياسي .

وفي عام ١٩٦٩ كذلك أصدر فرديناند زفايج كتابه المعنون إسرائيل : **السيف والقيثارة** (١٠٤٤) . وفرديناند زفايج يهودي بولندي الأصل متخصص في الاقتصاد السياسي ولد في جراشو عام ١٨٩٦ وتلقى تعليمه في جامعتها وجامعات فيينا ومدرسة لندن للاقتصاد . وقد شغل منصب أستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة جراشو فضلاً عن عدة مناصب متعددة في مكتب الإحصاء البولندي المركزي . ثم عمل مستشاراً اقتصادياً لرئيس وزراء بولندا بالمنفى في لندن ، وباحثاً اقتصادياً في جامعة مانشستر ، وأستاذاً زائراً لعلاقات العمل بالجامعة العبرية ، وأستاذاً زائراً في جامعة تل أبيب .

ومن واقع هذه الخبرات الطويلة المتنوعة أصدر زفايج كتابه المشار إليه والذي يتعرض فيه لعـديد من المـوضوعـات التي تبعد كثيـراً عن موضـوعنا وفقـاً لحدوده المتخصصة . إلا أن الكتاب رغم ذلك لا يخلو من إشارات ذات دلالة تتعلق بالإنسان الإسرائيلي وتتصل بالتالي اتصالاً وثيقاً بموضوعنا .

يتعرض زفايج بالـوصف لشخصية الشبـاب الإسرائيلي الاشكنـازي فيقول عنـه : «إنه يشعر كما لو كان محاطاً بتهديد مستمر بالإفناء . تبـدو واضحة لـديه خـواص الخشـونة ، والـواقعيـة ، والتصميم ، والنشـاط ، والاعتمـاد على النفس ، والثقـة المطلقة في قدرته على الدفاع عن حقوقه . إنه يرفض العاطفية والنعومة. . . إنه لا يهتم كثيراً بما إذا كان الآخرون يحبونه ، ولا يعنيه تصورهم له. . . إنه يرى كل شيء بوضوح قاطع : أبيض وأسود ، وهو فيما يتعلق بذلك الوضوح القاطع يبز أباه. . . إنه لا يؤمن بالمناقشات ، فالعالم لديه لن تنقذه المناقشات ، بل إن الكلمة الأخيرة للقوة والسيطرة» (١٠٤٤ : ٦ ـ ٧) .

ويتحـدث زفايـج عما يسميـه روح العنف في إسرائيـل فيقـول: «إن روح العنف يمكن الإحساس بها كقوة تحريرية . كتنفيس عن طاقة مكبـوتة ، كتخفف من نيـر عبودية لم يعد ضغطها محتملاً . كانعتاق . كتحرير . وقـد يرى علمـاء النفس أن العنف يمكن أن يكون تعبيراً عن حب معكوس عن الإصرار الإجباري على الحصول من الآخرين على الحب بالقوة . إن مركب يهود الدياسبورا : لا أحد يحبني ، قد تحول إلى رغبة في الحصول على الحب ، ولو اقتضى الأمر تمجيد استخدام القوة» (١٠٤٤: ١٠٨ - ١٠٩) .

وفي عام ١٩٧٠ أصدر هاري إسرنج وإبراهام سيجال الطبعة الجديدة المنقحة من كتابهما **إسرائيل اليوم** (٣٩٩) . وهاري إسرنج يهودي أمريكي من مواليد عـام ١٩١٢ تخرج عام ١٩٣٤ من كلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا . وحصل على الدكتوراه في علم النفس من جامعة ميتشجان عام ١٩٥٧ . وعمل محاضراً زائراً في كلية الاتحاد العبري فيما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٠ وشغل منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٤ منصب حاخام معهد إيمانويل ثم منذ عام ١٩٦٤ حاخاما لمعبد انجيلوس . أي أن المؤلف الرئيسي للكتاب يجمع بين علم النفس المتخصص والصهيونية الصريحة . والهدف من الكتاب كمـا يعبر عنـه صامـويل جـراند مـدير قسم التعليم التجـريبي والوسائل السمعية والبصرية بوكالة التعليم اليهودي بالولايات المتحدة ، والذي قام بكتابه مقدمة الكتاب يتمثل في قوله: «لقد شعرنا لسنوات طويلة أن الطلبـة في مدارسنـا اليهودية الدينية يتعلمون عن الإسرائيليات القديمة أكثر مما يتعلمون عن الإسرائيليين المعاصرين» (٣٩٩: المقدمة ص ٩) . فالكتاب إذن يهدف إلى أن يتيح للطلبة اليهود الأمريكيين صورة معاصرة للإسرائيليين .

واتساقاً مع هذا الهدف يفيض الكتاب بالدعاية الصريحة لكافة جوانب الحياة في إسرائيل . ورغم ذلك فتحت عنوان «إفهموا السابرا» يقول المؤلفان: «قد يجـد المراهقون الأمريكيون السابرا لدى أول لقاء لهم بهم باردين إلى حد ما . إن السابرا ليسوا كالأمريكيين في سرعة إقامتهم للعلاقات . إنهم يجب أن يقابلوك مرات عديدة لتعرفهم جيداً» (٣٩٩: المقدمة ص ٤) .

وفي عام ١٩٧٠ أيضاً نشر عالم النفس الأمريكي ليو ألكسندر بيروجنيكـوف بالاشتراك مع اثنين من علماء النفس الإسرائيليين هما ايـلانا هـادار ، وآفنرهـا دار مقالهم المعنون «الدوجماطيقية والتباعد الاجتماعي : دراسة عبر حضارية» (٧٩٧) ،

وهو المقال الذي ألقي في المؤتمر السنوي للجمعية النفسية الأمريكية الذي انعقد عام ١٩٧٠ . ويعرض المقال لدراسة مقارنة أجريت في إسرائيل بين مجموعات أربع تضم الأولى عينة ممثلة من شباب أحد الكيبوتزات الحديثة ، وتضم الثانية عينة من الشباب الإسرائيلي من غير سكان الكيبوتزات ، وتضم الثالثة عينة من اليهود الأمريكيين ، وتضم المجموعة الرابعة والأخيرة عينة من الأمريكيين من غير اليهود . وقد استخدمت في الدراسة عدة مقاييس لقياس الدوجماطيقية والتباعد الاجتماعي لدى أفراد تلك المجموعات المختلفة . وقامت الدراسة على فرض مؤداه «أن أبناء الكيبوتزات بمقارنتهم بغير أبناء الكيبوتزات من الإسرائيليين سوف يكونون أكثر تفهماً وإقبالاً على إقامة وتبادل العلاقات الاجتماعية مع الآخرين» وبتطبيق مقياس التباعد الاجتماعي اتضح العكس . أي اتضح أن ابناء الكيبوتزات أميل للعزوف عن إقامة أو تبادل مثل هذه العلاقات الاجتماعية مع الآخرين .

وفي عام ١٩٧٠ أيضاً أصدر الكاتبان الإسرائيليان هربرت روسكول وزوجته مارجاليت باناي كتابهما المعنون **المليون الأول من السابرا : صورة للإسرائيليين مولداً وموطناً** (٨٧٢) . والمؤلف هربرت روسكول يهودي أمريكي الأصل نزح إلى إسرائيل عام ١٩٤٨ واستقر فيها أما مارجاليت زوجته وشريكته في تأليف الكتاب فإنها من مواليد إسرائيل أي من «السابرا» ، لذلك فإن المؤلفين يقرران في مقدمة كتابهما «أننا سوف نتحدث إذن عن أناس عرفناهم عن قرب كأصدقاء ، وجيران ، وأقارب وأقران دراسة ، وزملاء عمل ورفاق قتال» .

ويؤكد الكتاب من جديد ما سبق أن أشارت إليه نتائج بحوث أخرى سابقة من حنين غلاّب لدى أولئك السابرا للرحيل بعيداً «إن السابرا ينفرون من فلاحة الصحراء ، ويشكون العزلة الحضارية ، وينتهزون الفرصة للمضي إلى أوروبا وخاصة إلى باريس» (٨٧٢: ٥) .

ويتعرض المؤلفان أيضاً لظاهرة عدم انعكاس إضرابات الطلبة التي شملت العالم في أعوام ١٩٦٨ و ١٩٦٩ على الطلبة الإسرائيليين بقولهما «ولعله من قبيل المفارقة الملحوظة أن شبابنا لم ينجذب حقيقة إلى أي من الحركات الراديكالية ، بينما كان اليهود في الخارج على رأس الطلبة المتمردين فضلاً عن أن اليهود كانوا تاريخياً وبشكل دائم ضمن قادة الاحتجاج الاجتماعي . إن السابرا لم يثوروا على

المؤسسة ، بل إنهم توحدوا تماماً بقتال مؤسستهم من أجل البقاء . لم يشذ عن ذلك سوى حفنة ضئيلة من الشبان الإسرائيليين الذين رفضوا الالتحاق بالجيش لأنهم يرفضون الخدمة العسكرية لاعتبارات تتعلق بالمبادىء الأخلاقية والدينية التي يعتنقوها . إن السبب في ذلك واضح تماماً . إن السابرا لا يفتقدون قضية يناضلون من أجلها . إن قضيتهم واقعية تماماً : أن يظلوا أحياء ، وأن يدافعوا عن منازلهم ؛ وأن يبنوا أمتهم الجديدة وسط بحر يضم ثمانين مليوناً من العرب الكارهين لهم» . (٨٧٢ : ٨) .

ويتعرض المؤلفان كذلك لظاهرة عدم تمسك السابرا بتقاليد الديانة اليهودية فيقولا : «كثيراً ما يصدم الزوار المتدينون للأرض المقدسة في إسرائيل بحقيقة أن غالبية الشباب الإسرائيلي ليسوا متدينين . والحقيقة أن السابرا يضيقون ذرعاً بتدخل الحاخامات في حياتهم الخاصة ، ويأكلون لحم الخنزير علانية ، ورغم ذلك فإنهم يحبون الكتاب المقدس حباً شديداً ، ويستشهدون بفقراته في محادثاتهم دائماً» (٨٧٢ : ١٠) .

ويمضي المؤلفان في حديثهما عن شخصية السابرا فيقولا : «إن الحياة الخطرة المهددة التي يحياها السابرا تنعكس ولا شك على شخصياتهم ، وإن كانوا يقابلون الأخطار بهدوء شديد . لقد سأل أحد المدرسين مؤخراً تلاميذ فصله أن يكتبوا موضوعاً انشائياً تحت عنوان : يوم لا أنساه . فإذ بأغلب الشباب يكتبون عن : يوم كاد أبي أن يخطو فوق لغم . أو : يوم استولى الجيش على كافة الأوتوبيسات» (٨٧٢ : ٢٨) .

ويبرز المؤلفان تقييمهما لأهمية العيش في ظل الخطر بالنسبة للسابرا فيقررا «لعل نمط الحياة غير الآمن السائد في إسرائيل الحديثة ليس شراً كله . فلقد خلق ذلك النمط أولئك الشبان الإسرائيليين الأقوياء المقاومين . . . إن التوتر والخطر يمكن أن يلعبا دوراً مفيداً في صنع أمة جديدة» (٨٧٢ : ٢٨) .

وفي عام ١٩٧٠ أيضاً نشر الباحث الإسرائيلي بنجامين شاليت ، وهو من السيكلوجيين العاملين في قيادة القوات البحرية الإسرائيلية مقاله المعنون «العداوة البيئية والعداوة في التخييل» (٩٠٦) . ولقد استغل الباحث الموقف المحيط بمعارك ١٩٦٧ كما انعكس على أفراد الجيش الإسرائيلي في اختبار فرض نظري مؤداه : «إن المشاركة المباشرة في نشاطات عدائية موجهة لعدو تقلل من العداوة التي يتضمنها

التخييل . وذلك باعتبار أن التخييل العدائي يخدم نفس الوظيفة الديناميَّة التي يخدمها الفعل العدواني ولكن بدرجة أقل . ولنا أن نتوقع أيضاً وفقاً لنظرية تخفيف الدافع أن تؤدي المشاركة في الأفعال العدائية والتوحد بها إلى تقليل التخييل العدائي» .

لقد كانت فترة معارك يونيو ١٩٦٧ بين الدول العربية وإسرائيل فترة «نشاط عدائي واضح وشديد . لقد سبقت الحرب فترة من التهديد الشديد لوجود إسرائيل . تهديد بلغ من شدته أنه ترك أثره في أعمق انفعالات سكانها جميعاً» .

إن نظام عملية التجنيد في الجيش الإسرائيلي يتطلب تطبيق بعض الاختبارات الإسقاطية التي تتضمن ضمن ما تتضمنه مؤشرات على العداء والقلق . وكان في استطاعة شاليت الحصول على تلك البيانات ، وهو ما حدث بالفعل . واعتمد شاليت على الدرجات التي حققها الجنود بالنسبة لتلك المؤشرات ، مقارناً بين تلك الدرجات التي حصلت عليها مجموعات من المجندين قبل نشوب المعارك بعام واحد ، وتلك التي حصلوا عليها بعد المعارك مباشرة ، وتلك التي حصلوا عليها بعد مضي عام على المعارك . وذلك لتبين ما إذا كان المضمون العدائي للتخييل سوف يقل بعد الحرب مباشرة .

ويؤكد الباحث منذ البداية أن الموقف التجريبي المتضمن في البحث يضمن شروطاً نظرية ثلاثة :

(أ) ليس من مشاعر إثم ترتبط بتلك الحرب .

(ب) كان للحرب مبررها الاجتماعي الكامل باعتبارها ضرورة للحفاظ على البقاء .

(جـ) لم يشارك الأفراد المختبرين مشاركة مباشرة في أعمال القتال . وإن كان توحدهم بتلك العمليات لا شك فيه .

وقام الباحث باختيار عينة عشوائية تضم مائتي مجند من بين المجموعات التي استدعيت للخدمة العسكرية في شهر أغسطس من أعوام ١٩٦٦ و١٩٦٧ و١٩٦٨ . وهم جميعاً من المجندين الجدد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧,٥ عاماً و ١٨,٥ عاماً . ومستوى ذكاؤهم متوسط على الأقل . ويتمتعون بلياقة بدنية مناسبة . ويؤكد الباحث أنه نظراً لأن «التجنيد للخدمة الوطنية يقوم على عامل السن

وحده[1] . . . بصرف النظر عن العوامل الديموجرافية أو الجغرافية ، أو التعليمية . . . فإن لنا أن نفترض أن العينات العشوائية تمثل تجمعات سكانية متطابقة لا تختلف إلا في وقت الاستدعاء للخدمة فحسب» .

وتضم بطارية الاختبارات التي يطبقها الجيش الإسرائيلي على مجنديه خلال الأيام التالية مباشرة على استدعائهم اختبار بقع الحبر لهولزمان واختبار تفهم الموضوع . ويتم تطبيق هذين الاختبارين جميعاً باستخدام الفانوس السحري . ويقوم الاخصائيون السيكلوجيون للجيش الإسرائيلي بتقييم الإجابات وفقاً للمعايير المتعارف عليها بالنسبة لكل اختبار .

واختار شاليت لبحثه ثلاث بطاقات معينة من اختبار تفهم الموضوع ، وذلك لما تشير إليه الدراسات السابقة من أنها مشحونة أكثر من غيرها بالمضمون العدائي . وكانت الدرجة الدالة على العداء تمنح لأية قصة تتضمن إشارة واضحة إلى أن ثمة فعلاً عدائياً قد وقع على شخص . وبالنسبة للبطاقة رقم أربعة عشرة بالتحديد كانت الدرجة تمنح للقصة التي تتضمن إشارة إلى عملية انتحار .

وقد أسفر بحث شاليت عن النتائج التالية :

أولاً : نتائج مؤشرات القلق والعداء كما تفصح عنها متوسطات درجات اختبار الحبر لهولزمان :

السنة / المؤشر	القلق	العداء
١٩٦٦	٦,٥	١٠,٨
١٩٦٧	٤,٩	٨,٥
١٩٦٨	٧,٨	١١,٢
اختبار ت [2]		
١٩٦٦/١٩٦٧	٣,١٦ *	٣,٧٥ **
١٩٦٧/١٩٦٨	٥,٩٥ **	٣,٥٩ **
١٩٦٦/١٩٦٨	٢,٧٥ *	

(١) ثمة مجموعات يضمها التجمع الاسرائيلي ورغم ذلك لا يشملها التجنيد . وتضم تلك المجموعات فضلاً عن العرب : الدروز الذين لم يجندوا إلا أخيراً ـ وجماعة الناطوراه كارتا ، ورجال الدين . . إلى آخره .

(٢) لا يتضمن الجدول سوى الفروق ذات الدلالة فحسب .

=

ثانياً : نتائج بطاقات اختبار تفهم الموضوع :

السنة / رقم البطاقة	٨	١٨	١٤
١٩٦٦	٧٤	١٠٦	٢٩
١٩٦٧	٥٠	٦٨	٢٥
١٩٦٨	٧٦	١٠٠	٤٩
كا٢ (١)			
١٩٦٦/١٩٦٧	٦,٦ *	١١,٠ **	
١٩٦٧/١٩٦٨	٦,٨ *	١٠,٨ ***	٧,٨ **
١٩٦٦/١٩٦٨			٥,٥ *

ويتضح من الجدول الأول أن حجم العـدوان المتخيل يقـل خلال ممـارسة العدوان الفعلي ولو عن طريق التوحد مع من يمارسون هذا العدوان والأمر بالمثل بالنسبة للقلق . ولكن الجدير بالملاحظة أمران :

(أ) إن حجم القلق المتخيل يعود بعد أن تنتهي الممارسة الفعلية للعدوان إلى ما يفوق مستواه الأول بفارق دال إحصائياً .

(ب) إن حجم العداء المتخيل رغم ارتفـاعه التـالي على الممارسـة الفعلية للعدوان لا يجاوز مستواه الأول .

ولو أمعنّا النظر في بيانات الجدول الثاني لاتضح لنا أن الاستثناء الوحيد فيما يتعلق بملاحظتنا الأخيرة كان بالنسبة للاستجابات على البطاقة الرابعة عشرة ، وهي كما سبق أن أشار شـاليت لا تتضمن سوى وقـائع الانتحـار . وغني عن البيان أن

=(*) مستوى الدلالة عند ٠,٠١ .

(**) مستوى الدلالة عند ٠,٠٠١ .

(١) لا يتضمن الجدول سوى الفروق ذات الدلالة فحسب .

(*) مستوى الدلالة عند ٠,٠٢ .

(**) مستوى الدلالة عند ٠,٠١ .

(***) مستوى الدلالة عند ٠,٠٠١ .

الانتحار رغم دلالته العدوانية الواضحة إلا أنه نوع شديد الخصومة من العدوان . بل لعله يكاد يكون تعبيراً مباشراً عن الشعور بالإثم متمثلاً في توجيه العدوان نحو الذات وذلك الاستثناء على أي حال يدعم ملاحظتنا الأولى على الجدول الأول . فالشعور بالإثم يرتبط بالقلق ارتباطاً واضحاً .

خلاصة القول إذن أن ممارسة العدوان الفعلي لم تؤد بالنسبة لأفراد عينة البحث إلى تخفيف نهائي للعدوان المتخيل الذي سرعان ما عاد إلى مستواه الأصلي إثر انتهاء الممارسة الفعلية للعدوان . كذلك فإن ممارسة العدوان تؤدي خلال وقوعها إلى تخفيف حدة القلق التي سرعان ما تعود إلى ما يفوق مستواها الأول بعد انتهاء الممارسة الفعلية للعدوان .

ولم يفسر شاليت في مقاله أي من هاتين الظاهرتين . وإن كنا نرى أنها على جانب كبير من الأهمية .

وفي عام ١٩٧٠ أيضاً نشرت رينا شابيرا بالاشتراك مع ايفا اتيزيوني مقالهما المعنون «القيم الفردية والجماعية للطلاب الإسرائيليين : تأثير الحركات الشبابية» (٩٠٨) ويبرز المقال أن إسرائيل «رغم أنها ما زالت حتى اليوم مجتمعاً يتميز بتأكيده القوي على توجيه القيم نحو الجماعية ؛ فإن ثمة اتجاهات ثانوية ذات طبيعة فردية ما زالت بارزة . والملاحظ أن قيم التقدم المهني وسعي المرء إلى رفع مستوى معيشته تتزايد أهميتها تدريجياً» . ويحاول البحث اختبار مدى تأثير العضوية السابقة في تنظيمات الشباب على قيم الفرد الفردية والجماعية .

وينبه المقال إلى اقتصار الدراسة على عينة من الطلاب ، لا يمثلون في النهاية سوى شريحة محدودة من أولئك الذين كانوا أعضاء في منظمات شبابية إسرائيلية . وهي شريحة قد تتميز بارتفاع مستوى أفرادها العقلي وارتفاع مستوى طموحهم أيضاً . وتحاول المؤلفتان التقليل من أثر ذلك بتأكيدهما «أنه فيما يتعلق ببقية مجالات الدراسة كالاتجاهات السياسية والارتباطات القومية فليس ثمة ما يبرر افتراض فروق أساسية بينهم وبين الأعضاء السابقين في المنظمات الشبابية ممن ليسوا طلاباً» .

وعلى أي حال فإن مشكلة غلبة الطلاب على العينة تكاد أن تعد مشكلة عامة بالنسبة لغالبية بحوث علم النفس الاجتماعي حتى أن ٧٠,٢٪ من دراسات علم النفس الاجتماعي التي نشرت في إحدى الدوريات المتخصصة فى علم النفس

الاجتماعي والشخصية خلال عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ قد اعتمدت أساساً على طلاب الجامعات (٨٨٩) ويبدو لنا أن تلك الظاهرة التي تتمثل في غلبة الطلاب على عينات البحث في علم النفس تقابل ظاهرة أخرى هي غلبة علماء الجامعات على القائمين بتلك البحوث .

ويقوم البحث على مقارنة الطلاب الذين سبق أن كانوا أعضاء في منظمات شبابية بأولئك الذين لم يكونوا أعضاء في تلك المنظمات من حيث :

(أ) القيم الجماعية كما تتمثل في مؤشرين : الولاء لإسرائيل وطبيعة الولاءات السياسية التي يعبر عنها المفحوص .

(ب) القيم الفردية كما تتمثل في مؤشرين أيضاً : الطموح إلى مكانة اقتصادية اجتماعية أعلى ، واختيار مهنة أعلى في السلم الاجتماعي .

وتتلخص خطوات البحث في أنه خلال الفصل الدراسي الثاني من عام ١٩٦٦/١٩٦٧ أرسلت الباحثتان استبياناً بريدياً إلى عينة عشوائية طبقية من طلاب السنة الأولى في ثلاث كليات من جامعة تل أبيب هي : كلية العلوم الطبيعية ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وكلية الإنسانيات . ومن بين ١٠٠٠ طالب أرسل إليهم الاستبيان ، استجاب ٨٧٤ طالب أي حوالي ٨٠ ٪ وكان من بين هؤلاء المستجيبين ٢١٠ من الطلاب الذين لم يسبق لهم الانضمام إلى منظمات شبابية ، و٣٨٧ طالباً سبق لهم الانتظام في تلك المنظمات لمدة عام أو أكثر . وكانت المجموعة الباقية تضم ٧١ طالباً سبق لهم الانتظام في منظمات شبابية لمدة تقل عن عام .

وقد اتضح من التوزيع الإثني لأفراد العينة أن ٢١ ٪ من أفراد المجموعة الأولى ينحدرون من أصول تنتمي إلى بلدان شرقية . وتشمل هذه النسبة كافة المستجيبين الذين ولدوا أو ولد آباؤهم في أي من البلدان الآسيوية الأفريقية فيما عدا جنوب أفريقيا . وذلك مقابل ١٢ ٪ من أفراد المجموعة الثانية . كذلك فقد اتضح أن ٧٩ ٪ من أفراد المجموعة الأولى ينحدرون من أصول غربية وتشمل هذه النسبة كافة المستجيبين الذين ولدوا أو ولد آباؤهم في أوروبا أو أمريكا أو جنوب أفريقيا . مقابل ٨٨ ٪ من أفراد المجموعة الثانية..

ونستطيع أن نستلخص من بيانات هذا التوزيع الإثني أن العينة ككل تضم ٨٣,٥ ٪ من الاشكنازيم مقابل ١٦,٥ ٪ من الشرقيين . وتستخلص الباحثتان من

هذه البيانات أن ثمة ميلاً عاماً لدى أولئك المنحدرين من أصول غربية إلى الالتحاق بالمنظمات الشبابية خلال مراهقتهم بنسبة أعلى كثيراً من نظيرتها لدى الشرقيين .

وتوجز الباحثتان النتيجة العامة لبحثهما في أن «الطلاب الذين سبق لهم الالتحاق بمنظمات شبابية يختلفون اختلافاً جوهرياً عن أولئك الذين لم يسبق لهم الالتحاق بتلك المنظمات فيما يتعلق بقيمهم في المجال الجماعي . ومن ناحية أخرى فلم يكن ثمة خلاف بين المجموعتين فيما يتعلق بقيم المجال الفردي» .

لقد كان قياس القيم الجماعية في البحث يتم ـ كما سبق أن أشرنا ـ من خلال مؤشرين . وفيما يتعلق بالمؤشر الأول وهو الارتباط بإسرائيل فقد كان يتمثل في مدى تقبل المفحوص للعبارة الآتية : «إن مكان كل إسرائيلي هو إسرائيل ، وينبغي عليه أن يبقى بها مهما حدث» . وكانت الإجابتان «أوافق تماماً» و«أوافق» تعدان تعبيراً عالياً عن الولاء : أما الإجابتان «لا أوافق» و«لا أوافق على الإطلاق» فتعدان تعبيراً عن الولاء المنخفض . وقد أسفر تحليل الإجابات على هذا السؤال عن النتائج التالية :

الارتباط بإسرائيل[1]	عضوية منظمات شبابية				
	غير منتمين	منتمون لأقل من عام	من عام إلى أربعة	من خمسة إلى سبعة	ثمانية أعوام فأكثر
ارتباط عال	٣٢٪	٣٥٪	٣٧٪	٤٤٪	٥٣٪
ارتباط منخفض	٦٨٪	٦٥٪	٦٣٪	٥٦٪	٤٧٪
مجموع النسب المئوية	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪
عدد الأفراد	٢٠٥	٧١	٢٠٤	١٢٣	٥٧

وواضح من أرقام الجدول السابق أن العضوية السابقة في المنظمات الشبابية تزيد من ارتباط أفراد العينة بإسرائيل .

أما فيما يتعلق بالمؤشر الثاني وهو طبيعة الولاء السياسي للفرد ، فقد كان يطلب

(١) كافة الفروق كانت دالة احصائياً باستخدام كا٢ عند مستوى ٠,٠٥ وذلك من خلال تناول الأرقام الخام .

من الفرد أن يحدد لنفسه موقفاً على متصل كمي من سبع درجات تمثل أولها أقصى اليمين وتمثل الدرجة الأخيرة أقصى اليسار . وكان التصنيف يتم على أساس اعتبار الدرجات الثلاث الصغرى تعبيراً عن الاتجاه اليميني ، والدرجات الثلاث الكبرى تعبيراً عن الاتجاه اليساري مع اعتبار الدرجة الوسطى الباقية تعبيراً عن الاتجاه نحو الوسط . وقد أسفرت معالجة استجابات المفحوصين بالنسبة لهذا المؤشر عن النتائج التالية :

الاتجاه السياسي	عضوية منظمات شبابية				
	غير منتمين	منتمون لأقل من عام	من عام إلى أربعة	من خمسة إلى سبعة	ثمانية أعوام فأكثر
ميل إلى اليمين	٥٣٪	٤٩٪	٣٩٪	٣٤٪	٣٠٪
ميل إلى الوسط	٣١٪	٢٥٪	٣١٪	٢٦٪	١٨٪
ميل إلى اليسار	١٦٪	٢٦٪	٣٠٪	٤٠٪	٥٢٪
مجموع النسب المئوية	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪
عدد الأفراد	١٩٣	٦٨	٢٠٠	١١٥	٥٤

وينبغي أن يكون واضحاً أن هذه البيانات لا تعتمد بحال على تقييم موضوعي ، أو شبه موضوعي للموقف السياسي الفعلي الذي يتخذه الفرد بل هي تعبير فحسب عن التصور الذاتي للفرد فيما يتعلق بموقفه السياسي . وبذلك تصبح النتيجة التي يمكن أن نخرج بها من بيانات الجدول السابق هي أن العضوية السابقة في المنظمات الشبابية الإسرائيلية تجعل الأفراد الإسرائيليين أكثر ميلاً إلى اعتبار أنفسهم يساريين .

أما فيما يتعلق بالقيم في المجال الفردي فلم يسفر البحث عن أية فروق ذات دلالة بين المجموعات محل المقارنة .

وتقرر الباحثتان بعد عرض نتائجهما أن «ثمة سؤالاً يطرح نفسه على الفور : هل ترجع هذه الفروق بين أعضاء الحركات الشبابية وغير الأعضاء إلى تعرضهم لأساليب التربية المتبعة في تلك الحركات أم أنها تنبعث من مصادر أخرى ؟» .

ويشير المقال إلى أن فحص البيانات قد كشف عن «أن الاختلافات في الاتجاهات القيمية الموجودة لدى الطلاب إنما يتبع الاختلافات في الموطن الأصلي . فقد اتضح بالنسبة للارتباط بإسرائيل أنه بينما أبدى ٤٠ ٪ من الطلاب المنحدرين من أصول غربية ارتباطاً عالياً بإسرائيل ، فإن ٣٠ ٪ فقط قد أبدوا مثل هذه الدرجة العالية من بين الطلبة الشرقيين» .

«كذلك فإن الطلاب القادمين من أوطان شرقية يبدون ميلاً إلى اليمين أكثر ما يبديه أولئك القادمون من الغرب الذين يتجهون أكثر إلى الوسط في حين أنه ليس من فروق فيما يتعلق بالاتجاه نحو اليسار» .

وواضح أن تلك النتيجة الأخيرة تتعارض لدى الوهلة الأولى مع ما أشار إليه فوير في كتابه الذي تناولناه فيما سبق (٤١٤) حيث اتضح غلبة الميل نحو نظام الحكم الدكتاتوري لدى الطلاب الاشكنازيم . ولكن ذلك الخلاف لا يلبث أن يتلاشى إذا ما وضعنا في الاعتبار مرة أخرى أن خطة البحث الحالي لم تكن تتطلب من الفرد التعبير عن موقفه الفعلي ولو تعبيراً لفظياً بل كانت تتطلب منه التعبير عن تقييمه النهائي لذلك الموقف فحسب .

وفي العدد الصادر في ١٩٧٢/٣/١٧ من جريدة هاآرتس الإسرائيلية حاول البروفسور آمنون روبنشتاين عميد كلية الحقوق في جامعة تل أبيب مناقشة ما شهدته الجامعات الإسرائيلية آنذاك إضرابات طلابية (٨٤) . ففي كلية الحقوق في الجامعة العبرية احتل الطلاب مكتب العميد . وفي جامعة بارايلان هدد الطلاب باستعمال العنف والقوة إذا لم تجب مطالبهم . ودعا الطلاب في جامعة تل أبيب إلى تسهيل الشروط اللازمة للنجاح . وقد اقتصرت مطالب الطلاب على الشئون الدراسية فحسب ولم تطرح أية شعارات تتجاوز شعار المشاركة في إدارة الجامعات والقضايا الطلابية .

ويحدد روبنشتاين نقاط الخلاف التالية بين الحركة الطلابية الإسرائيلية والحركة الطلابية في أوروبا وأمريكا :

أولاً : ثورة الطلاب هناك جزء من فلسفة اجتماعية ـ يسارية . فقد كفر الطلاب الذين قادوا الثورة بالمفاهيم المألوفة في مجتمعهم المادي ـ الاستهلاكي ووضعوا أنفسهم في معسكر اليسار بمختلف فئاته . من الماركسية التقليدية ، إلى اليسار الجديد ، وحتى الهامشيين في اليسار الماوي العنيف . أما الطلبة الإسرائيليون

فيقفون إلى يمين الوسط ، ويقود معظمهم رجال جاحال وأرض إسرائيل الكاملة. . . إنهم لا يريدون أبداً إدخال تغيير اجتماعي وسياسي ، ولم يدلوا أبداً بآرائهم في قضية داخلية مختلف عليها . بل إنهم على العكس ، غالباً ما يعتبرون أساتذتهم يساريين لمجرد أن هؤلاء ليسوا شركاء في الاتجاه اليميني المحافظ» .

ثانياً : «كانت ثورة الطلبة في الغرب ، قبل كل شيء ، ثورة ضد المؤسسة السياسية التي اعتبر طلاب الجامعات قسماً منها . وفي إسرائيل سعى الطلبة أولاً وقبل كل شيء في معركتهم للاستعانة بالمؤسسة السياسية . فقد سارعوا إلى وزير الدفاع ، وإلى نائب رئيس الحكومة ، ليساعدوهم في معركتهم ، وتوجهوا أخيراً إلى رئيسة الحكومة» .

ثالثاً : «كانت إضرابات الطلاب في إسرائيل موجهة في الأساس إلى الدفاع عن الطلبة الفاشلين وتحقيق مطالب أكاديمية. . . ولم تحدث مثل تلك الإضرابات في الولايات المتحدة ، ولم تقدم أبداً مثل هذه الطلبات بصورة مباشرة في أوروبا. . . فقد كانت جميع الاضطرابات التي حدثت في الجامعات الأمريكية ، تعود إلى أسباب سياسية اجتماعية» .

رابعاً : «عمل الطلاب في الخارج على تغيير الأنظمة البدائية التي تحكم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، فأيدوا كل أقلية ، وكل مظلوم ، أو مضطهد . وتغيرت بفضلهم - إلى حد كبير - النظرة إلى الأقليات العرقية . فقد ثاروا ضد مظاهر التسلط ، ليس في الجامعة فقط بل في كل مكان . ولم يبد الطلبة في إسرائيل رأيهم في أية قضية من هذا النوع . وعندما دار نقاش في جامعة تل أبيب حول الاعتقالات الإدارية ، عارضها الأساتذة أما الطلبة فكانوا سلبيين. . . ومن بين المظاهر السياسية القليلة للزعامة الطلابية تأييدها عصبة الدفاع اليهودية ، وهي المنظمة التي حاولت أن تحرص هنا في إسرائيل ضد العرب والسود . ولم يقم أي احتجاج واضح بين الطلاب عندما نشرت محررة مجلة الطلبة في جامعة تل أبيب مقالاً عنصرياً طالبت فيه بطرد جميع الطلاب العرب من الجامعات» .

خامساً : «انفجرت ثورة الطلاب في الولايات المتحدة تلقائياً ، دون تنظيم فوقي ، وكان زعماؤها متطوعين . أما إضرابات الطلبة هنا ، فتحركها منظمات معينة يتقاضى جميع ممثليها أجوراً ثابتة» .

وعلى أي حال فإن الوقائع التي يشير إليها برنشتاين فيما يتعلق بالطلاب الإسرائيليين تلقى صدى في كتابات الكثيرين بصرف النظر عن تبريراتهم لها (٥٤ ، ٧٨ ، ٣٧٧ ، ٦١٧ ، ٧٨٧) .

الفصل العاشر
مجمل تركيبي

مقدمـة :

استعرضنا فيما سبق الدراسات التي شملها حصرنا ، والتي تناولت الخصائص السيكلوجية للاشكنازيم الإسرائيليين . وقد شملت تلك الدراسات فترة امتدت من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ . ولقد آثرنا أن نعرض لكل من هذه الدراسات على حدة تحقيقاً لهدفين :

(أ). إبراز تفرد كل دراسة سواء من حيث المنهج أو الأدوات أو النتائج أو زمن الإجراء .

(ب) إتـاحة الفـرصة لمن قـد يـود من البـاحثين الاستفـادة من المـادة التي جمعناها ، وما قد يتـراكم إضافـة إليها ، في عمليـات تحليل جـديدة قـد لا تتفق بالضرورة مع الأسلوب الذي اتبعناه في التحليل .

وقد التزمنا خلال عرضنا السابق بعدة خطوط عريضة أهمها :

أولاً : قسمنا الدراسات المتاحة إلى دراسات خاصة بالأطفال ، وأخرى خاصة بالراشدين . دون أن يعني ذلك أن ثمة خطاً فاصلاً بين الطفولة والرشد . وبالتالي فلم يكن بـد من تـداخـل المـدى الـزمني لأعمـار الأفـراد الـذين شملتهم دراســات المجموعتين . خاصة وأن بعض الدراسات كانت تقوم على المقارنة بين مجموعات تتفاوت من حيث السن .

ثانياً : قسمنا الدراســات الخاصــة بالأطفـال إلى قسمين . يضم الأول تلك الدراسات التي لم تسفر نتائجها عن تمييز واضح لأطفال الاشكنازيم . ويضم الثاني

تلك التي أسفرت عن مثل ذلك التميز . ولم نجد مبرراً لمثل ذلك التقسيم بالنسبة لدراسات الراشدين ، وذلك بحكم حجم وطبيعة المادة المتاحة .

ثالثاً : التزمنا خلال عرضنا لمجموعتي دراسات الأطفال ، وكذلك لمجموعة دراسات الراشدين بمراعاة التسلسل الزمني لنشر تلك الدراسات . وذلك تيسيراً لتنظيم عرض المادة والرجوع إليها من ناحية . وإتاحة لفرصة رصد التطور الزمني لتلك المادة من ناحية أخرى .

لقد تعدد الباحثون الذين قاموا بتلك الدراسات . تعددت جنسياتهم ومنطلقاتهم الفكرية ، وأطرهم النظرية المتخصصة . وتعددت أيضاً الوسائل والأدوات التي استخدموها . وتباينت خصائص الأفراد الذين تعرضت لهم تلك الدراسات سواء من حيث العمر أو الجنس أو ظروف التنشئة الاجتماعية أو ما إلى ذلك . واختلفت كذلك المناهج التي ارتضاها هؤلاء الباحثون في دراساتهم فضلاً عن امتداد الفترة الزمنية التي شملتها تلك الدراسات إلى ما يقرب من ربع القرن . ولقد تضمنت نتائج تلك الدراسات قدراً كبيراً من الإشارات الجزئية المتناثرة لعدد من الخصائص السيكلوجية التي أسفرت النتائج عن توافرها لدى الاشكنازيم الإسرائيليين .

والسؤال هو : ترى هل ثمة اتساق بين تلك النتائج جميعاً ؟

إن أسلوب إعادة التركيب يقوم كما سبق أن أشرنا على التسليم بأن الإنسان وحدة متكاملة متسقة . وبالتالي فإنه يمكن تحقيق أكبر قدر من الإحاطة به من خلال إعادة تركيب تلك المعطيات الجزئية المشتتة التي يعكس كل منها جانباً ضئيلاً من ذلك الكل المتسق المتكامل .

أولاً : القدرات العقلية

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

تشير نتائج البحوث إلى أنه ليس ثمة ما يميز الاشكنازيم الإسرائيليين عن غيرهم في مجال القدرات العقلية .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تتفق على تأكيد ذلك الاتجاه العام نتائج كافة البحوث التي شملها الحصر ،

باستثناء واحد سوف نشير إليه فيما بعد . تتفق في ذلك النتائج التي توصل إليها كوهن راز بتطبيق اختبار بايلي على رضع يبلغون شهراً واحداً من العمر (٦٠٧) مع تلك التي توصل إليها رابين سواء باستخدام أساليب إسقاطية (٨١٦ ، ٨٢٣ ، ٨٢٨) أو مقاييس للذكاء (٨١٩) على عينات مختلفة تصل أعمار أفرادها إلى سن السابعة عشرة (٨٢٣) .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

يتمثل الاستثناء الوحيد في هذا الصدد في إحدى النتائج الفرعية التي أسفر عنها بحث أجراه رابين (٨١٨) على مجموعة من الرضع الكيبوتزيين مقارناً إياهم بمجموعة من رضع الموشاف وفقاً لدرجاتهم على مقياس جريفيث للتطور العقلي . وقد يرجع ذلك التعارض إلى صغر حجم عينات البحث التي لم تتجاوز عشرين رضيعاً . خاصة وأن تلك النتيجة تتعارض مع نتائج بحوث رابين الأخرى .

(د) التعقيب :

يتفق ذلك الاتجاه بعامة مع ما تشير إليه نتائج البحوث السيكلوجية في مجال الفروق القومية من أنه ليس ثمة ما يؤكد وجود فروق بارزة بين الجماعات البشرية المختلفة من حيث القدرات العقلية (١٧٨ : ٣٨٨ ـ ٣٩٠) .

ثانياً : الاضطرابات السلوكية

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

تشير نتائج البحوث إلى أن الاضطرابات السلوكية لدى أطفال الاشكنازيم تتمثل أساساً في البوال ، ومص الأصابع ، والمخاوف الليلية . وأن راشدي الاشكنازيم لا يبدون أياً من مظاهر الاضطراب السلوكي كالجناح أو الجنسية المثلية والكحال .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تتفق نتائج بحوث ايرفين (٥٥٥) وكابلان (٥٨٨) وبتلهايم (٢٥٩ : ١٤٧ ـ ١٤٩) وسبيرو (٩٤٥: ٢٠٧ ـ ٢٠٨) على تأكيد أن البوال يعد ضمن المشكلات التي يعاني منها أطفال الاشكنازيم .

كما تتفق نتائج بحوث كابلان (٥٨٨) ، وكوفمان (٥٧٨) ، وناجلر (٧٥٣) ،

وسبيرو (٩٤٥: ٢١٣ ـ ٣١٨) على أن مص الأصابع يعد أيضاً ضمن المشكلات التي يعاني منها هؤلاء الأطفال .

كذلك يتفق بتلهايم (٢٥٩ : ٩٢ و١٠١ و١٠٣ و١٤٦) مع سبيرو (٩٤٥ : ٢١٣) في تأكيد أن المخاوف الليلية أيضاً تعد ضمن تلك المشكلات .

ومن ناحية أخرى يتفق ألكسندر (١٦٨) ، وماركمان (٦٩٨) ، ووينيك (١٠١٩) ، وكرازيلوسكي (٦١٣) ، على عدم انتشار أي من الجناح أو الجنسية المثلية أو الكحال بين راشدي الاشكنازيم فضلاً عن أطفالهم .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

ينفي كوفمان (٥٦٩) وجود ظاهرتي البوال والمخاوف الليلية بصورة مميزة لأطفال الاشكنازيم الإسرائيليين . كذلك ينفي بتلهايم انتشار ظاهرة مص الأصابع لديهم (٢٥٩ : ٧٩ و ٨٠ و ٣٢٩) .

ولقد اعتمد كوفمان في التوصل إلى نتائجه على مقارنة التشخيصات السيكياترية لشكاوى مجموعة من أطفال الكيبوتزات الإسرائيلية . ويبدو لنا أن مصدر تعارض نتائج كوفمان مع ما يشير إليه الاتجاه العام في هذا الصدد إنما يرجع إلى اتباعه ذلك الأسلوب بالتحديد في مقارناته . فالتشخيص السيكياتري يتوقف حدوثه أصلاً على إحالة «المريض» إلى «المعالج» وهو يعني تسليم المحيطين بالمريض الطفل بأنه يعاني مرضاً ما . وذلك أمر لا يمكن الاطمئنان إليه على الإطلاق بالنسبة للكيبوتزات . فأسلوب التنشئة الاجتماعية فيها لا يعتبر ظاهرة البوال «مرضاً» يتطلب علاجاً ، وبالتالي فليس من ضرورة في أغلب الأحيان لتشخيصه سيكياترياً . ومن ناحية أخرى فإن نظام الحياة اليومية الذي يخضع له أطفال الكيبوتزات ، وما يقتضيه ذلك النظام من نومهم بعيداً عن الراشدين يجعل من المتعذر ـ بالأسلوب الذي اتبعه كوفمان في بحثه ـ رصد ظاهرة المخاوف الليلية لديهم .

أما عدم ملاحظة بتلهايم لانتشار ظاهرة مص الأصابع لدى أطفال الاشكنازيم الذين تعرضت لهم دراسته . وتعارض ذلك مع ما لحظه غيره من الباحثين ، فإن بتلهايم يرجعه إلى ما أبدته الكيبوتزات مؤخراً من تشدد في أسلوب التنشئة الاجتماعية حيال تلك الظاهرة . وهو على أي حال تفسير لا ينفي استمرار وجود الجذور السيكلوجية المسببة أصلاً لتلك الظاهرة .

(د) التعقيب :

ليس البوال عرضاً منفرداً ، بل إنه ظاهرة تتصل بالشخصية ككل (٥٨٤: ٤٣٩ ـ ٤٥٣ ، ٧٧٣: ٣٤٣) ، وإن كان ذلك لا ينفي ألّا علاقة له بالذكاء (٥٨٤: ٤٣٩ ـ ٤٥٣) . ويشير بيرت إلى ارتباط البوال بما تمارسه البيئة المحيطة من ضغوط عقلية (٢٩٧) ، متفقاً في ذلك مع ما يشير إليه فودكايلو (٩٩٤: ١٩٩) ، وأيضاً إلى حد ما مع إشارة هيلين دويتش إلى البوال كعرض هستيري تحولي (٣٦٤: ٥٠ ـ ٥٨) . أما إنجلش وبيرسون فإنهما يربطان بين البوال لدى الذكور وتوحدهم بالأم بدلاً من الأب (٤٥: ٢٥٨ ـ ٢٥٩) . ويربط ميتشيل في مقالاته المبكرة بين البوال ومص الأصابع (٧٣٨ ، ٧٣٩) الذي يراه واطسون وسيلة للتخلص من المخاوف ومن مثيرات القلق (٩٩٩: ٣٦) ، ويراه إريكسون (٣٩٨: ١٨٥ ـ ٢٢٥) متفقاً في ذلك مع فرويد (١٠٣: ٦٥ ـ ٦٦) نكوصاً إلى المرحلة الفمية لافتقاد الاشباع في المراحل التالية .

ونستطيع أن نخلص من ذلك كله إلى أن إشارات نتائج البحوث في هذا الصدد متسقة مع بعضها تماماً نظراً لارتباط مظاهر البوال ومص الأصابع والمخاوف الليلية معاً باعتبارها جميعاً تعبيرات عن قلق يعاني منه هؤلاء الأطفال (٩٤٥: ٢٨٤ ـ ٢٩٠) .

أما ما تجمع عليه نتائج البحوث التي تناولناها جميعاً من انخفاض ملحوظ ـ يكاد أن يكون تلاشياً ـ لظواهر الجناح والجنسية المثلية والكحال بين الاشكنازيين الإسرائيليين فهو أمر قد يشير إلى أن ثمة مجالاً ما قد انصرفت إليه تلك الطاقة التي سببت أعراضاً كالبوال ومص الأصابع والمخاوف الليلية لدى الأطفال . وهو ما سوف نحاول أن نتبينه فيما بعد .

ثالثاً : العدوان

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

تشير نتائج البحوث إلى أن أطفال الاشكنازيم يبدون عدوانية تفصح عن نفسها في غالبية مواقف حياتهم ، وتصبغ علاقاتهم بكافة من يرتبطون بهم ، مما يحول دون «توافقهم» أو «سواءهم» وفقاً للمعايير المتعارف عليها . كذلك تشير تلك النتائج إلى

أن ثمة عدواناً يبديه راشدو الاشكنازيم ، وبدرجات ملحوظة ، غير أنه عدوان «توافقي» «سوي» إذا صح التعبير .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تتفق النتائج التي توصل إليها كابلان (٥٨٨) ، مع ما تشير إليه نتائج دراسة أنتونوفسكي (١٨٤) ، مع ما توصل إليه سبيرو (٩٤٥) في أن أطفال الاشكنازيم يبدون عدوانية تكاد أن تصبغ نشاطاتهم جميعاً . وتتفق تلك النتائج التي توصل إليها الباحثون عن طريق اتباع أسلوب الملاحظة مع ما أسفر عنه استخدام بتلهايم لأسلوب التداعي الحر مع بعض شباب الاشكنازيم (٢٥٩ : ١٠٥) .

وإذا كانت نتائج تلك البحوث جميعاً تؤكد الطابع «اللاتوافقي» لعدوانية أطفال الاشكنازيم ، فإن نتائج بحوث أخرى تشير إلى اختفاء «لاتوافقي» أيضاً لذلك العدوان في بعض المواقف . بمعنى أن يختفي التعبير عن العدوان في مواقف يكون فيها بمثابة الاستجابة الطبيعية المناسبة للموقف كما هو الحال في مواقف المنافسة (٨٢٠ ، ٨٣٨ ، ٩٠٨) والإحباط (٨٢٢) .

أما بالنسبة لراشدي الاشكنازيم فإن نتائج البحوث المتاحة تجمع على أنهم يمارسون عدوانية واضحة سواء على مستوى التخييل (٩٠٦) أو على مستوى التعبير اللفظي (٨٤٣) أو على مستوى السلوك الفعلي (١٦٨ ، ١٧٧ ، ٣٦٧ ، ٨٧٢ ، ٩٤٥ ، ١٠١٩ ، ١٠٤٤) ، إلا أن تلك الممارسات بمستوياتها المختلفة لا تتخذ بحال طابعاً لاتوافقياً بمعنى أنها لا تندرج ـ مهما بلغت شدتها ـ تحت أي من التصنيفات السيكياترية المرضية المعروفة .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

ليس من نتيجة تتعارض مع الاتجاه العام سوى تلك الإشارة التي وردت في بحث كوفمان (٥٧٨) ومؤداها أنه لم يلحظ زيادة تميز أطفال الاشكنازيم من حيث عدوانيتهم . وقد سبق أن أشرنا إلى تحفظاتنا بشأن المنهج الذي اتبعه كوفمان في بحثه .

(د) التعقيب :

إن عدوانية أطفال الاشكنازيم أو بتعبير أدق «ضعف سيطرتهم على عدوانهم» (٥٨٨) تنسق إلى حد كبير مع ما سبق أن أشرنا إليه من انتشار لمظاهر البوال ومص

الأصابع والمخاوف الليلية لديهم ، فهي جميعاً ردود أفعال لبيئة مثيرة للإحباط .

ومن ناحية أخرى فإن ما أسفرت عنه البحوث التي أجريت على الراشدين من اختفاء للطابع اللاتوافقي للعدوان ، يتسق أيضاً مع ما سبق أن أشرنا إليه من اختفاء لمظاهر الجناح لديهم . إن راشدي الاشكنازيم يكفون عن إبداء أية مظاهر عدوانية مرضية وإن كانوا لا يكفون عن ممارسة عدوانيتهم بمعنى أنهم يمارسون العدوان من خلال مواقف ومؤسسات وتنظيمات اجتماعية . وطالما أن التوافقية واللاتوافقية أمور نسبية تختلف حدودها ومواصفاتها من جماعة إلى أخرى ، فإن عدوانية راشدي الاشكنازيم الإسرائيليين تكتسب في هذه الحالة طابعاً توافقياً تماماً .

رابعاً : الانطوائية والتمركز حول الذات

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

تشير نتائج البحوث إلى أن الاشكنازيين الإسرائيليين يبدون ميلاً واضحاً إلى الانطوائية والتمركز حول الذات .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تتفق نتائج كافة البحوث التي شملها الحصر على أن الاشكنازيين أميل للانطواء والتمركز حول الذات . سواء كانوا أطفالاً (٥٧٩ ، ٨١٩ ، ٩٢٩ ، ٩٤٥) أو راشدين (٣٩٩ ، ٤٢٤ ، ٥٩١ ، ٦٧٢ ، ٧٩٧ ، ١٠١٩) .

وانطوائية الاشكنازيم ـ وفقاً لما تشير إليه نتائج البحوث تشمل مجالات علاقاتهم الإنسانية جميعاً . فهم إنطوائيون حيال الغرباء (٣٩٩ ، ٤٢٤ ، ٧٩٧ ، ٩٢٩) . انطوائيون حيال أسرهم (٢٥٩ ، ٩٤٥ ، ١٠١٩) انطوائيون حيال زملائهم (٢٥٩ ، ٩٤٥) .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

لا توجد .

(د) التعقيب :

يفسر سبيرو انطوائية من درسهم من الاشكنازيم بأنها تنبع من إدراكهم للآخرين أو للعلاقات الشخصية المتبادلة إما باعتبارها أمر مؤلم أو أمر خطر . ومن ثم فإن

انطوائيتهم - فيما يرى سبيرو - تقوم دليلاً على افتقارهم للأمن . وذلك التفسير - الذي تتفق معه تماماً - يجعل من انطوائية الاشكنازيم أمراً متسقاً بل ومكملاً لعدوانيتهم ، فكلاً منهما ينبع من إحباط - واقعي أو متخيل - أوقعه الآخرون بهم .

خامساً : التشاؤم والتشكك

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

الاشكنازيون الإسرائيليون أميل إلى التشاؤم حيال المستقبل ، والتشكك حيال الآخرين وحيال بعضهم البعض .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تتفق نتائج البحوث التي أجريت في هذا المجال على أن الاشكنازيين الإسرائيليين أميل إلى التشاؤم في نظرتهم للمستقبل (٤٥٤ ، ٤٩٤ ، ٨٢٢ ، ٨٧٢) كذلك فإنهم أميل إلى إبداء الشك فيمن يحيط بهم (٥٩١ ، ٨١٦ ، ٨٢٢) . وتشمل تلك النتائج أطفال الاشكنازيم (٨١٦ ، ٨٢٢) كما تشمل راشديهم أيضاً (٤٥٤ ، ٥٩١ ، ٨٧٢) .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

لا توجد .

(د) التعقيب :

تتفق سمتي التشاؤم والشك مع الانطوائية (٥٠: ٥٧) وبالتالي فإنهما تمثلان جانباً متكاملاً مع بقية الخصائص التي أسفرت عنها نتائج البحوث .

سادساً : الجمود

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

الاشكنازيون الإسرائيليون أميل إلى الاتصاف بالجمود .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تتفق البحوث التي أجريت في هذا المجال على تأكيد اتصاف الاشكنازيين الإسرائيليين بالجمود ، سواء كانوا أطفالاً (٢٥٩ ، ٩٤٥) أو راشدين (٤٩٤ ، ٧٨٩ ، ١٠٤٤) .

وتتعـدد الصيغ التي يتخـذها التعبيـر عن الجمود في تلك البحـوث لتشمـل الانصياعية (٤٩٤ ، ٧٨٩) ، والقلق في المواقف الجديدة (٤٩٢) ، وعدم القدرة على تحمل الغموض (١٠٤٤) ، والميل للسلطوية (٣٧٩ ، ٤١٤) .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

لا توجد .

(د) التعقيب :

تعد خاصية الجمود التي يتصف بها الاشكنازيون الإسرائيليـون بمثابـة حلقة الوصل بين العديد من الخصائص الأخرى التي أشارت إليها البحوث . فالدراسات النفسية التي أجريت على الجمود بعامـة تشير إلى رابـطة وثيقة بينـه وبين عدد من الخصائص الأخرى أهمها التوتر النفسي (٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٤١٧ ، ٧٧٤) ، والقلق (١٣٦ ، ٦٨٨) ، والعـدوان (٧٦٢) ، والانطوائيـة (٥٠ : ٥٧ ، ٨٠) ، والسلطوية (٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٥٧١ ، ٦٢٢ ، ٧٤٣ ، ٨٦٠ ، ٨٦١) ، وجميعها خصائص يتصف بها الاشكنازيون الإسرائيليون .

سابعاً : اللاانفعالية

(أ) الاتجاه العام للنتائج :

يبدي الاشكنازيون الإسرائيليون قدراً ملحوظاً ومميزاً من اللاانفعالية .

(ب) نماذج من النتائج المتفقة مع الاتجاه العام :

تشير نتائج البحوث المتاحة في هذا الصدد إلى أن خفوت الانفعالية بل والنفور منها وتحاشيها يعد خاصية تميز الاشكنازيين الإسرائيليين سواء كانوا أطفالاً (٢٥٩ ، ٥٥٥ ، ٥٧٨ ، ٩٤٥) ، أو راشدين (٥٩١ ، ٨٧٢ ، ١٠١٩ ، ١٠٤٤) .

(جـ) النتائج غير المتفقة مع الاتجاه العام :

ليس من بحوث تشير نتائجها إلى ما يتعارض مع الاتجاه العام . غير أنه ينبغي الإشارة إلى تعدد التعبيرات التي استخدمها الباحثون والتي اعتبرناها دالة وفقاً للسياق الذي وردت فيه على اللاانفعالية . كاستخدام رابين لتعبير «النضج الانفعالي المبكر» لدى الأطفال (٨٢٢) أو استخدام ايرفين لتعبير «التبلد الانفعالي» (٥٥٣) أو استخدام بتلهايم لتعبير «التسطح الانفعالي» (٢٥٩ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

(د) التعقيب :

يرتبط النفور من التعبير عن الانفعالات بالانطواء (٥٠ : ٥٧) فضلاً عن ارتباطه بالجمود والتسلطية (١٦٤) .

خاتمة :

نستطيع الآن أن نوجز ما أسفرت عنه محاولتنا في التوصل إلى مجمل تركيبي لخصائص الاشكنازيم الإسرائيليين . إنهم لا يختلفون عن سواهم من حيث قدراتهم العقلية . ومن ثم فإن ما يميزهم من خصائص إنما يندرج في مجال سمات الشخصية .

ويبدي أطفال الاشكنازيم الإسرائيليون مظاهراً للاضطرابات السلوكية فضلاً عن مظاهر واضحة لعدوان لاتوافقي شامل . إلا أن الراشدين لا يبدون أياً من مظاهر الانحراف السلوكي كالجناح أو الجنسية المثلية أو الكحال . كما أن عدوانيتهم تتخذ سبلاً توافقية . وهم إلى جانب ذلك يبدون ميلاً واضحاً إلى الانطوائية ، والتمركز حول الذات ، والتشاؤم ، والشك ، والجمود ، والتسطح الانفعالي .

محاولة للتقييم الذاتي

إن محاولة الباحث تقييم بحثه لا تقل أهمية ولا صعوبة ـ فيما نرى ـ عن إنجازه لذلك البحث . وترجع أهمية هذا التقييم وصعوبته على حد سواء إلى صدوره عن الباحث نفسه . فالباحث هو الأدرى بما كان يأمل أن يكون عليه بحثه ، وبالتالي فهو الأقدر على إبراز حدود الفجوة القائمة بين المأمول والمنجز . ولا شك لدينا في أن تبين تلك الحدود إنما يسهم في دفع البحوث التالية نحو تخطي حدود البحث القائم أملاً وإنجازاً . من ناحية أخرى فإن ارتباط الباحث ببحثه ، وميله إلى استحسان ما اتبعه من أساليب ، واستصواب ما انتهى إليه من نتائج ، كل ذلك قد يحول بينه وبين تبين تلك الحدود بين المأمول والمنجز ، وبالتالي فقد يصبح الباحث راغباً عن مثل ذلك التقييم ، بل وعاجزاً عن بلوغه إذا ما سعى إليه .

وتزداد محاولة التقييم الذاتي أهمية وصعوبة أيضاً بالنسبة لبحثنا هذا على وجه الخصوص ، فموضوع البحث ، وتوقيته ، والظروف المحيطة به ، كل ذلك يضاعف من أهمية أي إسهام نستطيع أن نقدمه لدفع البحوث التالية عليه نحو تخطيه . ومن ناحية أخرى فإن إقدامنا على اصطناع «تعريف مقترح» لشخصية الجماعة ، و «أسلوب مقترح» للبحث في مجال شخصية الجماعة ، ثم اعتمادنا في البحث على ذلك الذي اقترحناه ، كل ذلك يضاعف من ارتباطنا الذاتي بالبحث أسلوباً ونتائجاً . وعلى أي حال فقد حاولنا تغليب اقتناعنا بأهمية هذا التقييم على إحساسنا بصعوبته .

وقبل أن نشرع في تقييمنا لما أنجزناه سوف نشير إلى عدد من الاعتبارات العامة التي أحاطت بالبحث وتركت بصماتها عليه بحيث لم يعد ممكناً تقييمنا له دون الإشارة إليها . وأهم تلك الاعتبارات وفقاً لتصورنا لها كما يلي :

أولاً : العلم ـ فيما نرى ـ بحث عن الحقيقة وعن الحق معاً . إذا ما اقتصر على أي منهما ضل عن طريقه وانحرف عن غايته . ورغم ما يبدو للوهلة الأولى من شمولية لمفهوم الحقيقة ، ونسبية لمفهوم الحق إلا أن لكل من المفهومين ـ فيما نرى ـ قدراً من الشمول والنسبية يجعل من المفاضلة بينهما في هذا الصدد أمراً متعسفاً تماماً . ولقد حاولنا في دراستنا هذه أن نستهدف البحث عن الحقيقة وعن الحق معاً . محاولين ما وسعنا الجهد ألا تلهينا محاولة معرفة التكوين السيكلوجي الإسرائيلي موضع الدراسة عن تبين موضع الحق العربي . ومن ناحية أخرى ألا يشغلنا السعي نحو إبراز الحق العربي عن تبين حقيقة ذلك التكوين الإسرائيلي . حريصين في ذلك كله على ألا نضع أنفسنا في موقف متعال عن أي من الحق والحقيقة .

ثانياً : يفرض منطق التطور في مجال البحث العلمي أن تتخطى البحوث الأحدث ما أنجزته البحوث السابقة عليها سواء من حيث دقة الأساليب أو صحة النتائج . وذلك يعني ـ ضمن ما يعنيه ـ أنه بقدر ريادية البحث تكون مثالبه أسلوباً ونتائجاً . والتسليم بتلك الحقيقة قد يغري صاحب البحث الرائد بالاستسلام لها والتغاضي عن مثالب كان بمقدوره تحاشيها . كما أن تجاهلها ورفضها قد يزين له التمسك بما توصل إليه والتجمد عنده بل والسعي ـ عبثاً ـ إلى تجميد التطور عند ما بلغه هو .

ثالثاً : صحيح أن البحث عن مرتكز لبداية دراسة رائدة في سيكلوجية التجمع الإسرائيلي يقتضي شيئاً من المشقة والجهد . إلا أن اختيار الموضع الأنسب لوضع نقطة الختام في مثل هذا النوع من البحوث يقتضي مزيداً من المشقة والجهد . فجدة الموضوع قد تغري الباحث بتجاوز ذلك الموضع ، كما أن مشقة ارتياد الجديد قد تقعد به عن بلوغه . وبين احتمالي التزيد والتقصير يصبح اختيار الباحث لموضع نقطة الختام اختياراً ذاتياً شاقاً تحفه المخاطر .

وعلى أي حال ، فإن تسجيلنا لتلك الاعتبارات لا يعني بحال تبريراً لما شاب جهدنا من قصور عن بلوغ ما أملنا إنجازه . ولعل خير سبيل لتحديد أهم ملامح هذا القصور هو استعراض ما تثيره الدراسة من تساؤلات وقضايا . وذلك باعتبار أنه إذا كانت الإجابات التي تضمنتها الدراسة تشير إلى حدود ما أنجزته ، فإن ما تطرحه الدراسة من تساؤلات وقضايا إنما يشير إلى حدود ما كانت تأمل إنجازه . وأهم تلك القضايا والتساؤلات ـ فيما نتصور ـ يمكن صياغته كما يلي :

١ ـ تثير الدراسة عدداً من القضايا النظرية المتصلة بمفهوم شخصية الجماعة أهمها :

(أ) طبيعة الدور الذي تلعبه عملية التنشئة الاجتماعية كحلقة وصل بين الشخصية باعتبارها جزءاً من البناء العلوي للمجتمع ، وعلاقات الإنتاج باعتبارها جزءاً من البناء التحتي للمجتمع .

(ب) طبيعة العلاقة بين «الطبقة» و«الأمة» ، وموقع مفهوم شخصية الجماعة منهما .

(جـ) حدود العلاقة بين القول بخضوع شخصية الجماعة لقانون التغير والتسليم بإمكانية إخضاعها لتغيير مخطط مقصود .

٢ ـ إن الالتزام بالتعريف الذي اقترحناه لشخصية الجماعة يقتضي محاولة تبين مدى ارتباط ما أسفرت عنه الدراسة من خصائص نفسية معينة تميز جماعة الاشكنازيم الاسرائيليين بالخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية التي تميز التجمع الاسرائيلي . وقد تبين لنا بعد أن قطعنا شوطاً في هذا السبيل أن بلوغ تلك الغاية على الوجه الأكمل يتطلب اتباع أسلوب إعادة التركيب فيما يتعلق بتلك المجالات جميعاً . وهو ما قصر جهدنا الفردي عن بلوغه في حدود هذه الدراسة على الأقل .

٣ ـ يمكن الاستفادة من النتائج الأولية التي أسفرت عنها الدراسة كأطر نظرية أو كفروض موجهة لبحوث جديدة تعتمد على تحليل المضمون . يمكن مثلاً ـ فيما نتصور ـ تحليل مضمون بعض الوثائق الاسرائيلية المتاحة كمحاضر الكنيسيت ، ووثائق المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ، وبرامج الإذاعة الاسرائيلية باعتبارها جميعاً تتضمن انعكاسات مختلفة لشخصية الاشكنازيم الاسرائيليين .

٤ ـ هل ثمة تكوين سيكلوجي واحد أم تكوينات سيكلوجية متعددة لغير الاشكنازيم من يهود التجمع الاسرائيلي ؟ وما هي طبيعة ذلك التكوين أو تلك التكوينات ؟

٥ ـ إن وجود خصائص مميزة للاشكنازيم الإسرائيليين وما يعنيه ضمناً من وجود خصائص أخرى تميز غيرهم يطرح أهمية رصد وتتبع محاولات الصهر السيكلوجي المخططة التي تقوم بها السلطة في التجمع الإسرائيلي بهدف الوصول إلى تكوين سيكلوجي إسرائيلي موحد .

٦ ـ تطرح حقيقة قيام التجمع الإسرائيلي على الهجرة إليه ضرورة الاهتمام ببحث سيكلوجي متعمق لدوافع الهجرة بعامة ، ودوافع الهجرة إلى الأرض الفلسطينية المحتلة على وجه الخصوص .

٧ ـ مدى تأثر الحرب النفسية التي يشنها التجمع الإسرائيلي ، بطبيعة التكوين السيكلوجي الإسرائيلي ، ومدى استفادة تلك الحرب من تصورات الإسرائيليين لخصائص التكوين السيكلوجي العربي .

٨ ـ ما هي حدود ومظاهر التأثير المتبادل بين القرار السياسي الاسرائيلي وطبيعة التكوين السيكلوجي الاسرائيلي ؟

٩ ـ أتاحت سياسة الجسور المفتوحة وما زالت تتيح الفرصة أمام الكثيرين من المواطنين العرب للقاءات مباشرة مع المستوطنين الاسرائيليين . ويتوقع بعض المتخصصين الغربيين في قضايا الصراع أن تؤدي مثل تلك اللقاءات إلى تعديل في التصور السيكلوجي لكل من طرفي الصراع للطرف الآخر . ترى هل يصدق ذلك التوقع حقاً ؟ إن إمكانية اختبار صدقه ـ فيما يتعلق بالعرب ـ متاحة بالفعل من خلال أولئك الذين يعبرون تلك الجسور المفتوحة ذهاباً وجيئة . وتتضاعف أهمية ذلك الاختبار إذا ما وضعنا في اعتبارنا حقيقة أن جانباً كبيراً من الفلسطينيين يعايشون المستوطنين الاسرائيليين معايشة يومية منذ ربع قرن أو لعله يزيد .

١٠ ـ ما هي حدود الرابطة بين الخصائص النفسية التي أسفرت عنها الدراسة وتصور فئات مختلفة من المصريين للخصائص المميزة لليهود بعامة وللاسرائيليين منهم على وجه الخصوص ؟

١١ ـ ينبغي تفصيل إمكانيات استخدام أسلوب إعادة التركيب في دراسة شخصيتنا المصرية وغيرها من الشخصيات القومية ذات التأثير في الصراع العربي الإسرائيلي .

تلك فيما نرى هي أبرز القضايا التي تثيرها دراستنا ، أو بالأحرى التساؤلات التي قصر جهدنا عن تقديم إجابة شافية عنها وبالتأكيد فإن ثمة أوجهاً أخرى للقصور لم نستطع تبينها ، ومن ثم فإن مهمة تقصيها والتنبه إليها تقع على عاتق غيرنا من المتخصصين . وكل ما نأمله أن تسهم محاولتنا هذه في إنارة الطريق وتمهيده أمام محاولات أخرى تتخطاها وتتجاوزها .

المـــراجع

خطة عرض المراجع :

آثرنا في تسجيلنا لهذه القائمة من المراجع أن نخرج عامدين عن قاعدتين شاع اتباع الباحثين لهما :

(أ) لم نر مبرراً للفصل بين الدوريات والكتب وترتيب كل منهما ترتيباً مستقلاً . بل على العكس فقد بدا لنا تجاوز تلك القاعدة أكثر فائدة في مجال بحثنا لما يتيحه في حد ذاته من إمكانية الإحاطة بإنتاج المؤلف ككل سواء منه المنشور في دوريات أو في كتب .

(ب) لم نر مبرراً كذلك لترتيب الإنتاج الذي نشره مؤلف معين بمفرده ترتيباً تاريخياً منفصلاً عن الترتيب التاريخي للإنتاج الذي نشره ذلك المؤلف بالاشتراك مع آخرين . وذلك اعتماداً على أن ذكر اسم مؤلف معين في البداية إنما يعني تحمله العبء الأكبر من مسئولية الإنتاج المعني إذا لم ترد إشارة تفيد غير ذلك .

أولاً : المراجع العربية

١ ـ أ. ن. سعد . «ملاحظات أولية حول الايديولوجية الصهيونية من حيث نشأتها وأصولها المجتمعية» ، **شئون فلسطينية** ، ١٢ ، ١٩٧٢ ، ١٩ .

٢ ـ ـــــ . «الكيبوتز الاسرائيلي : استغلال جماعي للعمل المأجور» **شئون فلسطينية** ، ١٩ ، ١٩٧٣ ، ٩١ .

٣ ـ إبراهيم العابد . **العنف والسلام : دراسة في الاستراتيجية الصهيونية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، ١٩٦٧ .

٤ ـ ـــــ . **الموشاف : القرى التعاونية في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .

٥ ـ إبراهيم صرفاتي . «اليهود المغاربة واسرائيل» ، **شئون فلسطينية** ، ٣ ، ١٩٧١ ، ٢٠٩ .

٦ ـ أتكن ، هـ. ج. **دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية** ، (ترجمة : محمود زايد) ، دار العلوم للملايين ، ١٩٦٣ .

٧ ـ أحمد أبو زيد . **تايلور** ، دار المعارف ، ١٩٥٨ .

٨ ـ ـــــ . «أزمة العلوم الإنسانية» ، **عالم الفكر** ، ١ ، ١٩٦٩ ، ١٣ .

٩ ـ ـــــ . «العلوم الإنسانية والصراع الأيديولوجي» ، **عالم الفكر** ، ٢ ، ١٩٧١ ، ١٤١ .

١٠ ـ ـــــ . «مقدمة : فريزر والغصن الذهبي» ، سير جيمس فريزر ، **الغصن الذهبي : دراسة في السحر والدين** (ترجمة بإشراف أحمد أبو زيد) ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

١١ ـ أحمد صادق سعد . «التكوين الاجتماعي والطبقي في اسرائيل» ، **الكاتب** ، ١٢٠ ، ١٩٧١ ، ٧٥ .

١٢ ـ ـــــ ، **وآخرون** . «الصهيونية : التاريخ ـ الحركة ـ الأفكار ـ المصالح» ، **الطليعة** ، نوفمبر ١٩٧١ ، ١٠ .

١٣ ـ ـــــ . «خريطة الاقتصاد الاسرائيلي» ، **الطليعة** ، يناير ١٩٧١ ، ١١ .

١٤ ـ أحمد عبد الرحيم مصطفى . «التاريخ ودراسة التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع العربي» ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، مؤتمر علم الاجتماع والتنمية في مصر ، **بحث غير منشور** ، ١٩٧٣ .

١٥ ـ أحمد عزت راجح . **أصول علم النفس** ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

١٦ ـ أحمد مرسي . **الأغنية الشعبية** ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

١٧ ـ أديب ديمتري . «حول مسألة الأمة والقومية في اسرائيل : اضواء من الاشتراكية العلمية» ، **الكاتب** ، ١٠٤ ، ١٩٦٩ ، ٩٤ .

١٨ ـ ـــــ . **الماركسية والدولة الصهيونية** ، دار الطليعة ، ١٩٧١ .

١٩ ـ أديب قعوار . **المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .

٢٠ ـ «أستطلع» . إبراهيم مصطفى (وآخرون) ، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ .

٢١ ـ أسعد رزوق . **نظرة في أحزاب اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٦ .

٢٢ ـ ـــــ . **الدولة والدين في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .

٢٣ ـ ـــــ . **المجلس الأمريكي لليهودية : دراسة في البديل اليهودي للصهيونية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .

٢٤ ـ ـــــ . «حول المؤتمر الصهيوني الأخير» ، **شئون فلسطينية** ، ٧ ، ١٩٧٢ ، ٥٠ .

٢٥ ـ ـــــ . «الدور الأكسترا ـ عسكري للجنرالات المتقاعدين في اسرائيل» ، **شئون فلسطينية** ، ١١ ، ١٩٧٢ ، ٥٥ .

٢٦ ـــــ . «إسرائيل والحركة الصهيونية في منظار بن غوريون وجولدمان» ، **شئون فلسطينية** ، ١٢ ، ١٩٧٢ ، ٥٥ .
٢٧ ـــــ . «لانسكي وليبسكي واستغلال قانون العودة» ، **شئون فلسطينية** ، ١٥ ، ١٩٧٢ ، ١٢٧ .
٢٨ ـ أسعد عبد الرحمن . «العلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل» **شئون فلسطينية** ، ٩ ، ١٩٦٩ ، ٤٤ .
٢٩ ـ إسماعيل راجي الفاروقي . **الملل المعاصرة في الدين اليهودي** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ .
٣٠ ـ إسماعيل صبري عبد الله . **في مواجهة اسرائيل** ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .
٣١ ـــــ «جولدمان والصهيونية الجديدة» **الطليعة** ، اغسطس ١٩٧٠ ، ٣٤ .
٣٢ ـ السيد محمد خيري . «**الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية**» مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٣ .
٣٣ ـ «الشغب» ، إبراهيم مصطفى (وآخرون) ، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ .
٣٤ ـ «الفجاجة» : إبراهيم مصطفى (وآخرون) ، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ .
٣٥ ـ «الفضول» . إبراهيم مصطفى (وآخرون) ، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ .
٣٦ ـ القالي ، يهودا . «الخلاص الثالث» (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : د. أنيس صايغ) ، **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .
٣٧ ـ المقدم الهيثم الأيوبي . «العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية» ، **شئون فلسطينية** ، ١٧ ، ١٩٧٣ ، ٧٨ .
٣٨ ـ **المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون ١٩٦٨** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، (جزءان) ١٩٧١ .
٣٩ ـ «المؤتمر الصهيوني بعد ٧٥ عاماً» ، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ملحق العدد رقم ٤ ، ١٦ فبراير ١٩٧٢ ، ٩٩ .
٤٠ ـ «النص الكامل لقرارات المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين» ، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ملحق العدد ١٠ ، ١٦ مايو سنة ١٩٧٢ ، ٢٨٢ .

٤١ ـ الياس زين . **هجرة الأدمغة والهجرة المضادة من اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧١ .
٤٢ ـ ـــــ . «**الطلاب الأجانب من اليهود الغربيين في اسرائيل**» ، شئون فلسطينية ، ١٧ ، ١٩٧٣ ، ١٥١ .
٤٣ ـ الياس سعد . **اسرائيل والبطالة** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .
٤٤ ـ ـــــ . **الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٩ .
٤٥ ـ انجلش ، سيرجيون وجيرالد بيرسون . **مشكلات الحياة الانفعالية** ، (ترجمة : فاروق عبد القادر ، وفرج أحمد ، وقدري حفني ، ومحمد وهبة) دار الثقافة الإنسانية للنشر ، ١٩٥٨ .
٤٦ ـ أندروز ، ت.ج. «**مدخل إلى مناهج البحث في علم النفس**» ، ترجمة : صبري جرجس) ، ت.ج. أندروز (تحرير) ، **مناهج البحث في علم النفس** ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .
٤٧ ـ أنيس صايغ (تحرير) وغازي دانيال (إعداد) . **رجال السياسة الاسرائيليون** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .
٤٨ ـ أنيس فوزي قاسم . «حق الجنسية في ليبيريا وإسرائيل : قضية العبرانيين السود» ، **شئون فلسطينية** ، ١٩ ، ١٩٧٣ ، ٣٥ .
٤٩ ـ أياد القزاز . «الجيش والمجتمع في اسرائيل» ، **شئون فلسطينية** ، ٥ ، ١٩٧١ ، ٢٦١ .
٥٠ ـ ايزنك ، هـ.ج. **الحقيقة والوهم في علم النفس** ، (ترجمة : قدري حفني ورءوف نظمي) ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .
٥١ ـ ايفانوف ، يوري ، **الصهيونية حذار : دراسة سوفيتية في تاريخ وتنظيم وأيديولوجية الحركة الصهيونية** ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٩ .
٥٢ ـ ايمز ، لويزب . (وآخرون) . **استجابة الأطفال على اختبار الرورشاخ : اتجاهات النمو من سن سنتين إلى سن العاشرة** (ترجمة سعد جلال وآخرون) ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٥ .
٥٣ ـ بريتشارد ، أ.أ. إيفانز . **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** (ترجمة : أحمد أبو زيد) ، منشأة المعارف ، ١٩٦٠ .

٥٤ ـ بسام أبو غزالة . **الجذور الإرهابية لحزب حيروت الاسرائيلي** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٦ .

٥٥ ـ بكمان ، ستيفان . «ملاحظات اشتراكي أوروبي حول الكيبوتز» **شئون فلسطينية** ، ٣ ، ١٩٧١ ، ٢٠٢ .

٥٦ ـ بورشوف ، دوف بيير . «المسألة القومية والصراع الطبقي» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : أنيس صايغ) ، **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .

٥٧ ـ ـــــ . «برنامجنا» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : أنيس صايغ) ، **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .

٥٨ ـ بوليتزير ، جورج . **أزمة علم النفس المعاصر** (ترجمة : لطفي فطيم) ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (تاريخ النشر غير مبين) .

٥٩ ـ تيسير النابلسي . **حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧١ .

٦٠ ـ ج ـ مون كراو وابن الأشقر . «تحليل اجتماعي للتكييف الايديولوجي بواسطة وسائل الإعلام» ، **شئون فلسطينية** ، ١٨ ، ١٩٧٣ ، ٥٨ .

٦١ ـ جاكو ، هنربيت وبول . «مساهمة في التحليل التاريخي للصهيونية» ، (ترجمة : أحمد صادق سعد) ، **الكاتب** ، ١٢٨ ، ١٩٧٢ ، ١٠١ .

٦١ ـ جاكو ، هنربيت وبول . «مساهمة في التحليل التاريخي للصهيونية» ، (ترجمة : أحمد صادق سعد) ، **الكاتب** ، ١٢٨ ، ١٩٧٢ ، ١٠١ .

٦٢ ـ جمال حمدان . **اليهود انثروبولوجيا** ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧ .

٦٣ ـ جمال مرسي بدر . «التناقضات في المجتمع الاسرائيلي» ، **السياسة الدولية** ، ٢٦ ، ١٩٧١ ، ١٢٩ .

٦٤ ـ جميل هلال . «حديث مع أربعة متمردين اسرائيليين» ، **شئون فلسطينية** ، ٦ ، ١٩٧٢ ، ٢٨٣ .

٦٥ ـ حامد ربيع . «التمييز بين الدعاية والدعوة في تقاليد الحركة الصهيونية ، وأثره على السياسة الاسرائيلية خلال العشرين عاماً القادمة» ، مركز الدراسات الفلسطينية ـ جامعة بغداد ـ الحلقة الدراسية حول اسرائيل ـ من ٢١ إلى ٢٦ أبريل ١٩٧٣ ـ **بحث غير منشور** .

٦٦ ـ داود تلحمي . «لقاء مع مكسيم رودنسون» ، **شئون فلسطينية** ، ٩ ، ١٩٧٢ ، ٨٥ .
٦٧ ـ ـــــ . «على ضوء لقاء مع الفيلسوف الفرنسي : سارتر والمسألة الفلسطينية» ، **شئون فلسطينية** ، ١٢ ، ١٩٧٢ ، ٦٦ .
٦٨ ـ دويتشر ، اسحق . **دراسات في المسألة اليهودية** ، (ترجمة : مصطفى الحسيني) ، دار الحقيقة ، ١٩٧١ .
٦٩ ـ رودنسون مكسيم . «عالم الصهيونية» ، **الطليعة** ، أغسطس ، ١٩٦٧ ، ١٢ .
٧٠ ـ ـــــ . «اسرائيل والعرب ومستقبل النزاع» ، **الهلال** ، اكتوبر ١٩٦٨ ، ٤ .
٧١ ـ ـــــ . «المشكلة اليهودية عبر التاريخ» ، **الطليعة** ، مايو ١٩٧٠ ، ١٠٤ .
٧٢ ـ ـــــ . «الصهيونية بين الاستقلال والتبعية» ، **الطليعة** يونيو ١٩٧٠ ، ٦٧ .
٧٣ ـ زكريا إبراهيم . «ثورة القرن العشرين على المذاهب العنصرية في القرن التاسع عشر» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٤ ، ١٩٧١ ، ١٠ .
٧٤ ـ سارتون ، ج. **تاريخ العلم : العلم القديم في العصر الذهبي لليونان** (ترجمة : إبراهيم بيومي مدكور وآخرون) ، دار المعارف ، ١٩٥٧ .
٧٥ ـ ستالين ، ج. **حول الماركسية في علم اللغة** ، دار دمشق للطباعة والنشر ، (تاريخ النشر غير مبين) .
٧٦ ـ سعد الدين إبراهيم . «المؤسسة الحاكمة في اسرائيل» ، **الطليعة** ، أبريل ١٩٧٢ ، ٧١ .
٧٧ ـ ـــــ . **في سسيولوجية الصراع العربي الاسرائيلي** ، دار الطليعة ، ١٩٧٣ .
٧٨ ـ سلمى س. حداد . **الطلاب في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧١ .
٧٩ ـ سمير كرم . «النظرية العنصرية على مر التاريخ» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٤ ، ١٩٧١ ، ٤٨ .
٨٠ ـ سمير نعيم أحمد الغول . «دراسة تجريبية لاستخدام الاختبارات الإدراكية في التمييز الاكلينيكي» ، **بحث غير منشور** ، ١٩٦٣ .
٨١ ـ سيد محمد غنيم . **سيكولوجية الشخصية : محدداتها . قياسها . نظرياتها** ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ .
٨٢ ـ سيركين ، نحمن . «المسألة اليهودية والدولة اليهودية ـ الاشتراكية» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : أنيس صايغ) **الفكرة الصهيونية :**

النصوص الأساسية ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .
٨٣ ـ شفيق مقار . «العنصرية الجديدة وتتار القرن العشرين» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٤ ، ١٩٧١ ، ٣٦ .
٨٤ ـ «شئون علمية وثقافية» ، **نشرة مؤسسات الدراسات الفلسطينية** ، ١ أبريل ١٩٧٢ ، ١٧٩ .
٨٥ ـ صادق جلال العظم . «العرب والنظرة الماركسية إلى المسألة اليهودية» ، **دراسات عربية** ، ٣ ، ١٩٧٠ ، ٣ .
٨٦ ـ صبري جرجس . «ليس هجوماً على فرويد : سجمند فرويد والصهيونية» ، **الكاتب** ، ١٠٤ ، ١٩٦٩ ، ١٤٨ .
٨٧ ـ ـــــ . **التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي** ، عالم الكتب ، ١٩٧٠ .
٨٨ ـ صلاح مخيمر . **نظرية الجشطلت وعلم النفس الاجتماعي** ، (ترجمة : صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦١ .
٨٩ ـ عبد الحفيظ محارب . «ظاهرة الفهود السود في اسرائيل : أسبابها وأصولها» ، **شئون فلسطينية** ، ٤ ، ١٩٧١ ، ١٤٢ .
٩٠ ـ ـــــ . «الهوة الاجتماعية في اسرائيل» ، **شئون فلسطينية** ، ١٥ ، ١٩٧٢ ، ٣٧ .
٩١ ـ ـــــ . «المتمردون على الخدمة العسكرية في اسرائيل» ، **شئون فلسطينية** ، ١٦ ، ١٩٧٢ ، ١٣٧ .
٩٢ ـ ـــــ . «اليسار الإسرائيلي الجديد : سيح» ، **شئون فلسطينية** ، ١٩ ، ١٩٧٣ ، ٥٦ .
٩٣ ـ عبد الغني سعيد . «المجتمع الدولي والتفرقة العنصرية في أفريقيا» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٤ ، ١٩٧١ ، ٦٠ .
٩٤ ـ عبد القادر ياسين . «عصبة مكافحة الصهيونية في العراق» ، **شئون فلسطينية** ، ١٥ ، ١٩٧٢ ، ١٥٨ .
٩٥ ـ عبد المنعم الحفني . «مقدمة» ، سيجموند فرويد ، **اليهودية في ضوء التحليل النفسي : موسى والتوحيد** ، (ترجمة: عبد المنعم الحفني) ، الدمياطي للطبع والنشر ، ١٩٧٣ .
٩٦ ـ عبد الوهاب المسيري . **نهاية التاريخ : مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني** ،

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٣ .
٩٧ ـ عبد الوهاب كيالي . **الكيبوتز أو المزارع الجماعية في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٦ .
٩٨ ـ عبده الراجحي . **الشخصية الاسرائيلية** ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .
٩٩ ـ عزيز العظمة . **اليسار الصهيوني : من بدايته حتى إعلان دولة اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٩ .
١٠٠ ـ علي إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية . **يهود البلاد العربية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧١ .
١٠١ ـ علي حسن الخربوطلي . **العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩ .
١٠٢ ـ عماد شقور . «رئيس اشكنازي رابع : تتويج للتفرقة العنصرية» **شئون فلسطينية** ، ٢١ ، ١٩٧٣ ، ٢٥٥ .
١٠٣ ـ فرويد ، سيجموند . **ثلاث مقالات في نظرية الجنسية** ، (ترجمة ، سامي محمود علي ، مراجعة : مصطفى زيور) ، دار المعارف ، ١٩٦٣ .
١٠٤ ـ فؤاد البهي السيد . **الأسس النفسية للنمو : من الطفولة إلى الشيخوخة** ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٨ .
١٠٥ ـ **علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري** ، دار الفكر العربي ، ١٩٧١ .
١٠٦ ـ فوزي منصور . **محاضرات في الاقتصاد السياسي للبلدان النامية** ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ .
١٠٧ ـ «قاويت» ، إبراهيم مصطفى (وآخرون) . **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠
١٠٨ ـ قدري حفني . «رأي في نشأة علم النفس» ، **الفكر المعاصر** ، ٦٢ ، ١٩٧٠ ، ٤٢ .
١٠٩ ـ ـــــ . «نظرة مادية إلى نشأة علم النفس» ، **الفكر المعاصر** ، ٦٤ ، ١٩٧٠ ، ٣٠ .
١١٠ ـ ـــــ . «علم النفس بين الطبقية والموضوعية» ، **الفكر المعاصر** ، ٦٨ ، ١٩٧٠ ، ١٣ .
١١١ ـ ـــــ . «الدراسات النفسية بين التشابه والاختلاف» ، **الطليعة** ، ١٢ ، ١٩٧٠ ، ٨٢ .

١١٢ ـ ـــــ . **تجسيد الوهم : دراسة سيكلوجية للشخصية الاسرائيلية** ، مؤسسة الأهرام ، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، ١٩٧١ .
١١٣ ـ ـــــ . «**دراسة تجريبية لأثر الجمود الإدراكي والجمود الحركي على التعرض للإصابات في الصناعة**» ، جامعة عين شمس (تحت الطبع) .
١١٤ ـ ـــــ . «علم النفس الصناعي والصراع الطبقي» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٦ ، ١٩٧١ ، ١٠ .
١١٥ ـ ـــــ . «علم النفس الصناعي والاشتراكية» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٨ ، ١٩٧١ ، ٧ .
١١٦ ـ ـــــ . «موقف ثوري في علم النفس الأمريكي : فيتنام» ، **الطليعة** ، ١ ، ١٩٧٢ ، ٦٢ .
١١٧ ـ ـــــ . **شباب عجوز : دراسة في سيكولوجية السابرا الاسرائيليين** ، (تحت الطبع) ، ١٩٧٢ .
١١٨ ـ كاليشر ، زفي هيرش . «السعي لصهيون» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : أنيس صايغ) **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .
١١٩ ـ كراوذر ، ج.ج. **صلة العلم بالمجتمع** ، (ترجمة : حسن خطاب) ، مكتبة النهضة المصرية ، (تاريخ النشر غير مبين) .
١٢٠ ـ كلاتزكين ، جاكوب . «الحدود» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : أنيس صايغ) ، **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .
١٢١ ـ كلاينبرج ، أوتو . **علم النفس الاجتماعي** (ترجمة : حافظ الجمال) ، مطبعة جامعة دمشق ، (تاريخ النشر غير مبين) .
١٢٢ ـ كمال الغالي . **النظام السياسي الاسرائيلي** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩ .
١٢٣ ـ لومر ، هايمان . «الدور الرجعي للصهيونية» ، **دراسات اشتراكية** ، ٢ ، ١٩٧٢ ، ١٤ .
١٢٤ ـ ليلى سليم القاضي . **المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن)** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧١ .

١٢٥ ـ ـــــ . «مقابلة مع مسئول في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن)» ، **شئون فلسطينية** ، ٢ ، ١٩٧١ ، ٩١ .

١٢٦ ـ ليون ، إبراهام . **«المفهوم المادي للمسألة اليهودية»** ، (ترجمة : عماد نويهض) ، دار الطليعة ، ١٩٦٩ .

١٢٧ ـ ماجد نعمة . «منظمة ميثاق إبراهام : ظاهرة اليهودية المعادية للصهيونية» **شئون فلسطينية** ، ٧ ، ١٩٧٢ ، ٢٢١ .

١٢٨ ـ محجوب عمر . «الصراع الطبقي في اسرائيل» ، **عمال الأردن** ، ٨ ، ١٩٧٣ ، ٢٤ .

١٢٩ ـ محمد الجوهري . «علم الاجتماع ومشكلة الأقليات» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٤ ، ١٩٧١ ، ٢٣ .

١٣٠ ـ محمد عزة دروزة . **تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم** ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٩ .

١٣١ ـ محمد علي الزغبي . **دفائن النفسية اليهودية** ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٨ .

١٣٢ ـ محمد علي علوبة . **فلسطين والضمير الإنساني** ، دار الهلال ، ١٩٦٤ .

١٣٣ ـ محمد عمارة . **إسرائيل : هل هي سامية ؟** دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

١٣٤ ـ محمد عيسى . «الصراع العنصري في أمريكا» ، **الفكر المعاصر** ، ٧٤ ، ١٩٧١ ، ٧٣ .

١٣٥ ـ محمد فرج . **فلسطين عربية** ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٧ .

١٣٦ ـ محمد فرغلي فراج . **مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم** ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

١٣٧ ـ محمد فوزي ، وعمر رشدي . **الصهيونية وربيبتها اسرائيل** ، مطبعة مصر ، ١٩٦٥ .

١٣٨ ـ محمود بن الشريف . **اليهود في القرآن** ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٩ .

١٣٩ ـ محمود حمدي عبد الجواد **(وآخرون)** . «اسرائيل : الكيان ـ الايديولوجية ـ الاستراتيجية» ، **الطليعة** ، ديسمبر ١٩٧١ ، ١٠ .

١٤٠ ـ محمود عزمي . «أضواء حول جذور معطيات الاستراتيجية العسكرية

الصهيونية عشية حرب ١٩٤٨» ، **شئون فلسطينية** ، ٢١ ، ١٩٧٣ ، ١٣٧ .

١٤١ ـ محمود فهمي حجازي . **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة** ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

١٤٢ ـ مصطفى سويف . «إطار أساسي للشخصية : دراسة حضارية مقارنة على نتائج التحليل العاملي» ، **المجلة الجنائية القومية** ، ٥ (١) ، ١٩٦٢ ، ١ .

١٤٣ ـ مصطفى زيور . «تصدير» ، جورج بوليتزير ، **أزمة علم النفس المعاصر** (ترجمة : لطفي فطيم) دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (تاريخ النشر غير مبين) .

١٤٤ ـ ــــ . «التفسير النفسي للسلوك الاسرائيلي : رحلة اليهودي التائه من الجبن إلى الطغيان» ، **الأهرام** ، ٩ أغسطس ١٩٦٩ .

١٤٥ ـ ــــ . «التفسير النفسي للسلوك الاسرائيلي : لماذا اختار اليهود أرض فلسطين.. وما هي الدوافع النفسية في سلوك اسرائيل العسكري ؟» ، **الأهرام** ، ١٠ أغسطس ١٩٦٩ .

١٤٦ ـ مصطفى عبد العزيز . **اسرائيل ويهود العالم : دراسة سياسية قانونية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٦٩ .

١٤٧ ـ منوحن ، موشيه . «موشيه منوحن يروي بعض ذكرياته» ، **شئون فلسطينية** ، ٨ ، ١٩٧٢ ، ٢١١ .

١٤٨ ـ موسى حنا عنز . **الكيبوتز من الداخل : دراسة سياسية وإدارية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .

١٤٩ ـ مونو ، مارتين . **إسرائيل كما رأيتها** ، (ترجمة : حليم طوسون ، مراجعة : محمد عباس سيد أحمد) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

١٥٠ ـ موهيليفر ، صموئيل . «رسالة إلى المؤتمر الصهيوني الأول» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز ، إشراف : أنيس صايغ) ، **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .

١٥١ ـ هاني عبد الله . «المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون» ، **شئون فلسطينية** ، العدد ٨ ، ١٩٧٢ ، ٢٨ .

١٥٢ ـ هس ، موسى . «رومة والقدس» ، (ترجمة : لطفي العابد ، وموسى عنز . إشراف : أنيس صايغ) ، **الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية** ، منظمة

التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٠ .
١٥٣ ـ هشام عبد الله . «سلاح الطيران الاسرائيلي» ، **شئون فلسطينية** ، ١٥ ، ١٩٧٢ ، ٧٩ .
١٥٤ ـ هلدا شعبان صايغ . **التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧١ .
١٥٥ ـ هول ، ك وج. لندزي . **نظريات الشخصية** ، (ترجمة : فرج أحمد فرج وقدري محمود حفني ولطفي محمد فطيم ومراجعة : لويس كامل مليكة) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .
١٥٦ ـ هيثم الكيلاني . **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، التوجيه المعنوي بوزارة الدفاع السورية ، ١٩٦٩ .
١٥٧ ـ وليم سليمان . «رؤية قديمة في ثوب عصري» ، **الطليعة** ، أغسطس ١٩٧٠ ، ٤١ .
١٥٨ ـ يوسف مراد . **مبادىء علم النفس العام** ، دار المعارف ، ١٩٥٧ .

ثانياً : المراجع الأجنبية

159. ABEL, T.M. & F.L.K. Hsu "some aspects of personality of Chinese as revealed by the Rorschach test", Journal of Projective Techniques, 13, 1949, 285.
160. ———— . "Mental health and crosscultural evaluations", International Mental Health Research Newsletter, 4, 1962, I.
161. ———— . "The interview", T.M. Abel & R. Metraux, (eds.), Culture and Psychotherapy,(Unpublished).
162. ACKERMAN, N.W. & M. Jahoda Antisemitism and emotional disoreder: a psychoanalytic interpretation, Harper, 1950.
163. ADLER, C. "Some social mechanisms affecting high school drop out in Israel", Sociology of Education, 40, 1967, 363.
164. ADORNO, T.W. etal. The authoritarian personality, Harper, 1950.
165. AEDENS, S. "Israel youth attitude toward social delinquencies", Psychological Abstracts, 28, 1945, No. 2961.
166. AINSWORTH, M.D. "The effects of maternal deprivation: a review of findings and controversy in the context of research strategy", Public Health Papers, (World Health Organization), 14, 1962, 97.
167. ———— . "Patterns of attachment behavior shown by the infant in interaction with his, mother", Miller Palmer Quarterly of Behavior and Development, 10, 1964, 51.
168. ALEXANDER, L. "Military psychiatry, occupation, and refugee problems in Israel", Military Medicine, 133, 1968, 265.
169. ALEXANDRE, P. "Some Linguistic Problems of nationbuilding in Negro African", J.A. Fishman, etal., (eds), Language problems of developing nations, Wiley, 1968.
170. ALLEN, D.T. "Discussion", The International Psychologist (Monograph Supplement), 12, 1971, 31.
171. ALLINSMITH, W.A. "The learning of moral standards". D.R. Miller

and G.E. Swanson, Inner conflict and defense, Holt, 1960.
172. ALLPORT, G.W. "Foreword", G.W. Lewin, (ed.), Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by kurt lewin, Harper, 1948.
173. ALPORT, E.A. "The integration of Oriental Jews in Israel", The World Today, 23, 1967, 153.
174. ALTER, R. "Rhetoric and Arab mind", Commentary, 46, 1968, 61.
175. AMES, L.B. etal. Child Roschach responses: developmental trends from two to sixteen years, Hoeber, 1959.
176. ———— . etal. Adolescent Rorschach responses: developmental trends from ten to sixteen years, Hoeber, 1959.
177. AMIR, Y. "The effectiveness of the kibbutz born soldier in the Israel defense force", Human Relations, 22, 1969, 333.
178. ANASTASI, A. "Major group differences", J.P. Guilford, (ed.), fields of psychology: basic and applied, Van Nostrand, 1950.
179. ———— . Psychological testing, Macmillan, 1955.
180. ———— . Psychological testing, (second edition), Macmillan, 1963.
181. ———— . "On the formation of Psychological traits", American Psychologist, 25, 1970, 899.
182. "ANGER" , H.B. English and A.C. English, A comprehensive' diction- ary of psychological and psychoanalytical terms,Longmans,1958.
183. ANTONOVSKY, A. "Identity, anxiety, and the Jew", M.R. Stein, et al (eds.), Identity and anxiety: Survival of the person in mass society, The Free Press, 1960.
184. ANTONOVSKY, h.f. "Social behavior of young children in the kibbutz" Journal of Abnormal and social Psychology, 46, 1958, 117.
185. ARAIN A. "Utopia and politics: the case of the Israeli. Kibuutz", Human Relations, 19, 1966, 120.
186. ———— . Ideological change in Israel, The Press of Case Western Reserve University, 1968.
187. ARMSTRONG, M.A.S. "Children's responsesto animal and human figures in thematic pictures", Journal of Consultant Psychology' 18, 1954, 67.
188. ARNON, Y. "Motivation in Learning in the adclescent period", Psychological Abstracts, 41, 1967, No. 4373.
189. AVINERIS, S. "Modernization and Arab society: Some reflections", R.I.Sinai, (ed.) Modernization and the Middle East, American Academic Association for Peace in the Middle East, 1970.
190. AVNERY, U. Israel without Zionists, Macmillan, 1968.
191. BAADE, F. The race to the year 2000, Doubleday, 1962.
192. BABARIK, P. "Automobile accidents and driver reaction pattern",

Journal of Applied Psychology, 52, 1968, 49.
193. BADI, J. (ed.) Fundamental laws of the state of Israel, Twayne, 1961.
194. BAER, G. Population and society in the Arab East, Kegan Pall, 1964.
195. ———— . Studies in the social history of modern Egypt, The University of Chicago Press, 1969.
196. BAKALLAR-ALON., S. "About the emotional and intellectual features of the Yemenite youth", Psychological Abstracts, 1953, No. 1898.
197. BAKAN, D. Sigmund Freud and the Jewish mystical tradition, Van Nostrand, 1958.
198. BARATZ, G. et al. A new way of life: The Collective Settelements of Israel, Shindler and Golomb, 1949.
199. BARBER, J.D. The Lawmakers, Yale University Press, 1965.
200. BARKER, E. National character and the factors of its formation, Methuen, 1927.
201. BARNETT, L.D. "Kibbutz as a child-rearing system: A review of the litirature", Marriage and Family Living, 27, 1965, 348 .
202. BAR-YOSEF, R. "Patterns of early socialization in the collective settlements in Israel", Human Relation, 12, 1959, 345 .
203. ———— . "The Moroccans: background to the problem", S.N. Eisenstadt et al. (eds.) Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.
204. BASS, B.M. Leadership: Psychology and organizational behavior, Harper, 1970.
205. BATESON, G. "An analysis of the Nazi film", M. Mead & R. Metraux, (eds.), study of culture at a distance, University of Chicago Press, 1963.
206. ———— . "Cultural and thematic analysis of fictional films", D.G. Haring, (ed.), Personal character and cultural milieu, Syracuse University Press, 1956.
207. BAUER, R.A. The new man in Soviet Psychology, Harvard University Press, 1952 .
208. ———— . and E. Wasiolek, Nine Soviet Portraits, Wiley, 1955.
209. ———— . et al. How the Soviet system works, Harvard University Press, 1956 .
210. BAUGHMAN, E.E. "Rorschach scores as a function of examiner difference", Journal of Projective Techniques, 15, 1951, 243.
211. ———— . "The role of the stimulus in Rorschach responses", Psychological Bulletine, 55, 1958, 121.
212. BAYLEY, N. "Mental growth during the first three years", Genetic Psychological Monographs, 14, 1933, I .

213. ———— . "On the growth of intelligence", American Psychologist, 10, 1955, 805 .
214. BAYNE, E.A. Four ways of politics, state, and nation in Italy, Somalia, Israel, and Iran, American Universities Field Staff Inc., 1965 .
215. BAEGLEHOLE, E. "Culture and psychosis in New Zealand", Journal of the Polynesian Sociology, 48, 1939, 144 .
216. BEAL, G.M. et al. Ieedership and dynamic group action, Lowa State University Press, 1962 .
217. BECK, S.J. Rorshach test (tow volumes), Grune and Stratton, 1944 .
218. BEGIN, M. The revolt: Story of the Irgun, Henry Schuman, 1951 .
219. "BEHAVIORAL SCIENCE", H.B. English and A.C. English, A comprehensive dictionary of Psychological and Psychoanalytical terms, Longmans, 1958 .
220. BEIT-HALLAHMI, B. "Some psychosocial and cultural factors in the Arab-Israeli conflict: a review of the literature", The Journal of Conflict Resolution, 16, 1972, 269 .
221. ———— . "National character and national behavior in the Middle East conflict: the case of the Arab Personality", International Journal of Group Tensions, 2, 1972, 19 .
222. ———— . "Some uses of religion in the Arab-Israeli conflict", Unpublished, 1973 .
223. BEKNAZAR-YUZBASHEV, B. (ed.) The Year 2017, Novosti, 1968 .
224. BELL, D. "Meritocracy and equality", The Public Interest, 29, 1972, 29 .
225. BELO, J. "The Father figure in: Panique", M. Mead and R. Metraux, (eds), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953 .
226. BEN-DAVID, J. "The Kibbutz and the Moshav", J. Ben-David, (ed.), Agricultural planning and village community in Israel, UNESCO, 1964 .
227. ———— . "Ethnic differences or social change ?", S.N. Eisenstadt et al. (eds), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970 .
228. BENEDICT, R. "Make democracy work", C. Newman, (eds.) Gentil and Jew, Alliance, 1945, 23 .
229. ———— . Patterns of culture, Pelican, 1946 .
230. ———— . The chrysanthmum and the sword: patterns of Japanese culture, Houghton Mifflin, 1946 .
231. BENTWICH, N. Palestine, Victor Gollanz, 1934.
232. ———— . Israel resurgent, Earnest Benn Books, 1960 .
233. ———— . The Jews in our time, Penguin, 1960 .

234. BEN-ZVI, I. The exiled and the redeemed, Vallentine, 1958 .
235. BEREZIN, F.M. Lectures on Linguistics, Higher School Publishing House (Moscow), 1969 .
236. BERGER, E. The Jewish dilemma, Devin-Adair, 1945 .
237. ———— . A Partisan history of Judaism, Devin-Adair, 1951 .
238. ———— . Judaism or Jewish nationalism, Bookman Associates, 1957 .
239. BERGER, M. The Arab world today, Anchor, 1964 .
240. BERKMAN, T. Sabra, 1969 .
241. BERLSON. B. Content analysis in communication research, The Free Press, 1952 .
242. ———— . The behavioral science today, Basic Books, 1963 .
243. BERMAN, Y. "An Israeli experimental group with primary schools dropouts outside the school setting", Child Welfare, 1, 1971, 336 .
244. BERMANT, C. Israel, Thomas and Hudson, 1967 .
245. BERNAL, J.D. Science in history, watts, 1957 .
246. BERNARD, JESSIE. "Letter to the editor", American Sociologist, 20, 1965, 25 .
247. BETENSKY, M. "The role of adolescent in Israeli collectives", Adolescence, 2, 1967, 335 .
248. BETTELHEIM, B. "Individual and mass behavior in extreme situations", Journal of Abnormal and Social Psychology, 38, 1943, 417 .
249. ———— . and E. SYLVESTER. "Physical symptoms in emotionaly disturbed children", The psychoanalytic study of child, 3/4, 1949, 353 .
250. ———— . and M. Janowitz Dynamics of Prejudice: a psychological and sociological study of veterans, Harper, 1950 .
251. ———— . Love is not enough, The Free press, 1950 .
252. ———— . Symbolic wounds: Puberty rites and the envious male, The free Press, 1954 .
253. ———— . "Schizophrenia as a reaction to extreem situations", American Journal of Orthopsychiatry, 26, 1965, 507 .
254. ———— . "Preface", Miklos Nysizli, Auschwitz: A doctor's eyewittness account, Fredrick Fell, 1960.
255. ———— . The informed heart: autonomy in a mass age, The Free Press, 1961 .
256. ———— . "Does communal education work ? the case of the kibbutz", Commentary, 33, 1962, 117 .
257. ———— . The empty fortress: Infantile autism and the birth of the self, The Free Press, 1967 .
258. ———— . "Personality formation in the kibbutz", American Journal of Psycho-analysis, 29, 1969, 3 .

259. ———— . The children of the dream, Macmillan, 1969 .
260. ———— . Truants from life, The Free Press, 1970 .
261. BIERSDORF, K.R. and F.L. Marcuse "Responses of children to human and to animal pictures", Journal of Projective Techniques, 17, 1953, 455 .
262. "BLAIMAVOIDANCE", H.B. English and A.C. English, A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Longmans, 1958 .
263. BLANCE, H. "The Israeli koine as an emergent national standard", J.A. Fishman, et.al., (eds), Languags problems of developing nations, Wiley, 1968 .
264. BLAU, J.L. Modern varieties of Judaism, Columbia University Press, 1966 .
265. BLECHMAN, B.M. "The consquences of the Israeli reprisals: An Assessment", A dissertation submitted to Georgetown University for the degree of Doctor of Philosophy, Unpublished, 1971 .
266. BLOOM' J.D. "Migration and Psychopathology of Eskimo women", American Journal of Psychiatry, 130, 1973, 446 .
267. BLUM, G.S. "A study of the psychoanalytic theory of psychosexual development", Genetic Psychological Monographs, 39, 1949, 3 .
268. BONDY, R. The Israelis; Profile of people: their character' their personality, their way of life, Funk & Wagnalls, 1969 .
269. BONNE, A. "The adjustment of Oriental immigrants to industrial employment in Israel", International Social Science Bulletin, 8, 1956, 12 .
270. BOTTOMORE, T.B. Elites and society, Basic Books, 1965 .
271. ———— . Classes in modern society, Allen & Unwin, 1969 .
272. BOWERS, R.V. "The military establishment", P.F. Lazarsfeld et al, (eds), The Uses of sociology, Basic Books, 1967 .
273. BOWLBY, J. Fourty-four Juvenile thieves, their characters and home life, Baillier, Tyndall, and Cox, 1946 .
274. ———— . Child care and the growth of love, Pelican, 1952 .
275. ———— . Maternal care and mental health' World Health Organization, 1952.
276. ———— . "Some pathological processes set in train by early mother-child seperation", Journal of Mental Science, 99, 1953, 265 .
277. ———— . and J. Robertson "A two-year-old goes to hospital", K. Soddy, (ed.), Mental health and infant development, (vol. I) Kegan Paul, 1955 .
278. ———— . "The nature of child's tie to his mother", International journal of Psychoanalysis, 39, 1958, 350 .

279. ———— . "Grief and mourning in infancy and early childhood" Psychoanalytic study of the child, 15, 1960, 9 .
280. ———— . "Seperation anxiety" International Journal of Psychoanalysis, 41, 1960, 89 .
281. BRAHAM, R.L. Israel: a modern education system, United Stated Government Printing Office, 1966 .
282. BRAINE, L.G. "Assymetries of pattern preception observed in Israelis" Neuropsychologica, 6, 1968, 73.
283. BREZNITZ, S. and S. Kugelman "The moral judgment of positive acts" Journal of Social Psychology, 76, 1968, 253 .
284. BRICKNER, R.M. "The German cultural paranoid trend", American Journal of Orthopsychiatry, 12, 1942 .
285. BRIGHT, P. A poor man's riches, McGibbon & Kee, 1966 .
286. BROEK, J.O.M. "National character in the perspective of cultural geography", The Annals of the American Academy of Political snd social science, 370, 1967, 8 .
287. BROWN, B.E. "Elite attitudes and political Legitimacy in France", Journal of Politics, 31, 1969, 120 .
288. BROWN, L.G. Social psychology: the natural history of human nature, McGraw-Hill, 1934 .
289. BRUNER, J.S. "The dimensions of propaganda: German short-wave broadeast to America", The Journal of Abnormal and Social Psychology, 36, 1941, 311 .
290. BRUNSWIK, E.F. "Intolerance of ambiguity as an emotional and perceptual personality variable", Journal of Personality, 18, 1949, 108 .
291. ———— . "Personality theory and perception", R.R. Blake and G.V. Ramsey, (eds), Pereception: An approach to personality, Ronald, 1951 .
292. BUBER, M. Paths in utopia, Beacon, 1958 .
293. BUCHANAN, D.C. "Japanese character and personality as revealed in their culture", W.A. Parker, (ed.), Understanding other cultures, American Council of Learned Societies, 1954 .
294. "BULLY", H.A.S. ZAHRAN, Dictionary of Psychology, Al Shaab, 1972 .
295. BURLINGHAM D. and A. Freud Young children in wartime, Allen and Unwin, 1942 .
296. ———— . and A. Freud Infants without families, Allen and Unwin, 1944 .
297. BURT, C. "The incidence of neurotic symptoms among evacuated school children", British Journal of Educational Psychology, 10, 1940, 8 .

298. CANTORE, E. "Science and humanism: the sapiential role of philosophy", Dialectica, 24, 1970, 215 .
299. ———— . "Humanistic significance of science: some methodological considerations", Philosophy of Science, 38, 1971, 395 .
300. CARLSSON, G. "Swedish character in the twentieth century", The Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 936.
301. CAROTHERS, J.C. "A study of mental derangement in Africans and an attempt to explain its peculiarities, more especially in relation to the African attitude to life", Journal of mental science, 93, 1947, 548.
302. CARTWRIGHT, D.P. "Analysis of qualitative material", L.Festinger and D. Katz, (eds), Research methods in the behavioral sciences, Holt, Rinehart, and Winston, 1953.
303. CATANE, M. Qui est juif ?, Laffont, 1972.
304. CATTELL, R.B. "The principal culture patterns discoverable in the syntal dimensions of existing nations", The Journal of Social Psychology, 32, 1950, 215.
305. ———— . The scientific analysis of personality, Penguin, 1967.
306. CAZATET, A.V. "Restore the Jewish state", C. Newman, (ed.), Gentile and Jew: a sympsium, Alliance, 1945.
307. CHARLESWORTH, J.C. "National character in the perspective of political science", The Annals of the American Academy of political and social Science, 370, 1967, 23.
308. CHEJNE, A. "Arabic: its significance and place in Arab-Muslim society", Middle East Journal, 19, 1965, 447.
309. CHEN, M. "Leisure time activities and adjustment to school", Psychological Abstracts, 41, 1967, No. 784.
310. CHERTOFF, M.S. "The new left and the newer leftists", M.S. Chertoff, (ed.) The new left and the Jews, Pitman, 1971.
311. CHESHKOV, M. "Elite and class in the developing countries?, Social Science Today, 4, 1970, 142.
312. CHIGLER, E. & M. Chigier "Attituces to disability of children in the multicultural society of Israel?, Journal of Health and Social Behavoir, 9, 1968, 310.
313. CHIN, A.S. "Some problems of chinese youth in transition" American Journal of Sociology, 54, 1948, I.
314. CHOURAQUI, A.N. Between East and West: A history of the Jews of North Africa, The Jewish Publication Society of America, 1968.
315. CHRISTIE, R. "Some implications of research trends in social psychology", C. Klineberg and R. Christie, (eds.), Perspectives in social psychology, Holt, Rinehart and Winston, 1965.

316. CHURCHILL, RANDOLPH S. and WINTONS. The Six Day War, Heinemann, 1967.
317. "CIVILIZATION", G.D. Mitchell, (ed.), A dictionary of sociology, Routledge, 1968.
318. CLARKE, A.D.B. et al. "Cognitive and social changes in the feeble-minded: three further studies", British Journal of Psychology, 49, 1958, 144.
319. ———— . and A.M. CLARKE "Recovery from the effects of de-privation" Acta Psychologica, 16, 1959, 137.
320. ———— . and A.M. CLARKE "RECOVERY from the effects of deprivation" ActaPsychologica, 16, 1959, 137.
320. ———— . and A.M. CLARKE "Some recent advances in the study of early deprivation", Journal of Child Psychology and Psychiatry, 1, 1960, 26.
321. COHEN, A. Israel and the Arab world, Funk & Wagnalls, 1970.
322. COHEN, E. "Development towns: the social dynamics of planted communitites in Israel", S.N. Eisenstadt, et al., (eds), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.
323. COHEN, I. The zionist movement, Frederick Mullar, 1954.
324. COLEMAN, J.S. "Methods of sociology", R. Bierstedt (ed.), Design for sociology: scope, objectives, and methods, American Academy of Political and social science, 1969.
325. COMMAGER, H.S. America in perspective: the United Stated through foreign eyes, Random House, 1947.
326. COOKE, H. Israel: a blessing and a cure, Stevens, 1960.
327. COWEN, E.L. and G. THOMPSON "problem solving rigidity and personality structure", Journal of Abnormal and Social Psychology, 46, 1951, 165.
328. ———— . "Stress reduction and problem solving rigidity", Journal of Consultant Psychology, 16, 1952, 425.
329. ———— . "The influence of varying degrees of psychological stress on problem solving rigidity", Journal of Abnormal and Social Psychology, 47, 1952, 512.
330. CRAWFORD, T.J. & M. NADITCH, "Relative deprivation, powerlessness, and militancy: the psychology of social protest", Psychiatry, 33, 1970, 208.
331. CREMEANS, C.D. The Arabs and the world: Nasser's Arab nationalist policy, Praeger, 1963.
332. CRISSMAN, P. "Temporal change and sexual difference in moral Judgment", Journal of Social Psychology, 16, 1942, 29.
333. CROSSMAN, R. Palestine mission, Harper, 1947.

334. DAHL, R.A. Who governs, Yale University Press, 1961.
335. DALRYMPLE-ALFORD, E., "Psycholinguistics", B.M. Foss, (ed.), New horizons in Psychology, Penguin 1969.
336. DARIN-DRABKIN, H. The other society, Gollomez, 1962.
337. DARK, S. "Socialism and Palestine", C. New man (ed.). Gentile and Jew: a symposium. Alliance. 1945.
338. DAS GUPTA, J. and J.J. GUMPERZ "Language, Communication and control in North India", J.A. Fishman, etal., (eds), Language problems of developing nations, Wiley, 1968.
339. DAVID, M. etal. "Responses of young children to seperation from their mothers", Courrier, 2, 1952, 66.
340. DAVIDSON, B. Which way Africa ?, Penguin, 1971.
341. DAVIS, M. (ed.) Israel: Its role in civilization, Jewish Theological Seminary, 1956.
342. DAVISON, W.P. "Foreign Policy", P.F. Lazarsfeld etal., (eds.), The uses of sociology, Basic Books, 1967.
343. DE BLANCK, W. "A new world complex", C. Newman (ed.), Gentile and Jew: a symposium, Alliance, 1945.
344. DE BROGLIE, L. Physics and microphysics, Grosset and Dunlop, 1966.
345. DESHEN, S. "A case of breakdown of modernization in an Israeli immigrant community", S.N. Eisenstadt, etal., (eds), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.
346. DEUTSCH K.W. Nationalism and social communication, Wiley, 1953.
347. ———. "The trend of European nationalism: The language aspect" J.A. Fishman, (ed.), Readings in the sociology of language, Mouton, 1968.
348. ———. Nationalism and its alternatives, Knopf, 1969.
349. DEUTSCHER, I. The non-Jewish Jew, Oxford University 1968.
350. DEVOS, G.A. & A.A. HIPPLER "Cultural psychology: comparative studies of human behavior", G. Lindzey & E. Aronson, (eds), The handbook of social psychology, second edition, volume four, Addison-Wesley, 1969.
351. DIAMOND, S. "Kibbutz and Shtetl: the history of an idea", Social Problems, 5, 1957, 71.
352. ———. "The Kibbutz: Utopia in crisis", Dissent, 4, 1957, 132.
353. DICKS, H.V. "Personality traits and national-socialist ideology", Human Relations, 3, 1950, 111.
354. ———. "Observations on contemporary Russian behavior", Human Relations, 5, 1959, 111.
355. DOLL, E.A. Vieneland Social Maturity Scale: manual of directions,

Educational Test Bureau (Minneapolis0, 1946.
356. ———— . The measurement of social competence, Educational Test Bureau (Minneapolis), 1953.
357. DOMB, Y. "Neturei Karta", M. SELZER, (ed.), Zionism reconsidered: The rejection of jewish normalcy, Macmillan, 1970.
358. DOOB, L.W. and R. BAUER Patriotism and nationalism: their psychological foundations, Yale University Press, 1964.
359. DREIFUSS, G. "The analyst and the damaged victim of Nazi Persecution", Journal of Analytical Psychology, 14, 1969, 163.
360. DREMAN, S.B. and C.W. GREENBAUM "Altruism or reciprocity: sharing behavior in Israeli kindergarten children", Child Development, 44, 1973, 61.
361. DU BOIS, C. "Attitudes toward food and hunger in Alor", L. Spier etal, (eds), Language, culture, and personality: essays in memory of Edward Sapir, Sapir Memorial Publications Fund, 1941.
362 . ———— . The people of Alors, University of Minnesota Press, 1944.
363 . DUBNOW, S. "The doctrine of Jewish nationalism", M. Selzer, (ed.). zionism reconsidered: The rejection of Jewish normalcy, Macmillan, 1970.
364. DUETSCH, H. Psychoanalysis of the neurosis, Hogarth, 1932.
365. DUIJKER, H.C.J. & N.H. Frijda National character and national stereotypes, North-Holland, 1960.
366. EARLE, A.M. and B.V. EARLE "Early maternal deprivation and later psychiatric illness", American Journal of Orthopsychiatry, 31, 1961, 181.
367. EATON, J.W. "Gadna: Israel's youth corps", The Middle East Journal, 23, 1969, 471.
368. ———— . Influencing the youth culture: a study of youth organizations in Israel, Sage, 1970.
369. ———— . "Reaching the hard-to-reach in Israel", Social work, 15, 1970, 85.
370. EDELMAN, L. Israel: New people in an old land, Thomas Nelson, 1963.
371. EDINGER, L.J. Kurt Schumacher: A study in personality and political behavior, Stanford University Press, 1965.
372. EGGAN, E. "The significance of dreams for anthropological research", American Anthropologist, 51, 1949, 177.
373. ———— . "The manifest content of dreams: a challange to social science", American Anthropologist, 54, 1952, 469.
374. EIDUSON, B.T. Scientists: their psychological world, Basic Books, 1962.

375. EIFERMANN, R.R. "Cooperativeness and egalitarianism in kibbutz children's games", Human Relations, 23, 1970, 579.
376. ———— . "Level of children's play as expressed in group size", British Journal of Educational Psychology, 40, 1970, 161.
377. EILON, A. "Our youth rebellion lies behind us", New Outlook, 211, sept. 1968, 46.
378. EISENBERG, L. and P.B. NEUBAUER "Mental health issues in Israeli collectives: Kibbutzim", Journal of the American Academy of Child Psychiatry, 4, 1965, 425.
379. EISENBERG, S. "The relationship of depression to authoritarianism and ethoncentrism in three Israeli ethnic subgroups", Corfinia Psychiatrica, 9, 1966, 159.
380. EISENSTADT, S.N. "Youth, culture, and social structure in Israel", British Journal of Sociology, 2, 1951, 105.
381. ———— . The absorption of immigrants: A comparative study based mainly on the Jewish community in Palestine and the state of Israel, Kegan Paul, 1954.
382. ———— . From generation to generation, The Free Press, 1956.
383. ———— . (Review) "Kibbutz: Venture in Utopia by: M.E. Spiro" American Anthropologist, 58, 1956, 934.
384. ———— . "Israeli identity: problems in the development of the collective identity of an ideological society", The Annals of the American Academy of Political and social science, 370, 1967, 116.
385. EITINGER, L. Concentration camp survivors, Allen & Unwin, 1964.
386. EKSTEIN, R. "Siegfried Bernfeld: Sisyphus or the boundaries of education" F. Alexander etal., (eds), Psychoanalytic pioners, Basic Books, 1966.
387. ELKINS, M. Forged in fury, Vallantine, 1971.
388. EMBREE, J.F. The Japanese nation: a social survey, Rinehart, 1945.
389. ENGEL, G. "Comparison between Americans permanent residents of Israel: I. American background", Journal of psychology, 71, 1969, 133.
390. ———— . "Comparison between Americans permanent Residents of Israel: II, Israeli back ground", Journal of Psychology, 72, 1969, 135.
391. ———— . "Comparison between Americans permanent residents of Israel: III. Predictions about America and Israel", Journal of psychology, 73, 1969, 33.
392. ———— . "Comparison between American living in Israel and those who returned to America: I. American background", Journal of psychology, 74, 1970, 195.
393. ———— . "Comparison between Americans living in Israel and those who returned to America: II. Israeli background", Journal of Psychology, 75, 1970, 243.

394. ———— . "Comparison between Americans living in Israel and those who returned to America: III. Predictions about America and Israel", Journal of Psychology, 76, 1970, 117.
395. ENGELS, F. Anti-Duhring, Progress Publishers, 1947.
396. ———— . Dialectics of nature, Progress Publishers, 1947.
397. ERIKSON, E.H. "Hitler's Imagery and German youth", Psychiatry, 5, 1942, 475.
398. ———— . "Growth and crisis of the Healthy-Personality", C. Kluck-hohn etal., (eds), Personality in nature, society, and culture, Knopf, 1953.
399. ESSRING, H. & A. Segal Israel today, Union of American Hebrew Congregation, 1970.
400. ETZIONI , A. "Solidaric work groups in collective settlements", Human Organization, 16, 1957, 2.
401. ———— . "The functional differentiation of elites in the kibbutz", American Journal of Sociology, 64, 1959, 476.
402. ———— . "Social Psychological aspects of international relatoins" G. Lindzey and E. Aronson, (eds), The handbook of Social Psychology' vol. 5, Addison-Wesley, 1969.
403. EYSENCK, H.J. The structure of human personality, Methuen, 1953.
404. ———— . Uses and abuses of psychology, Penguin, 1955.
405. FANON, F. A dying colonialism, Grove Press, 1955.
406. ———— . Toward African revolution, Monthly Review Press, 1967.
407. ———— . The wretched of the earth, Grove Press, 1968.
408. FARBER, M.L. "The problem of national character: a methodological analysis", Journal of Psychology, 30, 1950, 307.
409. FEIN, L.J. Politics in Israel' Little, Brown and Co., 1967.
410. ———— . Israel: Politics and people, Little, Brown and Camp., 1968.
411. FELDMAN, H. "Children of the desert: notes on Arab national character", Psychoanalysis and Psychoanalytic Review, 45, 1958, 40.
412. FENELON, J.R. & E.I. Megargee, 'Influence of race on the manifestation of Leadership", Journal of Applied Psychology, 55, 1971, 353.
413. FESHBACH, S. "The drive-reducing function of fantasy behavior", Journal of Abnormal and Social Psychology, 50, 1955, 31.
414. FEUER, L.S. The conflict of generations: the character and significance of student movement, Heinnmann, 1969.
415. FEURSTEIN, C.W. "The united stated condition-symptom: Viet-

nam", Journal of Contemporary Psychotherapy, 2, 1969, 15.
416. FIEDLER, F.E. A theory of leadership effectiveness, McGraw-Hill, 1967.
417. FISHER, S. and R.L. Fisher "Application of rigidity principles to the measurement of personality disturbance", Journal of Personality' 24, 1955, 86.
418. FISHER, W.B. The Middle East: A physical, social, and regional geography, Methuen, 1963.
419. FISHMAN, J.A. "Nationality-nationalism and nation-nationism", J.A. Fishman, et al., (eds), Language and problems of developing nations, Wiley, 1968.
420. "FLATTENING of effect", H.B. English and A.C. English, A comprehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Longmans, 1958.
421. FOA, U.G. "Social change among Yemenite Jews setteled in Jerusalem" Sociometry, 11, 1948, 75.
422. ———— . and J.L. Turner "Psychology in the year 2000: going structural ?", American Psychologist, 25, 1970, 244.
423. FORSTER, J. "The Australian character", The Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 156.
424. FRANK, J.D. "Breaking the thought barrier: psychological challenges of the nuclear age", Psychiatry' 23, 1960, 245.
425. FRANK, L.K. Projective methods, Charles C. Thomas, 1948.
426. FRANKENSTEIN, C. "On the problem of ethnic differences", Psychological Abstracts, 27, 1953, No. 1904.
427. FREEMAN, E.P. "Psychological study of a family in Kibbutz in Israel", A dissertation submitted to Columbia University for the degree of Doctor of Philosophy, Unpublishecd.
428. FREUD, S. "Totem and taboo", A.A. Brill, (ed.), The basic writings of Sigmund Freud, Random House, 1938.
429. FRIEDMAN, G. The end of Jewish people ?, Doubleday, 1968.
430. FROMM, E. Escape form freedom, Farrar, 1941.
431. ———— . You shall be Gods, Holt, Rinehart, and Winston, 1966.
432. FRYER, D.H. rt al. General psychology, Barnes & Noble, 1954.
433. FURUYA, K. "Responses of school-children to human and animal pictures", Journal of Projective Techniques, 21, 1957, 248.
434. GAMEZEY, R. Miracle of Israel, Herzel, 1965.
435. CARDNER, G. "The Arab Middle East: some background interpretations" Journal of Social Issues, 15, 1959, 20.
436. GELB, S. "The kibbutz as a revolutionary society", M.S. Chertoff, (ed.), The new left and the Jews, Pitman, 1971.

437. GEORGE, A.L. "Quantitative and qualitative approaches to content analysis", I.D. Pool (ed.), Trends in content analysis, University of Illinois Press, 1959.
438. GERSON, M. "On the stability of the family in the kibbutz", Psychological Abstracts, 41, 1967, No. 514.
439. GESELL, A. etal., The psychology of early growth, Macmillan, 1938.
440. ———— . etal., The first five years of life, Harper, 1940.
441. ———— . etal., Developmental diagnosis, Hoeber, 1947.
442. ———— . etal., Gesell Developmental Schedules, Psychological Corporation, 1949.
443. GEWIRTZ, H.B. and J.L. Gewirtz "Caretaking and background themes for kibbutz infants: age and sex trends", American Journal of Ortho-Psychiatry, 37, 1967, 395.
444. ———— . and J.L. GEWIRTZ "Visiting and caretaking patterns for kibbutz infants: age and sex trends", American Journal of Ortho Psychiatry, 38, 1968, 427.
445. ———— . and J.L. GEWIRTZ "Caretaking settings, background events, and behavior differences in four Israeli child-rearing environments: some preliminary trends", B.M. Foss, (ed.), Determinants of infant behavior, (IV), Methuen, 1969.
446. GEWIRTZ, J.L. "A learning analysis of the effects of affective privation in childhood", Acta Psychologica, 19, 1961, 404.
447. ———— . "A learning analysis of the effects of normal stimulation, privation, and deprivation on acquisition of social motivation and attachment", B.M. Foss, (ed.), Determinants of infant behavior, Methuen, 1961.
448. ———— . and H.B. GEWIRTZ "Stimulus conditions, infant behaviors, and social learning in four Israeli child-rearing environments: a preliminary report illustrating differences in envirnment and behavior between the only and youngest child", B.M. Foss, (ed), Determinants of infant behavior, (III), Methuen, 1965.
449. ———— . "The course of infant smiling in four childrearing environments in Israel", B.M. Foss, (ed.), Determinants of infant behavior, (III), Methuen, 1965.
450. ———— . "On designing the functional environment of the child to facilitate behavioral development", L.L. Dittmann, (ed.), Early child care: the new perspective, Atherton, 1968.
451. ———— . "The role of stimulation in models for child development". L.L. Dittmann, (ed.), Early child care: the new perspective, Atherton, 1968.
452. ———— . "Mechanisms of social learning: some roles of stimula-

tion and behavior in early human development", D.G. Goslin, (ed.), Handbook of socialization theory and research, Rand McNally, 1969.
453. ———— . "Stimulation, learning, and motivation principles for day-care setting", E.H. Grotberg, (ed.), Day care: resourses for discussions, United States Government Printing Office, 1971.
454. GILLESPIE, J.M. and G.W. Allport Youth's outlook on the future: A cross-national study, Doubleday, 1955.
456. GINSBERG, M. The psychology of society, Methuen, 1964.
457. GLASS, N. "Eating, sleeping, and elimination habits in children attending day nurseries and children cared for a home by mothers", American Journal of Orthopsychiatry' 19, 1949, 697.
458. GLIDDEN, H. "The Arab world", American Journal of Psychiatry, 128, 1972, 484.
459. GLUECK, S. and E.T. GLUECK Unraveling Juvenile delinquency, Harvard University Press, 1950.
460. GOLAN, S. "Collective education in the kibbutz", American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 549.
461. ———— . "Collective education in the kibbutz", Psychiatry, 22, 1959, 167.
462. GOLDBERG, H.E. "Domestic organization and wealth in an Israeli immigrant village", Human Organization, 28, 1969, 58.
463. ———— . "Egalitarianism in an autocratic village in Israel", Ethnology, 8, 1969, 54.
464. GOLDFARB, W. "Effects of early institutional care on adolescent personality: Rorschach date", American Journal of Orthopsychiatry, 14, 1944, 441.
465. ———— . "Emotional and intellectual consequences of psychological deprivation in infancy: an evaluation", P.Hoch and J. Zubin, (eds), Psychopathology of childhood, Grune and Stratton, 1955.
466. GOLDERANK, E. "Socialization, personality, and the structure of pueblo society", American Anthropologist, 41, 1945, 516.
467. GOLDMAN, I. "Psychiatric interpretation of Russian history: A reply to Geoffrey Gorer", American Slavic and East European Review, 9, 1950, 155.
468. GOLDSCHMIDT, D. "Israel and the modern world", Social Compass, 9, 1962, 215.
469. GOLDSTEIN, S. and C. GOLDSTEIN Jewish Americans: Three generation in a Jewish community, Prentice Hall, 1968.
470. GOODENOUGH, F.L. Measurement of intelligence by drawings, World Book Co., 1926.
471. ———— . and K.M. MAURER The mental growth of children

from two to fourteen years, University Minnesota Press, 1942.
472. ———— . and D.B. HARRIS, "Studies in the psychology of childrens, Psychological Bulletin, 47, 1950, 369.
473. GORDON, M.M Assimilation in American life, Oxford University Press, 1964.
474. GOREN, A.A. New York Jews and the quest for community: the kehillah experiment 1908-1922, Columbia University Press, 1970.
475. GORER G. "Themes in Japanese culture", Science News, 1, 1946, 26.
476. ———— . "Some aspects of the psychology of the people of Great Russia", American Slavic and East European Review, 8, 1949, 155.
477. ———— . and J. Rickman The people of Great Russia: a psychological study, the Cresset Press, 1949.
478. ———— . "Japanese character structure and propaganda" M. Mead and R. Metraux, (eds), The study of culture at a distance, The university of Chicago Press, 1953.
479. ———— . "National character: theory and practice", M. Mead and R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
480. ———— . "Notes on La Belle et la Bete", M. Mead and R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
481. GOSHEN-GOTTSTEIN, E.R. Marriage and first pregnancy: cultural influences of Israeli women, Tavistock, 1966.
482. GRAYZEL, S. A history of the Jews, The Jewish Publication Society of America, 1966.
483. GREENGLASS, E.R. "A cross-cultural comparison of maternal communication", Child Development, 42, 1871, 685.
484. ———— . "A cross-cultural study of the child's communication with his mother", Developmental Psychology, 5, 1971, 494.
485. ———— . "Italian mothers in Canada", Journal, (Ontario Association of Children's Aid Societies), December 1971, 1.
486. GRIFEITHS, R. The abilities of babies: a study in mental measurement, McGraw-Hill, 1954.
487. ———— . The Griffths Mental Development Scale for Testing Babies from Brith to Two Yeas, (Auther), 1955.
488. GYOMROI, E.L. "The analysis of a young C.C. victim", The Psychoanalytic Study of the Child, 18, 1963, 484.
489. HAIMSON, L.H. "Russian visual thinking", M. Mead and R. Metraux (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.

490. HALPERN, B. The idea of the Jewish State, Harvard University Press, 1961.
491. ———— . "The role of the military in Israel", J.J. Johnson, (ed.), The role of military in underdeveloped countries, Princeton University Press, 1962.
492. HALPERN, H. "Alientation from parenthood in the kibbutz and America", Marriage and Family Living, 25, 1963, 14.
493. HAMADY, S. Temperament and character of the Arabs, Twayne, 1960.
494. HANDEL, A. "Self-concept of the kibbutz adolescent", A.I. Rabin, (ed.), kibbutz studies, Michigan State University Press, 1971.
495. HANDLIN, O. "Zionist ideology and world Jewry", Commentary, 25, 1958, 105.
496. HANNON, P. "The value of Palestine", C. Newman (ed.), Gentile and Jew: a symposium, Alliance, 1945.
497. HARING, D.G. "Comments on Japanese personal character", D.G. Haring, (ed.), Personal character and cultural milieu, Syracuse University Press, 1949.
498. ———— . "Japan and Japanese", R. Linton (ed.), Most of the world, Columbia University Press, 1949.
499. ———— . "Science and social phenomena", D.G. Haring (ed.), Personal character and cultural milieu, Syracuse University Press, 1964.
500. HARKABI, Y. "Basic factors in the Arab collapse during the six-day war", Orbis, 11, 1967.
501. ———— . Arab attitudes toward Israel, (translated by: M. Louvish), Hart, 1972.
502. HARRIS, D.B. and F.L. GOODENOUGH, Children's drawings as measures of intellectual maturity: a revision and extension of the Goodenough Draw-a-Man Test, Harcourt, 1961.
503. ———— . and F.L. Florence Harris-Goodenough Measure of Intellectual Maturity, Harcourt, 1961.
504. HAYES, C.J.H. Nationalism: a religion, Macmillan, 1960.
505. HEATH, D.H. Explorations of maturity: studies of mature and immature college men, McGraw-Hill, 1965.
506. HEIMAN, L. "Warriors in skirts", Military Review, 41, 1962, 13.
507. HEINICKE, C.M. "Some effects of separating two-year-old children from their parents: a comparative study", Human Relations, 9, 1956, 105.
508. HEISS, J. "Residential segregation and the assimilation of Italians in an Australian City", International Migration, 4, 1966, 165.

509. ———— . "Sources of satisfaction and assimilation among Italian immigrants", Human Relations, 19, 1966, 165.
510. ———— . "Factors related to immigrant assimilation: the early post-migration situation", Human Organization, 16, 1967, 265.
511. ———— . "Factors related to immigrants assimilation: Pre-migration traits", Social Forces, 47, 1969, 422.
512. HERMAN, S.N. and E. Schild "Ethnic role conflict in a cross-cultural situation", Human Relations, 19, 1966, 120.
513. ———— . American students in Israel, Cornell University Press, 1970.
514. ———— . Israelis and Jews: the continuity of an identity, Random House, 1970.
515. HERTZ, F. Nationality in history and politics, kegan Paul, 1945.
516. HERTZ, J.G. (ed.) A book of Jewish thoughts, Oxford University Press, 1938.
517. HESS, J.P. and J. Levine "Kibbutz humor", The Journal of Nervous and Mental Diseas, 155, 1962, 327.
518. ———— . "From native healer to modern psychiatrist", Social Psychiatry, 1, 1966, 117.
519. ———— . "Problems of adolescence from the point of view of psychiatric clinic", Psychological Abstracts, 1968, No. 3997.
520. HEYER, V. "Relations between men and women in Chinese stories", M. Mead & R. Metraux (eds.), The Study of culture at a distance, Chicago University Press, 1953.
521. HEYMONT, I. "The Israeli Nahal program", Middle East Journal, 2, 1967, 314.
522. HICKS, L.H. etal. "A 1970 overview of sources of support for psychological research", American Psychologist, 25, 1970, 1013.
523. HIGBEE, K.L. and M.G. WELLS, "Some research trends in social psychology during the 1960", American Psychologist, 27, 1972, 963.
524. HOEBEL, E.A. "Anthropological perspectives on national character", The Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 1.
525. HOEK, A. etal. "Emotional disorders in an Israeli immigrant community: A comparison of prevalence amongst different ethnic groups", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 3, 1965, 213.
526. ———— . "Mental disorder in a mixed immigrant suburb", Psychological Abstracts, 41, 1967, No. 7375.
527. HOFMEN, J.E. and I.Zak "Interpersonal contact and attitude change in a cross cultural situation", Journal of Social Psychology, 78, 1969, 165.

528. ———— . and S. Debbiny "Religious affiliation and ethnic identity", Psychological Reports, 26, 1970, 1014.
529. ———— . "The meaning of being a Jew in Israel: an analysis of ethnic identity", Journal of personality and social psychology, 15, 1970, 196.
530. HOIG, S. "Arab national character and middle east conflict", The Jerusalem Post, 18 October 1970, 5.
531. HOLLINGSHEAD, A.B. and F.C. Redlich, Social class and mental illness: A community study, Wiley, 1958.
532. HOLSTI, O.R. Content analysis for the social sciences and humanities, Addison-Wesley, 1969.
533. HOROWITZ, I.L. "The life and death of project Camelot", Trans-Action, 3, 1965.
534. HOTTINGER, A. The Arabs, Thames & Hudson, 1963.
535. HOVLAND, C.I. "Reconciling conflicting results derived from experimental and survey studies of attitude change", American Psychologist, 14, 1959, 8.
536. HOYT, N.S. "The image of the leader in Soviet Post-October folklore", M. Mead & R. Metraux (eds), The study of culture at a distance. Chicago Press, 1953.
537. ———— . The Not-So: So'images in Russian Floklore", M. Mead and R. Metraux (eds), The study of culture at a distance, The Univertsity of Chicago Press, 1953.
538. HSU, F.L.K. "Suppression versus repression; a limited psychological interperetation of four cultures", Psychiatry, 12, 1949, 223.
539. ———— . Under the ancestor shadow, Kegan Paul, 1949.
540. ———— . Americans and Chinese: two ways of life, Schumann, 1953.
541. HUDSON, L. "The Choice of Hercules", Bulletin of British Psychological Society, 23, 1970, 287.
542. HULSE, F.S. "Warfare, demography, and genetics", Eugenics Quarterly, 8, 1961, 185.
543. ———— . "Migration and cultural selection in human genetics", The Anthropologist, (Delhi-India), Special Volume, 1968, 1.
544. ———— . "Ethnic, Caste, and genetic miscegenation", Journal of Biosocial Science, 1, 1969, 31.
545. ———— . "Scientific ethics and physical anthroploogy", American Journal of Physical Anthropology, 31, 1969, 245.
546. HUNTER, F. Community power structure: a study of decision makers, University of North Carolina Press, 1963.
547. HUREWITZ, J.C. Middle East Politics: The military dimensions, Pragear 1969.

548. HUŠS, H. "Results of a survey on 8th grade pupils in special schools", Psychological Abstracts, 1967, No. 798.
549. "IMMATURITY", H.A.S. ZAHRAN, Dictionary of psychology, Al Shaab, 1972.
550. Implications and summary of a psychological warfare study in South Korea, Air University Human Resources Research Institute, 1951.
551. Infield, H. "Present day problems of cooperative living in Israel", Cooperative living, 1, 1969, 1.
552. INKELES, A. "The totalitarian mystique: some impressions of the dynamic of totalitarian society", C. Friedrich, (ed.), Totalitarianism, Harvard University Press, 1953.
553. ———— . and R.A BAUER The Soviet Citizen: daily life in a totalitarian state, Harvard University Press, 1959.
554. ———— . and D.J. Leviosoo "National character: the study of modal personality and sociocultural systems", G. Lindzey & E. Aronson, (eds.), The handbook of social psychology, second edition, volume four, Addison-Wesley, 1969.
555. IRVINE, E. "Observations of the aims and methods of child rearing in communal settlements in Israel", Human Relations, 5, 1952, 274.
556. ———— . "Children in Kibbutzim: Thirteen years after", Journal of child psychology and psychiatry, 7, 1966, 167.
557. ISAACS, S. Social development in young children: a study of beginnings, George Routledge, 1945.
558. JACKSON, K. etal. "Problems of emotional trauma in hospital treatment of children", Journal of American Medical Association, 149, 1952, 1536.
559. JACOBSON, A. and A.N. BERENBERG, "Japanese psychiatry and psychotherapy", American Journal of Psychiatry, 109, 1953, 321.
560. JAFFE, J. "The study of language in psychiatry: psycholinguistics and computational linguistics", S. Arieti, (ed.), American handbook of psychiatry. vol. 3, Basic Books, 1966.
561. JAFFE, R. "Moshe Woolf: pioneering in Russia and Israel", F. Alexander, etal., (eds), Psychoanalytic pioneers, Basic Books, 1966.
562. JANIS, I.L. "Meaning and the study of symbolic behavior", Psychiatry, 6, 1954, 425.
563. JANOWITZ, M. "Military elites and the study of war", Journal of Conflict Resolution, 1, 1957, 9.
564. ———— . "Changing patterns of organizational authority: the military establishment", Administrative Science Quarterly, 3, 1959, 475.
565. ———— . and R.W. Little Sociology and the military establishment' Russel Sage Foundation, 1969.

566. JAY, J. and R.C. Birney "Research findings on the Kibbutz adolescent: A response to Bettelheim', American Journal of Orthopsychiatry, 43, 1973, 347.
567. JENNINGS, E.M. An anatomy of leadership: princes, heroes, and supermen, Harper, 1960.
568. JESSNER, L. and S. KAPLAN "Observations on the emotional reactions of children to tonsillectomy and adenoidectomy", M.J. Senn, (ed.), Problems of infancy and childhood, Josiah Macy Jr. Foundation, 1949, 97.
569. ———— . etal, "Emotional implications of tonsillectomy and adenoidectomy on children", Psychoanalytic Study of the Child, 7, 1965, 126.
570. JONES, D.B. "Quantitative analyse of motion picture content", Public Opinion Quarterly' 6, 1942, 411.
571. JONES, M.B. "The Pensacala Z Survey: A study in the measurement of authoritarian tendency", Psychological Monogaphs' 71, 1957, No. 23.
572. JUNCK, R. Tomorrow is already here, Simon and Schuster, 1954.
573. ———— . and Galtung, (eds.), Mankind 2000, Allen and Unwin, 1969.
574. Juvenile delinquency 1967, Central Bureau of Statistics, Ministry of Social Welfare, Israel, 1970, (Sepecial series), No. 301.
575. Juvenile delinquency 1968, Central Bureau of Statistics, Ministry of Social Welfare, Israel, 1970, (special series), No. 322.
576. JYORI, I. "Psychological disturbance in survivors of persecution", Psychological Abstracts, 44, 1970, No. 5376.
577. KADUSHIN, C. "Who are the elite intellectuals", The Public Interest, 29, 1972, 109.
578. KAFFMAN, M. "Evaluation of emotional disturbance in 403 Israeli kibbutz children", American Journal of Psychiatry, 97, 1962, 732.
579. ———— . "A comparison of psychopathology: Israeli children from kibbutz and from urban surroundings", American Journal of Orthopsychiatry, 35, 1965, 509.
580. ———— . "Survey of opinions and attitudes of kibbutz members toward mental illness: preliminary report", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 5, 1967, 17.
581. KAHN, A.J. "From delinquency treatment to community development", P.F. Lszarsfeld, etal., (eds), The uses of sociology, Basic books, 1967.
582. KAHN, H. and A. WIENER The year 2000, MacMillan, 1967.
583. KALMAN, G. etal. "Symptom clusters in various forms of depress-

ion", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 9, 1971, 219.
584. KANNER, L. Child psychiatry, Charles C. Thomas, 1960.
585. KANOVSKY, E. The economy of the Israeli kibbutz, Harvard University Press, 1966.
586. KAPLAN, A. "Content analysis and the theory of signs", Philosophy of Science, 10, 1943, 58.
587. ———— . and J.M. GOLDSEN "The reliability of content analysis categories", H.D. Lasswell, etal., The language of politics: studies in quantitative semantics, George Stewart, 1949.
588. KAPLAN, G. "Clinical observations on the emotional life of children in the communal settlements of Israel", M.S.E. Senn, (ed.), Problems of infancy and childhood, Josiah Macy, 1954.
589. KARDINER, A. The individual and his society, Columbia University Press, 1939.
590. ———— . etal., The psychological frontiers of society, Columbia University Press, 1945.
591. KARDINER, A. "The roads to suspicion, rage, apathy, and societal disintegration", I. Galdson, (ed.), Beyond the germ theory, Health Education Council (New York), 1954.
592. KARP, R. "Behavior research in collective settlements in Israel: Editorial statement", American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 547.
593. KATZ, D. "The concepts and methods of social psychology", J.P. Guilford, (ed.), Fields of psychology: basic and applied, D. Van Nostrand, 1950.
594. KATZ, E. and A. ZIOCZOWER "Ethnic continuity in an Israeli town: relations with parents", S.N. Eisenstadt, etal'. (eds), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.
595. KAUFMAN, Y. "Anti-semitic setereotypes in Zionism", Commentary, 7, 1949, 239.
596. KECSKEMETI, P. & N. Leites "Some psychological hypotheses on Nazi Germany", Journal of Social Psychology, 27, 1948, 91.
597. KEDOURIE, E. Nationalism, Hutchinson, 1966.
598. KEISLER, C.A. et al., Attitude change, Wiley, 1969.
599. KELLEY, D. 22 cells in Nuremberg, Greenberg, 1947.
600. KERLINGER, F.N. "Decision-making in Japan", Social Forces, 30, 1951, 36.
601. ———— . "Behavior and personality in Japan: a critique of three studies of Japanese personality", Social Force, 31, 1953, 250.
602. KHATCHADORIAN, H. "The mask and the face: a study of make-

believe in Middle East Society", Middle East Forum' 37, 1961, 15.
603. KISH, L. Survey sampling, Wiley, 1965.
604. KLEEMIER, R.W. and F.J. DUDEK "A factorial investigation of flexibility", Educational and psychological Measurements, 10, 1950, 107.
605. KLEINBERGER. A.F. Society, Schools and Progress in Israel, Pergamon, 1969.
606. KOHEN-RAZ, R. "Scalogram analysis of some developmental sequences of infant behavior as measured by the Bayley Infant Scale of Mental Development", Genetic Psychology Monographs, 16, 1967, 2.
607. ———— . "Mental and motor development of kibbutz, institutionalized, and home-reared infants in Israel", Child Development, 39, 1968, 488.
608. KOHN, H. The age of nationalism: the first era of global history, Harper, 1962.
609. ———— . African nationalism in the twentieth century, Van Nostrand, 1965.
610. ———— . "Zion and the Jewish national idea", M. Selzer, (ed.), Zionism reconsidered: The rejection of Jewish normalcy, Macmillan, 1970.
611. KONDRATOV, A. Sounds and signs, MIR publishers, 1969.
612. KRACAUER, S. From Caligari to Hitler: a psychological history of the German film., Princeton University Press, 1947.
613. KRASILOWSKY, D. etal., "The problem of alcoholism in Israel", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 3, 1965, 249.
614. KREITLER, H. & S. Kreitler "Crucial dimentions of the attitude toward national and supra-national ideals: a study of Israeli youth", Journal of Peace Research, 2, 1967., 107.
615. ———— . & S. KREITLER "Unhappy memories of the happy past: studies in cognitive dissonance", British Journal of Psychology, 59, 1968, 157.
616. KUBO, Y. "The behavior inventories and examinations of Japanese children", Journal of Genetic Psychology, 53, 1938, 87.
617. KUGEL, Y. "Communalism, individualism, and psychological modernity: a comparison of kibbutz and Moshav members on the Overall Modernity and Dogmatism Scales", A.I. Rabin, Kibbutz studies, Michigan State University Press, 1971.
618. KUGELMASS, S. and S. BREZNITZ "Perception of parents by Kibbutz adolescents: a further test of the insturmentality-expressivity model", Human Relations, 19, 1966, 117.
619. ———— . and S. BREZNITZ "The development of intentionality

in moral judgment in city and kibbutz adolescents", The Journal of Genetic Psychology, III, 1967, 103.
620. ———— . and A. LIEBLICH "Perceptual exploration in Israeli children", Child Development, 41, 1970, 1125.
621. KUNSZ, P.R., "Immigrants and socialization: a new look", Sociaiological Review, 16, 1968, 363.
622. KUTNER, B. "Patterns of mental functioning associated with projudice in children,", Psychological Monographs, 72, 1958, No. 7.
623. LA BARRE, W. "Some observations on character-structure in the Orient: 1. The Japanese", Psyechiatry, 1945, 319.
624. ———— . "Some observations on character structure in the Orient: 11. The Chinese", Psychiatry, 9, 1946, 215.
625. LAKIN, M. Arab and Jew in Israel: a case study in a human relations approach to conflict, Doubleday, 1969.
626. LAMPSON, O.L. "All Jews as citizens of Palestine", C. Newman, (ed.), Gentile and Jew, Alliance, 1945.
627. LANHAM, B.B. "Aspects of child care in Japan: a preliminary report", D.G. Haring, (ed.), Personal character and cultural milieu, Syracuse University Press, 1956.
628. LAQUEUR, W. Young Germany: History of the youth movement, Kegan Paul, 1962.
629. ———— . The road to war: the origin and aftermath of the Arab-Israeli conflict 1967-68, Penguin, 1969.
630. ———— . (ed.) The Israeli-Arab reader, Penguin, 1970.
631. LASSWELL, H.D. "Propaganda and mass insecurity", A.H. Stanton and S.E. Perry, (eds.), Personality and politicial crisis, The free Press of Glencoe, 1951.
632. ———— . etal., The comparative study of symbols, Stanford University Press, 1952.
633. ———— . "Must science serve political power ?, American psychologist 25, 1970, 117.
634. LAU-LAVIE, N. Moshe Dayan: A biograPhy, Hartmore House, 1969.
635. LAZAR, J. "Juridical perspectives on national character", Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 16.
636. LEE, D.D. "A linguistic approach to a system of values", T.N. New, comb and E.L. Hartley et al., (eds), Readings in social psychology, Henry Holt, 1947.
637. LEGRAS, J. J'ame russe; E. Flammarion, 1934.
638. LEIBUCH, L. "National character", Psychological Abstracts, 24, 1950, No. 157.

639. LEIGHTON, A.H. & I. Opler "Psychiatry and applied anthropology in psychological warfare against Japan", American Journal of Psychoanalysis, 6, 1946, 20.
640. LEIGHTON, D. & C. Kluckhohn Childrean of the people: The Navaho individual and his development, Harvard University Press, 1947.
641. LEITES, N. "Trends in Affectlessness", M. Mead and R. Metraux, (eds)., The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
642. LENIN, V.I. Collected works, (vol. 20), Progress Publishers, 1964.
643. LEON, D. The kibbutz: a new way of life, Pergamon, 1969.
644. LEON, E. & L. Kanner "Early infantile autism", American Journal of Orthopsychiatry, 26, 1956, 556.
645. LERNER, D. Sykewar: psychological warfare against Germany, G.W. Stewart, 1949.
646. LERNER, E. "Pathological Nazi-stereotypes found in recent German technical Journals", Journal of Psychology, 13, 1942, 179.
647. LEVENBERG, A. "Confrontation areas", Dispersion and Unity, 11, 1970, 223.
648. LEVIN, H. and E. WARDWELL "The research uses of doll-play", Psychological Bullelin, 59, 1962, 27.
649. LEVINE, R. "Culture and personality", Biennial Review of Anthropology, 1963, 107.
650. LEVY, M.J. The family revolution in modern China, Harvard University Press, 1949.
651. LEWIN, H.S. "A comparison of the aims of Hitler youth and the boy scouts of America", Human Relations, 1, 1947, 206.
652. LEWIN, K "Action research and minority problems", G.W. Lewin, (ed.) Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by kurt lewin, Harper, 1948.
653. ————. "Bringin up the Jewish child", G.W. Lewin, (ed.), Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by kurt lewin, Harper, 1948.
654. ————. "Psycho-sociological problems of a minority group", G.W. Lewin, (ed.), Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by Kurt Lewin, Harper, 1948.
655. ————. "Self-hatred among Jews", G.W. Lewin, (ed.), Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by Kurt Lewin, Harper, 1948.
656. ————. "Time perspective and morale", G.W. Lewin, (ed.), Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by Kurt Lewin, Harper, 1948.

657. ———— . "When facing danger", G.W. Lewin, (ed.), Resolving social conflicts: selected papers on group dynamics by Kurt Lewin, Harper, 1948.
658. LEWIS, H. Deprived children; A social clinical study, Oxford University Press, 1954.
659. LEWIS, M.M. Language in society, Thomas Nelson, 1947.
660. LIFF, Z.A. "The Arab-Israeli psychological impasse", The International Psychologist, (Monograph supplement), 12, 1971, 3.
661. LIFTON, R.J. "Home by ship: reaction patterns of American prisoners of war repatriated from North Korea", American Journal of Psychiatry, 110, 1954, 732.
662. ———— . "Thought reform of western civilians in Chinese Communist prisons", Psychiatry, 19, 1956, 173.
663. ———— . "Thought reform of Chinese intellectuals: A psychiatric evaluation", The Journal of Social Issue, 13, 1957, 5.
664. ———— . Thought reform and the psychology of totalism: a study of brainwashing in China, Penguin, 1961.
665. LIGHT, B.H. "Comparative study of a series of TAT and CAT cards", Journal of Clinical Psychology, 10, 1954, 179.
666. LILIENTHAL, A.M. There goes the Middle East, Bookmailer, 1958.
667. ———— . What price Israel, Henry Regnery, 1962.
668. ———— . The other side of the coin, The Devin-Adair, 1965.
669. LIN. T.Y. "A study of the incidence of mental disorder in Chinese and other cultures", Bulletin of the World Federation of Mental Health, 7, 1955, 56.
670. LONG.B.H. et. al. "Self-other orientations of Israeli adolescents reared in kibbutzim and Moshavim", Developmental Psychology, 8, 1971, 300.
671. LOTSOF, E.J. "Intelligence, verbal fluency, and the Rorschach test", Journal of Consultant Psychology, 17, 1953, 31.
672. LOURIE, A. "The Jew as a psychological type", American Image, 6, 1949, 119.
673. LOWENTHAL, L. & N. Guterman Prophets of deceit: a study of the techniques of the American agitator, Harper, 1950.
674. LUCHINS, A.S. and E.H.LUCHINS, Rigidity of behavior, University of Oregon Books, 1959.
675. LUDWIG, E. The moral conguest of Germany, Doubleday, 1945.
676. LUNDBERG, J. Sociology, Harper, 1958.
677. LURIA, Z. etal., "Response to transgression in stories by Israeli children", Child Development' 34, 1963, 271.
678. LYNN, R. "Anxiety and economic growth", Nature, 219, 1968, 765.

679. ———— . "National rates of economic growth, anxiety, and suicide", Nature, 222, 1969, 494.
680. ———— . "National and racial differences in anxiety", The Mankind Quarterly, 11, 1971, 205.
681. ———— . Personality and national character, Pergamon, 1971.
682. MACCOBY, M. "Ideology and character in the kibbutz", Contemporary Psychology, 14, 1969, 478.
683. MACHLUP, F. "Are the social sciences really inferior ?", The Southern Economic Journal, 27, 1961, 173.
684. MACHOVER, M. & A. Orr "On the nature of Israeli society", New Left Review, 65, 1971.
685. MACKENZIE, W.J.M. Politics and social science, Penguin Books, 1969.
686. MACLEOD, R.B. "The Arab Middle East: Some social psychological problems", Journal of social Issues, 15, 1959, 69.
687. MACWORTH, C. The mouth of the sword, Routledge and Kegan Paul, 1949.
688. MAFFITT, J.W. and R. STAGNER "Perceplual rigidity and closure as functions of anxiety", Journal of Abnormal and social Psychology, 52, 1956, 354.
689. MAHER, B.A. "Behavior dynamiecs", P. London and D. Rosenhar, (eds.), Foundations of abnormal Psychology' Halt, Rinehart, and Winston, 1968.
690. MAIMON, A. Women build a land, Herzl, 1962.
691. MALETS, D. Young hearts, Schocken, 1950.
692. MALINOWSKI, B. Argonauts of the Western Pacific, Dutton, 1922.
693. ———— . Sex and repression in savage society, Harcourt, 1927.
694. MALMO, R. "Rigidity and reactive inibition", Journal of Abnormal and Social Psychology, 51, 1955, 345.
695. MANDELBAUM, D.G. "On the study of national character", The American Anthropologist, 55, 1953, 174.
696. MARCUS, J. etal., "Behavioral individuality in kibbutz children. The, Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 7, 1969, 43.
697. MARKMAN, R.A. "Juvenile delinquency in Israel", American Journal of Psychiatry, 123, 1966, 463.
698. MARTINDALE, D. "The sociology of national character", The Annals of the American Academy of Political and Social Science, 370, 1967, 30.
699. MARX, K. Capital, (vol. 1), Progress Publishers, 1965.
700. ———— . and F. ENGELS The German Ideology, Progress Publishers, 1968.

701. MASSING, P.W. Behersal for destruction: a study of antisemitism in imperial Germany, Harper, 1950.
702. MATRAS, J. Social change in Israel, Aldine, 1965.
703. MAUDE, C. "Give them territory", C. Newman, (ed.), Gentile and Jew: a symposium, Alliance, 1945.
704. McDOUGALL, W. The group mind, Unwin, 1920.
705. McGRANAHAN, D.V. "A Comparison of social attitudes among American and German Youth", Journal of Abnormal and social psychology, 4, 1964, 245.
706. ———— . and I. Wayne "German and American traits reflected in popular drama", Human Relations, I, 1948, 114.
707. McGRATH, J.E. $ I. Altman Small group research: a synthesis and critique of the field, Holt, Rinehart, & Winston, 1966.
708. McGUIRE, W.J. "Some impending reorientations in social psychology: some thoughts provoked by Kenneth Ring", Journal of Experimental Social Psychology, 3, 1967, 124.
709. McHALE, J. The future of the future, George Braziller, 1969.
710. MEAD, M. (ed.) Cooperation and competition among primitive peoples, McGraw-Hill, 1937.
711. ———— . Coming of age in Samoâ, Pelican, 1945 (first edition 1928).
712. ———— . Growing up in New Guinea, Pelican, 1949 (first edition 1930).
713. ———— . Sex and temperament in three primitive societies, Pelican, 1950 (first edition 1935).
714. ———— . "Columbia University research in contemporary cultures", H. Guetzcow, (ed.), Group, Leadership and men, Carnegie Press, 1951.
715. ———— . "What makes Soviet character ?", National History, 60, 1951, 296.
716. ———— . "National character", A.L. Kroeber, (ed.), Anthropology today: an encyclopedic inventory, University of Chicago Press, 1953.
717. ———— . "Oral remarks", S. Tax etal., (eds.), An appraisal of anthropology today, University of Chicago Press, 1953.
718. ———— . "Political applications of studies of culture at distance", M. Mead & R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
719. ———— . "The organization of group research:, M. Mead and R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.

720. ———— . "The study of culture at a distance", M. Mead & R. Meuatrx. (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
721. ———— . and R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
722. ———— . "Some critical considerations on the problem of mother-child seperation", American Journal of Orthopsychiatry, 24, 1954, 471.
723. ———— . (ed.) Cultural patterns and technical changes, Mentor, 1955.
724. ———— . Israel and problems of identity, Theodore Herzl Foundation., 1958.
725. MEERLOO, J.A.M. The rape of mind, World publishing, 1956.
726. MEERTENS, P.J. "Ce qu'on a dit des pays-bas", Revue de psychologie des peuples, 5, 1950, 11.
727. MELIKIAN, L.H. "Some correlates of authoritarianism in two cultures", Journal of Psychology, 42, 1956, 237.
728. ———— . "Authoritarianism and its correlates in the Egyptian culture and the United States", Journal of Social Issues, 15, 1959, 58.
729. ———— . "Preference for delayed reinforcement: an experimental study among Palestinian Arab refugee children", Journal of Social Psychology, 50, 1959, 81.
730. ———— . "The dethronement of the father", Middle East Forum, 36, 1960, 23.
731. MELKA, R. "Nazi Germany and the Palestine question", Middle Easetrn Quarterly, 5, 1969, 230.
732. MELLER, O. "The behavior of the chronic psychiatric patient during emergencies", Psychological Abstracts, vol. 42. 1968, No. 7368.
733. MENUHIN, M. The decadence of Judaism in our time, Exposition Press, 1956.
734. MERZBACH, A. "Home punishment of young children in a Jewish community of Palestine", Human Relations, 2, 1949, 305.
735. ———— . "Methods of forceful indoctrination: observations and interviews", Group for the Advancement of Psychiatry Symposium, No. 4, July 1957.
736. METRAUX, R. "Five illustrations of groups at work", M. Mead and R. Metraux, (eds.), The study of Culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
737. ———— . "The consequences of wrong doing: an analysis of story completions by German children", M. Mead and M. Wolfenstein, (eds.), Childhood in comtemporary cultures, The University of Chicago Press, 1970.

738. MICHAELS, J.J. and S.E. Goodman "Incidence and intercorrelations of enuresis and other neuropathic traits in so-called normal children", American Journal of Orthopsychiatry, 4, 1934, 79.
739. ———— . "Incidence of enuresis and age of cessation in 100 delinquents and 100 sibling controls", American Journal of Orthospsychiatry, 8, 1938, 460.
740. MIKES, G. The prophet motive: Israel today and tomorrow, Andre Deutsch, 1969.
741. MILLER, D.R. "The study of social relationships: situation, identity, and social interaction", S. Koch, (ed.), Psychology: A study of a science, McGraw-Hill, 1963.
742. MILLER, L. "Epidemiological study", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 1, 1963, 266.
743. MILLON, T. "Authoritarianism, intolerance of ambiguity, and rigidity under ego and task involving conditions", Journal of Abnormal and Social Psychology, 55, 1957, 29.
744. MINKOFF, K. "Hopelessness, depression, and attempted suicide", American Journal of Psychiatry, 130, 1973, 455.
745. MINOGUE, K.R. Nationalism, Batsford, 1967.
746. MONEY-KYRLE, R. "Some aspects and character in Germany", G. Wilbur & W. Muensterberger, (eds.) Psychoanalysis and culture, International University Press, 1951.
747. MONTEFIORE, C.G. "Nation or religious community", M. Selzer, (ed.), Zionism reconsidered: The rejection of Jewish normalcy, Macmillan, 1970.
748. MOYLES, E.W. AND M. Wolins "Group care and intellectual development", Developmental Psychology, 4, 1971, 370.
749. MUENSTERBERGER, W. "Orality and dependence: characteristics of Southern Chinese", G. Roheim et al., (eds.), Psychoanalysis and the social sciences, III., 1951.
750. MUNN, N.L. Psychology: the fundamentals of human adjustment, Houghton Mifflin, 1966.
751. MURPHY, G. "Science and world order", Jouranl of the International Studies Association, 6, 1965.
752. ———— . "Psychology in the year 2000", American Psychologist, 24, 1969, 523.
753. NAGLER, S. "Clinical observations on kibbutz children", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 1, 1963, 201.
754. NARAIN, D. "Indian national character in the twentieth century", The Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 124.

755. NASH, L.K. The nature of the natural sciences, Little & Brown, 1963.
756. NATHAN, P. The psychology of fascism, Faber, 1940.
757. NATHAN, T.S. etal., "The psychiatric pathology of the Nazi-Holocaust-Survivors", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 2, 1964, 133.
758. "NATIONAL CHARACTER", G.D. Mitchell, (ed.), A dictionary of sociology, Routledge, 1968.
759. "NATIONAL CHARACTER", H.B. English an A.C. English, A comperehensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Longmans, 1958.
760. NATTERSON, J.M. "Theoder Reik: masochism in modern man", F. Alexander etal., (eds.), Psychoanalytic pioneers, Basic Books, 1966.
761. NEUBAUER, P.B. (ed.) Children in Collectives: childrearing aims and practices in the Kibbutz, Charles C. Thomas, 1965.
762. NEURINGER, C. "Rigid thinking in suicidal individuals", Journal of Consultant Psychology, 28, 1964, 54.
763. NEVINS, A. "The future of Israel", M. Davis, (ed.), Israel: Its role in civilization, Harper, 1956.
764. NEWCOMB, T.M. Social psychology, Tavistock Publications, 1955.
765. NEWMAN, C. (ed.), Gentile and Jew: a symposium, Alliance, 1945.
766. NEWNHAM, J.D. "Arab-Israeli relations: a pilot study of international attitudes", International Problems, 5, 1967, 81.
767. NIEDERLAND, W. "Psychiatric disorders among persecution victims", Journal of Nerveous and Mental Diseases, 39, 1964, 459.
768. NISBET, R.A. "Project Camelot: an autopsy", The Public Interest, 5, 1966.
769. NORBECK, E. & M. Norbeck, "Child training in a Japanese fishing community", D.G. Haring, (ed.), Personal character and cultural milieu, Syracuse University Press, 1955.
770. NORDAU, M. Max Nordau to his people: A summons and a challenge, Scopus, 1941.
771. NORTH, R.C. etal., Content anaysis: a handbook with applications for the study of international crisis, Northwestern University Press, 1963.
772. NUSSBAUM, E. Israel, Oxford University Press, 1968.
773. O'CONNOR, W.A. Psychiatry, Simpkin, 1948.
774. OLIVER, J.A. AND G.A. Ferguson "A factorial study of tests of rigidity", Canadian Journal of Psychology, 5, 1951, 49.
775. O'NEIL, W.M. The beginnings of modern psychology, Penguin, 1968.
776. ORBACH, E. Cooperative organization in Israel: the kibbutz and the

Moshav, Center for the study of Productivity Motivation (Wisconsin), 1971.
777. ORMIAN, H. "The attitude of Israel high-school students toward Mendele", Psychological Abstracts, 1950, No. 7391.
778. ORTAR, G.A. "Educational achievement of primary school graduates as related to their socio-cultural background", Comparative Education, 4, 1967, 23.
779. OSGOOD, C.E. AND T.A. Sebeok, (eds.), "Psycholinguistics: a survey of theory and research problems", Journal of Abnormal and Social Psychology, (Supplement), 49, 1954.
780. OSSOWSKI, S. Class structure in the social consciousness, (Translated by: Shella Patterson), The Free Press of Glencoe, 1963.
781. PARRY, G. Political elites, Praeger, 1969.
782. PATAI, R. "Musha'a tenure and cooperation in Palestine", American Anthropologist, 51, 1946, 436.
783. ———— . Israel between East and West: a study in human relations, The Jewish Publication Society of America, 1953.
784. ———— . Cultures in conflict, Herzl, 1961.
785. PAYNE, R.W. "Cognitive abnormalities", H.J. Eysenck, (ed.), Handbook of abnormal psychology, Basic Books, 1960.
786. PELLED, N. "On the formation of object-relations and indentifications of the kibbutz child", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 2, 1964, 144.
787. PERES, J. "Youth and youth movements in Israel", The Jewish Journal of Sociology, 5, 1963.
788. PERES, S. David's sling, Weidenfeld and Nicolson, 1970.
789. PERES, Y. and Z. Levy "Jews and Arabs: ethnic group stereotypes in Israel", Race, 10, 1969, 479.
790. ———— . "Modernization and nationalism in the identity of the Israeli Arab" Middle East Journal, 24, 1970, 479.
791. ———— . "Ethnic relations in Israel", M. Curtis, (ed.), People and Politics in the Middle East, Transaction, 1971.
792. PERLMUTTER, A. "The Israeli Army in politics: The persistence of the civilan over the military", World Politics, 20, 1968, 627.
793. ———— . Military and politics in Israel, Praeger, 1969.
794. PEROWNE, S. The one remains, Hadder and Staughton, 1954.
795. PIOTROWSKI, Z.A. Perceptanalysis, Macmillan, 1957.
796. PIPES, R. Some operational principles of Soviet foreign policy, U.S. Government Printing Office, 1972.
797. PIROJNIKOFF, L.A. etal'. "Dogmatism and social distance: a cross-cultural-study", Proceedings of the Annual Convention of the Amer-

ican Psycholgical Association, 5, 1970, 323.
798. POLK, W.R. etal. Back drop to tragedy, Beacon, 1957.
799. PONER, S.L. "Max Eitingon: the organization of psychoanalytic training" F. Alexander etal., (eds.) Psychoanalytic pioneers, Basic Books, 1966.
800. POOL, D.S., etal., The worlds of sephardim, Herzl, 1960.
801. PORSHNEV, B. Social psychology and history, Progress Publishers, 1970.
802. PORTER, J "Canadian character in the twentieth century", Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 48.
803. POWDERMAKER, H. "An anthropologist looks at the movies", Annals of the American Academy of Political and Social Science, 254, 1947, 80.
804. PRANGER, R.J The eclips of citizenship, power, and participation in contemporary politics, Holt, Rienhanrt and Winston, 1968.
805. PREALE, I. et al., "Perceptual articulation and task effectiveness in several Israeli sub-cultures", Journal of Personality and Social psychology, 15, 1970, 190.
806. PRINGLE, M.L.K. AND V. Bossio "Early Prolonged separation and emotional maladjustment", Journal of Child Psychology and Psychiatry, 1, 1960, 37.
807. PRITTIE, T. Israel: miracle in the desert, Praeger, 1967.
808. PROSHANSKY, H. & B. Seidenberg "Introduction: Problems of theory and method", H. Proshansky & B. Seidenberg, (eds.), Basic studies in social psychology, Holt, 1970.
809. PROTHRO, E.T. AND L.H. Melikian "Social distance and social change in the Near East", Sociology and Social Research, 37, 1972, 3.
810. ———— . and L.H. Melikian "The Califormia Public Opinion Scale in an authoritarian culture", Public Opinion Quarterly, 17, 1953, 353.
811. PRUGH, D.G. etal. "A study of the emotional reactions of children and families to hospitalization and illness", American Journal of Orthopsychiatry 23, 1953, 70.
812. "PSYCHOLOGY", J. Draver, A dictionary of psychology, Penguin, 1958.
813. "PSYCHOLOGY", M. Rosental and P. Yudin, A dictionary of philosophy, Progress Publishers, 1967.
814. PUTNAM, R.D. "Studying elite political culture: the case of ideology", The American Political Science Review, 65, 1971, 651.
815. QUINN, R.P. etal., The chosen few: a study of discrimination in executive selection, Institute for Social Research: The University of Michigan, 1968.

816. RABIN, A.I. "Personality maturity of kibbutz and nonkibbutz children as reflected in Rorshach", Journal of Projective Techniques, 21, 1957, 148.
817. ———— . "The Israeli kibbutz as a laboratory for testing psychodynamic hypotheses", The Psychological Record, 7, 1957, 111.
818. ———— . "Infants and children under conditions of intermittent mothering in the kibbutz", American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 577.
819. ———— . "Kibbutz children: research finding to date", Children, 5, 1958, 179.
820. ———— . "Some psychosexual differences between kibbutz and non-kibbutz Israeli boys", Journal of Projective Techniques, 22, 1958, 328.
821. ———— . "Attitudes of kibbutz children to family and parents", American Journal of Orthopsychiatry, 29, 1959, 172.
822. ———— . "Comparison of American and Israeli Children by means of a sentence completion technique", Journal of Social Psychology, 59, 1959, 3.
823. ———— . "Kibbutz adolescents", American Journal of Orthopsychiatry, 31, 1961, 493.
824. ———— . "Personality study in Israeli kibbutzim", B. Kaplan, (ed.), Studying Personality Cross-Culturally, Evalnston, 1961.
825. ———— . "Kibbutz mothers view collective education". American Journal of Orthopsychiatry 29, 1964, 140.
826. ———— . Growing up in the kibbutz, Springer, 1965.
827. ———— . & H. GOLDMAN "The relationship of severity of guilt to intensity of identification in kibbutz and non-kibbutz children", Journal of Social Psychology, 69, 1966, 159.
828. ———— . "Children's Apperception Test findings with kibbutz and non-kibbutz preschoolers", Journal of Projective Techniques and Personality Assessment, 32, 1968, 420.
829. ———— . "Some sex differences in the attitudes of kibbutz adolescents", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 6, 1968, 62.
830. ———— . "Of dreams and reality: kibbutz", children, 16, 1969, 160.
831. ———— . "The sexes-ideology and reality in the Israeli Kibbutz", G.H. Seward and R.C. Williamson, (eds.), Sex roles in changing society, Random House, 1970.
832. ———— . (ed.) Kibbutz studies, Michigan State University Press, 1971.

833. RABKIN, L.Y. "A very special education: the Israeli Kibbutz", Journal. of Social Education, 2, 1968, 251.
834. ———— . and K. Rabkin "Children of the Kibbutz", Psychology Today, 3, 1969, 40.
835. ———— . "Parties and cultural values: a kibbutz example", Psychiatry, 33, 1970, 482.
836. RACY, J. "Psychiatry in the Arab East", Acta Psychiatrica Scandinavica, Supplimentum 211, 1970.
837. RAPAPORT, D. "The study of kibbutz education and its bearing on the theory of development", American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 587.
838. RAVEN, B.H. and F.L. WALDA "The effects of partner's behavior and culture upon strategy in a two-person game", Rivka R. Eifermann, (ed.), Studies in psychology. Scripta Hierosolymitana (vol. 14), Hebrew University, 1965. 148.
839. REICH, W. The mass psychology of fascism, Orgone, 1946.
840. REICHENBACH, H. "The philosophical significance of the theory of relativity", P.A. Schilpp (ed.), Albert Einstein: Philosopher-scientist, Harper, 1959.
841. REIK, T. Jewish wit, Gamut, 1964.
842. REJWAN N. "La querelle des deux communautes: Un point de vue oriental", Esprit, No. 362, Sept. 1966, 218.
843. RETTING, S. and B. PASAMANICK "Some observations on the moral ideology of first and second generation collective and non-collective settlers in Israel", Social Problems, 11, 1963, 165.
844. ———— . "Relation of social systems to intergenerational changes in moral attitudes", Journal of Personality and Social Psychology, 4, 1966, 409.
845. RHEE, S.N. "Jewish assimilation: the case of chinese Jews", Comparative studies in society and History, 15, 1973, 115.
846. RICHARDS, T.W. "The Chinese in Hawaii: a Rorschach report", F.L.K. Hsu, (ed.), Aspects of culture and personality, Abelard Schuman, 1954.
847. RICHARDSON, S.A. etal. "Cultural uniformity in reaction to physical disabilities", American Sociological Review, 26, 1961, 241.
848. RIESMAN, D. "Some questions about the study of American national character in the twentieth century", Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 36.
849. RILEY, J.W. & W. SCHRAMM The Reds take a city: The communist occupation of Seoul, with eyewitness accounts, Rutgers University press, 1951.

850. RIM, Y. and R. Aloni "Stereotypes according to ethnic origin, socia class, and sex", Acta Psychologica, 31, 1969, 312.
851. ROBERTSON, J. and J. Bowlby "Observations of the sequences of responses of children aged 18-24 months during the course of separation", M.F.A. Montagu, (ed.), The direction of human development, Watts, 1957.
852. ———. Young children in hospital, Tavistock, 1958.
853. RODINSON, M. Israel and the Arabs, Penguin, 1968.
854. RODNICK, D. Postwar Germans: an anthropologist's account, Yale University Press, 1948.
855. ROGERS, R.R. "The emotional climate in Israeli society", American Journal of Psychiatry, 128, 1972, 988.
856. ROHEIM, G. Australian totemism, Unwin, 1925.
857. ———. "Psychoanalysis of primitive types", International Journal of Psychoanalysis, 13, 1932, 1.
858. ———. "Psychoanalysis and anthropology", S. Lorand, (ed.), Psychoanalysis today, International University press, 1944.
859. ———. Psychoanalysis and anthropology: culture, personality, and the unconscious, International University Press, 1950.
860. ROKEACH, M. "Generalized mental rigidity as a factor in ethnocentrism" Journal of Abnormal and Social Psychology, 43, 1948, 259.
861. ———. "Prejudice, concreteness of thinking and rigidity", Journal of Abnormal and Social Psychology, 46, 1951, 83.
862. ROSE, H. & S. Rose. Science and society, Penguin, 1970.
863. ROSENBERG, S.E. America is different, Nelson, 1964.
864. ROSENFELD, E. "Social stratification in a classless society", American Sociological Review, 16, 1951, 766.
865. ———. "Institutional change in the kibbutz", Social Problems, 5, 1957, 110.
866. ———. "The American social scientist in Israel: a case study in role conflict", American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 563.
867. ROSENFELD, H. "On determinants of the status of Arab village women", S.N. Eisenstadt, etal, (eds), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.
868. ROSNER, M. "Direct democracy in the kibbutz", New outlook, 8, 1965, 29.
869. ———. "Communitarian experiment, self management experience, and the kibbutz", Group Process, 3, 1970, 79.
870. ROTH, C. A short history of the Jewish People, East and west library, 1969.
871. RUBIN, M. (Review) "Israel between East and West: a study in hu-

man relations, by: R Patai", American Anthropologist, 56, 1954, 310.
872. RUSSCOL, H. and M. BANAL. The First million of Sabra: A portrait of the native-born Israelis, Dodd, 1970.
873. SACHER, H.M. The course of modern Jewish history, Delta, 1963.
874. SAFRAN, N. The United States and Israel, Harvard University Press, 1963.
875. ———— . From war to war, Pagesus, 1969.
876. SALEM, E. "From and substance: a critical examination of the Arabic language", Middle East Forum, 34, 1958, 17.
877. SANUA, V.D. "The psychology of the Egyptian fellahin" Unpublished, 1966.
878. ———— . "The national character of Arabs and its effect on the Middle East conflict", Paper presented at the American Psychological Association annual convention, Unpublished, September 1970.
879. ———— . "Is peace in the Middle East possible ? A study of psychological factors", International Psychologist, (Monography Supplement), 12, 1971, 14.
880. SARGENT, S.S. "Discussion of Gardner Murphy's paper", O. Klineberg and R. Christie, (eds), Perspectives in social psychology, Holt, Rinehart and Winston, 1965.
881. SARNOFF, i. "Identification with the aggressor: some personality correlates of anti semitism among Jews", Journal of Personality, 20, 1951, 199.
882. SARTRE, J.P. Anti-semite and Jew, Baillier, 1968.
883. SCHAFFER, H.R. "Objective observations of personality development in early infancy", British Journal of Medical Psychology, 31, 1958, 174.
884. ———— , and W.M. Callender "Psychological effects of hospitalization in infancy", Pediatrics, 24, 1959, 528.
885. SCHAFFNER, B. Father land: a study of authoritarianism in the German Family, Columbia University Press, 1948.
886. SCHECHTER, S. Studies in Judaism, The Jewish Publication Society of America, 1945.
887. SCHEIN, E.H. "The Chinese indoctrination program for prisoners of war: a study of attempted brain washing", Psychiatry, 19, 1956, 149.
888. ———— . "Reaction patterns to severe, chronic stress in American army prisoners of war of the Chinese", The Journal of Social Issues, 13, 1957, 21.
889. SCHULTZ, D.P. "The human subject in psychological research", Psychological Bulletin, 72, 1969, 214.
890. SCHUMAN, H. & B. Gruenberg "The impact of city on racial attitudes", American Journal of Sociology, 76, 1970, 213.

891. SCHWARTZ, R.D. "Democracy and collectivism in the kibbutz" Social Problems, 5, 1937, 137.
892. ———— . "Behavior research in collective settlements in Israels" American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 572.
893. SCHWARZ, V. "Comparison of the film and the novel", M. Mead &, R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
894. SCHWEBEL, M. "The demystification of mental problems", International Mental Health Research Newsletter, 13, 1971, 11.
895. "SCIENCE", M. ROSENTAL and P. Ydin, A dictionary of philosophy, Progress Publishers, 1967.
896. SEARS, D.O. and R.P. Abeles, "Attitudes and opinions", Annual Review of Psychology, 20, 1969, 253.
897. SEARS, P.S. "Doll-play aggression in normal youth children: influence of sex, age, sibling status, father's absence", Psychological Monographs, 65, 1951.
898. SEARS, R.R. Survey of objective studies of psychoanalytic concepts, social Science Research Council, 1943.
899. SEBALD, H. "Studying national character through comparative content analysis", Social Forces, 40, 1962, 318.
900. SEGAL, J. "Correlates of collaboration and resistance behavior among U.S. Army POW's in Korea", The Journal of Social Issues, 13, 1957, 31.
901. SELZER, M. "The other Israel", Jewish Observer, December 13, 1963, 24.
902. ———— . "The trouble with Israeli eduction", Outlook, October 1955, 81.
903. ———— . The aryanization of the Jewish state, Macmillan, 1967.
904. ———— . "Introduction", M. Selzer, (ed.), Zionism reconsidered: The rejection of Jewish normalcy, Macmillan, 1970.
905. SHAHAM, N. "La second generation", Esprit, 34 Annee, No 352, Sept. 1966, 200.
906. SHALIT, B. "Enviromental hostility and hostility in fantasy", Journal of Personality and Social Psychology, 15, 1970, 171.
907. SHAPIRA, A. & M.C. Madsen "Cooperative and competitive behavior of kibbutz and urban children in Israel", Child Development, 40, 1969, 609.
908. SHAPIRA, R. and E. Etzioni "Individual and collective values of Israeli students, the impact of youth movements", The Jewish Journal of Sociology, 12, 1970, 165.
909. SHARAN, S. etal. "Birth order and level of task performance: a

crosscultural comparison", Journal of Social Psychology, 78, 1969, 157.
910. SHASKOLSKY, L. "Utopia and reality: a comparative analysis of communal settlements in America and Israel", Sociological Focus, 2, 1968, 22.
911. SHERIF, M. & C.W. Sherif "Research on intergroup relations", O. Klineberg and R. Christie, (eds.), Perspectives in social psychology, Holt, 1965.
912. ———— . "On the relevance of social psychology", American psychologist, 25, 1970, 144.
913. SHERMAN, C.B. The Jews within American society, Wayne State University Press, 1965.
914. SHIBUTANI, T. & K.M. Kwan Ethnic stratification, Macmillan, 1955.
915. SHIZK-N, D.B. & P. Sanjuan "Culture and world view: a method of analysis applied to rural Russia", American Anthropologist, 55, 1953, 329.
916. SHOHAM, S. & M. HOVAV, "B'Nei-Tovim"-middle and upper class delinquency in Israel", Sociology and Social Research, 48, 1964, 454.
917. ———— . et al. "Immigration, ethnicity, and ecology as related to Juvenile delinquency in Israel", British Journal of Criminology, 16, 1966, 391.
918. SHOUBY, E. "The influence of the Arabic language on the psychology of the Arabs", Middle East Journal, 5, 1951, 284.
919. SHUVAL, J.T. "The role of class in structuring intergroup hostility", Human Relations, 10, 1957, 61.
920. ———— . "Emerging patterns of ethnic strain in Israel", Social Forces, 40, 1962, 323.
921. ———— . "Value orientations of immigrants to Israel", Sociometry 26, 1963, 247.
922. ———— . "Self-rejection among North African Immigrants to Israel", The Israel Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 4, 1966, 101.
923. SIGAL, J.J. et al. "Some second-generation effects of survival of the Nazi, persecution", American Journal of Orthopsychiatry, 43, 1973, 320.
924. SIKKEMA, M. "Observations on Japanese early child training", Psychiatry, 10, 1947, 423.
925. SILBERPFENNING, J. "Psychoanalytic aspects of current Japanese and German paradox", Psychoanalytic Review, 32, 1945, 73.

926. SILVERT, K.H. "American academic ethics and social research abroad: the lesson of project Camelot", American University Field Staff Reports Service, July, 1965.
927. SINGER, M.T. & E.H. SCHEIN "projective test responses of prisoners of war following repatriation", Psychiatry, 21, 1958, 375.
928. SIOTIS, J. "Social science and the study of international relations", The Yearbook of World Affairs, 24, 1970, 1.
929. SKEA, S. etal. "Ethnic characteristics of psychiatric symptomatology within and cross regional grouping: A study of an Israeli child guidance clinic population", Israeli Annals of Psychiatry and Related Disciplines, 7, 1969, 31.
930. SKLARE, M. "Assimilation and the sociologists", Commentary, 39, 19, 1959.
931. ————. and J. GREENBLUM Jewish identity on the suburaban frontier, Basic Books, 1967.
932. SLONIM, M.J. Sampling, Simon and Schuster, 1966.
933. SMELSER, N.J. "Sociology and other social sciences", P.F. Lazarsfeld et al. (eds.), The uses of sociology, Basic Books, 1967.
934. SMYTHE, H. and S. WEINTROUB "Intergroup relations in Israel", M. Curtis, (ed.), People and politics in the Middle East, Transaction, 1971.
935. "SOCIAL PSYCHOLOGY", H.B. English and A.C. English, A comperhensive dictionary of psychological and psychoanalytical terms, longmans, 1958.
936. "Social psychology", J. Drever, A dictionary of psychology, Penguin, 1958.
937. "Social science", J. Drever, A dictionery of Psychology, Penguin, 1958.
938. "Social sciences", H.B. English and A.C. English, A comprehensive. dictionary of psychological and psychoanalytical terms, Longmans, 1958.
939. SORENSEN, R. "Our common humanity", J.J. Lynx, (ed.), The future of the Jews: a symposium, Lindsay Drummond, 1954.
940. SOROKIN, P.A. "The essential characteristics of the Russian nation in the twentieth century", The Annals of the American Academy of political and social science, 370, 1967, 99.
941. SPIRO, M.E. "Is the family universal ?", American Anthropologist, 56, 1954, 839.
942. ————. "Marriage in the kibbutz" American Anthropologist, 56, 1954, 840.
943. ————. "Education in communal village in Israel", American Journal of Orthopsychiatry, 25, 1955, 283.

944. ———— . "The Sabras and Zionism: a study in personality and ideology", Social Problems, 5, 1957, 100.
945. ———— . Children of the Kibbutz, Schocken Books, 1965.
946. ———— . Kibbutz: venture in utopia, Schocken Books, 1967.
947. SPITZER, H.M. "Psychoanalytic approaches to the Japanese Character", G. Roheim et al., (eds.), Psychoanalysis and social sciences, 1, 1947, 131.
948. STAHL, A. "Some differences in the styles of thinking between immigrants from Islam countries and those from European origin", Psychological Abstracts, 42, 1968, No. 9956.
949. STERN, B. The Kibbutz that was, Public Affairs press (Washington), 1965.
950. STOETZEL, J. "The contribution of public opinion research techniques to social anthropology", International Social Science Bulletin, 5, 1965, 494.
951. STOLLEY, R. "We won our wars-we don't need victories: Interview with premier Golda meir", Life, 47, 13-10-1969, 36.
952. STORRS R. Lawrance of Arabia: zionism and Palestine, Penguin, 1941.
953. STOUFFER, S.A. et al., The American soldier, (vol. 1), Princeton University Press, 1949.
954. STRATTON, G.M. & F.M. HENRY, "Emotions in Chinese, Japanese, and whites: racial and national difference and likeness in physiological reactions to an emotional stimulus", American Journal of psychology, 56, 1943, 161.
955. STRODTBECK, F.L. et al., "Evaluation of occupations: A reflection of Jewish and Italian mobility differences", American Sociological Review, 22, 1957, 546.
956. ———— . "The family in action", Child study, 34, 1958, 11.
957. SWIET, J.W. "Matching of teacher's descriptions and Rorschach analysis of preschool children", Child Development, 15, 1944, 217.
958. ———— . "Reliability of Rorschach scoring categories with preschool children", Child Development, 15, 1944, 207.
959. ———— . "Rorschach responses of eighty-two preschool children", Rorschach Researches Exchange, 9, 1944, 74.
960. ———— . "Relation of behavioral and Rorschach measures of insecurity in preschool children", Journal of Clinical Psychology, 1, 1945, 196.
961. TALMON, G.Y. "The family in Israel", Marriage and Family Living, 16, 1954, 343.
962. ———— . "Social structure and family size", Human Relations, 12, 1959, 121.

963. ———— . "Social shange and family structure", International Social Science Journal, 14, 1963, 468.
964. ———— , and E. Cohen "Collective settlements in the Negev", J. Ben-David, (ed.), Agricultural Planning and village community in Israel, UNESCO, 1964.
965. ———— . "Mate selection in collective settlements", American Sociological Review, 29, 1964, 491.
966. ———— . "Sex-role differentiation in an equalitarian society", T.G. Lasswell, et al., (eds.), Life in Society, Scott, Forsman, 1965.
967. ———— . "The family in a revolutionary movement: the case of the kibbutz in Israel", M.F. Nimkoff, (ed.), Comparative family Systems, Houghton Mifflin Company, 1965.
968. TALMOR, E. "Universaliser la kibbutz", Esprit, 34, 1966, 315.
969. TAMARIN, G.R. "The Israeli-Arab conflict in terms of non-communication", New Outlook, 11, 1968, 8.
970. TANNENBAUM, R. et al., Leadership and organization: a behavioral scienc approach, McGraw-Hill, 1961.
971. TAO, L.K. "Some Chinese characteistics in the light of Chinese family", E.E. Evans et al., (eds.) Essays presented to C.G. Seligman, Kegan Paul, 1934.
972. TARTAKOWER, A. In search of home and freedom, Lincolns Prager, 1958.
973. TAX, S. et al., An Appraisal of anthropology today, University of Chicago Press, 1953.
974. TEN HOUTEN, W.D. "The black family: myth and reality", Psychiatry, 33, 1970, 145.
975. TERHUNE, K.W. "From national character to national behavior: a reformulation", The Journal of Conflict Resolution, 14, 1970, 203.
976. THOMPSON, L. & A. Joseph The Hopi way, University of Chicago Press, 1944.
977. THOMSON, R. The pelican history of psychology, Penguin, 1968.
978. THORNER, I. "German words, German personality and Protestantism", Psychiatry, 8, 1945, 403.
979. TINKER, H. "Indians in Israel: The acceptance model and its limitations", Race, 13, 1971, 81.
980. TOBACH,E. "Social darwinism rises again", (pre-print), for presentation at the meeting of the American Orthopsychiatry Association, Detroit, Michigan, April 8, 1972.
981. ———— . "The four horsemen of the apocalypse", (pre-print), for presentation at the meeting of the American Orthopsychiatry Association, Detroit, Michigan, April 8, 1972.

982. TOFFLER A. Future shock, Random House, 1970.
983. TOMLINSON, T.M. "Contributing factors in black politics: introduction", Psychiatry, 33, 1970, 139.
984. TOPOFF, H.R. "The oldest race in history" (pre-print), for presentation at the meeting of the American Orthopsychiatry Association, Detroit, Michigan, April 8, 1972.
985. TRASLER, G. In place of praents, Kegan Paul, 1960.
986. TRANDIS, H.C. "Discussion", The International Psychologist, (Monograph Supplement), 12, 1971, 30.
987. TVRESKY, B. "Pictorial and verbal encoding in a short-term memory task", Perception and Psychophysics, 6, 1969, 225.
988. ———— . "Pictorial and verbal encoding In preschool children", Developmental Psychology, 8, 1973, 149.
989. VALLIER, I. "Structural differentation, production imperatives and communal norms: the kibbutz in crisis, Social Forces, 40, 1961, 233.
990. VAN DER BERGHE, P.L. "Language and nationalism in South Africa", J.A. Fishman, et al., (eds.), Language problems of developing nations, Wiley, 1968.
991. VAN PASSEN, P. The forgotten ally, Dial Press, 1943.
992. VELIE, L. Count-down in the holyland, Funk and Wagnalls, 1969.
993. VERGELIS A On the Jwish street, Novosti Press, 1971.
994. VODKAILO, S. "Kidney and urinary tract diseases and their prevention in children", A. Tur (ed), Know your child, Peace Publishers, Undated.
995. WALLERSTEIN, I. "The search for national identity in West Africa: The new history", W.J. Cahnman and A. Boskoff, (eds.), Sociology and history, Free Press, 1964.
996. WALSH, J. "Social science: cancelation of Comelot after row in Chile brings research under serutiny", Science, September 10, 1965.
997. WAPLES, D. et al., What reading does to people: a summary of evidencw on the sociological effecs of readings and a statement of problems for research, University of Chicageo Press, 1946.
998. WARD C.J. "Tow generations of broken homes in the genesis of conduct and behavior disorders in childhood, British Medecine Journal, 2, 1961, 349.
999. WATSON, J.B. and R. Rayner "Conditioned emotional reactions", H.J. Eysenck, (ed), Behavior therapy and the neurosis, Pergamon, 1967.
1000. WEAKLAND, J "The organization of action in Chinese culture", Psychiatry, 13, 1950, 361.
1001. WEINDBERG, A.A. "Mentl ill-health, concequent to migration

and loneliness, and its prevention", Psychotherapy and psycho-somatic, 15, 1967, 69.
1002. WEINOGRAD, A. Israel: group relations in a new society, Praeger, 1965.
1003. WEINREICH, U Languages in contact, Linguistic Circle of New York, 1953.
1004. WEINSTOCK, N. Le Sionism conter Israel, Maspero, 1969.
1005. WEINTRAUB, D. and M. Lissak "Social integration and change", S.N. Eisenstadt et al, (eds.), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.
1006. WEISS-ROSMARIN, T. Jewish survival, The Philosophical Liberary, 1949.
1007. WEISSMAN, M. et al "Hostility and depression associated with suicide attempts", American Journal of Psychiatry, 130, 1973, 450.
1008. WEST, L.J. "On racial violence", Northwest Medicine, 64, 1964, 679.
1009. ———— . "A psychiatrist looks at the death penality", (Pre-Print) presented at the 122nd Annual Meeting of the American Psychiatric Association, Atlantic City, New Jersey, May 11, 1966.
1010. ———— . "Prevention of racial violence in the urban ghetto", (unpublished), Presented at a panel, American Psychiatric Association Meeting Detroit, Michigan, May 1967.
1011. ———— . "Scientific reflections on the death penalty", (Unpublished), for presentation at the Center for the Study of Democratic Institution, Santa Barbara, California, March 6, 1967.
1012. ———— . "Psychiatry and civil rights", American Journal of Psychotherapy, 22, 1968, 577.
1013. ———— . "Psychiatry and social issues: problems and priorities", (Unpublished), prepared for presentation at the policy Meeting, Board of Trustees, American Psychiatric Association, March 19, 1971.
1014. WHITING, B.B. (ed.) Six cultures: studies of child trearing,wiley, 1963.
1015. WHITING, J.W.M and I.L. Child, Child training and personality: a crosscultural study, Yale University Press, 1953.
1016. WHORF, B.L. "The relation of habitual thought and behavior to language" L.Spier, (ed.), Language, culture and personality: Essays in memory of Edward Sapir, Sapir Memorial publishing Fund, 1941.
1017. WILDER-OKLADK, F "Austrian and German immigration in Israel", S.N. Eisrnstadt, et al. (eds.), Integration and development in Israel, Pall Mall, 1970.

1018. WILLIAMS, J.M. "Chidren who break down in foster homes: A psychological study of patterns of personality growth in grossy deprived children", Journal of Child Psycholgy and Psychiatry, 2, 1961, 5.
1019. WINNIK, H.Z. "Further comments concerning problems of late psychopatholgical effects of Nazi-persecution and their therapy", The Israel Annals of Psychiatry and Related Desciplines, 5, 1967, 1.
1020. WINOGRAD, M. "The development of the young child in a collective settlement", American Journal of Orthopsychiatry, 28, 1958, 557.
1021. WIRTH, L. The Ghetto, The University of Chicago Press, 1956.
1022. WOLF, L. Essays in Jewish history, The Jewish Historical Society of England 1934.
1023. WOLFENSTEIN, E.V. The revolutionary Personality, Princeton University Press, 1967.
1024. WOLFENSTEIN, M. & N. Leites Movies: a Psychological study, The free Press, 1950.
1025. ———— . "Fun morality: an analysis of recent American child-training litirature", Journal of Social Issues, 7, 1951, 15.
1026. ———— . "Movie analysis in the study of culture", M.Mead & R. Metraux (eds.), The study of culture at a distance, University of Chilcago Press, 1953.
1027. ———— . "Notes on an Italian film", M.Mead and R.Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
1028. ———— . "The Soviet image of corruption", M.Mead and R. Metraux, (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953.
1029. ———— . and N. Leites "Plot and Character in selected French films", R. Metraux and M. Mead, (eds.), Trends in French culture: A preface to a study of French community, Stanford University press, 1954.
1030. ———— . and N. Leites, "Trends in French films", Journal of Social Issues, 11, 1955, 42.
1031. WOLINS, M. "on theory and practice in child care: a cross-cultural view", Child Welfare, on 42, 1963, 369.
1032. ———— . "Political orientation, Social reality, and child welfare", Social Service Review, 38, 1964, 429.
1033. ———— . "Group care of children: the problem of legitimacy", H. Fradkin, (ed.), Organization of services that will best meet needs of children, Columbia University School of Social Work, 1965.

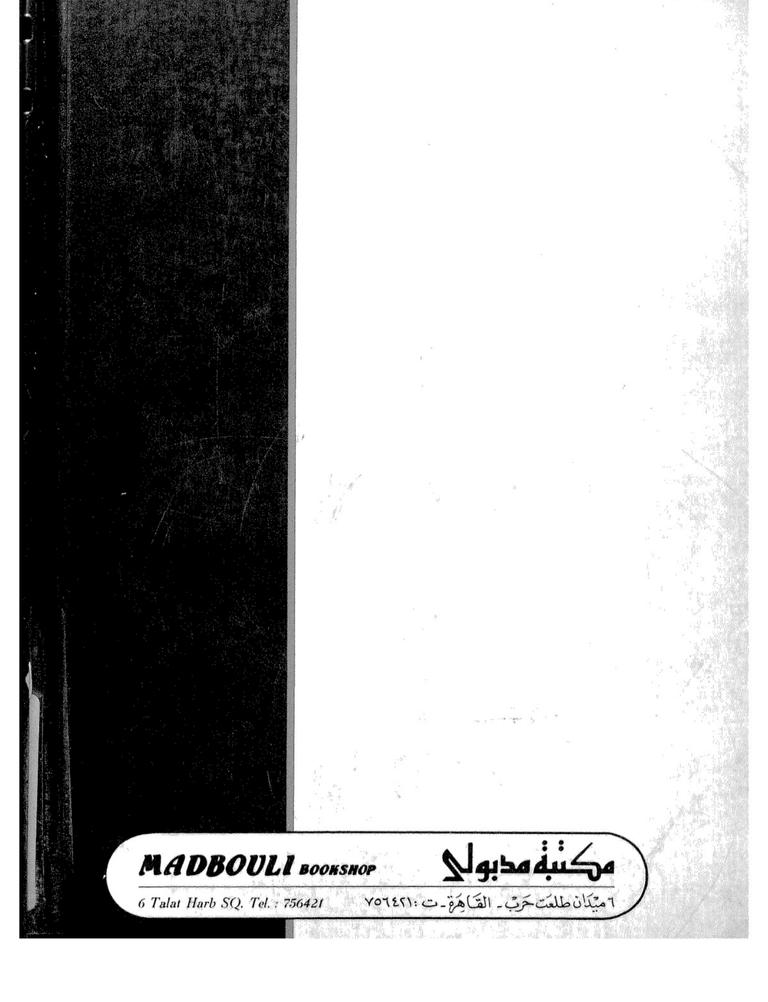
1034. ———— . "Group care: friend or foe", social work, 14, 1969, 35.
1035. WOLMAN, B. "The social development of Israel: Youth", Psychological Abstracts, 1950, No. 3759.
1036. WOOTTON, B. Social science and pathology, Allen and Unwin, 1959.
1037. WUNDT, W. Ethics: and investigation of the facts and laws of the morale life, Two Vol., (Translated by: J. Gulliver & E.B. Titchener), Unwin, 1897.
1038. "WORLD WAR, SECOND" A.W. Palmer, A dictionary of modern history, Penguin, 1970.
1039. YARROW, L.J. "Maternal deprivation: toward an emperical conceptual re-evaluation", Psychological Bulletin, 58, 1961, 459.
1040. ZBOROWSKY, M. & E. Herzog Life is with the people: the culture of the shtetl, Schocken Books, 1967.
1041. ZENNER, W. "Sephardic communal organization in Israel", Middle East Journal, 21, Spring 1967, 184.
1042. ZIV, A. and H. Shauber "Contribution to a cross-ultural study of manifest anxiety in children", Human Development, 12, 1969, 178, H.
1043. ———— . "Children's behavior problems as viewed by teachers, psychologists, and children", Child Development, 41, 1970, 871.
1044. ZWEIG, F. Israel: The sword and the harp, Fairleigh Dickinson University Press, 1969.

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الباب الثاني

الباب الثالث



MADBOULI BOOKSHOP
مكتبة مدبولى
6 Talat Harb SQ. Tel.: 756421
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٧٥٦٤٢١